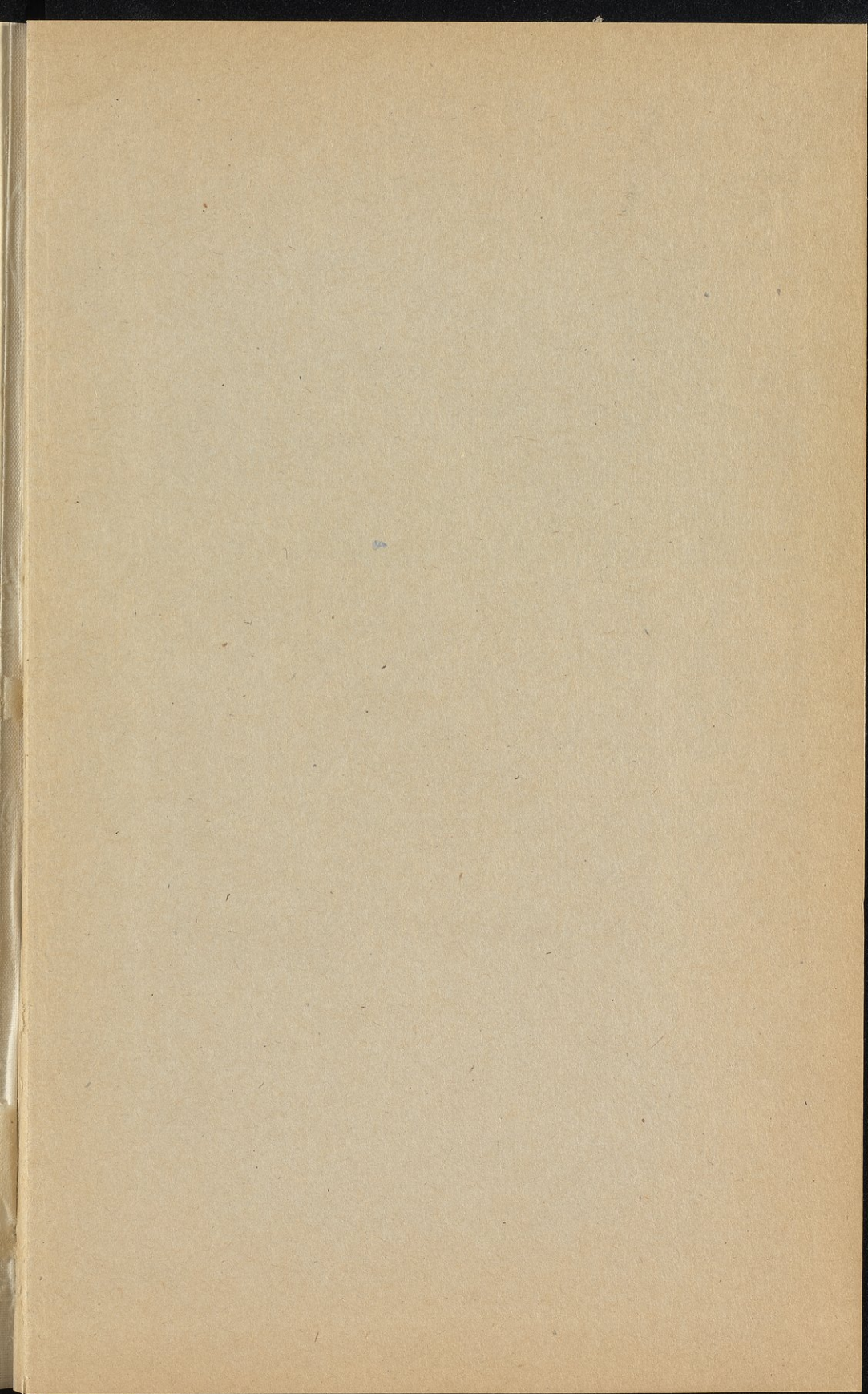
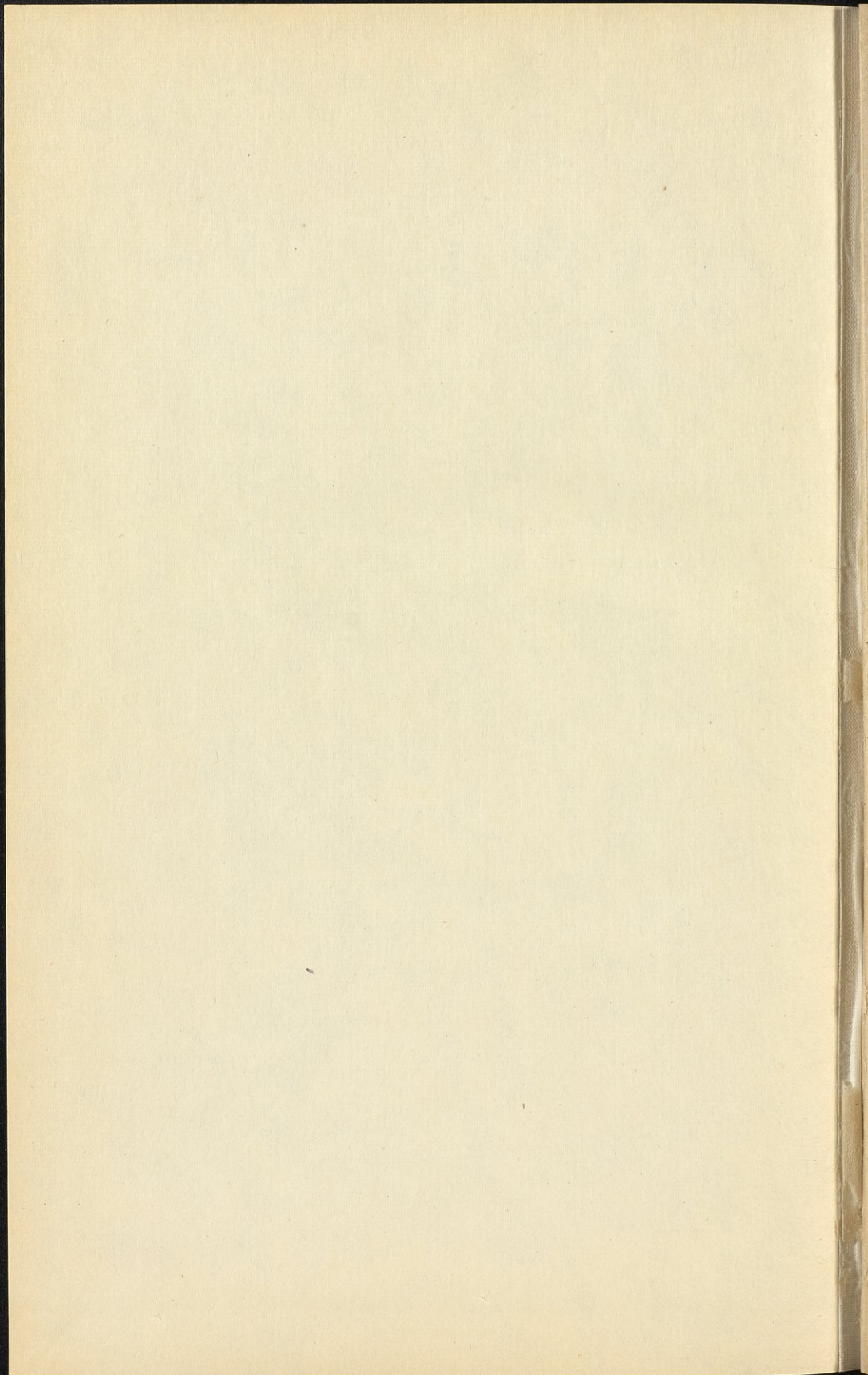


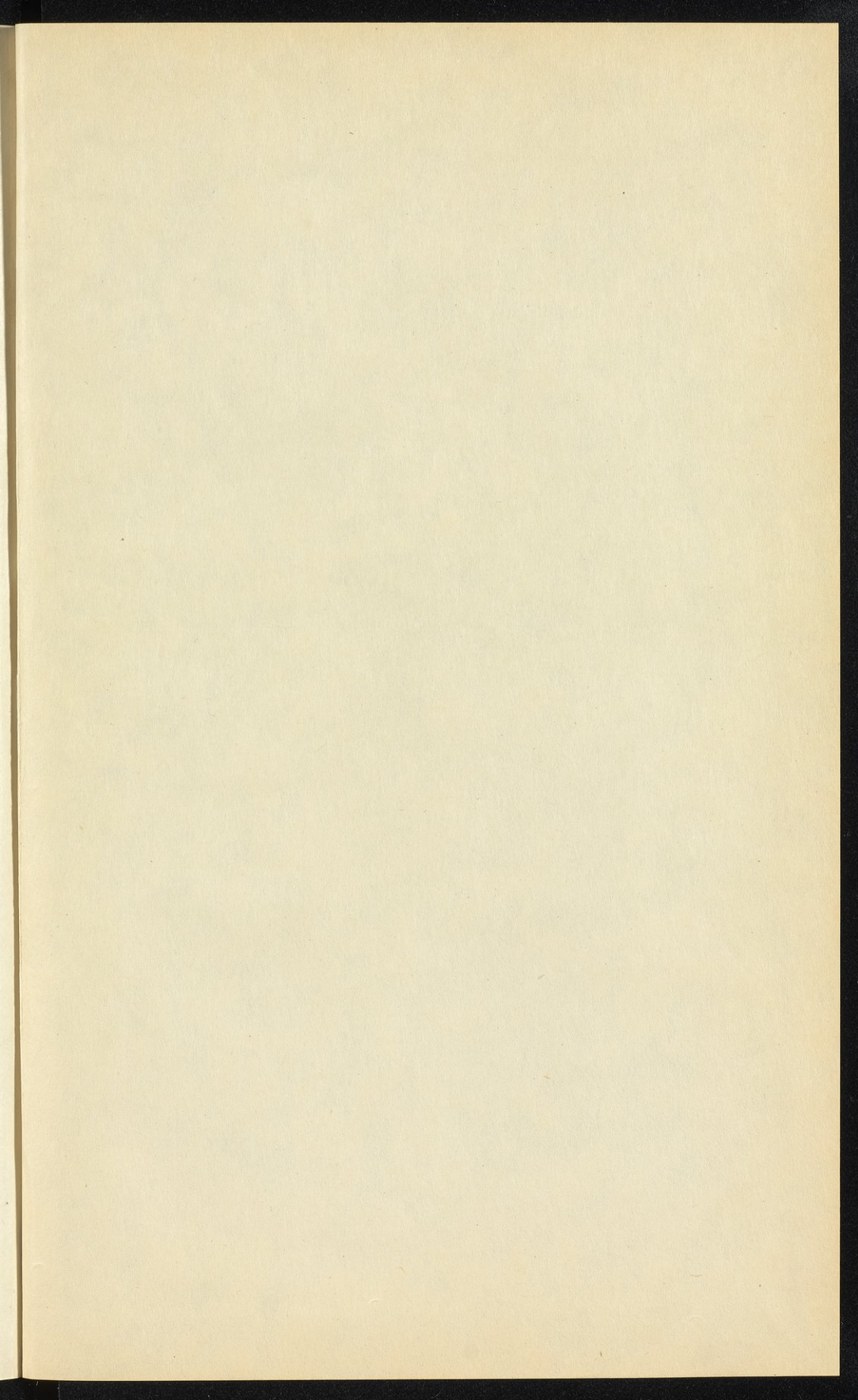
Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES









(Vol. 1)

©
344b

قَصْرُ الْعَرَبِ

تأليف

محمد أحمد جاد المولى
مفتش أول للغة العربية

علي محمد الجاوي
المدرس بالدارس الأميرية

محمد أبو الفضل الهيم
المدرس بالدارس الأميرية

الجزء الثاني

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين

الطبعة الأولى

١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م

طبع بمطبعة عيسى الكافي الحلبي في مصر
٤

893.78

Q48

V.2

45-39141

v.2

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

مراجع هذا الجزء

أخبار أبي تمام	: للصولي
الأغاني	: لأبي الفرج الأصفهاني
الأمالي	: لأبي علي القالي
الأمالي	: للزجاجي
الأمالي	: للمرتضى
الأوراق	: للصولي
البداية والنهاية	: لابن كثير
بلاغات النساء	: لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب	: للأوسى
البيان والتبيين	: للجاحظ
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبرى
ثمرات الأوراق	: للحموى
جمهرة أشعار العرب	: لأبي زيد الخطابي
جمهرة أمثال العرب	: لأبي هلال العسكري
خزانة الأدب	: للبغدادى
ذيل الأمالي والنوادر والتنبيه	: لأبي علي القالي ، والبكرى
ذيل زهر الآداب	: للحصرى

ذيل ثمرات الأوراق :	للحموى
الروض الأنف :	للسهيلي
زهر الآداب :	للحصري
سرح العيون :	لابن نباتة المصري
السيرة النبوية :	لابن هشام
سيرة عمر بن عبد العزيز :	لابن عبد الحكم
شرح ديوان الحماسة :	للمرصفي
شرح نهج البلاغة :	لابن أبي الحديد
الشعر والشعراء :	لابن قتيبة
صبح الأعشى :	للقلقشندي
عصر المأمون :	للدكتور فريد رفاعي
العقد الفريد :	لابن عبد ربه
العقد الفريد للملك السعيد :	لأبي سالم محمد بن أبي طلحة
عين الأدب والسياسة :	لأبي حسن علي بن هذيل
عيون الأخبار :	لابن قتيبة
غرر الخصائص الواضحة :	لأبي إسحاق الوطواط
الفرج بعد الشدة :	للتنوخى
فوات الوفيات :	لابن شاكر الكتبي
الكامل في التاريخ :	لابن الأثير
الكامل في الأدب :	لمبرد
مجانى الأدب :	للأب لويس شيخو
مجمع الأمثال :	لميداني
المحسن والأضداد :	للجاحظ

المحسن والمساوي	: البيهقي
محاضرات الأبرار	: لابن عربي
لباب الآداب	: لابن منقذ
مروج الذهب	: للمسعودي
المستطرف في كل فن مستظرف	: للأبشيهي
مصارع العشاق	: لأبي جعفر بن أحمد السراج
معجم الأدباء	: لياقوت الحموي
معجم البلدان	: لياقوت الحموي
معاهد التنصيص	: لبدر الدين العباسي
مهذب الأغاني	: للشيخ الخصري بك
الموشح	: للمرزباني
نفتح الطيب	: للمقري
نهاية الأرب	: للنويري
وفيات الأعيان	: لابن خلكان

مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

أساس البلاغة	: للزمخشري
أشعار النساء	: للمرزباني
الأعلام	: لخير الدين الزركلي
تاريخ آداب اللغة العربية	: لجورجي زيدان
تاريخ الأمم الإسلامية	: للخضري بك
ديوان مسلم بن الوليد	: طبع أوربا
رغبة الأمل من كتاب الكامل	: المرصفي
شرح ديوان الحماسة	: المرصفي
شرح الأمل	: للبكري
طبقات الشعراء	: لابن سلام
طبقات الشعراء	: لابن قتيبة
الفاخر في الأمثال	: للضي
فهرس خريطة الممالك الإسلامية	: لأمين بك واصف
القاموس المحيط	: للفيروز آبادي
لسان العرب	: لابن منظور
المعارف	: لابن قتيبة
معجم البلدان	: لياقوت الحموي
وفيات الأعيان	: لابن خلكان

فهرس القصص

الباب الأول

في القصص التي تشرح ما أثر عنهم من عادات وشمائل في الأسباب الدائرة
بينهم ، وتبين ما انتهجوه في مواسمهم وأعيادهم ، وأفراحهم وأعراسهم ؛ مما يمثل
حياتهم الاجتماعية أصدق تمثيل :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
شب عمرو عن الطوق	٢	١
الحديث ذو شجون	٤	٢
جوع كلبك يتبعك	٥	٣
عند جهينة الخبر اليقين	٦	٤
يحمى الصحاب إذا تكون كريهة	٨	٥
تأبط شراً وابن براق	١١	٦
أنتك بجائن رجلاه	١٣	٧
السليك بن السليكة ورفيقاه	١٦	٨
السليك يقتل وينهب	١٨	٩
السخي العداء	١٩	١٠
زيد الخيل	٢٢	١١

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
وأد البنات	٢٥	١٢
أعجب السرقات	٢٦	١٣
أعرابي في عرس	٣٠	١٤
أطيب الطعام	٣٤	١٥
ججدر	٣٧	١٦
صديقا ابن سريج على قبره	٣٩	١٧
قوة و بطش	٤٢	١٨
لا تعرضو لهذا الشيطان	٤٤	١٩
هلال يصارع عبداً جباراً	٤٦	٢٠
حديث عن الغريين	٤٨	٢١
العصا	٥١	٢٢
ضرار بن الققعاع	٥٤	٢٣

الباب الثاني

القصص التي تصف أحوال المرأة العربية ، وما تجرى عليه في تربية أطفالها ،
ومعاشرتها زوجها ، ومعاونتها له في الحياتين : الاجتماعية والمدنية ، بالسعي في سبيل
الرزق ، والاشتراك في خوض معامع الحروب ، والأخذ بقسط من الثقافة الأدبية
السائدة في ذلك العهد :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
مصرع الزباء	٥٦	٢٤
قبّح الله جمالا لا نفع فيه	٦٢	٢٥

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
أفضل النساء وأفضل الرجال	٦٥	٢٦
نكبة جلييلة بنت مرة	٦٧	٢٧
كأنما تزوجت بنت قيس بن خالد	٦٩	٢٨
ما وراءك يا عصام ؟	٧٢	٢٩
لا أتزوج إلا من كريم	٧٥	٣٠
سبية عروة بن الورد	٧٨	٣١
لو كان النساء كمثل هذى !	٨٠	٣٢
بنت حاتم الطائي	٨٣	٣٣
أيتهما أعظم العرب مصيبة ؟	٨٤	٣٤
شجاعة صفية بنت عبد المطلب	٨٦	٣٥
الخنساء عند عائشة	٨٧	٣٦
إله عمر يعلم !	٨٨	٣٧
كذلك الدهر !	٨٩	٣٨
لا تذهبي بنفسك عن الحق	٩٠	٣٩
المغيرة يخطب بنت النعمان	٩٢	٤٠
ولقد أبيت على الطوى	٩٣	٤١
أبو الأسود الدؤلي وزوجه	٩٧	٤٢
إن قريشاً تحدث أنك من أحلمها	١٠٠	٤٣
سودة بنت عمارة عند معاوية	١٠٥	٤٤
مثلك من قدر فعفا	١٠٨	٤٥
نبهكم على !	١١١	٤٦
وهل أحل عندك محل علي ؟	١١٣	٤٧

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
نبحتنى كلابك !	١١٥	٤٨
أروى بنت الحارث	١١٧	٤٩
أم سنان تشكو مروان	١٢٠	٥٠
ليلي الأخيلية عند معاوية	١٢٣	٥١
أم	١٢٦	٥٢
التأطف في السؤال	١٢٨	٥٣
نساء بني تميم	١٢٩	٥٤
ليلي الأخيلية عند الحجاج	١٣٢	٥٥
الحجاج يخالف سجايه	١٣٨	٥٦
أسد عليّ وفي الحروب نعامه	١٣٩	٥٧
الشعراء عند سكينه بنت الحسين	١٤١	٥٨
الفرزدق وسكينه بنت الحسين	١٤٦	٥٩
يوم عند امرأة من بني أمية	١٤٨	٦٠
حديث عائشة بنت طلحة مع النميري	١٥٢	٦١
أتريد أن تقتلني ؟	١٥٥	٦٢
بعد أن ذهب الملك	١٥٩	٦٣
أم أمير المؤمنين بالباب	١٦٢	٦٤
كريم يجمع بين زوجين	١٦٦	٦٥
أعرابية على قبر زوجها	١٦٨	٦٦
على قبور الذاهبين	١٦٩	٦٧
الحق أنطقها وأخرسه	١٧١	٦٨
أجارها ثم تزوجها	١٧٣	٦٩

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
انظر كيف ربت ابنها	١٧٦	٧٠
خائف وجد مأمناً	١٧٩	٧١
تحن إلى وطنها	١٨١	٧٢
سئمت حياتي حين فارقت قبره	١٨٢	٧٣
المتكلمة بالقرآن	١٨٤	٧٤

الباب الثالث

القصص التي تمثل ذلاقة أسنتهم ، وحكمة منطقتهم ، وما يضاف إلى ذلك من فصاحة اللفظ ، وبلاغة المعنى ، وجمال الأسلوب ، وحسن التصرف في الإبانة والتعبير :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
بنو أسد وامروء القيس	١٨٨	٧٥
خاتمة الأعشى	١٩١	٧٦
رثاء فوق قبر	١٩٣	٧٧
بمثل هذا فليثن على الملوك	١٩٤	٧٨
عتبة وأعرابي	١٩٨	٧٩
إن من البيان لسحراً	١٩٩	٨٠
عبد الله بن عباس والحطيئة	٢٠٠	٨١
طريد لسانه	٢٠٢	٨٢
عبد الله بن الزبير ومقتل أخيه مصعب	٢١٠	٨٣
عمر بن أبي ربيعة وجميل	٢١٢	٨٤
لشعر عمر بن أبي ربيعة نوبة بالقلب	٢١٤	٨٥

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
ابن المسيب يفخر بصاحبه	٢١٦	٨٦
أعشى همدان يهجو ويمدح	٢١٧	٨٧
أشجع الناس شعراً	٢١٩	٨٨
الحجاج على قبر ابنه	٢٢١	٨٩
إن صدقناك أغضبناك	٢٢٢	٩٠
الحجاج يخطب	٢٢٣	٩١
جميل أشعر الناس	٢٢٥	٩٢
من أشعر الناس؟	٢٢٦	٩٣
الشعبي عند عبد الملك بن مروان	٢٣٠	٩٤
تلطف عبد الله بن الحجاج	٢٣٢	٩٥
نصيبي عند عبد العزيز بن مروان	٢٣٥	٩٦
سليمان بن عبد الملك وسميه	٢٣٩	٩٧
عقيد الندى	٢٤٠	٩٨
خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء	٢٤٢	٩٩
الشعراء عند عمر بن عبد العزيز	٢٤٦	١٠٠
إيجاز في المقال و بلاغة في البيان	٢٥١	١٠١
سعيت فأكدت ورجعت فرزقت	٢٥٣	١٠٢
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	٢٥٤	١٠٣
واعظ الملوك	٢٥٦	١٠٤
إن خالداً أدل فأملّ	٢٦٠	١٠٥
أبو النجم عند هشام بن عبد الملك	٢٦١	١٠٦
لا يعرف الكلام إلا بنشره	٢٦٥	١٠٧
أتجحت وفادتك ، ووجبت ضيافتك	٢٦٧	١٠٨

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
شاعر بني هاشم	٢٦٨	١٠٩
إن يمني يغلب شوْمك	٢٧٢	١١٠
قتلهم الشعر	٢٧٤	١١١
المنصور أحق بشعر طريف	٢٧٦	١١٢
الحبة مفتاح كل خير	٢٧٨	١١٣
المنصور والشعراء	٢٧٩	١١٤
المؤمل يمدح المهدي	٢٨١	١١٥
مدائح وعطايا	٢٨٤	١١٦
فصاحة نصيب العباسي	٢٩٠	١١٧
أنته الخلافة منقادة	٢٩٢	١١٨
صريع الغواني	٢٩٤	١١٩
الرشيد وابن مناذر	٢٩٧	١٢٠
ربيعة الرقي يمدح فلايثاب	٢٩٩	١٢١
شاعران بين يدي الرشيد	٣٠٢	١٢٢
بيابك أنزلت حاجتي	٣٠٤	١٢٣
النكث في البيع خير من خيانة الشريك	٣٠٦	١٢٤
باتت تعيرني الإقتار والعدما	٣٠٧	١٢٥
سكنت عنى والله الحمي	٣٠٩	١٢٦
عجوز تنشد الأصمعي	٣١٠	١٢٧
الأصمعي وبعض الأعراب	٣١٢	١٢٨
شعر مرتجل	٣١٥	١٢٩
هوّنت علىّ العزل	٣١٧	١٣٠
أرى الأيام لاتدني الذي أرتجي	٣١٩	١٣١

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
حديث عن دعبل	٣٢١	١٣٢
دعبل عند والى مصر	٣٢٣	١٣٣
دعبل وعلى الرضا	٣٢٦	١٣٤
سجدوا لشعره	٣٢٨	١٣٥
إنما الدنيا أبو دلف	٣٣٠	١٣٦
مدحة شاعر وعظيمة أمير	٣٣٣	١٣٧
بين أبي تمام وعبد الله بن طاهر	٣٣٥	١٣٨
لا يعجبنيك من يصون ثيابه	٣٣٧	١٣٩
سعاية	٣٤١	١٤٠
أشعر من بالشام والعراق	٣٤٣	١٤١
ابن جاح ينشد المعتضد شعره	٣٤٥	١٤٢

الباب الرابع

في القصص التي تسرد بارع ملحمهم ، ورائع طرفهم ، في جواباتهم المسكتة ،
وتصرفاتهم الحكيمة ، وتخلصاتهم اللبقة ؛ مما يدل على حضور الذهن ، وسرعة البديهة
وشدة العارضة :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
حسان بن ثابت والنابعة	٣٤٨	١٤٣
أية أخلاق كانت للعرب في الجاهلية !	٣٥٠	١٤٤
مسلم يمتال على قريش	٣٥٤	١٤٥

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه	٣٥٦	١٤٦
مارأيتَه لاحى أحدا إلا غلبه	٣٥٧	١٤٧
المغيرة بن شعبة وأحد الأعراب	٣٦٠	١٤٨
دهاء عمرو بن العاص	٣٦٢	١٤٩
بين معاوية وهانىء بن عروة	٣٦٦	١٥٠
إن هذا العبد غلبنى وغلبك	٣٦٧	١٥١
ما عليه لو عرض	٣٦٨	١٥٢
لا يأتينا غير طالب فقه أو طالب فضل	٣٧٠	١٥٣
ابن أبى محجن عند معاوية	٣٧٢	١٥٤
ذكرتنى يوم النفخ فى الصور	٣٧٣	١٥٥
أعرابى عند الحجاج	٣٧٦	١٥٦
دعانى من هو خير منك	٣٧٧	١٥٧
أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو	٣٧٨	١٥٨
ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب	٣٧٩	١٥٩
الحجاج وأنس بن مالك	٣٨٠	١٦٠
الحجاج والغضبان بن القبيثرى	٣٨٥	١٦١
حسن تخلص	٣٩١	١٦٢
بثينة وعزة عند عبد الملك	٣٩٢	١٦٣
من أشعر الناس	٣٩٣	١٦٤
سليمان بن عبد الملك وأبو حازم	٣٩٤	١٦٥
ضعه من النار حيث شئت	٣٩٨	١٦٦
مناظرة مع الخوارج	٣٩٩	١٦٧
ليس الأمر بالسن	٤٠٢	١٦٨

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
بنو أمية وعمر بن عبد العزيز	٤٠٣	١٦٩
في وفاة عمر بن عبد العزيز	٤٠٦	١٧٠
رأى خالد بن صفوان في الشعراء	٤٠٧	١٧١
المنصور وابن طاوس	٤٠٩	١٧٢
بديهة معن	٤١٠	١٧٣
رسول معن	٤١١	١٧٤
كبير!	٤١٤	١٧٥
قناعة	٤١٥	١٧٦
الرشيد وعبد الملك بن صالح	٤١٦	١٧٧
هارون الرشيد ومسلم بن الوليد	٤٢٠	١٧٨
شاعر باهلي في حضرة الرشيد	٤٢٢	١٧٩
يمدح نفسه	٤٢٣	١٨٠
العتابي عند المأمون	٤٢٧	١٨١
أبو تمام يستعذب خطاب أعرابي	٤٢٩	١٨٢
امتحان شاعر	٤٣٢	١٨٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُفَدِّمَةٌ

تُعَدُّ القِصَّةُ أقدَر الآثَارِ الأدبِيَّةِ على تمثِيلِ الأخلاقِ، وتصوِيرِ العاداتِ، ورسمِ خلجاتِ النفوسِ؛ كما أنها - إذا شرفَ غرضُها، ونُبِّلَ مقصدُها، وكُرِّمَتِ غايتها - تُهذِّبُ الطباعَ، وتُرَقِّقُ القلوبَ، وتدفعُ الناسَ إلى المثلِ العليا: من الإيمانِ والواجبِ والحقِّ والتضحيةِ والكرمِ والشرفِ والإيثارِ.

وقد كانت القِصَّةُ - ولا تزال - ذاتَ الشأنِ الأسمى في آدابِ الأممِ قديميها وحديثيها؛ فقد وردت في التوراةِ، وجاءت في الإنجيلِ، وزخرت بها آيُ الذكرِ الحكيمِ. ثم هي في شعرِ الإغريقِ، ومخلفاتِ الرومانِ، وآثارِ المصرِ بين القدماءِ.

والعربُ من الأممِ التي أخذت بنصيبٍ من هذا الفنِّ الجميلِ، وأثرَ عنها فيضٌ من ذلكِ الأدبِ الرفيعِ؛ بيد أن بعضاً من الباحثينِ المحدثينِ قد جحدوا نصيبهم من هذا الفنِّ، وهضموه حَقِّهم في ذلكِ البابِ، ووصموا بالخيالِ العقيمِ، وعابوا عليهم الفكرَ القريبَ؛ ولكن المنصفينِ منهم قد هالمهم هذا الجحودَ، ولم يرقمهم ذلكِ النكرانَ، فاعترفوا للعربِ بالقصصِ التي ترجموها عن الفرسِ والهنودِ، وتزيَّدوا عليها في القاهرةِ وبغدادِ، وتحدَّثوا للناسِ عن قصصِ عنترَةَ وذاتِ الهمةِ، وجلَّوا عليهم ألفَ ليلةٍ وأخبارِ ابنِ ذي يزنِ.

وهذه القصصُ، وإن كانت قد نجحت نجاحاً تاماً في تصوِيرِ العصورِ التي وضعت

فيها، ووَسَمَت لنا البيئَةَ التي نبتت منها، كثير منها تافه الغرض، مبهم القصد، ردىء اللغة والأسلوب. وفي قصر قصص العرب عليها جحد للآداب العربية فضلها، وإنكار عليها مفاخرها . . . وإلا فإن هناك قصصاً زخرت بها مجالس الخلفاء وسوامر الأمراء، وملأت الكتب التي انحدرت إلينا عن المؤلفين القدماء؛ وما مَنَعَ الناس أن يردُّوا شريعتها، أو يجنوا أطايبها إلا ما منيت به هذه الكتب من اضطراب الترتيب، وردىء الطبع، وتحريف الناسحين.

وكتابتنا هذا جمعنا فيه هذه القصص: ما انتبذ منها وما شرد، وألفنا ما تنافر وافترق، وجعلناه أقساماً، وقسمناه أبواباً؛ جمعنا كل قصة إلى مثلها، وضمننا كل طرفة إلى شبهها ليجتمع إلى غرض القصة - من تهذيب الطباع وترقيق النفوس - عرض شامل لحياة العرب: مدنيتهم وحضارتهم، وعلومهم ومعارفهم وأديانهم وعقائدهم، وذكر لعوائدهم وشمائلهم، وما طبعوا عليه من كريم الغرائز، وحدة الذكاء، ثم ما كان للمرأة عندهم من سامى المكانة وعظيم المنزلة، وما أثر عنهم من أخبار صوروا بها جهنم العفيف وغزلهم الرقيق وعشقهم الشريف، ولم يخلُ كتابنا مما كان لهم من محاورات ومساجلات ومطايبات ومناقلات، وما نقله الرواة من أحوال العامة والملوك، وطرف القضاء والولاية، وأخبار الأيام والحروب، وغير هذا مما سيعرض مفصلاً في أبواب الكتاب.

ولم تقف في اختيار القصة على تعريف خاص، أو حدٍّ مرسوم، ففما اخترناه ما ذكره من طريف الأخبار وشائق الأحداث، وما وضعوه مصوِّرين به المجالس والأشخاص، وما صنعوه على السنة الطير والحيوان، وما تحيّلوه من أخبار الشياطين والجان؛ إذ كان الغرض تتقيف الأذهان بذكر الطرائف، وانشرح الصدور بعرض اللطائف،

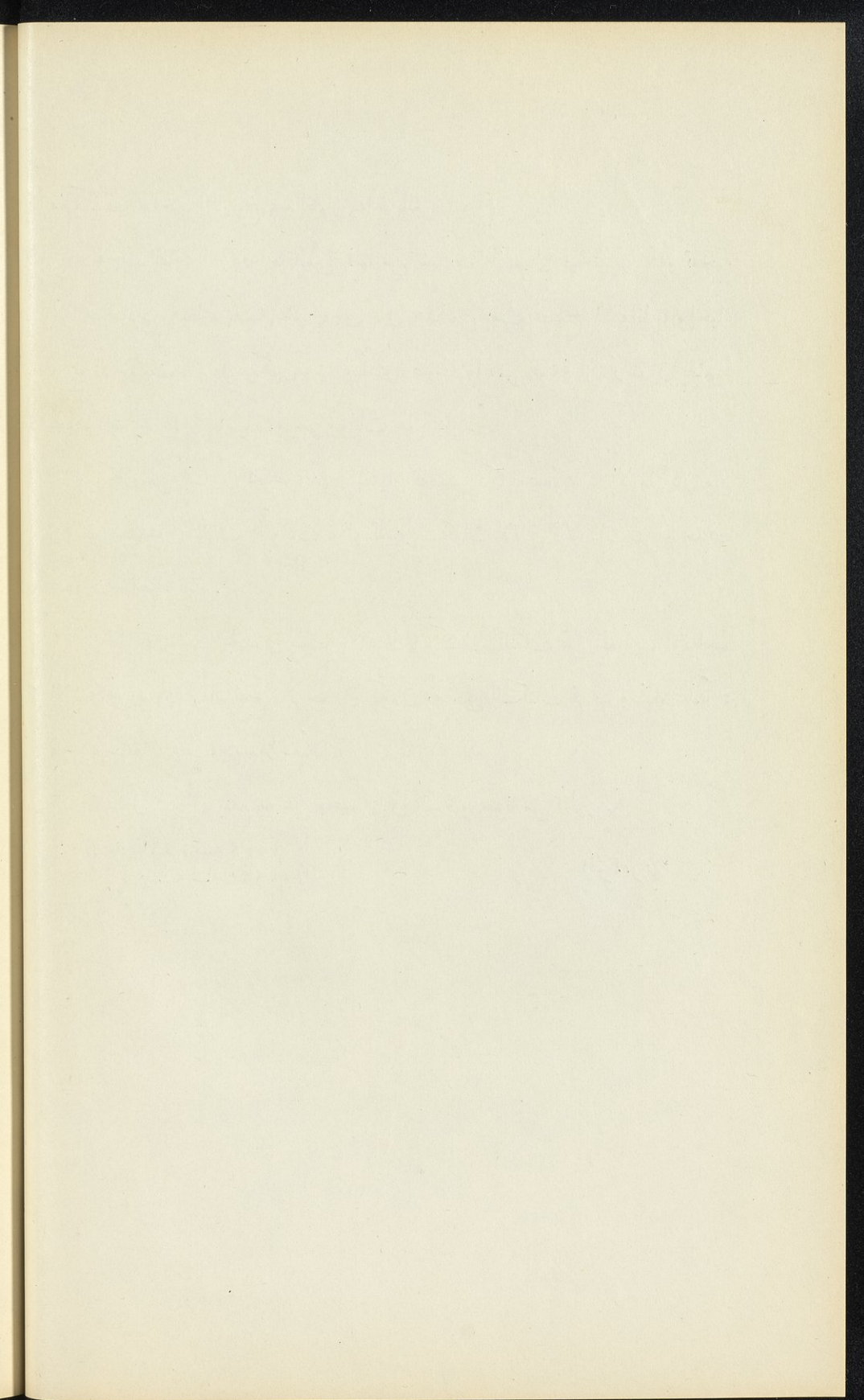
مع كشف نواحي التاريخ ، وإظهار مفاخر العرب .
ولعل القارىء يروقه ماتدسى فيها من شريف الخصال فيحتذئها ، أو تعجبه
كرأى العادات فيطبع نفسه عليها ، إلى ما فى هذا من بعث فصيح الألفاظ ، وإحياء
رائع الأساليب . ولعله يكون فيها مبادئ صالحة وأسس قويمه لمن يريد أن ينشئ
قصصاً طويلة على أساس ، أو يقيم روايات على بناء .
وكان من همتنا أن نحرص على اختيار القصص كما وضعوها ؛ إلا ما كان من
زيادة اقتضاها اختلاف الروايات ، أو تغيير لكلمات لاتألفها الآداب ، أو حذف
عبارات لاغناء فيها .

ولقد بذلنا من الجهد فى ضبط الألفاظ ، وكشف النقاب عن المعانى ، وتراجم
الأشخاص ، وذكر المراجع مانرجو أن يكون به جنى الكتاب قريباً ومنهله عذباً ،
وورده سائغاً ، وطريقه سهلاً معبداً .

ونسأل الله أن ينفع به على ما صدقنا فى النية ورجونا من الخير ما

المؤلفون

{ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ }
{ (يولييه سنة ١٩٣٩) }



الباب الأول

القصص التي تشرح مآثر عنهم من عادات وشمائل في
الأسباب الدائرة بينهم ، وتبين ما انتهجوه في مواسمهم
وأعيادهم وأفراحهم وأعراسهم ؛ مما يمثل حياتهم الاجتماعية
أصدق تمثيل .

١ — شبَّ عمرو عن الطوق *

كان جَذِيمة^(١) الأبرش ملكُ الحيرة قد جمع غلمانا من أبناء الملوك يخدمونه ،
منهم عدى بن نصر بن ربيعة اللخمي ، وكان له حظٌّ من الجمال ؛ فقالت له رَقَاشُ ،
أخت جَذِيمة : إذا سقيتَ الملكَ فسِكِرْ فأخطبني إليه ؛ فسقى عدى جَذِيمةَ ليلةً ،
وألطف له في الخدمة ، ولَمَّا أسرعت الحجرُ فيه قال له : سَلْنِي مَا أَحْبَبْتَ ، فقال :
أَسْأَلُكَ أَنْ تَزُوجَنِي رَقَاشَ أُخْتِكَ ! قال : ما بها عنك رغبةٌ ، قد فعلت .

فدخل بها ، وأصبح في ثياب جُدِّدٍ وطيب . فلما رآه جَذِيمةُ قال : يا عدى ما هذا
الذي أرى ؟ قال : زوجتني أختك رقاش البارحة ، قال : ما فعلت ! ثم وضع يده في
التراب ، وجعل يضرب بها وجهه ورأسه ، وأقبل على رقاش فقال :

حدثيني وأنت غيرُ كذوب

فأجابته رقاش :

أنت زوجتني وما كنت أدري وأتاني النساء للترزين
ذاك من شرِّبك المدامة^(٢) صرفاً وتماديك في الصبا والمجون^(٣)

فأطرق جَذِيمة ، فلما رآه عدى قد فعل ذلك خافه على نفسه ، فهرب منه ، ولحقَ
بقومه وبلاده ، فمات هناك .

* الأمثال ص ٧٥ ج ٢ ، الفاموس المحيط — مادة طوق ، بلوغ الأرب ص ١٧٧ ج ٢ ،
المسعودي ص ٢٨٨ ج ١

(١) جَذِيمة الأبرش ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق ، جاهلي ، عاش عمراً طويلاً ، وكان يقال
له الوضاح والأبرش لبرص فيه ، وهو الذي جاء إلى الزباء فقتلته بثأر أبيها (٢) المدامة : الخمر ،
وصرف : غير زوج (٣) المجون : الهزل .

ثم ولدت رقاش غلاما ، فسماه جَذِيمةَ عمرًا وتبنَّاه ، وأحبَّه حبًّا شديدًا - وكان جَذِيمة لا يولد له .

فلما بلغ الغلامُ ثمانِي سنين كان يخرج في عدة من خدم الملك يجتنبون له الكُمَّة ، فكانوا إذا وجدوا كُمَّةً خيارًا أكلوها وراحوا بالباقي إلى الملك . وكان عمرو لا يأكلُ مما يجئني ، ويأتي به جَذِيمة فيضعه بين يديه ، ويقول :

هذا جنائي وخياره فيه إذ كلُّ جانٍ يدهُ إلى فيه

ثم إنه خرج يوما وعليه ثيابٌ وحلٌّ ، فاستطير ففقد زمانًا ، فضرب في الآفاق فلم يوجد ، وأتى على ذلك ماشاء الله .

ثم وجده مالكٌ وعقيلٌ ابنا فارحٍ ، وهما رجلان من بَلقين كانوا متوجهين إلى الملك بهدايا وتحف ؛ فبينما هما بوادٍ في السَّمَاوةِ انتهى إليهما عمرو بنُ عدى ، وقد عَقَّتْ (١) أظفاره وشعره ، فقالا له : من أنت ؟ قال : ابنُ التَّنُوخِيَّةِ ؛ فلهما عنسه ، وقالا للجارية معهما : أطعمينا فأطعمتهما ؛ فأشار عمرو إلى الجارية أن أطعمني فأطعمته ، ثم سقتهما ، فقال عمرو : اسقيني ، فقالت الجارية : لا تطعم (٢) العبدَ الكُرَاعَ فيطعمَ في الذَّرَاعِ (٣) .

ثم إنهما حملاه إلى جَذِيمة ، فعرفه ، ونظر إلى فتى ماشاء من فتى ، فضمه وقبله وقال لهما : حكمتكما ، فسألاه منادمته ، فلم يزالا نديميه حتى فرَّق الموت بينهما ؛ وبعث عمرًا إلى أمه ، فأدخلته الحمام ، وألبسته ثيابه ، وطوقته طوقًا كان له من ذهب ، فلما رآه جَذِيمة قال : كبرَ عمرو عن الطوق (٤) .

(١) عفا الشعر وغيره : كثر (٢) ذهبت مثلًا (٣) الكراع في البقر والغنم : كالوظيف في الفرس والبعير وهو مستدق الساق . والذراع أفضل من الكراع لأنه في اليد ، والكراع في الرجل . (٤) ذهبت مثلًا ، يضرب للملابس ما هو دونه .

٢ — الحديث ذو شجون *

كان لضَبَّةَ بنِ أَدِّ ابنان يُقال لأحدهما سعدٌ والآخر سَعِيدٌ ؛ فنفرت إِبِلٌ
لضَبَّةَ تحت الليل ؛ فوجَّهَ ابنيه في طلبها ؛ فتنفقا فوجدها سعد ، فردَّها ، ومضى
سعيد في طلبها ؛ فلقى الحارث بن كعب - وكان على الغلام بُرْدان - فسأله إياهما ،
فأبى عليه ، فقتله ، وأخذ بُرْدِيه .

فكان ضَبَّةٌ إذا أمسى ؛ فرأى تحت الليل سوادا قال : أسعد أم سعيد ^(١) ؟
فكثرت ضَبَّةٌ بذلك ماشاء الله أن يمكث ، ثم إنه حجَّ ، فوافى عكاظ ، فلقى
بها الحارث بن كعب ، ورأى عليه بردى ابنه سعيد ، فعرفهما ، فقال : هل أنت
مخبرى : ماهذان البردان اللذان عليك؟ قال : لقيت غلاماً وهما عليه ؛ فسألته إياهما
فأبى عليّ فقتلته ، وأخذت بُرْدِيه هذين !

فقال ضبة : بسيفك هذا؟ قال : نعم ! فقال : فأعطنيهِ أنظر إليه فإني أظنُّه
صارماً ؛ فأعطاه الحارثُ سيفه ، فلما أخذه من يده هزه ، وقال : الحديث ^(٢)
ذو شجون ، ثم ضربه به حتى قتله ، فقبل له : يا ضبة ؛ أفى الشهر الحرام ؟ فقال :
سبق السيفُ العذَل !

* اللسان - مادة شجن ، أمثال الميداني ص ١٨٠ ج ١

(١) ذهب مثلاً ، يضرب في النجاح والحياة (٢) وهو أول من سار عنه هذا المثل .

٣ - جوع كلبك يتبعك *

كان أحدُ ملوك حمير عنيفاً على أهل مملكته ، يَفْصِحُهُمْ أموالهم ، وَيَسْلُبُهُمْ ما في أيديهم ، وكانت الكهنةُ تخبره أنهم سيمقتلونه ؛ فلا يَحْفَلُ بذلك .

وسمعت امرأته أصوات السُّؤال ؛ فقالت : إني لأرحمُ هؤلاء ؛ لما يلقون من الجَهْدِ ، ونحن في العيش الرغد ، وإني لأخاف عليك أن يصيروا سِباعاً ، وقد كانوا لنا أتباعاً ؛ فرد عليها وقال : جوع كلبك يتبعك ^(١) !

فلبت بذلك زماناً ، ثم أغزاهم ، فغنموا ، ولم يقسم فيهم شيئاً ، فلما خرجوا من عنده ، قالوا لأخيه - وهو أميرهم - قد ترى ما نحن فيه من الجَهْدِ ، ونحن نكرهُ خروجَ الملوكِ منكم - أهل البيت - إلى غيركم ؛ فساعدنا على قتل أخيك ، واجلسنا مكانه .

وكان قد عرف بغيته واعتدائه عليهم ؛ فأجابهم إلى ذلك ؛ فوثبوا عليه فقتلوه ! فمرَّ به عامر بن جذيمة - وهو مقتول - وقد سمع بقوله : جوع كلبك يتبعك ! فقال : ربما أكل الكلبُ مؤدِّبَه إذا لم ينل شبعه .

* الأمثال ص ١٥٠ ج ١

(١) مثل يضرب في معاشره اللئام ، وما ينبغي أن يعاملوا به .

٤ - - عند جهينة الخبر اليقين *

أحدث الأخنسُ بن كعب في قومه حدثاً ، فخرج هاربا ، فلقيه الحصين بن عمرو الكلابي ، فقال له : من أنت شكلك أمك ؟ فقال له الأخنس : بل من أنت شكلك أمك ! فردد هذا القول حتى قال الأخنس : أنا الأخنس بن كعب ، فأخبرني من أنت وإلا أفذتُ قلبك بهذا السنن . فقال له الحصين : أنا الحصين ابن عمرو الكلابي .

فقال له الأخنس : فما الذي تريد ؟ قال : خرجتُ لما يخرج له الفتيان ، قال الأخنس : وأنا خرجتُ لمثل ذلك ، فقال له الحصين : هل لك أن نتعاقد ألا نلقى أحداً من عشيرتك أو عشيرتي إلا سلبناه ؟ قال : نعم ، فتعاقدا على ذلك وكلاهما فأتاك يحدّر صاحبه .

فلقيا رجلاً فسلباه ، فقال لهما : هل لكما أن تردّا على بعض ما أخذتما مني وأدلكما على مَنعم ! قالا : نعم ، فقال : هذا رجل من لخم ، قد قدم من عند بعض الملوك بمَنعمٍ كثير ، وهو خلفي في موضع كذا وكذا . فردّا عليه بعض ماله ، وطلبا اللّخمى ، فوجداه نازلاً في ظل شجرة وقدامه طعامٌ وشراب ، فحمياه وحمياها ، وعرض عليهما الطعام ، فكره كلُّ واحدٍ أن ينزل قبل صاحبه فيفتك به ، فنزلا جميعاً ، فأكلا وشربا مع اللّخمى .

ثم إنَّ الأخنس ذهب لبعض شأنه ، فرجع واللخمى يتشحط في دمه ^(١) ، فقال
الجهنى - وهو الأخنس - وسل سيفه لأن سيف صاحبه كان مسلولاً : ويحك !
فَتَكَتَ برجلٍ قد تحرّمتنا بطعامه وشرابه ، فقال : أقعد يا أخا جهينة فهذا وشبهه
خرجنا ، فشرِّبنا ساعةً وتحدّثنا .

ثم إنَّ الحصين قال : يا أخا جهينة ، أتدرى ماصعةً وما صعِل ؟ قال الجهنى :
هذا يوم شرب وأكل ، فسكت الحصين حتى إذا ظن أن الجهنى قد نسى ما يُراد به
قال : يا أخا جهينة ، هل أنت للطير زاجر ؟ قال : ماذا ؟ قال : ماتقول هذه
العقاب الكاسر ؟ قال الجهنى : وأين تراها ؟ قال : هى ذه ، وتطاول ورفع رأسه
إلى السماء ، فوضع الجهنى بادرَةَ السيف في نحره ، فقال : أنا الزاجر والناحر !
واحتوى على متاعه ومتاع اللخمى ، وانصرف راجعاً إلى قومه .

فمرَّ ببطنين من قيس يقال لهما : مراح وأمار ، فإذا هو بامرأة تُتشد الحصين ،
فقال لها : مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا صخرة أخت الحصين ، قال : أنا قتلته ، قالت :
كذبت ! ما مثلك يقتل مثله ، أما والله لو لم يكن الحى خلوّاً ماتكلمت بهذا .
فانصرف إلى قومه فأصلح أمرهم ، ثم جاءهم ، فوقف حيث يسمعهم وقال :

وكم من ضيغم ووردٍ ^(٢) هموس ^(٣) أبى شبليين مسكنه العرين
علوت بياض مفرقه بعضب فأضحى فى الفلاة له سكوت
وأضحت عرسه ولها عليه بعيد هُدوء ليلتها رنين
وكم من فارس لا تزدرية إذا شخصت لموقعه العيون

(١) يتشحط في دمه : يتخبط فيه ويضطرب ويتمرغ .

(٢) الورد : الأسد (٣) الهموس : السيار بالليل .

كصخرة إذ تُسألُ في مراحٍ وأثمارٍ وعلمُها ظنونٌ
تسألُ عن حصينٍ كلِّ ركبٍ وعند جهينة الخبْرُ اليقين
فمن يكُ سائلاً عنه فعندى لصاحبه البيان المستبين
جهينة معشرى وهم ملوك إذا طلبوا المعالي لم يهونوا

٥ — يحكى الصحاب إذا تكون كريهة*

تزوج أبو كبير^(١) الهذلي أمّ تابط شرا^(٢) - وكان غلاماً صغيراً - فتنكر له ،
وعرف ذلك أبو كبير في وجهه ، إلى أن ترعرع الغلامُ فقال أبو كبير لأمه :
ويحك ! قد والله رابني أمرُ هذا الغلام ، ولا آمنه . قالت : فاحتل عليه حتى
تقتله .

فقال له ذات يوم : هل لك أن تغزو؟ فقال : ذاك من أمري ، قال : فامض
بنا ، فخرجا غازيين ولا زادَ معهما ، فسارا ليلتهما ويومهما من الغد ، حتى ظنَّ
أبو كبير أن الغلامَ قد جاع . فلما أمسى قصده به أبو كبير قوماً كانوا له أعداء ، فلما
رأيا نارهم من بُعد ، قال له أبو كبير : ويحك ! قد جُئنا ، فلو ذهبتَ إلى تلك النار
فالتمتَ لنا منها شيئاً !

* خزانة الأدب ص ٤٦٧ ج ٣ طبعة بولاق ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٥٨ ، شرح

ديوان الحماسة ص ١٩ ج ١

(١) أبو كبير الهذلي اسمه : عامر بن الحليس ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم (٢) هو
ثابت بن جابر ، كان أسمع العرب وأبصرهم وأكيدهم ، وكان أعدى رجل ، ينظر إلى الظباء فينتقى
على نظره اسمها ثم يعدو خلفه فلا يفوته ، وأخباره في هذا الباب كثيرة توفي نحو سنه ٨٠ ق . هـ

فمضى تَأَبَّطَ شَرًّا ، فوجد على النار رجلين من أَلَصَّ مَنْ يَكُونُ مِنَ الْعَرَبِ ،
وإنما أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمَا أَبُو كَبِيرٍ لِيَقْتُلَاهُ ، فلما رَأَى أَنَّهُ قَدْ غَشِيَ نَارَهُمَا وَثَبَّأَ عَلَيْهِ ، فَرَمَى
أَحَدَهُمَا وَكَرَّرَ عَلَى الْآخَرِ فَرَمَاهُ ، فَقَتَلَهُمَا ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى نَارِهِمَا فَأَخَذَ الْخَبْزَ مِنْهَا ،
فَجَاءَ بِهِ إِلَى أَبِي كَبِيرٍ ، فَقَالَ لَهُ : كُلْ ، لَا أَشْبِعُ اللَّهُ بَطْنَكَ ! وَلَمْ يَأْكُلْ هُوَ ، فَقَالَ :
وَيَحْكُ ! أَخْبَرَنِي عَنْ قِصَّتِكَ ، فَأَخْبِرْهُ ، فَازداد خَوْفًا مِنْهُ .

ثُمَّ مَضَى فِي لَيْلَتِهِمَا فَأَصَابَا إِبِلًا ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُ أَبُو كَبِيرٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ . اخْتَرُ
أَيَّ نِصْفِ اللَّيْلِ شِئْتَ تَحْرُسُ فِيهِ وَأَنَامَ ، وَتَنَامُ النِّصْفَ الْآخَرَ ، فَقَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ،
اخْتَرِ أَيَّهُمَا شِئْتَ ، فَكَانَ أَبُو كَبِيرٍ يَنَامُ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ وَيَحْرُسُهُ تَأَبَّطُ شَرًّا ، فَإِذَا نَامَ
تَأَبَّطُ شَرًّا نَامَ أَبُو كَبِيرٍ أَيْضًا لَا يَحْرُسُ شَيْئًا حَتَّى اسْتَوَفَى الثَّلَاثَ .

فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ ظَنَّ أَنَّ النَّعَاسَ قَدْ غَابَ عَلَى الْغُلَامِ ، فَنَامَ أَوَّلَ
اللَّيْلِ إِلَى نِصْفِهِ وَحَرَسَهُ تَأَبَّطُ شَرًّا ، فَلَمَّا نَامَ الْغُلَامُ قَالَ أَبُو كَبِيرٍ : الْآنَ يَسْتَنْقِلُ
نَوْمًا وَتَمَكِّنِي فِيهِ الْفُرْصَةَ ، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ اسْتَنْقَلَ أَخَذَ حَصْبَةً صَغِيرَةً ، فَحَدَفَ (١)
بِهَا ، فَقَامَ كَقِيَامِهِ الْأَوَّلِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا الَّذِي أَسْمَعُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي لَهْلُ
بَعْضَ الْإِبِلِ تَتَحَرَّكُ ، فَقَامَ وَطَافَ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، فَعَادَ فَنَامَ ، فَأَخَذَ حِصَاةَ أَصْغَرَ مِنْ
تِلْكَ ، فَرَمَى بِهَا فَوَثَبَ ، فَطَافَ وَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا هَذَا إِنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ أَمْرَكَ ،
وَاللَّهِ لَئِنْ عَدْتُ أَسْمَعُ شَيْئًا مِنْ هَذَا لِأَقْتُلَنَّكَ ! قَالَ أَبُو كَبِيرٍ : فَبِتَّ وَاللَّهِ أَحْرَسَهُ
خَوْفًا أَنْ يَتَحَرَّكَ شَيْءٌ مِنَ الْإِبِلِ فَيَقْتُلَنِي .

فَلَمَّا رَجَعَا إِلَى حَيْثُمَا قَالَ أَبُو كَبِيرٍ :

وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّالِمِ بِمِغْشَمٍ جَلْدٍ مِنَ الْفَتْيَانِ غَيْرِ مَثْقَلٍ (٢)

(١) حذف بها : رمى (٢) العشم : الذي لا يثنيه شيء ، والجلد : القوي ، وغير مثقل : أي حسن القبول محبب إلى القلوب .

مِمَّنْ حَمَّانَ بِهِ وَهَنَّ عَوَاقِدُهُ حُبُّكَ النَّطَاقِ فَسَبَّ غَيْرَ مُهَيَّبِلٍ (١)
 حَمَاتُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْعُودَةٌ (٢) كَرُّهَا وَعَقْدَ نَطَاقِهَا لَمْ يُحْمَلِ
 فَآتَتْ بِهِ حَوْشَ الْفَوَادِ مُبْطِنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوَجَلِ (٣)
 وَإِذَا نَبَذَتْ لَهُ الْحِصَاةَ رَأَيْتَهُ يَنْزُو لَوْعَتِهَا طَمُورَ الْأَخْيَلِ (٤)
 وَإِذَا يَهَبُّ مِنَ الْمَنَامِ رَأَيْتَهُ كَرُّتُوبِ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ بَزْمَلٍ (٥)
 مَا إِنْ يَمَسُّ الْأَرْضَ إِلَّا مَنَكِبٌ مِنْهُ وَحَرْفُ السَّاقِ طَيِّ الْمِحْمَلِ (٦)
 وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوَى مَخَارِمَهَا هُوَى الْأَجْدَلِ (٧)
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أُسْرَةٍ وَجِهِهِ بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمَهْلِ (٨)
 يَحْمَى الصَّحَابَ إِذَا تَكُونُ كَرِيمَةً وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا فَمَا وَى الْعَيْلِ (٩)

(١) الضمير للنساء وإن لم يجرهن ذكر ، وضمن حملن معنى علقن فتمدى بالياء ، وعواقد جمع عاقدة ، والحيك جمع حياك : وهو ما يشد به النطاق ، والنطاق : شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة ، والأسفل ينجر على الأرض ، والمهبل : الذي يدعى عليه بقولهم : هبلته أمه أى ثكثته ، أو الكثير اللحم والمعنى أن هذا الغلام حمات به أمه وهى متعبة من الخدمة فنشأ محموداً مريضاً ، لم يدع عليه بالثكل والهبل ، وهذا في زعم العرب (٢) مزعودة : مروعة ، والعرب تزعم أن المرأة تنجب إذا حمات مفضية (٣) حوش الفؤاد : أى ذكى كيس ، والسهد : قليل النوم ، والهوجل : اثقال الكسلان والأهوج ، والمبطن : الخيص البطن (٤) ينزو : يقفز ، والطمور : الثوب ، والأخيل : الشاهين ، وهو من الطيور الجارحة (٥) رأيت : أى رأيت رتوبه ، ورتوب الكعب انتصابه ، والزمل : الضعيف ، والمعنى : أنه إذا استيقظ من منامه انتصب انتصاب الساق (٦) يقول إنه مدمج الخاق إذا اضطجع لا ينسط على الأرض ، ولا يتمكن منها بأعضائه كلها وإنما يمس الأرض بمنكبه ، فهو في ذلك مثل حمالة السيف حين تطوى (٧) الفجاج : جمع فجع وهو الطريق الواسع في الجبل أو غيره . الهوى : القصد إلى أسفل ، والمحارم جمع محرم وهو منقطع أنف الجبل ، والأجدل : الصقر ، وهذا الكلام كناية عن كونه صاحب هم إذا نيطت به الصعاب ذلها (٨) الأُسرة : الخطوط التى فى الجهة ، يقول إذا نظرت فى وجهه رأيت أسارير وجهه تشرق إشراق السحاب المشتق بالبرق ، يصفه بحسن البشر وطلاقة الوجه (٩) العيل : جمع عائل وهو الفقير ، يصفه بأنه شجاع كريم .

٦ - تأبط شراً وابن براق *

أغار تأبط شراً ومعه ابن^(١) براق على بجيلة ، فأطردا لها نعاماً ، ونذرت^(٢) بهما بجيلة ، فخرجت في آثارهما ، ومضيا هاربين في جبال السراة ، وركبا العزن ، وعارضتهما بجيلة في السهل ؛ فسبقوهما إلى الوهط^(٣) ، فدخلوا لها في قصبة العين ، وجاءا وقد بلغ العطش منهما إلى العين .

فلما وقعا عليها ، قال تأبط شراً لابن براق : أقل من الشرب فإنها ليلة طرد ، قال : وما يدريك ؟ قال : والذي أعدو بطيره^(٤) ، إني لأسمع وجيب^(٥) قلوب الرجال تحت قدمي . وكان من أسمع العرب وأكيدهم - فقال له ابن براق : ذلك وجيب قلبك ، فقال له تأبط شراً : والله ماوجب قط ولا كان وجاباً ، وضرب بيده عليه ، وأصاخ نحو الأرض يستمع ، فقال : والذي أعدو بطيره ؛ إني لأسمع وجيب قلوب الرجال ، فقال له ابن براق : فإني أنزل قلبك .

فنزل فبرك وشرب ، وكان أكل القوم عند بجيلة شوكة ، فتركوه وهم في الظلمة ، ونزل ثابت^(٦) ، فلما توسط الماء وثبوا عليه ، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتئفاً ، وابن براق قريب منهم لا يطعمون فيه لما يعلمون من عدوه ، فقال لهم ثابت : إنه من أضلف الناس وأشدهم عجباً بعدوه ، وسأقول له : استأسر^(٧) معي ،

* الأغانى ص ٢١١ ج ١٨ ، بلوغ الأرب ص ١٤٣ ج ٢

- (١) اسمه عمرو بن براق (٢) نذر به : علم (٣) الوهط : ماء بالطائف (٤) يقال طير الله لا طيرك : أى فعله وحكمه (٥) وجب القلب : اضطرب (٦) ثابت اسم تأبط شراً (٧) استأسر : كن أسيراً .

فسيدعوه عجبهُ بعدوه إلى أن يعدو بين أيديكم ، وله ثلاثة أطلاق^(١) : أولها كالريح الهابّة ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث يكبو فيه ويعثر ؛ فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإني أحبُّ أن يصيرَ في أيديكم كما صرتُ إذ خالفني ، قالوا : فاعل .

فصاح به تأبّط شرا : أنت أخي في الشدّة والرخاء ، وقد وعدني القوم أن يمتنوا عليك وعلىّ ، فاستأسرَ وواسني بنفسك في الشدة كما كنت أخي في الرخاء ؛ فضحك ابنُ براق ، وعلم أنه قد كادهم ، وقال : مهلاً يا ثابت ، أيستأسر من عنده هذا العدو؟ ثم عدا ، فعدا أول طلق مثل الريح كما وصف لهم ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث جعل يكبو ويعثر ويقع على وجهه ، فقال ثابت : خذوه فعدوا بأجمعهم ، فلما أن نَفَسُوا عنه شيئاً عدا تأبّط شرا في كتافه ، وعارضه ابنُ براق فقطع كتافه وأفلتتا جميعاً ، فقال تأبّط شرا قصيدته التافية في ذلك :

يا عَيْدُ^(٢) مالك من شوقٍ وإِبراقٍ ومرطيفٌ على الأهوالِ طَرّاقِ
يسرى على الأئينِ^(٣) والحياتِ مُحْتَفِياً نفسى فداؤك من سارٍ على ساقِ

(١) الطلق : الشوط (٢) العيد : ما اعتاده الإنسان من هم أو شوق أو مرض ، ومالك من شوق : يعنى ما أعظمك ، والإبراق مصدر آرقه ، وطراق : أى يأتى ويطرق فى الليل (٣) الأئين : الذكر من الحيات ، ومحتف : حاف غير منتعل .

٧ — أمتك بجائن رجلاه *

كان المنذر بن ماء السماء ^(١) ينادمه رجلان من العرب : خالد بن المفضل ،
وعمر بن مسعود الأسديان ، فشرب ليلتهما معهما ، فراجعهما الكلام ؛ فأغضباه ،
فأمر بهما فقتلا وجعلاهما في تابوتين ، ودُفِنَا بظاهر الكوفة .
فلما أصبح وصحا ، سأل عنهما فأخبر بذلك ، فندم وركب حتى وقف عليهما ؛
فأمر بينيَّان الغريين ^(٢) ، وجعل لنفسه في كل سنة يومين : يوم بؤس ، ويوم
نعيم .

فكان يضع سريره بينهما ؛ فإذا كان يوم نعيمه فأول من يطلع عليه وهو
على سريره يعطيه مائة من إبل الملك . وأول من يطلع عليه في يوم بؤسه يعطيه
رأس ظربان ^(٣) ، ويأمر به فيذبح ، ويغرسى بدمه الغريان .
فلم يزل كذلك ماشاء الله .

فيما هو ذات يوم من أيام بؤسه ؛ إذ طلع عليه عبيد بن الأبرص ^(٤) ، فقال
له الملك : ألا كان الذبيح ^(٥) غيرك يا عبيد ! فقال عبيد : أمتك بجائن رجلاه .
فقال له الملك : أو أجل قد بلغ إناه ! ثم قال يا عبيد : أنشدني فقد كان يعجبني

* المهذب ص ٢٠٧ ج ٢ ، بلوغ الأرب ص ١٢٨ ج ١ ، ذيل الأملالي ١٩٩ طبعة المطبعة
الأميرية ، اشعر والشعر ١٤٤ طبعة أوروبا .

(١) في كتاب المعارف : أن الذي قتل عبيدا هو النعمان بن المنذر ، وهو صاحب الغريين (راجع
صفحة ٢٨٣ من الكتاب المذكور) ، وانظر القصة رقم ٦٥ صفحة ١٦١ من الجزء الأول من
هذا الكتاب (٢) الغريان : سميا بذلك لأنه كان يغريهما بدم من يقتله يوم بؤسه (٣) دوية
شبه الكلب أصم الأذنين طويل الخرطوم متن الرائحة (٤) عبيد بن الأبرص : شاعر جاهلي قديم
من المعمرين كان شاعر بني أسد غير مدافع (٥) الذبيح : ما يذبح .

شِعْرُكَ ، فقال : حال الجَرِيضِ (١) دون القَرِيضِ ، وبلغ الحَزَامُ الطُّبِيَّينِ (٢) ،
فقال أنشدني :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ (٣) فَالْقُطَبِيَّاتِ (٤) فَالذَّنُوبِ (٥)

فقال :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدٌ فَالْيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ
عَنْتَ لَهُ مِعْنَةٌ (٦) نَكُودٌ وَحَانَ لَهُ مِنْهَا وُرُودُ

فقال : أنشدني هَبِلْتِكَ أُمُّكَ فقال : المَنَايَا عَلَى الْحَوَايَا (٧) . فقال بعضُ
القوم : أنشد الملك ؛ هَبِلْتِكَ أُمُّكَ ، فقال : لَا يَرَحُلُ رَحْلَكَ مَنْ لَيْسَ مَعَكَ .
فقال له آخر : مَا أَشَدَّ جَزَاعَكَ مِنَ الْمَوْتِ ! فقال :

لَاغَرَوْ مِنْ عَيْشَةٍ نَافِدَةٍ وَهَلْ غَيْرُ مَأمِيَّةٍ وَاحِدَةٍ
فَأَبْلَغُ بَنِيَّ وَأَعْمَامَهُمْ بَانَ الْمَنَايَا هِيَ الرَّاصِدَةُ
لَهَا مُدَّةٌ فَفَنُوسُ الْعِبَادِ إِلَيْهَا ، وَإِنْ كَرِهَتْ ، فَاصِدَةٌ
فَلَا تَجْزَعُوا لِلْحِمَامِ دَنَا فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِكُ الْوَالِدَةُ

فقال له المنذر : لا بدَّ من الموت ! ولو عرض لى أبى فى هذا اليوم لم أجد بُدًّا
من ذَبْحِهِ . فأما إذ كنتَ لها وكانتْ لك ، فأخترتُ خصلتَهُ من ثلاث خصال : إن
شئتَ من الأَكْحَلِ (٨) ، وإن شئتَ من الأَبْجَلِ (٩) ، وإن شئتَ من الوريْدِ (١٠) .

(١) مثل يضرب لأمر يعوق دونه عائق . والجريض : الغصص . والقريض : الشعر (٢) مثل
يضرب إذا اشتد الأمر وتفاقم ، والطبي : حملات الضرع (٣) ملحوب : موضع (٤) القطبيات :
جمع قطبية وهي ماء (٥) الذنوب : موضع (٦) أصل المعنة : المرأة تعترض في كل شيء (٧) الحوية :
كساء يجوى حول سنام البعير ثم يركب ، ومعناه : قد تأتي المنية الشجاع وهو على سرجه
(٨) الأَكْحَل : عرق فى اليد (٩) الأَبْجَل : عرق غليظ فى الرجل أو فى اليد بازاء الأَكْحَل
(١٠) الوريْد : عرق فى العنق .

فقال : ثلاث خصال مَقَادُهَا شَرٌّ مَقَادُهَا شَرٌّ حَادٌ ، ولا خَيْرَ فِيهَا لِعُرْتَادٍ ؛
فإن كنت لا بدَّ قَاتِلِي فَاسْتَفِنِي الْحَمْرَ حَتَّى إِذَا ذَهَبَتْ لَهَا ذَوَاهِلِي ، وماتت لها مَفَاصِلِي ؛
فشأنك وما تريد !

فأمر المنذر له بحاجته من الحمر ، فلما أَخَذَتْ مِنْهُ وَقَرَّبَ لِيَذْبَحَ قَالَ :

وخيَّرني ذُو البؤس في يوم بُؤْسِهِ خِلَالاً أَرَى فِي كَلِمَاتِهَا الْمَوْتَ قَدْ بَرَقَ
كما خيَّرت عَادَةً مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً سَحَابٌ مَا فِيهَا لِيَدِي خَيْرٌ أَنْقَ (١)
سحائب رِيحٍ لَمْ تُوكَلْ بِبِلَدِي فَتَتَرُكُهَا إِلَّا كَمَا لَيْلَةُ الطَّلَقِ (٢)
وأمر به ففُصِدَ ، فلما مات طَلَى بِدَمِهِ الْغُرَيَّانَ .

(١) الأتق : الإعجاب بالشيء (٢) الطلق : سير الليل لورد الغب ؛ وهو أن يكون بين الإبل
وبين الماء لينتان ؛ فالليلة الأولى يخلى الراعي إبله إلى الماء ويتركها مع ذلك ترعى وهي تسير ليلتئذ ؛
فهى ليلة الطلق ، والليلة الثانية ليلة القرب ، وهو السوق الشديد .

٨ - السليك بن السلكة ورفيقاه *

كان السليك^(١) من أشدّ رجال العرب وأنكرهم^(٢) وأشعرهم ، وكان أدلّ الناس بالأرض ، وأعلمهم بمسالكها ، وأشدّهم عدوّاً على رجليه لا تعلق به الخيل ، وكان يقول : اللهم إنك تهى ماشئت لما شئت إذا شئت ، اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ، ولو كنت امرأة كنت أمةً ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ، أما الهيبة فلا هيبة^(٣) .

ذكروا أنه أملق^(٤) مرّة حتى لم يبق له شيء ، فخرج على رجليه رجاء أن يصب غرّة من بعض من يمرّ به ، فيذهب بإبله ، حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مقمرة ، فاشتمل الصماء^(٥) ، ثم نام .

فبينما هو نائم إذ جثم عليه رجل فتعد على جنبه وقال : استأسر^(٦) ! فرفع السليك إليه رأسه ، وقال : الليل طويل وأنت مُقمّر^(٧) . فجعل الرجل يلّهزه^(٨) ويقول : يا خبيث استأسر ، فلما آذاه بذلك أخرج السليك يده ، وضم الرجل إليه ضمةً صرخ منها ، وهو فوقه ثم قال : من أنت ؟ فقال : أنا رجل افتقرت ، فقلت :

* الأغاني ص ١٣٤ ج ١٨ ، الأمثال ص ١٨٤ ج ١

(١) كان السليك من تميم ، وأمه أمة سوداء اسمها السلكة ، وهو من أشدّ رجال العرب وأنكرهم ، وأكثرهم علماً بالأرض وأعلمهم بمسالكها ، وله في ذلك أخبار كثيرة ، قتله أسد بن مدرك سنة ١٧ ق . ه تقريباً (٢) النكارة : الدهاء (٣) أي لأهأب أحداً (٤) أملق : افتقر (٥) اشتمل الصماء : اشتمال الصماء أن يرد فضلة ثوبه على عضده اليمنى ثم ينام عليها (٦) استأسر : كن لي أسيراً (٧) ذهب مثلاً ، وأقر الرجل : ارتقب طلوع القمر (٨) يلّهزه : يلكمه .

لأخرجنّ فلا أرجع إلى أهلي حتى أستغني فأتيهم وأنا غنيّ . قال الرجل : انطلق
معي .

فانطلقا فوجدا رجلاً قصته مثل قصتهما ، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوف^(١)
جوف مُراد ، فلما أشرفوا عليه إذا فيه نعم^(٢) قد ملأ كل شيء من كثرته ،
فهابوا أن يُغيروا فيطرّدوا^(٣) بعضها ، فيلحقهم الطلب ، فقال لها سليك : كونا قريباً
مني حتى آتي الرعاء^(٤) ، فأعلم لهما علم الحى : أقریب أم بعيد ، فإن كانوا قريباً
رجعت إليكما ، وإن كانوا بعيداً قلت لهما قولاً أوحى إليكما به فأغيرا .

فانطلق حتى أتى الرعاء فلم يزل يتسقطهم^(٥) حتى أخبروه بمكان الحى ، فإذا
هم بعيد إن طلبوا لم يدركوا ؛ فقال السليك للرعاء : ألا أغنيكم ؟ فقالوا : بلى !
غننا ، فرفع صوته وغنى :

يا صاحبيّ ألا لا حىّ بالواديّ سوى عبيدٍ وأمّ بين أذواد^(٦)
أنتظرانِ قريباً ريثَ غفلتِهم أم تغدوانِ فإن الرّيحَ للغاديّ

فلما سمعا ذلك أتيا السليك ، فأطردوا الإبل ، فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصريح^(٧)
الحى ؛ فاتوهم بالإبل .

(١) موضع بأرض مراد (٢) النعم : واحد الأنعام ، وهى الإبل والشاء ، وهو مذكر لا يؤنث .
(٣) قال فى اللسان : طردت الإبل : أى ضممتها من نواحيها (٤) الرعاء : الرعاة (٥) تسقطه :
عالجه ايروح بما عنده (٦) أذواد : جمع ذود : ثلاثة أبعرة إلى عشرة (٧) الصريح : المستغنى
كالصارخ .

٩ — السليك يقتل وينهب ! *

زعموا أن السُّلَيْك بن السُّلَكَة خرج يريد أن يغير في ناسٍ من أصحابه ؛
فرَّ على بنى شيبان ، في ربيع ، والناسُ مُحصَّبون ، في عشيَّة فيها ضباب ومطر ؛
فإذا هو بيت قد انفرد عن البيوت عظيم ، وقد أمسى .

فقال لأصحابه : كونوا بمكان كذا وكذا حتى آتى هذا البيت ، فاعلى أُصِيبُ
خيرًا ! أو آتيكم بطعام . فقالوا له : افعل .

فانطلق إليه ، وجنَّ عليه الليل ، فإذا البيت يئد يزيد الشيباني ، وإذا
الشيخ وامرأته بفناء البيت ؛ فاحتال السُّلَيْك حتى دخل البيت من مؤخره ؛ فلم
يلبث أن أراح ^(١) ابنُ الشيخ بإبله في الليل ؛ فلما رآه الشيخ غضب ، وقال : هلا
كنت عشيَّتْها ساعةً من الليل ! فقال ابنه : إنها أبتِ العشاء ! فقال يزيد : إن
العاشية تهيجُ الآية ^(٢) !

ثم نفص الشيخ ثوبه في وجهها ، فرجعت إلى مراتعها ، وتبعها الشيخ حتى
مالت لأذنى روضة ؛ فرتعت فيها ، وقعد الشيخ عندها يتعشى ، وقد خَسَّ ^(٣)
وجهه في ثوبه من البرد .

* الأمثال ص ٤١٧ ج ١

(١) الإراحة : رد الإبل والغنم من العشى إلى مراتعها ، حيث تأوى إليه ليلا ، وقد أراحها
راعيتها (٢) أى إذا رأت التى تأبى الرعى التى تتعشى حاجتها للرعى فرعت معها
(٣) خَسَّ : قبض .

وتبعه السليك حين رآه انطلق ؛ فلما رآه معتزاً^(١) ضرب به من ورائه بالسيف ؛
فأطار رأسه ، وأطرد إبله .
وقد بقي أصحاب السليك - وقد ساء ظنهم ، وخافوا عليه - فإذا به يُطرد
الإبل ، فأطردوها معه !

١٠ - السخى العدا *
—————

قال رجلٌ من بني تميم :
كنتُ عند المهاجر بن عبد الله والى اليمامة ؛ فأُتِيَ بأعرابي قد كان معروفاً
بالسرق^(٢) ؛ فقال له : أخبرني عن بعضِ عجائبك ، قال : إنها لكثيرةٌ ، ومن
أعجبها :

أنه كان لي بعير لا يُسبق ، وكانت لي خيلاً لا تُلحقُ ؛ فكنت لا أخرج
فأرجع خائباً ؛ فخرجت يوماً ، فاحترشت^(٣) ضباً ، فعلقته على قَتبي^(٤) ، ثم
مررت بجباء سري^(٥) ليس فيه إلا عجوز ، فقالت : أخلق بهذا الجباء أن يكون له
رأحةٌ من غنمٍ وإبل ؛ فلما أُمسيت إذ بإبلٍ مائة ، فيها شيخ عظيم البطن ،
مشدن^(٦) اللحم ، ومعه عبد أسود وغد^(٧) .

(١) اعتنز : تنحى .

* عيون الأخبار ص ١٨٧ ج ١

(٢) السرقة : السرقة (٣) احترش الضب : اصطاده (٤) الإكاف الصغير على قدر سنام
البعير (٥) السرى : من له مروءة في شرف (٦) مشدن اللحم : كثيره (٧) الوغد : الرجل
الذئب الذى يخدم بيطنه .

فلما رآني رحب بي ، ثم قام إلى ناقة فاحتلبها وناولني العلبية فشربت ما يشرب الرجل ، فتناول الباقي ؛ فضرب به جبهته ، ثم احتاب تسع أينق ، فشرب ألبانها ؛ ثم نحر حواراً^(١) فطبخه ، ثم ألقى عظامه بيضا ، وحثاً كومة من بطحاء^(٢) وتوسدها ، وغط غطيطة البسكر .

قلت : هذه والله الغنيمة . ثم قمت إلى فحل إبله ، فخطمته^(٣) ثم قرنته إلى بعيري ، وصحنت به ، فاتبعني الفحل ، واتبعته الإبل ؛ فصارت خلفي ، كأنها جبل ممدود ، فمضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة للمسرّع ؛ فلم أزل أضرب بعيري بيدي مرة ، وأفرعه برجلي أخرى ، حتى طلع الفجر .

فأبصرت الثنية ، فإذا عليها سواد ؛ فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاعداً وقوسه في حجره ؛ فقال : أضيفنا ؟ قلت : نعم ! قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل ؟ قلت : لا .

فأخرج سهماً كأن نصله لسان كلب ، ثم قال : أبصر بين أذني الضب ، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه ، ثم قال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأي الأول ! قال : انظر هذا السهم الثاني في فقررة ظهره الوسطى . ثم رمى به ؛ فكأنما قدره بيده ، ثم وضعه بإصبعه ، ثم قال : أرايت ؟ قلت : إني أحب أن أمتنبت ، قال : انظر هذا السهم الثالث في عكوة^(٤) ذنبه ، والرابع والله في بطنك .

(١) الحوار : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه (٢) البطحاء : مسيل واسع فيه دقاق الحصى

(٣) وضع فيه الخطام : وهو ما وضع في أنف البعير ليقاد به (٤) العكوة : أصل الذنب .

ثم رماه فلم يخطئ العكوة ، فقلت : أنزل أمناً؟ قال : نعم . فنزلت ؛
فدفعت إليه خطام فحلّه ، وقلت : هذه إبلك لم يذهب منها وبرة ، وأنا أنتظر
متى يرميني بسهم ينتظم قلبي . فلما تنحيت قال لى : أقبل ، فأقبلتُ والله خوفاً من
شره ، لا طمعاً في خيريه .

فقال : أى هذا ؛ ما أحسبك جشمت اللبلة ما جشمت إلا من حاجة . قلت :
أجل ! قال : فاقرن من هذه الإبل بعيرين وامض لطيتك ، قلت : أما والله حتى
أخبرك عن نفسك قبلاً !

ثم قلت : والله ما رأيت أعرايباً قط أشدّ ضرراً ، ولا أهدى رجلاً ، ولا أرمنى
يداً ، ولا أكرم عفواً ، ولا أسخى نفساً منك !

١١ — زيد الخليل^(١) *

أخبر شيخ من بني زُهَّان قال :

أصابت بني شيبان سنةٌ ذهبت بالأموال ؛ فخرج رجلٌ منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرة ، فقال لهم : كونوا قريباً من الملك يصبكم خيره حتى أرجع إليكم ، وإلى أليّة^(٢) لا يرجع حتى يكسبهم خيراً أو يموت .

فتزوّد زاداً ثم مشى يوماً إلى الليل ، فإذا هو بمُهْرٍ مقيد ، حول خباء ، فقال : هذا أولُ الغنيمة ، وذهب يُحمله ويركبه ، فنودي : خلّ عنه واغتم نفسك ، فتركه . ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عَطَن^(٣) إبل مع تطفيل^(٤) الشمس ، فإذا خِباء عظيم وقُبّة من آدم ، فقال في نفسه : ما لهذا الخِباء بُدٌّ من أهل ، وما لهذه القبّة بُدٌّ من ربّ ، وما لهذا العَطَن بُدٌّ من إبل . فنظر في الخِباء فإذا شيخٌ كبير قد اختلفت ترهّوتاه كأنه نَسْر .

قال : فجلست خلفه . فلما وجبت الشمس إذا فارس قد أقبل لم أرفارساً قطّ أعظم منه ولا أجسم ، ومعه أسودان يمشيان جنبه ، وإذا مائة من الإبل مع

* الأغاني ص ٤٧ ج ١٦

(١) هو زيد بن مهلب ، كان فارساً مغواراً مظفراً شجاعاً بعيد الصيت في الجاهلية ، وأدرك الإسلام ، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع وسر به وقرظه وسماه : زيد الخير ، وسمى في الجاهلية بزید الخليل لكثرة خيله ، وكان شاعراً محسناً خطيباً لسنا كريماً ، توفي سنة ٩ هـ (٢) آلى آليّة : حلف يميناً (٣) العطن : مبرك الإبل (٤) تطفيل الشمس : ميلها للغروب .

فحلبها ، فبرك الفحل ، وبركت حوله ، ونزل الفارس ؛ فقال لأحد عبديه : احلب
الفلانة^(١) ، ثم اسق الشيخ ، فحلب في عُسِّ حتى ملاءه ووضع بين يدي الشيخ ،
وتنحى فكرع منه الشيخ مرة أو مرتين ثم نزع^(٢) ، فثرت إليه فشربته ، فرجع
إليه العبد فقال : يامولاي قد أتى على آخره ، ففرح بذلك وقال : احلب الفلانة ،
فحلبها ثم وضع العُسِّ بين يدي الشيخ ، فكرع منه واحدة ثم نزع ، فثرت إليه
فشربت نصفه ، وكرهت أن آتى على آخره فأتهم ، فجاء العبد فأخذه ، وقال لمولاه :
قد شرب فقال : دعه .

ثم أمر بشاة فذبحت ، وشوى للشيخ منها ، ثم أكل هو وعبده . فأمهلت
حتى إذا ناموا وسمعت الغطيط^(٣) ثرت إلى الفحل ، فحلبت عقاله وركبته ، فاندفع
بي وتبعته الإبل . فمشيت ليلتي حتى الصباح .

فلما أصبحت نظرت فلم أر أحداً ، فسالتها سلاً عنيفاً ، حتى تعالى النهار ، ثم
التفت التفاتة ، فإذا أنا بشيء كأنه طائر ، فما زال يدنو حتى تبينته ، فإذا هو فارس
على فرس ، وإذا هو صاحبي بالأمس ، فعقلت الفحل وثلث كنانتي ، ووقفت بينه
وبين الإبل ، فقال : احلب عقال الفحل . فقلت : كلا والله ، لقد خلفت نسياتٍ
بالحيرة وآليت أليمة لا أرجع حتى أفيدهن خيراً أو أموت ، قال : فإنك لمييت ؛
حلَّ عقاله لا أم لك ! فقلت : ما هو إلا ما قلت لك . فقال : إنك لمغرور ، انصب لي
خطامه واجعل فيه خمس عَجَر^(٤) ، ففعلت ، فقال : أين تريد أن أضع سهمي ؟
فقلت : في هذا الموضع . فكأتما وضعه بيده .

(١) الفلانة : كناية عن غير الإنسان (٢) نزع : انتهى (٣) غطيط النائم : نحيبه
(٤) العجرة : العقدة في الحشبة ونحوها .

ثم أقبل يرمى حتى أصاب الخمس بخمسة أسهم ، فرددت نبلي^(١) ، وحططت قوسى ، ووقفت مستسلما ؛ فدنا منى وأخذ السيف والقوس ثم قال : ارتدِف^(٢) خلفى ، وعرف أنى الرجل الذى شربت اللبن عنده ؛ فقال : كيف ظنك بى ؟ قلت : أحسن ظن . قال : وكيف ؟ قلت : لما لقيت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بى . فقال : أترانا كنا نهجيك وقد بتّ تنادم مهلا^(٣) ! قلت : أريد الخيل أنت ؟ قال : نعم ، أنا زيد الخيل ، فقلت : كن خير آخذ . فقال : ليس عليك بأس . ومضى إلى موضعه الذى كان فيه . ثم قال : أما لو كانت هذه الإبل لى لسانها إليك ، ولكنها لبنت مهلهل ؛ فأقم على فإنى على غارة .

فأقمت أياما ثم أغار على بنى نيمير فأصاب مائة بعير ، فقال : هذه أحب إليك أم تلك ؟ قلت : هذه . قال : دونكها ، وبعث معى خفراء من ماء إلى ماء حتى وردوا بى الحيرة ، فلقينى نبطى فقال : يا أعرابى ، أيسرُّك أن لك بإبلك بستانا من هذه البساتين ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قال : هذا قرب مخرج نبيّ يخرج ، فيملك هذه الأرض ، ويحول بين أربابها وبينها ، حتى إن أحدهم ليلتاع البستان من هذه البساتين بثمر بعير .

قال : فاحتملت بأهلى حتى انتهيت إلى موضع ، فبينما نحن على ماء لنا ، جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأمتنا ، وما مضت أيام حتى اشتريت بثمر بعير من إبلى بستانا بالحيرة .

(١) النبل : السهام العربية ، ولا واحد لها . (٢) المرتدِف : الراكب خلف الراكب

(٣) مهلهل : أبو زيد الخيل .

١٢ — وأد البنات *

روت الرواة أن صَعَصعة بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأسلم
قال: يا رسول الله؛ إني كنت أعمل عملاً في الجاهلية، أفينفعني ذلك اليوم؟ قال:
ما عملك؟ قال: أضللت^(١) ناقتين عُشْرَ أوين^(٢) فركبتُ جملاً، ومضيتُ في بُغْيَهما،
فرفع لي بيتُ حريد^(٣)، فقصدته؛ فإذا شيخٌ جالسٌ بفناء الدار، فسألتُه عن الناقتين،
فقال: مانارُهما^(٤)؟ قلت: ميسمُ بنى دارم، فقال: هما عندي، وقد أحيا الله بهما
قوماً من أهلك من مُضَر، فجلستُ معه؛ لتُخْرَجَ إليّ، فإذا عجوزٌ قد خرجتُ
من كِسْرِ البيت، فقال لها: ما وضعتُ؟ فإن كان سَقْباً^(٥) شاركتنا في أموالنا،
وإن كانت حائلاً^(٦) وأدناها، فقالت العجوز: وضعتُ أثني، فقلت: أتبيئها؟
قال: وهل تبيع العربُ أولادها؟ قلت: إنما أشتري منك حياتها، ولا أشتري
رقها. قال: فبكم؟ قلت: احتكم. قال: بالناقيتين والجمال. قلت: ذلك لك،
على أن يبلغني الجمالُ وإيَّاهَا. ففعل.

فأمّنت بك يا رسول الله، وقد صارت لي سنةً في العرب، على أن أشتري
كل موءودة بناقتين عُشْرَ أوين وجمال، فعندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا
موءودة، فقد أنقذتها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينفعك ذلك؛ لأنك
لم تبتغ به وجهَ الله، وإن تعمل في إسلامك عملاً صالحاً تشب عليه.

* الكامل للمبرد ص ٢٨٩ ج ١، رغبة الآمل ص ٢٣٥ ج ٤، الأمثال ص ٢٩٣، ٣٨٩ ج ١
(١) أضللت: صاد فنهما ضالّتين (٢) عشراوين: العشاء: الناقة التي قد أتى عليها منذ حملت
عشرة أشهر (٣) بيت حريد: متنح عن الناس (٤) مانارهما: ما وسهما (٥) السقب:
الذكر من ولد الناقة ساعة يولد (٦) الحائل: الأثني من أولاد الإبل ساعة توضع.

١٣ — أعجب السرقات *

قال أبو الهيثم :

اجتمع مالكُ بن (١) الريب وأبو حرَدَبَةَ وشِظَاظَ يوماً ، فقالوا : تعالَوْا نتحدث بأعجب ما عملناه في سرقتنا ، فقال أبو حرَدَبَةَ :

أعجب ما صنعتُ ، وأعجب ما سرتُ ، أتى صَحِبتُ رِفْقَةً ، فيها رجلٌ على رَحْلِ فأعجبني ، فقلت لصاحبي : والله لأسرقنَّ رَحْلَهُ ، ثم لا رضيتُ أو آخذ عليه جِعَالَةً (٢) .

فرمقته حتى رأيتُه قد خَفَقَ برأسه ، فأخذتُ بِخِطَامِ (٣) جَمَلِهِ فَنَقَدْتُهُ ، وعدلت به عن الطريق ، حتى إذا صَيَّرْتُهُ في مكان لا يَغات فيه إن استغاثتُ أَنَحْتُ البعير وصرعته ، فأوثقتُ يديه ورجله وقدتُ الجمل فغَيَّبْتُهُ ، ثم رجعت إلى الرِفْقَةِ ، وقد فقدوا صاحبهم فبهم يسترجعون (٤) ؛ فقلت : ما لكم ؟ فقالوا : صاحبٌ لنا فقدناه ؛ فقلت : أنا أعلمُ الناسَ بأثره ؛ فجعلوا لي جِعَالَةً ، فخرجتُ بهم أتبع الأثر حتى وقفوا

* الأغانى ص ١٦٣ ج ١٩

(١) هو مالك بن الريب كان من أجل العرب وأبينهم ، ومر به سعيد بن عثمان بن عفان — لما ولاه معاوية خراسان ، ومالك في نفر من أصحابه — فقال له : ويحك يا مالك ! ما الذى يدعوك إلى ما يبلغنى عنك من العداة وقطع الطريق ؟ قال : أصلح الله الأمير ؛ العجز عن مكافأة الإخوان ، قال : فإن أنا أغنيبتك واستصحبتك أتكف عما تفعل ؟ قال : نعم أكف كأحسن ما كف أحد ، فاستصحبه وأجرى عليه خمسمائة دينار ، وكان معه حتى قتل بخراسان ، ثم مكث مالك بخراسان حتى مات هناك (٢) الجعالة : ما يفرض على العمل (٣) الخطام : الزمام (٤) استرجع عند المصيبة : قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

عابه ، فقالوا : مالك ؟ قال : لا أدري ، نَعَسْتُ فانتبَهْتُ لِحَسِينِ فَارِسًا قَدْ أَخَذُونِي
فَقَاتَلْتُهُمْ فغلبوني !

قال أبو حردبة : فجعلت أضحك من كذبه ؛ وأعطوني جماعتي ، وذهبوا
بصاحبهم .

وأعجب ما سرقت : أنه مر بي رجلٌ معه ناقةٌ وجمل وهو على الناقة ، فقلت :
لأخذتَهما جميعاً ، فجعلت أعارضه وقد رأيتُه قد خَفَقَ برأسه ، فدرت فأخذتُ الجمل
فحللته وسقته فغيبته في القَصِيمِ^(١) ، ثم اتبته فالتفت فلم ير جملة ، فنزل وعقل راحلته ،
ومضى في طاب الجمل ، ودُرْتُ ؛ فحللت عقل ناقته ، وسُقْتُها ! فقالوا لأبي حردبة :
ويحك ! فحتام تكون هكذا ؟ قال : اسكتوا فكأنكم بي قد تُبْتُ ، واشتريت
فرساً وخرجتُ . فبينما أنا واقفٌ إذ جاءني سهمٌ كأنه قطعة رِشاءٍ^(٢) فوقع في نحري
فمِتُّ شهيداً . قال الراوي : فكان كذلك ؛ تاب وقدم البصرة ، فاشترى فرساً ،
وغزا الرومَ فأصابه سهمٌ في نحره ؛ فاستشهد .

ثم قالوا لِسِظَاظَ : أخبرنا أنت بأعجب ما أخذت في لصوصيتك ورأيت فيها ؛
فقال : نعم ، كان فلان (رجلٌ من أهل البصرة) له بنت عم ذات مال كثير ، وهو
وليها ، وكانت له نسوة ، فأبت أن تتزوجَه ، فحلف ألا يزوجها من أحدٍ ضراراً لها ،
وكان يخطبها رجلٌ غني من أهل البصرة ، فأبى أن يزوجها منه ، ثم إن ولى الأمر
حججٌ ، حتى إذا كان بالدو^(٣) مات فدفن براية وشيّد على قبره ، فتزوجت الرجل
الذي كان يخطبها .

(١) القصيم : الموضع الذي كانوا يسرقون فيه (٢) الرشاء : رمن الدلو (٣) الدو :
مكان على مرحلة من البصرة .

قال شظاظ : وخرجت رفقةً من البصرة معهم برئ ومتاع ، فتبصرتهم ومامعهم واتبعتهم حتى نزلوا ، فلما ناموا بيتهم^(١) وأخذت من متاعهم ، ثم إن القوم أخذوني وضربوني ضرباً شديداً وجردوني . وذلك في ليلة قرّة^(٢) ، وسلبوني كل قليل وكثير ؛ فتركوني عرياناً وتمامت لهم ، وارتحل القوم . فقلت : كيف أصنع ؟ ثم ذكرت قبر الرجل ، فأثبته فنزعت لوحاً ثم احترقت فيه سرباً ؛ فدخلت فيه ؛ ثم سدّدتُ على باللوح ، وقلت : لعلى الآن أدفأ فاتبعهم .

ومر الرجلُ الذي تزوج بالمرأة في الرُّفقة . فمر بالقبر الذي أنا فيه فوقف عليه وقال لرفيقه : والله لأنزرنَّ إلى قبر فلان ، حتى أنظر هل يحمي الآن فلانة !

قال شظاظ : فعرفتُ صوته فقلعت اللوح ، ثم خرجت عليه بالسيف من القبر ، وقلت : بلى ورب الكعبة لأحمينها ، فوقع والله مغشياً عليه لا يتحرك ولا يعقل ، فجلستُ على راحلته ، وعليها كل أداة وثياب ونقدٍ كان معه ، ثم وجهتها قصد مطلع الشمس هارباً من الناس فنجوت بها ؛ فكنت بعد ذلك أسمعه يحدثُ الناس بالبصرة ويحأف لهم أن الميت الذي كان منعه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره ، والناس يعجبون منه ؛ فعاقلهم يكذبُه ، والأحمق منهم يصدقه ، وأنا أعرف القصة فأضحك منهم كالمتعجب .

قالوا : فردنا . قال : فأنا أزيدكم أعجب من هذا وأحق من هذا : إني لأمشي في الطريق أبتغي شيئاً أسرقُه ، فلا والله ما وجدتُ شيئاً ، وإذا أنا بشجرة ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظلٌّ غيرها ، وإذا أنا برجلٍ يسير على حماره ،

(١) بيت فلان بنى فلان : إذا أتاهم ليلاً فكبسهم وهم غارون (٢) ليلة قرّة : باردة .

قفلت له : أسمع ؟ قال : نعم . قلت : إن المقييل الذي تريد أن تقيله يُخسفُ
بالدواب فيه ، فاحذره ، فلم يلتفت إلى قولي ، ورممته حتى إذا نام أقبلتُ على حماره
فاستقته ، حتى إذا برزتُ به قطعت طرف ذنبه وأذنيه ، وأخذت الحمار فخبأته
وأبصرته حين استيقظ من نومه ، فقام يطلب الحمار ويَقْفُو أثره ؛ فبينما هو كذلك
إذ نظر إلى طرف ذنبه وأذنيه ، فقال : لعمري لقد حذرت لو نفعني الحذر ، واستمر
هارباً خوف أن يخسف به . فأخذت جميع ما بقي من رحله فحماته على الحمار !

١٤ — أعرابي في عرس *

قال الفضل بن العباس الهاشمي :

كان ناهض بن ثومة الكلابي يفتد على جدِّي قُثمَ ، فيمدحه ويصِّله جدِّي وغيره ، وكان بدويًّا جافياً كأنه من الوحش ؛ إلا أنه طيب الحديث .
حدثه يوماً : أنهم انتجعوا ناحية الشام فقصد صديقاً له من ولد خالد بن يزيد ابن معاوية كان ينزل حلب وكان برًّا به .

قال : فررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عاصم الهلالى فرأيت دُورًا مُتباينة وخصاصاً^(١) قد ضُمَّ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناسٌ كثيرون : مقبلون ومدبرون ، عليهم ثياب تحكى ألوان الزَّهر ، فقلت فى نفسى : هذا أحدُ العيدين : الأضحى أو الفطر ! ثم تاب إلى ما عَزَبَ عن عقلى فقلت : خرجت من أهلى فى بادية البصرة فى صَفَر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذى أرى !

وبينا أنا واقف متعجب أتانى رجل ، فأخذ بيدي فأدخلنى داراً قوراء^(٢) ، وأدخلنى منها بيتاً قد نُجِّدَتْ فيه فرش ومُهَدَّتْ ، وعليها شاب ينال فرغ شعره منكبيه ، والناس حوله سماطان^(٣) ، فقلت فى نفسى : هذا الأمير الذى حُكِّى لنا جلوسه ، وجلوسُ الناس بين يديه ، فقلت وأنا مائل بين يديه : السَّلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . فجدَّبَ رجلٌ يدي وقال : اجلس فإن هذا ليس

* الأغاني ص ٣٣ ج ١٢

(١) الخصاص : جمع خص ، وهو البيت من القصب (٢) دار قوراء : واسعة

(٣) السماط : الصف .

بأمير، قلت: فَمَنْ هو؟ قال: عروس^(١). فقلت: واثكل أمّاه! لرُبّ عروس رأيتُه بالبادية أهون على أهله من هَنّة^(٢).

فلم أنشب أن دخل رجالٌ يحملون آنات^(٣) مُدَوّرات، أما ما خف منها فيُحَمَل حَمَلًا، وأما ما كبر وثقل فيُدحرج، فوضع ذلك أمامنا، وتحلّق القوم عليه حَمَلًا، ثم أتينا بخرقٍ بيضٍ فألقيت بين أيدينا، فظننتها ثيابًا، وهمت أن أسأل القوم منها خِرْقًا أُرَفَّعُ بِهَا قَمِيصِي، وذلك أني رأيت نسجًا متلاحمًا، لا يبين له سَدَى ولا لِحْمَة^(٤)، فلما بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يتمزقُ سريعًا، وإذا هو فيما زعموا صنف من الخبز لا أعرفه.

ثم أتينا بطعام كثير بين حُلُو وحامض، وحرار وبارد، فأكثر منه، وأنا لا أعلم ما في عقبه من التَّحَمِّ والبَشَمِّ، ثم أتينا بشراب أحمر في شَنِّ^(٥)، فقلت: لأحاجة لي فيه، فإني أخاف أن يقتلني، وكان إلى جنبي رجل ناصح - أحسن الله جزاءه؛ فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس - فقال: يا أعرابي إنك قد أكثرت من الطعام، وإن شربت المساء هما^(٦) بطنك، فلما ذكر البطن تذكرت شيئًا أوصاني به أبي، والأشياخ من أهلي؛ إذ قالوا: لا تزال حيًّا مادام بطنك شديدًا، فإذا اختلف فأوص، فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به، وجعلت أكثر منه فلا أمل شر به، فتداخني من ذلك صلف لا أعرفه من نفسي، وبكاء لا أعرف سببه، ولا عهد لي بمثله، واقتدار على أمر أظن معه أني

(١) العروس: الرجل والمرأة ما داما في أعراسهما، وهم عرس، وهن عرائس (٢) الهنة: كناية عن خسيس الشيء (٣) آنات: جمع غير قياسي لأناء (٤) السدى من خيوط الثوب: ما مد منها طولًا، واللحمة: ما مد منها عرضاً (٥) الشن: القرية الخلق الصغيرة (٦) هما: سال.

لو أردتُ نيلَ الستف لباغته ، ولو شأوتُ الأسد لقتلته ؛ وجعلتُ التفت إلى الرجل
الناصح ، فتحدثني نفسى بهتم أسنانه ، وهشم أنفه ، وأهم أحياناً أن أستمه .
فبينما نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعة : أحدهم قد علق في عنقه
جَعْبَةً فارسية ، مفتحة الطرفين ، دقيقة الوسط ، قد شبكت بخيوط ، وألبست
قطعة فرو ، كأنهم يخافون عليها القرم . ثم بدر الثاني ، فاستخرج من كُمه هنةً
سوداء فوضعها في فيه ، وأخرج صوتاً لم أسمع - وبيت الله - أعجب منه ، فاستتم بها
أمرهم ، ثم حرك أصابعه فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ ، ولكنه أتى منها لما
حرك أصابعه - بصوت عجيب ، متلائم متشاكل بعضه لبعض ، كأنه - علم الله - ينطق
به . ثم بدا ثالث له وجه كرز^(١) مقيت ، عليه قميص وسخ ومعه مرآتان ، فجعل
يصفق بهما بيديه إحداهما على الأخرى ، فخالط بصوته ما يفعله الرجلان ، ثم بدا
رابع عليه قميص ، وسراويل قصيرة ، وخفان أجذمان ، لاساق لواحد منهما ، فجعل
يقفز كأنه يثب على ظهور العقارب ، ثم تلبط^(٢) على الأرض ، فقلت : معتوه ورب
الكعبة ، ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي ، ورأيت القوم يجذفونه^(٣)
بالدراهم حذفاً منكراً ؛ ثم أرسل النساء إلينا : أن أمتعوننا من لهُوكم هذا ، فبعثوا
بهم ، وجعلنا نسمع أصواتهم من بعد .

وكان معنا في البيت شاب لا آبه له ، فعامت الأصوات بالثناء عليه ، والدعاء
له ، فخرج وجاء بخشبة عينها في صدرها ، فيها خيوط أربعة ، فاستخرج من

(١) وجه كرز : قبيح (٢) تلبط : اضطجع وتقرغ (٣) يجذفونه : يرمونه .

خلالها عوداً ، فوضعه خلف أذنه ، ثم عرك أذنها وحرکها بخشبة في يده ، فنطقت
ورب الكعبة ، وإذا هي أحسن قينة^(١) رأيتها قط ، فأطربني حتى استخفني من
مجلسي ، فوثبت وجلست بين يديه ، وقلت : بأبي أنت وأمي ! ماهذه الدابة ؟ فلست
أعرفها للأعراب ، وما أراها خلقت إلا قريباً فقال : هذا البربط^(٢) ، فقلت : بأبي
أنت وأمي ! فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزير^(٣) . قلت : فالذي يليه ؟ قال :
المتنى^(٤) . قلت : فالثالث ؟ قال : المتكث^(٥) . قلت : فالأعلى ؟ قال : البم^(٦) .

فقلت : آمنت بالله أولاً ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وبالبم رابعاً !
قال الفضل : فضحك أبي والله حتى سقط ، وجعل ناهض يعجب من ضحكه ،
ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديث ، ويُطْرِف به إخوانه فيضحكون منه .

(١) القينة : الأمة المغنية (٢) البربط : العود معرب (بربط) - بكسر الراء - وهو آلة من العازف
(٣) الزير : من أوتار العود (٤) المتنى : الذي يلي الزير (٥) المتكث : الذي يلي المتنى
(٦) البم : الذي يلي المتكث ، وهو أغلظ الأوتار .

١٥ — أطيب الطعام *

صنعَ عبدُ الملك^(١) بن مروان طعاماً فأكثرَ وأطاب^(٢) ، ودعا إليه الناسَ فأكلوا . فقال بعضهم : ما أطيبَ هذا الطعام ! ما نرى أن أحداً رأى أكثرَ منه ولا أكلَ أطيبَ منه . فقال أعرابي من ناحية القوم : أما أكثرُ فلا ، وأما أطيبُ فقد والله أكلتُ أطيبَ منه . فطنقوا يضحكون من قوله .

فأشار إليه عبد الملك فأذني منه ؛ فقال : ما أنتَ بمُحِقِّ فيما تقول إلا أن تُخبرني بما يبينُ به صدقك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بينا أنا بهجر^(٣) في برث^(٤) أحمر في أقصى حجر^(٥) إذ توفّي أبي ، وتركَ كلاً^(٦) وعيالا ، وكان له نخل ، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، كأن تمرها أخفافُ الرباع^(٧) ، لم يرَ تمرٌ قطُّ أغلظُ ولا أصلبُ ولا أصغرُ نوى ولا أحلى حلاوةً منه .

وكانت تطرقها أتان وحشيّةٌ قد ألفتها تأوى الليلَ تحتها ، فكانت تُنبتُ رجليها في أصلها ، وترفعُ يديها ، وتعطو^(٨) فيها ، فلا تتركُ فيها إلا النبيذ^(٩) والمتفرق ؛ فأعظمتني ذلك ووقع مني كلَّ موقع .

فانطلقتُ بقوسي وأسهمي ، وأنا أظنُّ أني أرجع من ساعتى ؛ فمكثتُ يوماً

* الأغاني ص ٤٠ ج ٨

(١) من أعظم الخلفاء ، نشأ في المدينة ، واستعمله معاوية عليها ، وانتقلت إليه الخلافة سنة ٦٥ هـ ، وتوفي سنة ٨٦ هـ (٢) أطاب الشيء : طيبه (٣) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بالتمر (٤) البرث : الأرض اللينة السهلة (٥) في أقصى حجر : أي في أبعاد ناحية (٦) الكل : العيال والثقل (٧) الرباع : جمع ربع وهو الفصيل ينتج في الربيع (٨) تعطو : تتناول (٩) النبيذ : المنبوذ .

وليلة لا أراها ، حتى إذا كان السحر أقبكت ، فميتت لها فرسقتها فأصبتها ،
وأجهزت عليها ، ثم عمدت إلى سرتها فاقتردهتها ، ثم عمدت إلى حطب جزل
فجمعهته إلى رصف^(١) ، و عمدت إلى زندي فقدمت ، وأضمرت النار في ذلك
الحطب ، وألقيت سرتها فيه ، وأدركني نوم الشباب ، فلم يوقظني إلا حر الشمس
في ظهري ، فانطلقت إليها فكشفتها وألقيت ما عليها من قذى وسواد ورماد ، ثم
قلبت منها مثل الملاءة البيضاء ، فألقيت عليها من رطب تلك النخلة الجزعة^(٢)
والمنصفة ، فسمعت لها أطيظاً^(٣) كتداعي عامرٍ وغطفان ، ثم أقبلت أتناول
الشحمة والاحمة فأضعها بين الترتين وأهوى إلى فمي ، فبما أحلف إني ما أكلت
طعاماً مثله قط !

فقال له عبد الملك : لقد أكلت طعاماً طيباً فمن أنت ؟ قال : أنا رجل
جانبتني عننة^(٤) تميم وأسد ، وكشكشة^(٥) ربيعة ، وحوشى^(٦) أهل اليمن وإن
كنت منهم . فقال : من أيهم أنت ؟ قال : من أخوالك من عذرة . قال : أولئك
فصحاء الناس ؛ فهل لك علمٌ بالشعر ؟ قال : سلني عما بدا لك يا أمير المؤمنين . قال :
أي بيت قالته العرب أمدح ؟ قال : قول جرير :

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح^(٧)
وكان جرير في القوم ؛ فرفع رأسه وتناول لها . ثم قال : فأى بيت قالته العرب
أفخر ؟ قال : قول جرير :

(١) الرصف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار (٢) جزع البسر : إذا بلغ الإرتاب بعضه ،
ونصف البسر : إذا بلغ الإرتاب نصفه (٣) الأطيظ : الصوت (٤) العننة : إبدال العين
من الهمزة (٥) الكشكشة : جعل الشين مكان الكاف (٦) الحوشى : الغامض (٧) راح :
جسم راحة وهي الكف .

إذا غضبتُ عليكَ بنو تميمٍ حسبَتِ الناسَ كلَّهمُ غضاباً
فتحرَّك لها جرير . ثم قال له : فأى بيتٍ أهجى ؟ قال : قول جرير :
فغُضَّ الطرفَ إنَّكَ من نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلاباً
فاستشرف لها جرير ثم قال : فأى بيتٍ أغزل ؟ قال : قول جرير :
إنَّ العيونَ التي في طرفها مَرَضٌ قتلننا ثم لم يُحْيِين قتلانا
فاهتزَّ جرير وطرب . ثم قال له : فأى بيتٍ قالته العرب أحسنُ تشبيهاً ؟
قال : قول جرير :

سَرَى نحوهم ليلٌ كأنَّ نجومه
قناديلٌ فيهنَّ الذُّبَالُ^(١) المقتلُ
فقال جرير : جائزتي للعذرى يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : وله مثلها من
بيت المال ، ولك جائزتك يا جرير لا تُنتَقِصُ منها شيئاً . وكانت جائزة جرير أربعة
آلاف درهم وتوابعها من الحُمَلائن والكُسوة . فخرج العذرى وفي يده اليمنى ثمانية
آلاف درهم وفي اليد اليسرى رزمةُ ثياب !

(١) الذبالة : الفتيلة التي توضع في القنديل ، يوضع فيه الزيت ليستضاء به .

١٦ — جحدر *

كان جَحْدَر بن ربيعة من لصوص العرب وشياطينهم ، يُغير على أحيائهم
فبينها ، وربما فتك بمن تعرّض له ؛ واشتدَّ شرُّه في أيام الوليد بن عبد الملك ،
حتى أباد خلقاً كثيراً .

فبلغ أمره الحجاج^(١) ؛ فسكتب إلى عامله باليامة ، يُؤنبه لعجزه عن الضرب
على يدي ذلك الفاتك ، وأمره أن يُوقِع به ، أو يحمله إليه أسيراً .

فأوطأ^(٢) العاملُ جماعة من فِتيّة بني حنظلة ، وجعل لهم الجعائل^(٣) العظيمة
إن هم أتوه به مَغْلُولاً^(٤) أو مقتولا !

فأرسلوا إليه يقولون : إنهم يريدون الانقطاع إليه ، والخضوع لأمره ؛ فأخذ
جحدر إلى قولهم ، وأدخلهم في صُحبته . فأخذوا ينهبون تحت لوائه ، إلى أن صادفوا
منه غِرة^(٥) ، فشدُّوا وثاقه ، وقدموا به إلى العامل الذي وجَّههم به إلى الحجاج .

فلما مثلوا بين يديه قال لجحدر : أنت جحدر ؟ قال : نعم ، فقال : وما جرّأك
على ما بلغني عنك ؟ قال : جور الزمان ، وجراءة الجنان ! قال : وما بلغ من أمرك ؟
قال : لو ابتلاني الأمير ، وجعلني مع الفرسان لرأى مني ما يعجبه .

فقال : يا جحدر ؛ إني قاذفٌ بك إلى حفيرة بها سبعٌ شرسٌ ، فإن قتلك

* المستطرف ص ٢٢٤ ج ١ ، المحاسن والمساوي ص ٧٧ طبع لبيزج .

(١) نشأ بالطائف ، وولى العراق والمشرق وهلك بواسط سنة ٩٥ هـ (٢) أوطأ جماعة : اتفق معهم (٣) الجماعة : ماجل للإنسان من شيء على فعل (٤) الغل : طوق من الحديد يجعل في العنق (٥) الغرة : الغفلة .

كفاناً مؤنتك ، وإن قتلتَه عفونا عنك لشجاعتك ! فقال : أصلح الله الأمير ؛ لقد
قرب الفرج !

فأمر الحجاج بحبسَه ، وكتب إلى العامل أن يرتاد^(١) له سبعاً عتياً^(٢) ، ويحمّله
إليه . فارتاد له أسداً خبيثاً ، كرية المنظر ، قد أفنى جميع ما باليمامة من حيوان ،
ووضعه في قفص من حديد ، وأنفذه إلى الحجاج .

فأمر أن يُلقَى في الحفيرة ، ولا يُطعم شيئاً ثلاثة أيام ، حتى إذا ما اشتد به
الجوع ، أُخرج إليه جحدر ، وما أعطى إلا سيفاً ، والحجاج مشرف على الحفيرة ،
والناسُ حوله ينظرون إلى الأسد ما هو صانع بفرسته !

فلما رُفِع^(٣) له نهض وزأر زئيراً رجّ الجبال ، وأراع الحاضرين ، فأنشد جحدر :

ليثٌ وليثٌ في مجالِ ضنكِ كلاهما ذو قوّةٍ وسفكِ
وصولةٍ وبطشةٍ وفتكِ إن يكشفِ الله قناع الشكِّ
فأنت لي في قبضتي ومليكِ

ثم أدلّى به ، فوقع عليه وقوع الصاعقة ، فصرخ الأسد عند رؤيته صرخة
عظيمة ، فأجابه هو بأعظم منها ، وضر به بسيفه ضربة فلقت هامته ؛ فكبر الناس
وأعجب به الحجاج ، وقال : لله دَرَك ما أنجذك^(٤) !

ثم خيرَه بين أن يُقيم عنده مكرماً ، أو يلحق ببلاده على الأيّذى أحداً ،
ولا يحدث حدثاً ؛ فاختار جحدر الإقامة معه ، وأحسن أدبه ، حتى حظى عنده وجعله
من سمّاره وخواصه ؛ وبعد ذلك بزمن غير طويل ولّاه اليمامة ، ومكث فيها مدة ،
قام فيها بأعباء الولاية خيرَ قيام !

(١) يرتاد : يطلب (٢) العتي : ما جاوز الحد ، ويقصد الشديد الهائل (٣) رفع : ظهر
من بعيد (٤) ما أنجذك : ما أشجعك فيما يعجز عنه غيرك .

١٧ - صديقا ابن سريج على قبره*

حدّث إسحاق بن يعقوب عن أبيه قال :

إِنَّا لِبِفِنَاءِ دَارِ عَمْرُو بْنِ عُمَانَ بِالْأَبْطَحِ فِي صَبْحِ خَامِسَةِ مِنَ الثَّمَانِ (١) ، فَمَا إِنِ
دَرَيْتُ إِلَّا بِرَجُلٍ عَلَى رَاحِلَةٍ عَلَى رَحْلِ جَمِيلٍ وَأَدَاةٍ حَسَنَةٍ ، مَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ عَلَى رَاحِلَةٍ
قَدْ جَنَبَ (٢) إِلَيْهَا فَرَسًا وَبَعْلًا ، فَوْقَهَا عَلَى وَسْطِهَا ، فَانْتَسَبْتُ لَهَا عُثْمَانِيًّا ، فَزَلَا
وَقَالَا : رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِكَ أَقْدَمْتَنَا حَاجَةً نَحْبُ أَنْ نَقْضِيَهَا قَبْلَ أَنْ نُشْدهُ (٣) بِأَمْرِ
الْحَجِّ ؛ فَقُلْتُ : مَا حَاجَتُكُمْ ؟ قَالَا : نُرِيدُ إِنْسَانًا يَقِفُنَا عَلَى قَبْرِ عُبَيْدِ بْنِ سُرَيْجٍ !
قَالَ : فَهَضْتُ مَعَهُمَا حَتَّى بَلَغْتُ بِهِمَا مَحَلَّةَ بَنِي قَارَةَ مِنْ خَزَاعَةِ بَكَّةَ ، وَهَمَّ
مَوْلَى عُبَيْدِ بْنِ سُرَيْجٍ (٤) ؛ ثُمَّ التَّمَسْتُ لَهَا إِنْسَانًا يَصْحَبُهُمَا حَتَّى يَقِفَهُمَا عَلَى قَبْرِه
بِدَسْمٍ (٥) ، فَوَجَدْتُ ابْنَ أَبِي دُبَايَ كُلِّ فَأَنْهَضْتُهُ مَعَهُمَا ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي بَعْدُ : أَنَّهُ
لَمَّا أَوْقَفَهُمَا عَلَى قَبْرِه نَزَلَ أَحَدُهُمَا فَحَسَرَ عِمَامَتَهُ عَنْ وَجْهِهِ ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَفَعَّرَ نَاقَتَهُ ، وَانْدَفَعَ يَنْدُبُهُ بِصَوْتِ شَجِيٍّ كَلِيلٍ
حَسَنٍ :

وَقَفْنَا عَلَى قَبْرِ بَدْسَمٍ فَهَاجَنَا وَذَكَرْنَا بِالْعَيْشِ إِذْ هُوَ مُصْحَبٌ (٦)
فَجَالَتْ بِأَرْجَاءِ الْجَفُونِ سَوَافِحٌ مِنْ الدَّمْعِ تَسْتَلِي الذِّى يَتَعْتَبُ

✽ الأغانى ص ٣٢٠ ج ١

- (١) أى من أيام الحج (٢) جنب فرساً : أى قاده إلى جنبه (٣) نشده : نشغل
(٤) كان عبيد بن سريج مغنياً من أهل مكة ، كان يغنى مرتجلاً ويوقع بقضيب ، ويضرب بالعود
غنى في خلافة عثمان بن عفان وتوفى في خلافة هشام بن عبد الملك نحو سنة ٩٨ هـ (٥) دسم :
موضع قرب مكة (٦) المصحب : الدليل المتقاد بعد صعوبة .

إذا أبطأت عن ساحة الخدِّ ساقها دمٌ بعد دمعٍ إثرُهُ يَتَصَبَّبُ
فإنَّ تُسْعِدًا نَدْبُ عُبَيْدًا بِعَوْلَةٍ (١) وَقَالَ لَهُ مَنَا الْهَكَ وَالْتَحَوَّبُ (٢)
ثم نزل صاحبه فعقر ناقته . وقال له القرشيُّ : خُذْ فِي صَوْتِ أَبِي يَحْيَى . فاندفع
يُغْنَى :

أَسْعِدَانِي بِعَبْرَةِ أَسْرَابِ (٣) مِنْ دُمُوعِ كَثِيرَةِ التَّسْكَابِ
إِنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ (٤) قَدْ تَرَكَونِي مَوْلَهَا مَوْلَعًا بِأَهْلِ الْحِصَابِ
أَهْلُ بَيْتٍ تَتَابَعُوا (٥) لِلْمَنَايَا مَا عَلَى الْمَوْتِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابِ
فَارْتَوْنِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا مَا لَمْ نَذَاقَ مَيْتَةً مِنْ إِيَابِ
كَمْ بِذَلِكَ الْحُجُونِ (٦) مِنْ حَيِّ صَدَقَ مِنْ كَهُولِ أَعْمَةٍ وَشَبَابِ
سَكَنُوا الْجَزْعَ جَزَعُ بَيْتِ أَبِي مُو سَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ صُفْنِي السَّبَابِ (٧)
فَلَيْ الْوَيْلُ بَعْدَهُمْ وَعَلَيْهِمْ صِرْتُ فَرْدًا وَمَلَّانِي أَصْحَابِي

قال ابنُ أبي دُبَايَ كُلُّ : فوالله ما تَمَّ صاحبه منها ثلاثاً حتى غَشِيَ على صاحبه ،
وأقبل يُصْلِحُ السَّرِجَ على بَعْلَتِهِ وهو غيرُ مُعَرَّجٍ عَلَيْهِ . فسألتَهُ من هو ؟ فقال :
رجلٌ من جُدَامٍ . قلتُ : بمن تُعَرِّفُ . قال : بعبدِ اللهِ بنِ المُنْتَشِرِ . قال : ولم يَزَلْ
القرشيُّ على حاله ساعة ، ثم أفاق .

ثم جعل الجُدَامِي يَنْصَحُ الْمَاءَ على وجهه ، ويقول كالمعاتب له : أنت أبدأ

(١) أعول : ارتفع بكاؤه والاسم العولة (٢) التحوب : التوجع (٣) أسراب : جمع سرب وهو الماء
السائل (٤) الحصاب : موضع الجمار (٥) التتابع : الوقوع في الشر من غير فِكر ولا روية
(٦) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها (٧) صفي السباب : موضع بمكة ، والمراد
بأبي موسى أبو موسى الأشعري .

مَصْبُوبٌ^(١) على نفسك ! وَمَنْ كَلَّمَكَ ما ترى ! ثم قرب إليه الفرس . فلما علام
استخرج الجذامى من خُرْج على بَعْلٍ قَدْحاً وإِدَاوَةَ ماء ، فجعل فى القَدْحِ تراباً من
تراب قبر ابن سريج وصبَّ عليه ماء من الإِدَاوَةِ . ثم قال : هاك فاشرب هذه
السَّلْوَةَ^(٢) فشرب . ثم فعل هو مثل ذلك وركب البغل وأرْدَفَنى .

فخرجنا والله ما يعرِّضان بذكر شىء مما كانا فيه ، ولا أرى فى وجوههما شيئاً
ما كنتُ أرى قبل ذلك .

فلما اشتمل علينا أبطح مكة قالوا : انزل يا خزاعى ! فنزلت وَأَوْمَأَ القى إلى
الجذامى بكلامٍ ؛ فمدَّ يده إلىَّ وفيها شىء فأخذته فإذا هو عشرون ديناراً . ومضيا .
فانصرفت إلى قبره ببعيرين فاحتملتُ عليهما أداة الراحلتين اللتين عقراهما
فبعتهما بثلاثين ديناراً !

(١) مصبوب على نفسك : أى محثوث على اتباعها تستغويك فتسلس لها القياد (٢) السلوة : أن
يؤخذ من تراب قبر ميت فينذر على الماء ويسقاه العاشق ليسلو .

١٨ - قوة وبطش *

كان هلال^(١) فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش أكثر الناس أكلاً وأعظّمهم في حرب غنّاء . وكان يرِدُّ مع الأبل فيأكل ما وجد عند أهله ، ثم يرجع إليها ولا يتروّد طعاماً ولا شراباً حتى يرجع يوم وُرودها ، لا يذوقُ فيما بين ذلك طعاماً ولا شراباً ، وكان عادى الخلق^(٢) ، لا تُوصف صِفته .

كان يوماً في إبل له ، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس مُخْتدِمِ الهاجرة ، وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كسائه ، ثم أدخل رأسه تحت كِسائه من الشمس ؛ فبينما هو كذلك إذ مرّ به رجلان : أحدهما من بني نهشل ، والآخر من بني فُقيّم ، كانا أشدّ تَمِيمِيَيْنِ في ذلك الزمان بطشاً ، وقد أقبلا من البحرين ، ومعهما أنواط^(٣) من تمر هجر^(٤) ، وكان هلالٌ بناحية الصّعب^(٥) .

فلما انتهيا إلى الإبل - ولا يعرفان هلالاً بوجهه ، ولا يعرفان أن الإبل له - نادياً : يا راعي ، أعندك شرابٌ تسقينا ؟ وهما يظنانه عبداً . فناداها هلال ورأسه تحت كِسائه : عليكما بالناقاة التي صفتها كذا في موضع كذا ، فأنيخاها ؛ فإن عليها وطبين^(٦) من لبن ، فاشربا منهما ما بدا لكما . فقال له أحدهما : ويحك ! انهض

* الأغاني ص ٥٣ ج ٣

(١) هلال بن الأسعر شاعر اشتهر في العصر الأموي ، وكان فارساً شجاعاً ومات نحو سنة ١٣٠ هـ
(٢) عادى الخلق : عملاق ضخم الجسم ، نسبة إلى عاد (٣) أنواط : جمع نوط ، والنوط : الجلة الصغيرة فيها التمر ونحوه (٤) هجر : قاعدة البحرين ، مشهورة بالتمر ، وقيل : ناحية البحرين كلها هجر (٥) الصعب : جبل بين اليمامة والبحرين (٦) الوطب : سقاء اللبن خاصة .

يا غلام فأْتِ بذلك اللبن ! فقال لها : إن تَكُ لَكِ حاجة فستأتيانها فتحدِرانِ (٢)
الوطيِّين فشر بان !

فقال أحدهما : إنك لغلِيظُ الكلام ، قم فاسقِنا ، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال . فقال لها - حيث قال له أحدهما : إنك لغلِيظُ الكلام - أراكِ والله ستلقين هواناً وصغاراً ؛ وسَمِماً ذلك منه ؛ فدنا أحدهما فأهوى له ضرباً بالسَّوْطِ على عَجْزِهِ وهو مضطجع ، فتناول هلالٌ يده فاجتذبه إليه ، ورماه تحت فخذِهِ ، ثم ضغطه ضَغْطَةً فنادى صاحبه : ويحك ! أغثني قد قتاني ! فدنا صاحبه منه ، فتناوله هلال أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذِهِ الأخرى . ثم أخذ برقبتهما فجعل يَصُكُّ برءوسهما بعضاً ببعض لا يستطيعان أن يمتنعاً منه .

فقال أحدهما : كُنْ هلالاً ولا نبالي ما صنعت ! فقال لها : أنا والله هلال ، ولا والله لا تفلتان مني حتى تُعْطِياني عهداً وميثاقاً لا تخيِّسان به (١) : لتأتيان المرَبْدَ (٢) إذا قدمتا البصرة ، ثم لتناديان بأعلى أصواتكما بما كان مني ومنكما .
فعاheadه وأعطياه نوْطاً من التمر الذي معهما ، وقدمتا البصرة ، فأتيا المرَبْدَ ، فناديا بما كان منه ومنهما .

(١) حذر الشيء : أنزله من علو (٢) لا تخيِّسان به : لا تغدران به ولا تتكئان
(٣) المرَبْد : موضع بالبصرة ، كان سوقاً للإبل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت
مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء .

١٩ — لاتعرضوا لهذا الشيطان *

حدّث خالد عن كُنيّف بن عبد الله المازني قال : كنتُ يوماً مع هلال ،
ونحن نبغى إبلا لنا . فدفعنا إلى قومٍ من بكر بن وائل وقد لغبنا^(١) وعطشنا ،
وإذا نحن بفتية شباب عند رَكِيّة^(٢) لهم وقد وردت إبلهم ، فلما رأوا هلالاً
استهولوا خلقه وقامته .

فقام رجلان منهم إليه ، فقال له أحدهما : يا عبد الله ، هل لك في الصّراع ؟
فقال له هلال : أنا إلى غير ذلك أحوج . قال : وما هو ؟ قال : إلى لبن وماء فإنني
لغبُ ظمآن . قال : ما أنت بذائق من ذلك شيئاً حتى تعطينا عهداً لتُجيبنا إلى
الصّراع إذا أرحت^(٣) ورويت .

فقال لهما هلال : إنني لكم ضيف ، والضيفُ لا يُصارع ربّ منزله ، وأنتم
مكتفون من ذلك بما أقولُ لكم : اعمدوا إلى أشدّ فحل في إبلكم وأهيبه صولة ،
وإلى أشدّ رجلٍ منكم ذراعاً . فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم
فلا يمتنعُ الرجل ولا البعير حتى أُدخِل يد الرجل في فم البعير ، فإن لم أفل ذلك
فقد صرعتموني . وإن فعلته علمت أن صراع أحدكم أيسرُ من ذلك .

فعبجوا من مَقالته تلك ، وأؤمّموا إلى فحلٍ في إبلهم هاجج صائلٍ قَطِم^(٤) . فأتاه

* الأغاني ص ٥٥ ج ٣

(١) لغب : تعب وأصابه الإعياء (٢) الركية : البئر (٣) أراح الرجل : رجعت إليه نفسه
بعد الإعياء (٤) القطم : الهائج .

هلال ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم . فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره ،
فضغطها ضَغْطَةً جَرَّجِرَ (١) الفحل واستخذى (٢) وَرَغَا . وقال : لِيُعْطِنِي من أَحْبَبْتُمْ
يده أو لِحَمَا في فم هذا الفحل .

فقال الشيخ : يا قوم تنكبوا هذا الشيطان ، فوالله ما سمعتُ الفلان (٣) (يعنى
هذا الفحل) جَرَّجِرَ منذ بزل (٤) قبل اليوم ، فلا تعرضوا لهذا الشيطان . وجعلوا
يتبعونه وينظرون إلى خطوه ويعجبون منه حتى جازهم .

(١) جر جر : ردد صوته في حنجرتة (٢) استخذى : خضع (٣) الفلان والفلانة : كناية
عن غير الآدميين ، تقول : ركبت الفلان وركبت الفلانة ، أما فلان وفلانة فهما كناية عن أسماء الآدميين
(٤) بزل البعير : دخل في سنته التاسعة .

٢٠ - هلال يصارع عبداً جباراً *

حرث من سمع هلالاً يقول : قدِمْتُ المدينةَ ، وعليها رجلٌ من آل مروان ، فلم أزل أضع عن إبلي ، وعليها أحمالٌ للتجار ، حتى أخذَ بيدي وقيل لي : أجب الأمير . قال : قلت لهم : ويلكم ! إبلي وأحمالي ؟ فقيل : لا بأس على إبلك وأحمالك . قال : فانطلقَ بي حتى أدخِلْتُ على الأمير ، فسلمتُ عليه ثم قلت : جُعِلْتُ فداك ! إبلي وأمانتي ! فقال : نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نوذِّبها إليك ؛ فقلت عند ذلك : فما حاجة الأمير إليّ ؟ جعلني الله فداه ! فقال لي - وإلى جنبه رجلٌ أصفر ، لا والله مارأيت رجلاً قط أشد خَلَقاً منه ، ولا أغلظ عنقاً ، ما أدري أطولُه أكثر أم عرضه - إن هذا العبد الذي ترى ، لا والله ماترك بالمدينة عربياً يُصارع إلا صرعه . وبلغني عنك قوّة فأردتُ أن يُجرى الله صرعَ هذا العبد على يدك ؛ فتدرك ماعنده من أوتار العرب .

قال : فقلت : جعلني الله فداه الأمير ، إني نَعِبُ نَصِبٌ جائعٌ . فإن رأى الأمير أن يدعني حتى أضع عن إبلي وأودى أمانتي وأريح^(١) يومي هذا وأجيئه غداً فليفعل . فقال لأعوانه : انطلقوا معه فأعينوه على الوضْعِ عن إبله وأداء أمانته ، وانطلقوا به إلى المطبخ فأشبعوه ؛ ففعلوا جميعاً ما أمرهم به . قال : فظَلِمْتُ بقيمة يومي ذلك ، وبتُّ ليلتي تلك بأحسن حالٍ شَبَعاً وراحةً وصلاحاً أمر ؛ فلما كان من الغد

* الأغاني ص ٥٦ ج ٣

(١) أراح فلان : رجعت إليه نفسه بعد الاعياء .

غدوتُ عليه وعلى جُبّة لي صوف وَبْتُ^(١) ، وليس على إزارٍ ، إلا أني قد شدتُ بهمامتي وسطى . فسأمتُ عليه فردّ عليّ السلام ، وقال للأصفر : قم إليه فقد أرى الله أنك بما يُخزِيك ، فقال العبد : انترز يا عرابي ، فأخذتُ بيّ فأترزتُ به على جُبّتي ؛ فقال : هيهات ! هذا لا يثبت ، إذا قبضتُ عليه جاء في يدي ؛ فقلت : والله مالي من إزار .

قال : فدعا الأمير بمحفّة مارأيت قبلها ولا عَلا جلدى مثلها ، فشدتُ بها على حَقْوِي^(٢) ، وخلعتُ الجُبّة .

قال : وجعل العبدُ يدور حولي ويريد ختلي وأنا منه وَجِل ، ولا أدري كيف أصنع به ، ثم دنا مني دَنَوَةً فَنَقَدَ^(٣) جِبّهِي بِظُفْرِهِ نَقْدَةً ظَنَنْتُ أَنه قد شَجَّنِي وَأَوْجَعَنِي . فغاضني ذلك ، فجعلتُ أنظر في خَلْقِهِ بِمِ أقبضُ منه . فما وجدتُ في خَلْقِهِ شيئاً أصغر من رأسه . فوضعتُ إبهامي في صُدْغِيهِ وَأصابعي الأخرى في أصل أذنيه . ثم غمزتُه غمزَةً صاح منها : قتلتنى ! قتلتنى ! فقال الأمير : اغمس رأس العبد في التراب . فقلت له : ذلك لك عليّ .

قال : فغمستُ والله رأسه في التراب ، ووقع شيها بالمغشي عليه ؛ فضحك الأمير حتى استلقى وأمر لي بجائزة وصلية وكسوة ، وانصرفت !

(١) البت : كساء غليظ مهلهل مربع أخضر (٢) الحقو : الحصر (٣) نقد الشيء : نقره بإصبعه .

٢١ — حديث عن الغريين *

قال المهدي ذات ليلة - وكان أميراً على الري من قبل أبيه المنصور: يا شريقي^(١)؛
أرح قلبي بشيء يلهيه! قال: نعم! أصلح الله الأمير^(٢):

ذكروا أنه كان في ملوك الحيرة ملك كان له نديمان، قد نزلوا من قلبه منزلة
مكينة، وكانا لا يفارقانه في لَهْوِه ومنامه ويقظته، وكان لا يقطعُ أمراً دونهما،
ولا يصدر إلا عن رأيهما، فغبر بذلك دهرًا طويلا.

فبينما هو ذات ليلة في شربه ولَهْوِه إذ غاب عليه الشراب؛ فأزال عقله، فدعا
بسيفه وانتصاه، وشدَّ عليهما فقتلها، وغلبته عيناه فنام.

فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بما كان منه، فأكبَّ على الأرض؛ عاضاً لها؛
تأسفاً عليهما، وجزعاً لفراقهما، وامتنع من الطعام والشراب، ثم حلف لا يشرب
شراباً يزُجج قلبه معاش! ووارها وبنى على قبريهما بناءين، وسماها الغريين^(٣)،
وسنَّ ألا يمرَّ بهما أحدٌ من الملِكِ فَنَ دونه إلا سجد لهما، وكان إذا سنَّ الملكُ
سنة توارثوها، وأحيوا ذكرها ولم يُميتوها، وجعلوها عليهم حكماً واجباً، وفرضاً لازماً،
وأوصى بها الآباءُ أعقابهم.

فغبر الناس بذلك دهرًا طويلا، لا يمرُّ أحدٌ من صغير ولا كبير إلا سجد لهما؛

* المعودى ص ٢٥٢ ج ٢، معجم البلدان ص ٢٨٣ ج ٦

(١) هو الشرقى بن القطامي (٢) كان المنصور قد ضم الشرقى بن القطامي إلى المهدي حين
خلفه بالري وأمره أن يأخذه بحفظ أيام العرب ومكارم الأخلاق ودراسة الأخبار وقراءة الأشعار
(٣) بناءً بالكوفة.

فصار ذلك سنة لازمة كالشريعة والفريضة ، وحُكِمَ فيمن أبى أن يسجد لهما بالقتل بعد أن يُحْكَمَ له بخصلتين يُجاب إليهما كأننا ما كان !

فمر يوماً قصار^(١) معه كارة ثياب ، وفيها مدقته^(٢) ، فقال الموكلون بالغريين للقصّار : اسجد ! فأبى أن يفعل . فقالوا له : إنك مقبول إن لم تفعل ؛ فأبى .

فرفعه إلى الملك ، وأخبروه بقصته ، فقال : ما منعك أن تسجد ؟ قال : سجدت ، ولكن كذبوا عليّ ! قال : الباطل قات . فاحتكم في خصلتين ؛ فأنت مجاب إليهما ، وإني قاتلك ! قال : لا بد من قتلي بقول هؤلاء ؟ قال : لا بد من ذلك ! قال : فإني أحتكم أن أضرب رقبة الملك بمدقتي هذه ! قال له الملك : يا جاهل ؛ لو حكمت على أن أُجرى على من تخاف وراءك ما يغنيهم كان أصلح لهم !

قال : ما أحكم إلا بضرية لرقبة الملك ! فقال الملك لوزرائه : ماترون فيما حكم به هذا الجاهل ؟ قالوا : نرى أن هذه سنة ، وأنت أعلم بما في نقض السنن من العار والنار وعظم الإثم ، وأيضا إنك متى نقضت سنة نقضت أخرى ، ثم يكون ذلك لمن بعدك كما كان لك ، فتبطل السنن !

قال : فارغبوا إلى القصّار أن يحكم بما شاء ويعفيني من هذه ؛ فإني أجيئه إلى ما شاء ، ولو بلغ حكمه شطراً ملكي ! فرغبوا إليه ، فقال : ما أحكم إلا بضرية في عنق الملك .

فلما رأى الملك ذلك وما عزم عليه القصّار ، قعد مقعداً عاماً ، وأحضر القصّار ، فأبدى مدقته ، وضرب بها عنق الملك ؛ فأوهنه ، وخر مغشياً عليه ! فأقام يشكو ما به سنة ، فلما أفاق وتكلم ، وأكل وشرب سأل عن القصّار ،

(١) القصّار : محور الثياب (٢) ما يدق به .

فقيل : إنه محبوبوس ؛ فأمر بإحضاره فحضر ؛ فقال : لقد بقيت لك خصلة فاحكم بها ،
فإني قاتلك لامحالة ؛ إقامةً للسنة ! قال القصارُ : فإذا كان لا بد من قتلي فإني أحكم
أن أضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرة أخرى !

فلما سمع الملك ذلك خرَّ على وجهه من الجزع ، وقال : ذهبت والله نفسي إذن ،
ثم قال للقصار : ويحك ! دَعْ عنك ما لا ينفعك ، فإنه لم ينفعك منه ماضى ، واحكُم
بغيره ، وأنفذه لك ، كأننا ما كان ! قال : ما أرى حتى إلا ضربةً أخرى !

فقال الملك لوزرائه : ماترون ؟ قالوا : هذا حقه ! قال : ويلكم ! إن ضُرب
الجانب الآخر ما شربت الماء البارد أبدا ؛ لأنى أعلم ما قد نالنى .

قالوا : فما عندنا حيلة !

فلما رأى ما قد أشرف عليه قال للقصار : أخبرنى ! ألم أكن قد سمعتك تقول
يوم أتى بك الموكِّلون بالغريين : إنك قد سجدت ، وإنهم كذبوا عليك ؟ قال :
قد كنتُ قلتُ ذلك فلم أصدق ! قال : فكنتَ سجدت ؟ قال : نعم ! فوثب من
مجلسه ، وقبَّل رأسه ، وقال : أشهدُ أنك صادق ، وأنهم كذبوا عليك ، وقد وليتكَ
مَوْضعهم ، وجعلتُ إليك أمرهم .

فضحك المهدي حتى فحص برجليه ، وقال : أحسنت ! ووصله !

٢٢ - العصا *

قال الشَّرْقِيُّ بن القَطَّامِي :

خرجتُ من الموصل أريدُ الرِّقَّةَ ^(١)؛ فصحبني فتى من أهل الجزيرة ، وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ، ومعه ^(٢) مِزْوَدٌ وَرِكْوَةٌ ^(٣) وعصا ، ورأيتُه لا يفارقها مُشاةً كُنَّا أَوْرُ كَبَانًا ؛ وهو يقول : إن الله جعلِ جِماعِ أمرِ موسى ، وأعاجيبه وبراهينه وما ربه في عصاه ؛ وجعل يكثرُ من هذا وأنا أضحك متهاوناً بما يقول .

فتخلف المُكَّارِيُّ فكان حمارُ الفتى إذا وقف أكرهه بالعصا ، ويقف حمارى ، ولا شيء في يدي ؛ فيسبقتني إلى المنزل فيستريح ويريح ، ولا أقدر على البراح حتى يوافيني المُكَّارِيُّ . فقلتُ : هذه واحدة !

ثم خرجنا من غَدِّ مُشاةً ؛ فكان إذا أعيأً توكأً على العصا ، واعتمد عليها ، ومرَّ كأنه سهمٌ زالَجٌ ^(٤) ، حتى انتهينا ، وقد تفسَّختُ من الكلال ، وإذا فيه فضلٌ كثيرٌ ؛ فقلتُ : وهذه أخرى !

فلما كان في اليوم الثالث هجمنا على حية منكورة ؛ فسارت إلينا ، فأسلمتهُ إليها ، وهربتُ منها ، فضرَّ بها بالعصا ؛ فقلتُ : هذه ثالثة !

* عيون الأخبار ص ١٣٩ ج ١

(١) الرِّقَّة : بلد على الفرات (٢) المزود : وعاء الزاد (٣) الرِّكْوَةٌ : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء (٤) زالَجٌ : مارق .

وخرجنا في اليوم الرابع ، وبنّا قَرَمَ^(١) إلى اللحم ، فاعترضتنا أرنب ؛ فحذفها بالعصا ، وأدركنّا ذكاتها فقلت : هذه رابعة !

فأقبلتُ عليه ؛ فقلت : لو أن عندنا ناراً ما أخرتُ أكلها إلى المنزل ! فأخرج عويداً من مزودته ثم حكه بالعصا ؛ فأورتُ إبراء المَرِّخ والعَفَّار^(٢) ، ثم جمع ما قدر عليه من العُتَاء^(٣) والحشيش ، وأوقد ناراً ، وألقى الأرنبَ في جوفها ، فأخرجناها ، وقد لزق بها من الرماد والتراب ما بَغَضَها إلىّ ؛ فعلقها بيده اليسرى ، ثم ضرب جُنُوبَها بالعصا ضرباً رقيقاً ، حتى انتثرَ كلُّ شيءٍ عليها ؛ فأكلناها ، وسكن القَرَمَ ، وطابت النفس ؛ فقلت : هذه خامسة !

ثم نزلنا بعضَ الخانات ، وإذا البيوتات مملوءة روثاً وتراباً ؛ فلم نجد موضعاً نَظَلَّ فيه ؛ فنظر إلى حديدة مطروحة في الدار ؛ فأخذها ، فجعل العصا نصاباً^(٤) لها ، ثم قام فجرف ذلك الروث والتراب ، وجرد الأرض ، حتى أظهر بياضها ، وطابت ريحها ، فقلت : وهذه سادسة !

ثم نزع العصا من الحديدة ؛ فأوتدها^(٥) في الحائط ، وعلق عليها ثيابه وثيابي ؛ فقلت : هذه سابعة !

فلما صرنا إلى مَفْرَقِ الطريقتين وأردتُ مفارقتَه ، قال لي : لو عدلتَ معي فبتُ عندي !

فعدلتُ معه ؛ فأدخلني منزلاً يتصل ببيعة ؛ فما زال يحدّثني ويطرّفني الليل

(١) قرم : شدة شهوة اللحم (٢) المرخ والعفار : المرخ : شجر شديد الوري . والعفار : شجر كذلك (٣) العتاء : البالي من روق الشجر الخياط زبد السيل (٤) النصاب : ما يمسكها به (كاليد للفأس) (٥) أوتدها : ثبتها .

كله ؛ فلما كان السحر أخذ العصا بعينها ، وأخذ خشبةً أخرى فقرع بها العصا ؛ فإذا ناقوس ليس في الدنيا مثله ، وإذا هو أحذقُ الناس به ، فقلت له : ويحك ! أما أنتَ بمسلم ! قال : بلى . قلت : فلم تضربُ بالناقوس ؟ قال : لأن أبي نصراني ، وهو شيخ كبير ضعيف ، وأنا أبرّه .

فإذا هو شيطان مارد ، وأظرف الناس ، وأكثرهم أدباً ؛ فخبّرتَه بالذي أحصيتُ من خصالِ العصا ، فقال : والله لو حدثتُك عن مناقبِ العصا ليلتةً إلى الصباح ما استنفدتُها .

٢٣ — ضرار بن القعقاع *

زعم الأصمعي^(١) أن حرباً كانت بالبادية ، ثم اتصت بالبصرة ؛ فتفانم الأمر فيها ، ثم مشى بين الناس بالصُّلح ؛ فاجتمعوا في المسجد الجامع .
قال : فَبُعِثْتُ وَأَنَا غلام إلى ضرار بن القعقاع من بني دارم ؛ فاستأذنتُ عليه . فَأَذِنَ لِي ، فدخلتُ فإذا به في شَمَلَةٍ^(٢) يَخْلُطُ بَزْرًا لِعَنْزٍ لَهُ حُلُوبٍ ؛ فَخَبَّرْتُهُ بِمُجْتَمَعِ الْقَوْمِ ؛ فَأَمْهَلَ حَتَّى أَكَلَتِ الْعَنْزُ ، ثُمَّ غَسَلَ الصَّحْفَةَ^(٣) وصاح : يا جاريةُ غدينا . فَأَتَتْهُ بَزِيْتُ وَتَمْرٌ . فدعاني فَقَدَرْتُهُ^(٤) أَنْ أَكَلَ مَعَهُ ، حتى إذا قَضَى مِنْ أَكْلِهِ حَاجَةً ، وَثَبَ إِلَى طِينٍ مُلَقَى فِي الدَّارِ ؛ فغسلَ بِهِ يَدَهُ ، ثم صاح : يا جارية اسقيني ماء ؛ فَأَتَتْهُ بِمَاءٍ فَشَرِبَهُ ، وَمَسَحَ فَضْلَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، ثم قال : الحمد لله ؛ ماء الفراتِ بتمر البصرة بزيتِ الشام . متى نُؤَدِّي شُكْرَ هَذِهِ النِّعَمِ ! ثم قال : يا جارية على بردائي فَأَتَتْهُ بِرِداءٍ عَدَنِيٍّ ؛ فَأَرْتَدَيْتُ بِهِ عَلَى تِلْكَ الشَّمَلَةِ .
قال الأصمعي : فَتَجَافَيْتُ عَنْهُ اسْتِهْبَاحًا رِزِيَّةً .

فلما دخل المسجد صلى ركعتين ، ثم مشى إلى القوم ، فلم تَبَقْ حُبُوءَةٌ إِلَّا خَاتَتْ ؛
إِعْظَامًا لَهُ ! ثم جاس فتحمّل جميع ما كان بين الأحياء^(٥) في ماله ، وانصرف !

* الكامل للمبرد ص ٨١ ج ١

(١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، اشتهر بالرواية والتضاع من اللغة توفي سنة ٢١٦ هـ

(٢) الشملة : كساء يشتمل به (٣) الصفحة : كالفصحة (٤) استقدرته وكرهته (٥) الأحياء :

جمع حي ، وهو البطن من بطون العرب .

الباب الثاني

القصص التي تصف أحوال المرأة العربية ، وما تجرى عليه في تربية أطفالها ، ومعاشرتها زوجها ، ومعاونتها له في الحياتين : الاجتماعية والمدنية ، بالسعي معه في سبيل الرزق ، والاشتراك في خوض معامع الحروب ، والأخذ بقسط من الثقافة الأدبية السائدة في ذلك العهد .

٢٤ - مَصْرَعُ الزَّبَاءِ *

كان جذيمة^(١) قد ملك ما على شاطئ الفرات، وكانت الزباء ملكة الجزيرة ، وكان جذيمة قد وترها بقتل أبيها ، فلما استجمع أمرها ، وانتظم شملُ ملكها ، أحببت أن تغزو جذيمة . ثم رأت أن تكتب إليه : إنها لم تجد ملك النساء إلا قبجاً في السماع ، وضعفاً في السلطان ، وأنها لم تجد لملكها موضعاً ، ولا لنفسها كفوئاً غيرك ، فأقبل إلى الأجمع ملكي إلى ملكك ، وأصل بلادى ببلادك ، وتقلد أمرى مع أمرك .

فلما أتى كتابها جذيمة ، وقدم عليه رسلها استخفه مادعته إليه ، ورغب فيما أطعمته فيه ؛ فجمع أهل الحجا والرأى من ثقاته - وهو يومئذ ببقة من شاطئ الفرات - وعرض عليهم مادعته إليه وعرضت عليه ؛ فاجتمع رأيهم على أن يسير إليها فيستولى على ملكها .

وكان فيهم قصير - وكان أريباً حازماً أثيراً عند جذيمة - فخالفهم فيما أشاروا به ، وقال : رأى فاتر ، وغدر حاضر^(٢) . ثم قال لجذيمة : الرأى أن تكتب إليها ، فإن كانت صادقة في قولها فلتقبل إليك ، وإلا لم تمككنها من نفسك ، ولم تقع في حبائتها ، وقد وترتها وقتلت أباه ؛ فلم يوافق جذيمة وقال له : رأيك في السكن لا في الضح^(٣) .

* مجمع الأمثال ص ٢١٣ ج ١ ، جمهرة الأمثال ص ٦٢

(١) انظر صفحة ٢ من هذا الجزء (٢) ذهب مثلاً (٣) الضح : الشمس وضوءها ، والسكن : وقاء كل شئ ، وستره ، ذهب مثلاً .

ودعا جذيمة عمرو بن عدى ابن أخته فاستشاره ، فشجّعه على المسير ، وقال :
إن قومي مع الزباء ولوراوك صاروا معك ؛ فأحبّ جذيمة ما قاله ، وعصا قصيراً ،
فقال قصير : لا يُطَاعُ لقصيرٍ أمر^(١) .

واستخلف جذيمة عمرو بن عدى على ملكه وسلطانه ، وسار في وُجوه
أصحابه ، فأخذ على شاطئ الفرات من الجانب الغربي ؛ فلما نزل دعا قصيراً فقال :
مالرأى يا قصير ؟ فقال قصير : ببقة خلّفتُ الرأى^(١) . قال : وما ظنك بالزباء ؟ قال :
القول رداف ، والحزم عثراته تخاف^(١) .

واستقبلته رُسل الزباء بالهدايا والألطاف ، فقال : يا قصير ؛ كيف ترى ؟ قال :
خطبٌ يسير في خطب كبير^(١) . وستلثاك الجيوش ، فإن سارت أمامك فالمرأة
صادقةٌ ، وإن أخذتُ جنبتيك ، وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك ،
فاركب العصا^(٢) فإنها لا يشقّ غبارها - وكانت العصا فرساً لجذيمة لا تجارى -
وإني راكبها ومُسايرك عليها .

فلقيته الخيولُ والكتائب ، فحالت بينه وبين العصا ؛ فركبها قصير ، ونظر
إليه جذيمة على متن العصا مولياً ، فقال : ويل أمه حزماً على متن العصا^(١) .
وجرت به إلى غروب الشمس ثم نفقت ، وقد قطعت أرضاً بعيدة .

وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيلُ حتى دخل على الزباء . فلما رآته قالت :
أشوار^(٣) عروس ترى ؟ فقال : أمر غدرٍ أرى . ثم دعت بالسيف والنطع ، وقالت :
إن دماء الملوك شفاء من الكلب ، فأمرت بطست من ذهب قد أعدته له ، وسقته

(١) ذهب أمثالا (٢) العصا : اسم الفرس (٣) الشوار : الهيئة والزينة .

الخمُر حتى سكر ، وأخذتُ منه الخمرُ مأخذها ، فأمرتُ بِرأهيشيه^(١) ففُطِعا ،
وقدّمتُ إليه الطستُ - وقد قيل لها : إن قَطَرَ من دمه شيء في غير الطستِ طَلِبْ
بدمه - فلما ضعفتُ يداه سقطتَا فقطر من دمه في غير الطستِ ؛ فقالت : لا تُضَيِّعُوا
دمَ الملك . فقال جديمة : دَعُوا دَمًا ضَيِّعه أهله^(٢) ؛ فهلك جديمة .

وخرج قصير من الحَيِّ الذي هلكت العصا بين أظهرهم ، حتى قدم على عمرو
ابن عدى - وهو بالحيرة - فقال له قصير : أثنأثر أنت ؟ قال : بل ثأثر سائر^(٣) .

ووافق قصيرُ الناسَ وقد اختلفوا ، فأصلح بينهم ، ثم قال لعمرو بن عدى :
تهيباً واستعد ، ولا تطان^(٣) دمَ خالك . قال : وكيف لي بها وهي أمتعُ من
عُقَابِ الجَوِّ^(٢) ؟

وكانت الزباء سألتُ كاهنةً لها عن هلاكها ؛ فقالت : أرى هلاكك بسبب
غلام مهين غير أمين ، وهو عمرو بن عدى ، ولن تموتى بيده ، ولكن حتفك
بيدك ، ومن قبله ما يكون من ذلك .

فحدرتُ عمراً ، واتخذتُ لها نفقاً من مجلسها الذي كانت تجاسُ فيه إلى حصن
لها في داخل مدينتها ، وقالت : إن فاجأني أمرٌ دخاتُ النفقِ إلى حصني ؛ ودعتُ
رجلاً مصوراً من أجود أهل بلاده تصويراً ، وأحسنهم عملاً ، فجهزته وأحسنته
إليه ، وقالت : سرّ حتى تقدم على عمرو بن عدى متنكراً ، فتخلو بحشمه فتضم
إليهم ، وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور ، ثم أثبت لي عمرو بن عدى
معرفة ؛ فصوره جالساً وقائماً وراكباً ومُتَفَضِّلاً ومتسلحاً بهيئته ولبسته ولونه ، فإذا
أحكمت ذلك فأقبل إلي .

(١) الراهشان : عرفان في باطن النراعين (٢) ذهب أمثالا (٣) طل دمه : هدر أو ألا يثار به .

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدى ، وصنع الذى أمرته به الزباء ، وبلغ من ذلك ما أوصته به ، ثم رجع إلى الزباء يعلم ما وجهته له من الصورة على ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرو بن عدى ، فلا تراه على حال إلا عرفتة وحذرتة ، وعلمت علمه .

وقال قصير لعمر بن عدى : اجدع أنفى ، واضرب ظهري ، ودعنى وإياها . فقال عمرو : ما أنا بفاعل ، وما أنت لذلك مستحقاً عندى . فقال قصير : خل عنى إذن وخلاك ذم^(١) . فقال له عمرو : فأنت أبصر . فجدع أنفه وأثر آثاراً بظهره ؛ فقالت العرب : لأمر ما جدع قصير أنفه^(١) .

ثم خرج قصير كأنه هارب ، وأظهر أن عمرأ فعل ذلك به ، وأنه زعم أنه مكر بخاله جذيمة وغره ؛ فسار حتى قدم على الزباء ، فقيل لها : إن قصيراً بالباب . فأمرت به فأدخل ، فإذا أنفه قد جدع ، وظهره قد ضرب ؛ فقالت : ما الذى أرى بك يا قصير ؟ قال : زعم عمرو أنى قد غرت خاله ، وزينت له المصير إليك وغششته ومالاتك ؛ ففعل بى ما ترى . فأقبأت إليك ؛ فأكرمته ، وأصابته عنده من الحزم والرأى ما أرادت .

فلما عرف أنها استرست إليه ، ووثقت به قال : إن لى بالعراق أموالاً كثيرة وطرائف وثياباً وعطراً فابعثنى إلى العراق ؛ لأحمل مالى وأحمل إليك من بزها^(٢) وطرائفها وثيابها وطيبها ، لتصيبى من ذلك أرباحاً عظيمة ، وبعض مالا غنى للملوك عنه ؛ وكان أكثر ما يطررها من الصرفان^(٣) ، وكان يعجبها ، فلم يزل يزىن ذلك حتى أذنت له ، ودفعت إليه أموالاً ، وجهزت معه عبيداً .

(١) ذهب أمثالا (٢) البر : الثياب (٣) الصرفان : تمر رزىن صلب .

فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق ، وأتى الخيرة متنكراً ، فدخل على عمرو بن عدى ، فأخبره الخبر ، وقال : جهزنى بصنوف البزّ والأمتعة لعل الله يمكن من الزباء ؛ فتصيب ثأرك ، وتقتل عدوك ؛ فأعطاه حاجته .

فرجع بذلك إلى الزباء ؛ فأعجبها ما رأته وسرها ، وازدادت به ثقة ، وجهازته ثانية ؛ فسار حتى قدم على عمرو ، فجهزه وعاد إليها .

ثم عاد الثالثة وقال لعمرو : اجمع لى ثقات أصحابك ، وهى الغرائر واحمل كل رجلين على بعير فى غرارتين ، فإذا دخلوا مدينة الزباء أقمتك على باب نفعها ، وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة ، فمن قاتلهم قتلوه ؛ وإن أقبلت الزباء تريد النفق جلتها بالسيف .

ففعل عمرو ذلك ، وحمل الرجال فى الغرائر بالسلاح ، وسار يكمّن النهار ويسرى بالليل ، فلما صار قريباً من مدينتها تقدّم قصير فبشّرها ، وأعلمها بما جاء به من المتاع والطرائف ، وقال لها : آخر البزّ على القلوص^(١) . وسألها أن تخرج فتتنظر إلى ما جاء به ، وقال لها : جئت بما صاء وصمت^(٢) .

ثم خرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ فى الأرض من ثقل أحمالها ، فقالت : يا قصير ؛

مال للجمال مشيهاً وثيداً أجندلاً يحملن أم حديدا

أم صرّفاناً تارزاً^(٣) شديدا

(١) ذهب مثلاً ، والبز : الثياب ، والقلوص : الأثني من الإبل الشابة (٢) صاء : أراد بما صاء : الشاء والإبل ، وبما صمت : الذهب والفضة ، وهو يريد أنه جاء بكل شيء ، وقد ذهب مثلاً (٣) التارز : اليايس .

فقال قصير في نفسه : بل الرجال قبيحاً قعوداً .

فدخلت الإبل المدينة حتى كان آخرها بعيراً مر على بواب المدينة ، وكانت بيده منخسة ؛ فنخس الغرارة ، فأصابت خاصرة الرجل الذي فيها فسمع له صوتاً ؛ فقال : شرٌّ في الجواق (١) .

فلما توسطت الإبل المدينة أُنِيخت ، ودل قصير عمراً على باب النفق الذي كانت الزباء تدخله ، وأرته إياه قبل ذلك ، وخرج الرجال من الغرائر ، فصاحوا بأهل المدينة ، ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب النفق ، وأقبلت الزباء تريده ، فأبصرت عمراً فعرفتته بالصورة التي صوّرت لها ؛ فمضت خاتماً - وكان فيه السم - وقالت : بيدي لا بيد عمرو (١) . وتلقاها عمرو فجلّها بالسيف وقتلها ، وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها ، وانكفاً راجعاً إلى العراق .

(١) ذهب أمثالا .

٢٥ — قَبِّحَ اللهُ جَمَالاً لَا نَفْعَ فِيهِ *

كانت عَمْتَةُ بنت مطرود البَجَلِيَّة ذات عقل ورأى مُسْتَمِع في قومها ، وكانت لها أخت يقال لها خَوْد ذات جمال وميَّسَم وعقل ، ثم إنَّ سبعة إخوة من الأزْد خطبوا خَوْدَ إلى أبيها ، فأتوه وعليهم الحُللُ اليمانية ، وتحتمهم النَّجائبُ الفُرَّة^(١) . فقالوا : نحن بنو مالك بن غُفَيْلَةَ . فقال لهم : انزلوا على المساء ، فنزلوا ليلتهم ، ثم أصبحوا غادين في الحُللِ والهَيْئَةِ ، ومعهم ربيبة^(٢) لهم كاهنة يقال لها الشَّعْثَاءُ .

فمروا بوصيدها^(٣) ، يتعرضون لها وكلهم وسيمٌ جميلٌ ، وخرج أبوها فجلسوا إليه ، فرحَّب بهم ، فقالوا : بلغنا أن لك بنتاً ، ونحن كما ترى شباب . وكلُّنا يمنع الجانب ويمنح الراغب . فقال أبوها : كلِّم خيَّار . فأقيموا حتى نرى رأينا .

ثم دخل على ابنته فقال : ماترين ؟ فقد أتاك هؤلاء القوم ؟ فقالت : زوَّجني على قَدْرِي ، ولا تَشْطُطْ في مَهْرِي فإنَّ تخطئني أحلامهم لا تخطئني أجسامهم . لعلى أصيب ولداً ، وأُكثِرُ عدداً .

فخرج أبوها ، فقال : أخبروني عن أفضلكم . قالت ربيبتهم الشَّعْثَاءُ الكاهنة : اسمع أخْبِرَكَ عنهم : هم إخوة ، وكلُّهم أسوة . أما الكبيرُ فمالك ، جرىء فاتك ، يُتَعَبُ السَّنَابِكُ^(٤) ، ويستصغر المِهالِك . وأما الذي يليه فالعَمْرُ ،

* مجمع الأمثال ص ٩٠ ج ١

(١) فره : جمع فاره ، وهو من الدواب الجيد السير النشيط الخفيف (٢) الربيبة : الحاضنة

(٣) الوصيد : الغناء (٤) السنايك : أطراف حوافر الخيل .

بحر غمر^(١) ، يقصدونه الفخر ، نهْد^(٢) صقر . وأما الذى يليه فعلقة ، صليب^(٣) المعجمة ، مَنِيعُ المُشْتَمَةِ ، قليلُ الجَمْجَمَةِ^(٤) . وأما الذى يليه فعاصم ، سيّدُ ناعم ، جلدُ صَارِمٍ ، أبى حازم ، جيشه غانم ، وجارُه سالم . وأما الذى يليه فشَوَابٌ ، سريعُ الجواب ، عَتِيدُ الصواب ، كريمُ النصاب^(٥) ، كَلَيْثُ الغاب . وأما الذى يليه فمُدْرِكٌ ، بذولُ لما يملك ، عزوب^(٦) عَمَّا يُتْرَكُ ، يُفْنِي وَيُهْلِكُ .
وأما الذى يليه فجنْدَلٌ ، لِقِرْنِهِ مُجْدَلٌ^(٧) ، مُقْلٌ لما يَحْمِلُ ، يعطى وَيَبْدُلُ ، وعن عدوه لا يَنْكُلُ^(٨) .

فشاورت أختها عثمة فيهم ، فقالت : ترى الفتیان كأننخل ، وما يدريك ما الدَّخْلُ^(٩) ، اسمعى منى كلمة : إن شرَّ الغريبة يُعْلَنُ ، وخيرها يُدْفَنُ ، تزوجى فى قومك ، ولا تَعْرُرِكِ الأجسام .

فلم تقبل منها ، وبعثت إلى أبيها : زوجنى مُدْرِكًا ، فتمَّ ذلك على مائةِ ناقةٍ ورعاتها . وحملها مُدْرِكٌ ، فلم تلبثُ عنده إلا قليلا حتى صَبَّحَهُمْ فوارسٌ من بنى مالك ابن كنانة . فاقتتلوا ساعة . ثم انكشف عنها زوجها وإخوته وعشيرته . فسُبِّيتُ فيمن سُبِّين من النساء .

فبينما هى تسير بَكَّتْ ، فقالوا : ما يبكيك ؟ أعلى فراق زوجك ! قالت : قَبَّحَ اللهُ جمالا لا نَفْعَ معه ، إنما أبكى على عِصْيَانِي أختى فى قولها : « ترى الفتیان

(١) الغمر : معظم البحر (٢) النهْد : الأسد والكريم (٣) الصليب : الشديد
(٤) قليل الجمجمة : كلامه بين (٥) النصاب : الأصل (٦) عزوب : بعيد (٧) جده :
صرعه على الجدالة (الأرض) (٨) لا ينكل : لا يجبن (٩) ذهبت مثلا . يضرب لمن له
منظر ولا منظر له .

كالنخل ، وما يدريك ما الدخل » ، وأخبرتهم كيف خطبوها .
فقال لها رجل منهم - يكنى أبا نُوَاس - شابُّ أسود أفوه ^(١) مضطرب
الخلق - أترضينَ بي على أن أمنعك من ذئاب العرب ؟ فقالت لأصحابه :
أ كذلك هو ؟ قلوا : نعم ، إنه مع ما ترين أيمنعُ الحليَّةَ ^(٢) ، وتتقيهِ
القبيلة .

قالت : هذا أجمل جمال ، وأكمل كمال ! قد رضيتُ به ؛ فزوجهَا منه .

(١) رجل أفوه : عظيم الفم (٢) الحليَّة : الزوجة .

٢٦ - أفضل النساء وأفضل الرجال *

خرجت العجفاء بنتُ عَلْقَمَةَ السعدى وثلاثُ نسوةٍ من قومها ، وتواعدنَ روضةً يتحدثنَ فيها ، فوافين بها ليلاً في قمر زاهر ، وليلة طَلْقَةَ ساكنة ، وروضة مَعْشَبَةَ خصبة .

فلما جلسنَ قُلْنَ : مارأينا كالليلة ليلةً ، ولا كهذه الروضة روضة أُطِيبَ ريحاً ولا أنضُر . ثم أَفْضَنَ في الحديث ، فقلن : أى النساء أفضل ؟ قالت إحداهن : الخُرُود^(١) الودود الودود . قالت الأخرى : خيرهن ذات الغنَاء وطيبِ الثناء وشدةِ الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السَّمُوع^(٢) ، النفوع غير المنوع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعةُ لأهلها ، الوادعة ، الرافعة لا الواضعة .

قلن : فأى الرجال أفضل ؟ قالت إحداهن : إن أبى يكرم الجار ، ويعظمُ النار ، وينحر العِشْكَار^(٣) بعد الحُوار^(٤) ، ويحمل الأمور السكبار ، ويأنف من الصغار .

فقالت الثانية : إن أبى عظيمُ الخطر ، منيعُ الوزر^(٥) ، عزيزُ النَّفَرِ ، يُحمد منه الورد^(٦) والصدَّر .

* مجمع الأمثال ص ٧٢ ج ٢

(١) الخرود : الحية الطويلة السكوت (٢) السموع : التى تسمع القول (٣) العشار : جمع عشراء ، وهى الناقة التى مضى لملها عشرة أشهر (٤) الحوار : ولد الناقة ساعة تضعه أو إلى أن يفصل عن أمه (٥) الوزر : اللجأ (٦) الورد : الإشراف على الماء ، والصدر : العودة من الاستقاء .

فقال الثالثة : إن أبي صدوق اللسان ، حديد الجنان ، كثير الأعوان ، يُروى
السَّنَانُ عند الطَّعَانِ .

قالت الرابعة : إن أبي كريم النَّزَالِ ، مُنِيفٌ^(١) المقال ، كثيرُ النَّوَالِ ، قليلُ
السُّوَالِ ، كريمُ الفَعَالِ .

ثم تنافرن^(٢) إلى كاهنة معهن في الحى ، فقلن لها : اسمعى ما قلنا ، واحكمى
بيننا واعدلى ، ثم أعدن عليها قولهن ، فقالت لهن : كل واحدةٍ منكن ماردة^(٣) ،
بأبيها واجدة^(٤) ، على الإحسان جاهدة ، لصواحباتها حاسدة ؛ ولكن اسمعن قولى :
خير النساء المبقيةُ على بعلها ، الصابرةُ على الضراء مخافةُ أن ترجعَ إلى أهلها ؛
فهى تُؤثر حظَّ زوجها على حظِّ نفسها ، فتلك الكريمة الكاملة ؛ وخير الرجال
الجواد البطل ، القليل الفشل ، إذا سأله الرجل ألقاه قليل العِللِ ، كثير النَّفْلِ^(٥) ،
ثم قالت : « كلُّ فتاةٍ بأبيها معجبة^(٦) » .

(١) منيف المقال : مرتفع (٢) تنافرن : ذهبن وتحاكن (٣) ماردة : عاتية قد بلغت الغاية
(٤) وجد به : أحبه (٥) النفل : العطية (٦) ذهبت مثلا .

٢٧ — نكبة جلييلة بنت مرّة *

كانت جلييلة بنت مرّة أختُ جساس زوجا لكليب^(١) بن ربيعة ؛ فلما قتل جساس^(٢) كليباً اجتمع نساء الحى للمأتم ، فقلن لأخت كليب : رحلى جلييلة عن مأتمك ؛ فإن قيامها فيه شامةٌ وعارٌ علينا عند العرب ؛ فقالت لها : ياهذه اخرجى عن مأتمنا ، فأنت أختُ واترنا ، وشقيقةُ قاتلنا ؛ فخرجت وهى تجرّ أعطافها ؛ فلقبها أبوها مرّة ، فقال لها : ما وراءك يا جلييلة ؟ فقالت : تُكل العدد ، وحرزن الأبد ، وفقد حليل ، وقتل أخ عن قليل ، وبين ذين غرسُ الأحقاد ، وتقتت الأكباد ؛ فقال لها : أويكفُ ذلك كرمُ الصفع وإغلاء الديات ؟ فقالت جلييلة : أمنيّةٌ مخدوع وربّ الكعبة ! أبا بُدن^(٣) تدع لك تغلب دم ربّها !

ثم بلغ جلييلة أن أخت كليب قالت حين رحلت : رحلة المعتدى وفراق الشامت ، ويلٌ غداً لآل مرّة من الكرّة بعد الكرّة ! فقالت : وكيف تشمت الحرّة بهتك سترها ، وترقب وترها ! أسعد الله جدّ أختى ، أفلا قالت : نفرة الحياء وخوف الاعتداء ! ثم أنشأت تقول :

* الأغاني ص ٦٣ ج ٥ ، نهاية الأرب ص ٢١٤ ج ٥ ، ابن الأثير ص ٢١٦ ج ١ ، مهذب الأغاني ص ٨٥ ج ١

(١) كان كليب بن ربيعة سيد ربيعة ، ينزلهم ويرحلهم ، ولا يصدرون فى شيء إلا عن أمره ، ولا يخرج أحد من بكر وربيعة إلا بإذنه ، وكان يحمى الصيد وحياض الماء ، وضرب به المثل فقالوا : أعز من كليب (٢) كان لجساس خالة من بنى سعد جاورت بنى مرّة ، فنزلت على جساس ابن أختها ، ومعه ناقة فندت الناقة يوماً ، فدخلت فى إبل كليب ترعى فى حماء ، فنظر إليها فأنكرها ورماها بسهم فى ضرعها ، فولت حتى بركت بفناء صاحبها ، وضرعها يشخب دما ، فصاحت : واذا له : فقتل جساس كليباً لذلك ، وقتل جساس نحو سنة ٨٥ ق . هـ (٣) البدن : جمع بدنة تكونون من الإبل والبقر .

يابنة الأقوم إن شئت فلا
فإذا أنت تبيننت الذي
إن تكن أخت امرئ ليمنت على
جلّ عندي فعلُ جساس فيأ
فعلُ جساسٍ على وجدى به
تحملُ العينُ قذى العينِ كما
ياقتيلاً قوضَ الدهرُ به
هدم البيتَ الذي استحدثته
يانسأى دونكُنَّ اليومَ قد
خصنى قتلُ كليبٍ بلظى
ليس من يبكى ليومين كمن
يشقى المدركُ بالثارِ وفي
ليته كان دمي فاحتلبوا
إننى قاتلةٌ مقتولةٌ

تعجلى باللوم حتى تسألى
يوجب اللوم فلومي واعدلى
شفقٍ منها عليه فافعلِي
حسرتي عما أنجلت أو تنجلي
قاطعُ ظهري ومُدنُ أجلي
تحمل الأم أذى ما تقتلي (١)
سقفَ بيتيَّ جميعاً من علِ
وانثنى في هدم بيتي الأولِ
خصنى الدهرُ برزءٍ مُعضلِ
من ورأى ولظى مستقبلِ
إنما يبكى ليومٍ ينجلي
دركى ثأرى ثكلُ المشكلِ (٢)
بدلاً منه دماً من أكلِ (٣)
ولعلَّ الله أن يرتاح لي

(١) تقتلي : تربي (٢) المشكل : التي لازمها الحزن (٣) الأكل : عرق في الذراع يفصد .

٢٨ — كأنما تزوجت بنت قيس بن خالد ! *

كان زرارة بن عدس رجلاً شريفاً ، فنظر ذات يوم إلى ابنه لقيط ، فرأى منه خيلاء ونشاطاً ، وقد جعل يضربُ غلمانه — وهو يومئذ شاب — فقال له : لقد أصبحتَ تصنع صنيعاً كأنما جئتني بمائةٍ من هجان^(١) ابن المنذر بن ماء السماء أو تزوجت بنت قيس بن خالد ! قال لقيط : لله على ألا يمس رأسي غسل ، ولا آكل لحماً ، ولا أشربُ خمرًا حتى أجمعهما جميعاً أو أموت .

فخرج لقيط ومعه ابنُ خال له يقال له القراد بن إهاب ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بني شيبان ، فسأما على ناديمهم ، ثم قال لقيط : أفيكم قيس بن خالد ؟ — وكان سيدَ ربيعة يومئذ — قالوا : نعم . قال : فأبيكم هو ؟ قال قيس : أنا قيس ، فما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً ابنتك — وكانت على قيس يمينٌ ألا يخطبَ إليه أحد ابنته علانية إلا أصابه بشرٌ ، وسمع^(٢) به — فقال له قيس : ومن أنت ؟ قال : أنا لقيط بن زرارة بن عدس . قال قيس : عجباً منك ! هلا كان هذا بيني وبينك ؟ قال : لم ياعم ؟ فوالله إن فيك لرغبة ، وما بي من عيب ، ولئن ناجيتك لا أخدعك ، ولئن عالنتك لا أفضحك . فأعجبَ قيساً كلامه وقال : كُفء كريم ، إني قد زوجتك ومهرتك مائة ناقة ليس فيها ناب ولا كزوم^(٣) ، ولا تبيت عندنا عزباً ولا محروماً .

* الأغاني ص ١٣٠ ج ١٩ ، الأمثال ص ١٥٣ ج ٢

(١) إبل هجان : بيض كرام (٢) سمع به : فضحه وشمته (٣) الباب : الناقة المسنة ، والكزوم : ناقة ذهبت أسنانها هرماً .

ثم أرسل إلى أم الجارية : إني قد زوجت لقيط بن زرارة ابنتي فلانة فاصنعها ،
واضربي لها ذلك البلق^(١) ؛ فإن لقيط بن زرارة لا يبيت فينا عزباً .

وجلس لقيط يتحدث معهم ، فذكروا الغزو ، فقال لقيط : أما الغزو فأرداها
للِّقاح ، وأهزلها للجمال ، وأما المقام فأسمنها للجمال ، وأحبها للنساء . فأعجب ذلك
قيساً ، وأمر لقيطاً فذهب إلى البلق فجلس فيه ، وبمشت إليه أم الجارية بمجمرة
وبخور ، وقالت للجارية : اذهبي إليه فوالله لئن ردّها ما فيه خير ؛ فلما جاءته الجارية
بالمجمرة بخرّ شعره ولحيته ، ثم ردّها عليها ، فلما رجعت الجارية إليها خبرتها بما صنع ،
فقالت : إنه خليق للخير .

فلما أمسى لقيط أهديت الجارية إليه ، فمزحها بكلام اشمأزت منه ، فنام
وطرح عليه طرف خميصة^(٢) ، وباتت قريباً منه .

فلما استنقل انسلت فرجعت إلى أمها ، فانتبه لقيط فلم يرّها ، فخرج حتى أتى
ابن خاله قراداً وهو في أسفل الوادي ، فقال : ارحل بعيرك^(٣) ، وإياك أن يُسمع
رُغَاؤها .

فتوجها إلى المنذر بن ماء السماء ، وأصبح قيس ففقد لقيطاً ، فسكت ولم يدِرِ
ما الذي ذهب به ، ومضى لقيط حتى أتى المنذر ، فأخبره ما كان من قول أبيه
وقوله ، فأعطاه مائة من هجائنه^(٤) ، فبعث بها مع قراد إلى أبيه زرارة ، ثم مضى
إلى كسرى فكسّاه وأعطاه جوهرًا ، ثم عاد إلى قيس بن خالد فجهّز بنته ، ولما
أرادت الرحيل قال لها : يابنية ، كوني لزوجك أمةً يكن لك عبداً ، وليكن أكثر

(١) البلق : الفسطاط (٢) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان (٣) البعير : الجمل
البازل أو الجذع وقد يكون للأثني ، ورحل البعير : حط عليه الرحل (٤) هجانه .

طبيك الماء ، فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء ، واعلمى أن زوجك فارس مضر ،
وأنه يوشك أن يُقتل أو يموت ، فلا تخمشى عليه وجهاً ، ولا تحلقى شعراً ، قالت له :
أما والله لقد رببتنى صغيرة ، وأقصيتنى كبيرة ، وزودتني عند الفراق شرّاً زاد .
وارتحل بها لقيط ، فجعلت لا تمر بحجٍّ من أحياء العرب إلا قالت : يالقيط ،
أهؤلاء قومك ؟ فيقول : لا ، حتى طلعت على محلة بنى عبد الله بن دارم ، فرأت
القباب والخيل العراب ؛ فقالت : يالقيط ، أهؤلاء قومك ؟ قال : نعم ، فأقام أياماً
يُطعم وينحر ، ثم أقامت عنده حتى قُتل يوم جبلة^(١) .

فبعث إليها أبوها أخاً له لتحمل إليه ، فلما ركبت أقبلت حتى وقفت على
نادى بنى عبد الله بن دارم ، فقالت : يا بنى دارم ، أوصيكم بالغرائب خيراً ، فوالله
ما رأيتُ مثل لقيط لم تخمش عليه امرأةً وجهها ، ولم تحلق عليه شعراً ، فلولا أنى غريبة
لخشت وحلقت ؛ فأنثوا عليها .

(١) جبلة : هضبة حمراء بين الشريف والشرف ، وهما ماء ان لبنى نعيم وبنى كلاب ، وكان
اليوم بين بنى عبس وذييان ابني بغيض .

٢٩ — ما وراءك يا عصام؟*

لما بلغ الحارث^(١) بن عمرو ملك كندة جمال ابنة عوف بن مُحَلَّم الشَّيباني ، وكملها وقوة عقلها ، دعا امرأة من بنى كندة يقال لها عصام ذات عقل ولسان وأدب وبيان ، وقال لها : اذهبي حتى تعلمي لى علم ابنة عوف .

فمضت حتى انتهت إلى أمها ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت إلى ابنتها ، وقالت : أى بُنَيَّة ؛ هذه خالتك أنتك لتنظر إليك ، فلا تسرى عنها شيئاً أرادت النظر إليه من وجهه وخلق ، وناطقيها إن استنطقتك .

فدخلت عصام إليها ، فنظرت إلى ما لم تر عينها مثله قطُّ بهجةً وحسناً وجمالاً ؛ فإذا هى أكملُ الناس عقلاً ، وأفصحهم لساناً ، فخرجت من عندها وهى تقول : ترك الخداع من كسَفِ القناع .

ثم أقبلت إلى الحارث ، فقال لها : ما وراءك يا عصام ؟ قالت : صرَّح الخوض عن الزُّبْدِ^(٢) . قال : أخبريني . قالت : أخبرك صدقاً وحقاً :

رأيت جبهةً كالمراة الصقيلة ، يزينها شعرٌ حالِكٌ كأذنان الخيل المصفورة ، إن أرسلته خلته السلاسل ، وإن مشطته قلت عناقيدُ كرمٍ جلاها الواابل^(٣) ، وحاجبين كأنهما خطأ بقلم ، أو سوداً بحُمَمٍ^(٤) ، قد تقوسا على عَيْنِ الظبية .

* مجمع الأمثال ص ١٩٢ ج ٢ ، العقد الفريد ص ٢٢٣ ج ٣

(١) من أشرف العرب في الجاهلية ، كان مطاعاً في قومه ، قوياً في عصبته ، وكانت تضرب له قبة في عكاظ ، توفي نحو ٤٥ ق . هـ (٢) مخض اللبن : أخذ زبده ، والتصريح : التبين . وهو مثل يضرب للأمر إذا انكشف وتبين (٣) الواابل : المطر الشديد (٤) الحُمَم : الفحم .

العَبْهَرَةُ^(١)، التي لم يرَ عَها قَانِصٌ، ولم يذعرها قَسُورَةٌ^(٢)، بينهما أنفٌ كحدِّ السيف المصقول، لم يَحْنِسْ^(٣) به قِصْرٌ، ولم يَمِضْ به طُولٌ، حَفَّتْ به وجنتان كالأرجوان^(٤) في بياض محض كالجمان^(٥)، شَقَّ فيه فمٌ كالخاتم، لذيد المَبْتَسَمِ، فيه ثنايا غُرٌّ، ذوات أُشُرٍ^(٦)، وأسنان تبدو كالدرر، يتقلب فيه لسانٌ ذو فصاحة وبيان، يحركه عقلٌ وافر، وجوابٌ حاضر^(٧) . . . إلى أن قالت :

فأما ما سوى ذلك فتركت أن أصفه، غير أنه أحسن ما وصفه واصفٌ بنظم أو نثر؛ فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها، فزوجه إياها.

فلما حَمَلَتْ إلى زوجها؛ قالت لها أمها - أمانة بنت الحارث :

أى بُنِيَّةٌ؛ إن الوصِيَّةَ لو تَرِكْتَ لفضْلِ أدب، تَرَكْتَ لذلك منك، ولكنها تذكرةٌ للغافل، ومَعُونَةٌ للعاقل؛ ولو أن امرأةً استغنت عن الزوج لغني أبيها، وشدة حاجتهما إليها كنت أغني الناس عنه، ولكنَّ النساءَ خُلِقْنَ للرجال، ولهنَّ خُلِقَ الرجال.

أى بُنِيَّةٌ؛ إنكِ فارقتِ الجِوَّ الذي منه خرجتِ، وخلفتِ العُشَّ الذي فيه درجتِ، إلى وَكْرٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكا، فكوني له أمةً يَكُنْ لكَ عبداً وشيكا^(٨).

يابنية؛ احملني عن عَشْرَ خصال تكن لك ذخراً وذكراً : الصُّحْبَةُ بالقناعة،

(١) العبهرة : الرقيقة البشرة الناصعة البياض (٢) القسورة : الرماة من الصيادين (٣) حنس : تأخر، والحنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة (٤) الأرجوان : صنف أحمر (٥) الجمان : اللؤلؤ (٦) أشر الأسنان : التحزب الذي فيها (٧) انظر بقية الوصف في مراجع القصة (٨) الوشيك : السريع .

والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ؛ فلا تقع
عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيّب ريح ، والكحل أحسن الحسن ،
والماء أطيّب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه ؛ فإن
حرارة الجوع ملهبة ، وتنعيس النوم مغضبة ، والاحتفاظ ببيته وماله ، والإرعاء
على نفسه وحشمه وعماله ؛ فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال
والحشم جميل حسن التدبير ، ولا تفتش له سرّاً ، ولا تعصى له أمراً ؛ فإنك إن
أفشيت سرّه لم تأمن غدره ، وإن عصيت أمره أو غرت صدره ؛ ثم انتهى مع ذلك
الفرح إن كان ترحاً ، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً ، فإن الحصلة الأولى من
التقصير ، والثانية من التكدير ؛ وكوني أشدّ ما تكونين له إعظماً يكن أشدّ
ما يكون لك إكراماً ، وأشدّ ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة .
واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تُحِبِّين حتى تُؤثري رضاه على رضاك ، وهواه
على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله يخبرُ لك .

٣٠ - لا أتزوج إلا من كريم *

كانت امرأة من العرب من بنات ملوك اليمن ذات جمال وكمال ، وحسب ومال ، فآلت ألا تزوج نفسها إلا من كريم ، ولئن خطبها لئيم لتجد عن أنفه ؛ فتحاماها الناس حتى انتدب^(١) إليها زيد الخيل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس ابن حارثة الطائيون ، فارتحلوا إليها .

فلما دخلوا عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زواراً ! فما الذى جاء بكم ؟ قالوا : جئنا زواراً خطاباً ، قالت : أكفء كرام ، ثم أنزلتهم وفرقت بينهم وأسبغت لهم القرى ، وزادت فيه .

فلما كان اليوم الثانى بعثت بعض جواريتها متنكرةً فى زى سائلة تتعرض لهم ، فرفع إليها زيد وأوس شطراً ما حمل إلى كل واحدٍ منهما ، فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها جميع ما كان من نفقته ، وحمل إليها جميع ما حمل إليه .

فلما كان اليوم الثالث دخلوا عليها ، فقالت : ليصف كل واحد منكم نفسه فى شعره ؛ فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هلا سألتِ بنى ذبيان : ما حسبي عند الطعام إذا ما احمرت^(٢) الخدق
وجاءت الخيلُ محمراً بوادرها^(٣) بالماء يسفح من لباتها العلق^(٤) ؟
والجارُ يعلم أئى لستُ خاذله إن نابَ دهرٌ لعظم الجار مُعترق^(٥)

* الخزانة ص ١٦٠ ج ٤ طبعة السلفية ، ذيل الأمل ص ١٥٤ ، سرح العيون ص ٧٥

(١) انتدب إليها : أسرع (٢) إذا ما اشتدت الحرب (٣) البادرة : اللحمة التى بين المنكب والعلق ، وهى تحمر من الدم الذى يسيل عليها من فرسانها (٤) العلق : الدم (٥) اعترقه : أكل ما عليه من اللحم .

هذا الثناء ، فإن ترضى فراضيةً أو تسخطي فإلى من تُعطفُ العنقُ
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أننا أكرمُ أحساباً ، وأشهرُ أفعالاً من
أن نصف أنفسنا لك ؛ أنا الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لأم ليَقضى حاجتى ولقد قضاها
فما وطىء الحصى مثلُ ابنِ سَعْدَى ولا لِسَ النعالِ ولا احتذاها
وأنا الذى عُقتَ عقيتهُ ^(١) ، وأعتقتُ عن كل شعرةٍ فيها عنه نسمة ، ثم أنشأ

يقول :

فإن تنكحى ماوية الخير حاتمًا
فتى لا يزالُ الدهرُ أكبرُ همِّه
وإن تنكحى زيدا ففارسُ قومه
وإن تنكحينى تنكحى غيرَ فاجرٍ
ولا متقى يوماً - إذا الحربُ شمَّتْ -
وإن طارقُ الأضيافِ لاذَ برحله
فأى فتى أهدى لك الله فاقبلى
وأنشأ حاتم يقول :

أماوى قد طال التجنُّبُ والهجرُ
وأماوى إن المالِ غادٍ ورائحُ
وقد عذرتنى ^(٤) فى طلابِكُم عذراً ^(٥)
ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذِّكرُ

(١) العقيقة : شعر كل مولود من الناس (٢) الأشأم : جمع أشأم وهو ضد الأيمان
(٣) عتم الرجل عن الشيء : كف عنه بعد المضى فيه (٤) عذرتنى : أى رفعت عني
اللوم ، ومحت الإساءة وطمسها (٥) العذر : جمع عذير ، والعذير هو الحال ، وأصله العذر ،
ويخفف فيقال : عذر .

أماوى إني لا أقول لسائلٍ إذا جاء يوماً: حلّ في مالنا النَّزْرُ (١)
أماوى إما مانع فبيِّنْ وإما عطاء لا ينهيه (٢) الزجرُ
أماوى ما يُغني الثراء عن الفقى إذا حَشْرَجَتْ (٣) يوماً وضاق بها الصدر
أماوى إن يصبحُ صدأى (٤) بقفرةٍ من الأرض لا ماءً لدى ولا خمرُ
ترى أن ما أنفقتُ لم يك ضائرى وأن يدي مما بخلتُ به صفرُ
أماوى إني رُبَّ واحدٍ أمه أخذتُ فلا قتلٌ عليه ولا أسرُ
وقد علم الأقسام لو أن حاتمًا أراد ثراء المال كان له وفرُ
أماوى إن المال مالٌ بذلته فأوله شكرٌ وآخره ذكرُ
وإني لا آلو (٥) بمالى صنيعَةً فأوله زادٌ وآخره ذخرُ
يفك به العانى (٦) ويؤكل طيباً وما إن يعرّيه القداح (٧) ولا القمر (٨)
ولا أظلمُ ابن العمِّ إن كان إخوتى شهوداً وقد أودى بإخوتهِ الدهر
غنياً (٩) زماناً بالتصعك والغنى وكلاً سقانهُ بكأسيهما الدهر
فما زادنا بأو (١٠) على ذى قرابةٍ غنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ
وما ضرَّ جاراً يابنةُ القوم فاعلمى يجاورنى ألا يكون له سترُ
بعينى عن جاراتِ قومى غفلةً وفى السمع منى عن أحاديثها وقرُ
فقلت: أما أنت يا زيد فقد وترت العرب، وبقاؤك مع الحرّة قليل، وأما أنت
يا أوس فرجل ذو ضرائر، والدخولُ عليهم شديد، وأما أنت يا حاتم فرضى الأخلاق
محمود الشيم، كريم النفس، وقد زوّجتك نفسى!

(١) النزير: القلة (٢) نهيه: منعه (٣) الحشرجة: الغرغرة عند الموت (٤) الصدى: ما يبقى من الميت في قبره (٥) لا آلو: لا أقصر (٦) العانى: الأسير (٧) القداح: قدام الميسر (٨) القمر: المقامرة (٩) غنيا: غنى بالمكان، أقام به (١٠) البأو: السكر والفخر.

٣١ — سبب عروة بن الورد

أصاب عروة^(١) بن الورد امرأة من بنى كنانة ، يقال لها سلمى ، فأعتقها واتخذها لنفسه ، فمكثت عنده بضع عشرة سنة ، وولدت له أولادًا ، وهو لا يشك في أنها أرغبُ الناس فيه ، وهى تقول له : لو حججت بي ، فأمر على أهلى وأراهم ! فحج بها ، فأتى مكة ، ثم أتى المدينة ، وكان يخالط من أهل يثرب بنى النضير ، فيقرضونه إن احتاج ، ويبايعهم^(٢) إذا غم .

وكان قومها يخالطون بنى النضير ، فاتوهم وهو عندهم ، فقالت لهم سلمى : إنه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام ، فتعالوا إليه ، وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحته سببًا ، وأفتدوني منه ، فإنه لا يرى أنى أفارقة ، ولا اختار عليه أحدا ، فاتوه فسقوه الشراب ، فلما تم قالوا له : فادنا^(٣) بصاحبتنا ؛ فإنها وسيطة^(٤) النسب فينا معروفة ، وإن علينا سبة أن تكون سببًا ، فإذا صارت إلينا ، وأردت معاودتها ، فأخطبها إلينا ؛ فإننا نزوجك ؛ فقال لهم : ذاك لكم ؛ ولكن لى الشرط فيها أن تحيروها ، فإن اختارتنى انطلقت معى إلى ولدها ، وإن اختارتكم انطلقتم بها ؛ قالوا : ذاك لك ؛ قال : دعوا ذلك إلى غد !

* الشعر والشعراء ص ٢٦٠ ، الأغاني ص ٧٦ ج ٢

(١) عروة بن الورد : شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها ، المدودين المقدمين الأجواد . وكان يلقب عروة الصعاليك ؛ لأنه كان كالرئيس عليهم يجمعهم ويقوم بأمرهم توفى نحو سنة ٣٠ ق. هـ (٢) يبايعهم : يعقد معهم البيع (٣) المفاداة : إيقاظ الأسير بالفدية (٤) وسيطة النسب : حسيبة كريمة .

فلما كان الغد جاءوه فامتنع من فدائها ؛ فقالوا له : قد فاديتنا به منذ البارحة ؛
وشهد عليه بذلك جماعة ممن حضر ، فلم يقدر على الامتناع وفادأها ، فلما فادوه
خيروها فاخترت أهاها ؛ ثم أقبلت عليه ، فقالت : يا عروة ، أما إني أقول فيك -
وإن فارقتك - الحق : والله ما أعلم امرأة من العرب ألت سيئها على بعلي خير منك ،
وأغض طرفا ، وأقل فحشا ، وأجود يدا ، وأحمى لحقيقة^(١) ، ومامر على يوم منذ
كنت عندك إلا والموت فيه أحب إلي من الحياة بين قومك ، لأنني لم أكن أشاء
أن أسمع امرأة من قومك تقول : قالت أمة عروة كذا وكذا ؛ والله لا أنظر في
وجه غطفان بنية أبدا^(٢) ، فارجع راشدا إلى ولدك وأحسن إليهم !

ثم تزوجها رجل من بني عمها ، فقال لها يوما : ياسلمى ، أثني على كما أثنت
على عروة - وقد كان قولها فيه شهير - فقالت له : لا تكلفني ذلك ؛ فإني إن قلت
الحق غضبت ، ولا واللات والعزى لأ أكذب ؛ فقال : عزمت عليك لتأينني في
مجلس قومي فلتثنين على بما تعلمين .

وخرج فجلس في ندى القوم ، وأقبلت فرماها القوم بأبصارهم ، فوقف عليهم ،
وقالت : أنعموا صباحا ، إن هذا عزم على أن أثني عليه بما أعلم . ثم أقبلت عليه
فقالت : والله إن شربك لاشتفاف^(٣) ، وإنك لتنام ليلة تخاف ، وتسبع ليلة
تضاف ، وما ترضى الأهل ولا الجانب^(٤) ، ثم انصرفت ، فلأمه قومه ، وقالوا :
ما كان أغناك عن هذا القول منها !

(١) الحقيقة : ما يجب على الرجل أن يحميه (٢) غطفان : هم قوم عروة (٣) الاشتفاف : شرب
كل ما في الإيحاء (٤) الجانب : الغريب والمراد به الضيف .

٣٢ — لو كان النساء كمثل هذى *

قال الحارث^(١) بن عوف يوما لخارجة بن سنان المري: أترأني أخطبُ إلى أحد فيردني؟ فقال له: نعم! قال: ومن ذاك؟ قال: أوس بن حارثة الطائي؛ فقال الحارث لغلّامه: ارحلُ بنا، ففعل، وركبا حتى أتيا أوس بن حارثة في بلاده، فوجداه في فناء منزله، فلما رأى الحارث بن عوف قال: مرحبا بك يا حارث، قال: وبك، قال: ما جاء بك؟ قال: جئتُك خاطبا، قال: لست هناك!

فانصرف ولم يكلمه، ودخل أوس على امرأته مُغضبا - وكانت من عبس - فقالت: مَنْ رجلٌ وقف عليك فلم يُطل، ولم تكلمه؟ قال: ذاك سيد العرب الحارث بن عوف، قالت: فمالك لم تستنزه؟ قال: إنه استحمق^(٢)، قالت: وكيف؟ قال: جاءني خاطبا. قالت: أفتريد أن تزوجَ بناتك؟ قال: نعم، قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن! قال: قد كان ذلك. قالت: فتدارك ما كان منك، قال: بماذا؟ قالت: تلحّقه فترده، قال: وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه؟ قالت: تقول له: لقيتني مغضبا بأمر لم تُقدّم فيه قولا، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت. عدّ وراك عندي كلُّ ما أحببت فإنه سيفعل. فركب في أثرهما.

قال خارجة بن سنان: فوالله إني لأسير مع الحارث إذ حانت مِنِّي التفاتة فرأيت أوسا، فأقبلتُ على الحارث - وما يكلمني غما - فقالت له: هذا أوس بن

* الأغاني ص ٢٩٤ ج ١٠ ، المستطرف ص ٢٢٢ ج ٢

(١) الحارث بن عوف من بني مرة ، أسلم وحسن إسلامه ، وبعث معه رسول الله رجلا من الأنصار في جواره ، يدعو قومه إلى الإسلام ، فقتلوا الأنصارى (٢) استحمق : ففعل الحمقى .

حارثة في أثرنا ، قال : وما نصنعُ به ؟ أمضِ . فلما رأنا لانقفُ عليه صاح : يا حارث ! اربّع^(١) على ساعة ، فوقفنا له ، فكلمنا بذلك الكلام ، فرجع مسروراً .

ودخل أوس منزله ، وقال لزوجته : ادعى لي فلانة - لأ كبر بناته - فأتته ، فقال : يا بنية ، هذا الحارث بن عوف سيدٌ من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردتُ أن أزوجهُك منه ، فما تقولين ؟ قالت : لاتفعل ؟ قال : ولم ؟ قالت : لأنني امرأة ، في وجهي ردة^(٢) ، وفي خلقي بعض العهدة^(٣) ، ولستُ بابنة عمه فيرعى رحي ، وليس بجارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمنُ أن يرى مني ما يكره فيطلقني ، فيكون عليّ في ذلك ما فيه .

قال : قومي ، بارك الله عليك ، ادعى لي فلانة - لأ بنته الوسطى - فدعتها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها ، فأجابتهُ بمثل جوابها ، وقالت : إني خرقاء^(٤) ، وليست بيدي صناعة ، ولا آمنُ أن يرى مني ما يكره ، فيطلقني ، فيكون عليّ في ذلك ما تعلم ، وليس بابن عمي فيرعى حقي ، ولا جارك في بلدك فيستحييك^(٥) ، قال : قومي ، بارك الله عليك ، ادعى لي بهيسة - صغرى بناته - فأتى بها ، فقال لها كما قال لها ، فقالت : أنت وذاك ، فقال لها : قد عرضتُ ذلك على أختيك فأتاه ، فقالت - ولم يذكر لها مقالتيهما - لكني والله الجميلة وجهها ، الصنّاع يدا ، الرفيعة خلقاً ، الحسبية أبا ، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير ! فقال : بارك الله عليك .

ثم خرج إلى الحارث فقال : زوجتك يا حارث بهيسة بنت أوس ، قال : قبلتُ ، فأمر أمهاتُ تهيئها ، وتصلح من شأنها ، ثم أمر ببيت فضرب له ، وأنزله إياه ، فلما هيئت بعث بها إليه .

(١) ربيع عليه : وقف له ، أو مال إليه (٢) شيء من قبح (٣) العهدة : العيب (٤) امرأة غير صنّاع (٥) يستحي منك .

قال خارجة بن سنان : فلما أدخلت إليه لبث هنيهة ثم خرج إليّ ، فقلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : لما دخلت إليها قالت : مه ! أعند أبي وإخوتي ؟ هذا والله مالا يكون ، قال خارجة : ثم أمر بالرحلة ؛ فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسرنا ماشاء الله ، ثم قال لي : تقدم ، فتقدمت وعدل بها عن الطريق ؛ فما لبث أن لحق بي ، فقلت : أفرغت ؟ قال : لا والله ، قلت : ولم ؟ قال : قالت لي : أ كما يفعل بالأمة الجليلة ^(١) أو السبئية الأخيذة ^(٢) ؟ لا والله ، حتى تنحَرَ الجزر ، وتدبِح الغنم ، وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل لمثلي ! قلت : والله إني لأرى همّةً وعقلاً ، وأرجو أن تكون المرأة منجبةً إن شاء الله .

قال خارجة : فرحلنا حتى جئنا بلادنا ، فأخَصَرَ الإبل والغنم ، ثم دخل عليها وخرج إليّ ، فقلت : أفرغت ؟ قال : لا ، قلت : ولم ؟ قال : دخلتُ عليها ، وقلت لها : قد أحضرنا من المال ما قدرين ، فقالت : والله لقد ذكرت لي من الشرف مالا أراه فيك ! قلت : وكيف ؟ قالت : أتفرغ للنساء والعرب تقتل بعضها بعضاً ^(٣) ! قلت : فيكون ماذا ؟ قالت : اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ، ثم ارجع إلى أهلِكَ فلن يفوتك ما تريد ، فقلت : والله إني لأرى همّةً وعقلاً ، ولقد قالت قولاً . . .

قال خارجة : ثم قال الحارث : اخرج بنا ، فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح ، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى ، فيؤخذ الفضل ممن هو عليه ، فحملنا عنهم الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين ، فانصرفنا بأجل الذكر !

(١) الجليلة : المجلوبة (٢) والأخيذة : المأخوذة (٣) كان ذلك في أيام حرب عبس وذبيان ، وهى

المروفة بحرب داحس والقبراء .

٣٣ - بنت حاتم الطائي *

قال علي بن أبي طالب - عليه السلام - يا سبحان الله ! ما أزهّد كثيراً من الناس في الخير ! عجبتُ لرجلٍ يَجِيئُهُ أخوه في حاجةٍ فلا يرى نفسه للخير أهلاً ! فلو كنا لا نرجو جنة ولا نخاف ناراً ، ولا ننتظرُ ثواباً ، ولا نخشى عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلبَ مكارمَ الأخلاق ؛ فإنها تدل على سبيل النجاة .

فقام إليه رجل فقال : فدأك أبي وأمي يا أمير المؤمنين ! أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، وما هو خيرٌ منه ؛ لما أتينا بسبأ ياطيِّ كانت في النساء جارية حمّاء^(١) حوراء العينين لعمّاء^(٢) ، لمياء^(٣) عيطاء^(٤) ، شمّاء الأنف ، مُعتدلة القامة .

فما رأيتها أعجبت بها ، فقلت : لأطلبنّها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجعلها من فيئِي ، فلما تكلمتُ أنسيتُ جمالها لما سمعتُ من فصاحتها ، قالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ؛ فإن رأيتَ أن تحلّي عني ، فلا تُسْمِتَ بي أحياء العرب ! فإنني بنتُ سيدِ قومي ؛ كان أبي يفكُّ العاني ، ويحمي الدّمّار ، ويقري الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرّج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يردّ طالبَ حاجة قط ؛ أنا بنت حاتم طيِّ ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جارية ؛ هذه صفاتُ المؤمن ، ولو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه ، خَلُوا عنها ، فإن أبها كان يجب مكارم الأخلاق !

* الأغانى ص ٩٣ ج ١٦ ، سرح العيون ص ٧٣

(١) حمّاء : سوداء (٢) جارية لعمّاء : في لونها أذن سواد ، مشربة بجمرة (٣) اللمي : ممرّة في الأنف (٤) امرأة عيطاء : طويلة العنق .

٣٤ — أيتهما أعظم العرب مصيبة*

لما كانت وقعة بدر ، قُتِلَ فيها عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد ابن عتبة ، فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم ، وبلغها تسويم^(١) الخنساء^(٢) هودجها في الموسم ، ودهاظمتها العرب بمصبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سوّمت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ؛ وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك .

فلما أُصِبت هند^(٣) بما أُصِبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوّم براية ، وشهدت الموسم بكأظ - وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب - فقالت : اقرنوا جملي بجمال الخنساء ، ففعلوا ؛ فلما أن دنت منها ، قالت لها الخنساء : من أنت يا أخية ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تعاطمين العرب بمصبتك ، فبم تعاطمينهم ؟ فقالت الخنساء : بعمرو بن الشريد ، وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وبم تعاطمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عتبة بن ربيعة ، وعمي شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد ؛ قالت الخنساء : أو سواهم عندك ؟ ثم أنشدت تقول :

* الأغاني ص ٢١٠ ج ٤ ، معاهد التنصيص ص ١١٧

(١) سوم الشيء : جعل له سومة وعلامة ليعرف ويتميز (٢) اسمها تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمي ، كانت من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم ، وأدركت الإسلام ، وأسلمت ، ومات أولادها الأربعة في حرب القادسية ، وأكثر شعرها في رثاء أخويها معاوية وصخر ، وماتت في زمن معاوية بالبادية (٣) هي هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وأم معاوية .

أَبْكِي أَبِي عَمْرًا بَعِينٍ غَزِيرَةٍ قَلِيلٍ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ هُجُودُهَا
وَصِنُونِي لَا أُنْسَى مَعَاوِيَةَ الَّذِي لَهُ مِنْ سَرَاةِ الْحَرَّتَيْنِ (١) وَفُودُهَا
وَصَخْرًا ، وَمَنْ ذَا مِثْلِ صَخْرٍ إِذَا غَدَا بِسَاهِمَةِ الْإِطَالِ (٢) قُبًّا يَقُودُهَا
فَذَلِكَ يَاهَنْدُ الرِّزِيَّةُ فَاعْلَمِي وَنِيرَانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُهَا
فَمَاتَتْ هِنْدٌ تَجِيهًا :

أَبْكِي عَمِيدَ الْأَبْطَحِينَ (٣) كَلِيمَا وَحَامِيَهُمَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ يَرِيدُهَا
أَبِي عَتَبَةَ الْخَيْرَاتِ وَيَحْكُ فَاعْلَمِي وَشَيْبَةَ وَالْحَامِي الذَّمَارَ وَلِيدُهَا
أَوْلَاكَ آلَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ غَالِبٍ وَفِي الْعَزِّ مِنْهَا حِينَ يُنْمَى عَدِيدُهَا (٤)
ثُمَّ قَالَتْ :

مَنْ حَسَّ لِي الْأَخْوِينَ كَالْفَصْنَيْنِ أَوْ مِنْ رَاهِمَا (٥)
قَرَمَانٍ لَا يَنْظَلِمَانِ وَلَا يَرَامُ حَمَاهُمَا
وَيُلِي عَلَى الْأَخْوِينَ وَالْقَبْرَ الَّذِي وَارَاهُمَا
لَا مِثْلُ كَهْلِي فِي السُّكُوبِ وَلَا فَتَى كَفْتَاهُمَا
أَسْدَانٍ لَا يَنْتَدِلَانِ وَلَا يَرَامُ حَمَاهُمَا
رَمَحِينَ خَطِيئِينَ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ سَنَاهُمَا
مَا خَلَّفْنَا إِذْ وَدَعْنَا فِي سَوَدِّ شَرَاهُمَا (٦)
سَادَا بَغَيْرِ تَكْلُفٍ عَفْوًا يَفِيضُ نَدَاهُمَا

(١) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود . والمراد حرة بنى سليم ، وحررة بنى هلال بالحجاز .
أى هو مقصد الأشراف تأتبه وفودها فيما يلم بها (٢) الساهمة : الدقيقة ، والأطال : جمع إطال
وهو الخاصرة ، والقب : جمع أقب ، وهى الفرس الدقيقة الخصر ، الضامرة البطن (٣) الأبطحان :
تريد بطحاء مكة وسهل تهامة (٤) عديدها : جموعها (٥) راهما : أصله رَاهِمَا
(٦) شرواهما : مثلها .

٣٥ — شجاعة صفية بنت عبد المطلب *

قالت صفية بنت عبد المطلب : كان حسان^(١) بن ثابت معنا في حصن
فَارِع^(٢) يوم الخندق ومعنا النساء والصبيان ، فمرّ بنا رجل من يهود ، فجعل
يُطيف بالحصن ؛ فقلت : يا حسان ؛ إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ،
وأنا والله لا آمنُ أن يدُلّ علينا من ورائنا من يهود ، ورسولُ الله قد شغلنا ؛
فانزلُ إليه واقتله . فقال : يغفرُ الله لكِ يا بنتَ عبد المطلب ، لقد عرفتِ ما أنا
بصاحبِ شجاعة !

قالت : فلما قال لي ذلك ، ولم أرَ عنده شيئاً ، اعتجرت^(٣) ، ثم أخذتُ عموداً ،
ونزلتُ إليه من الحصن فضربته بالعمود ، حتى قتلتُهُ ؛ فلما فرغتُ منه رجعتُ إلى
الحصن ، وقتتُ : يا حسان ؛ انزلُ إليهِ ، فأسلبه^(٤) ، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل !
فقال : مالي بسلبه من حاجة يا بنتَ عبد المطلب !

* الفرر ص ٢٢٥ ، معاهد التنصيص ص ٧٤ ج ١ ، الأغاني ص ١٦٥ ج ٤

(١) هو شاعر الرسول ، وقد نشأ في الجاهلية ونبه شأنه فيها ، وعاش طويلاً في الإسلام ،
ومات في خلافة معاوية سنة ٥٢ هـ (٢) حصن بالمدينة ، ويوم الخندق واقعة مشهورة بين المسلمين
والمشركين (٣) اعتجرت المرأة : لبست المعجر : وهو ما تشده على رأسها (٤) سلبه :
السلب : ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من ثياب وسلاح ودابة .

٣٦ — الخنساء عند عائشة *

دخلت الخنساء على عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها ، وعليها صِدار^(١) من شعر ، قد استشعرتهُ إلى جلدِها ؛ فقالت لها : ما هذا يا خنساء ؟ فوالله لقد توفّي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما لبسته !

قالت : إن له معنى دعانى إلى لباسه ؛ وذلك أن أبى زوجى سيد قومى ، وكان رجلاً متلافاً ، فأسرف فى ماله ، حتى أنفده ، ثم رجع فى مالى ، فأنفده أيضاً .

ثم التفت إلى فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فأتيناه ، فقسم ماله شطرين^(٢) ، ثم خيرنا فى أحسن الشطرين ، فرجنا من عنده على حال حسنة ؛ فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه .

ثم التفت إلى ، فقال : إلى أين يا خنساء ، قلت : إلى أخى صخر ، فرحلنا إليه ، فقسم ماله شطرين ، وخيرنا فى أفضل الشطرين .

فقالت له زوجته : أما ترضى أن تشاظرهم مالك حتى تخيرهم بين الشطرين ، فقال :

والله لا أمنحها شرارها فلو هلكت قددت^(٣) خمارها

واتخذت من شعر صِدارها

فآليت ألا يفارق الصِّدار جسدى ما بقيت !

* العقد ص ٢٢ ج ١ ، سرح العيون ص ٢٩٩

(١) الصِّدار : ثوب رأسه كالقنعة ، وأسفله يغشى الصدر والنكبين ، وكانت المرأة إذا فقدت جميعها فأحدت عليه لبست صِداراً من صوف (٢) شطر الشيء : نصفه (٣) قددت : قدت .

٣٧ — إله عمر يعلم *

نهى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته عن مَذَقِ (١) اللبن بالماء ،
فخرج ذات ليلة فى حواشى المدينة ، فإذا بامرأة تقول لابنة لها : ألا تمذقين لبنك
فقد أصبحت ؟ فقالت الجارية : كيف أمذق وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق ؟
فقالت : قد مَذَقَ الناس فامذقنى فما يدرى أمير المؤمنين . فقالت : إن كان عمر
لا يعلم فإنه عمر يعلم ؛ ما كنت لأفعله وقد نهى عنه .

فوقعت مقاتلتها من عمر ؛ فلما أصبح دعا عاصماً ابنه ، فقال : يا بنى ؛ اذهب إلى
موضع كذا وكذا ، فاسأل عن الجارية — ووصفها له — فذهب عاصم ، فإذا جارية
من بنى هلال ، فقال له عمر : اذهب يا بنى فتزوجها ، فما أحرأها أن تأتى بفارس
يسود العرب ، فتزوجها عاصم بن عمر ، فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن
الخطاب ، فتزوجها عبد العزيز بن مروان ، فأنت بعمر بن عبد العزيز !

* سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٧ ، نهاية الأرب ص ٢٣٨ ج ٣ ، مجمع الأمثال ص ٩٣٨

ج ٢ ، ابن أبى الحديد ص ١١٠ ج ٣

(١) المذق: الخلط .

٣٨ — كذلك الدهر ! *

لما قدم سعد بن أبي وقاص^(١) القادسية ، أتته حُرقة بنت النعمان بن المنذر
في جوارِ كلهن في مثل زيتها ، يطلبن صلته .

فلما وقفن بين يديه قال : أيتكن حُرقة ؟ قلن : هذه . قال لها : أنت حُرقة ؟
قالت : نعم ، فما تكرارك في السؤال ؟ إن الدنيا دارُ زوال ، لا تدومُ على حال ؛
إننا كنا ملوكَ هذا المصر ، يُجبي إلينا خراجُه ، ويطيعنا أهله مدى الإمرةِ وزمان
الدولة ، فلما أذبر الأمر وانقضى ، صاح بنا صائح الدهر فصدع عَصاننا ، وشتت
ملائنا . وكذلك الدهر ياسعد ، إنه ليس يأتي قومًا بمسرة إلا ويُعقبهم حسرة . ثم
أنشأت تقول :

بيننا نسوسُ الناسَ والأمرُ أمرنا إذا نحن فيهم سوقةٌ نتنصفُ^(٢)
فأفٍ لَدنيا لا يدومُ نعيمُها تَقَلَّبُ تاراتِ بنا وتَصَرَّفُ

فقال سعد : قاتل الله عدى بن زيد كأنه ينظر إليها حيث يقول :

إن للدهر صولةً فاحذرَها لا تبتينَّ قد أمنتَ الدهورا
قد يبيتُ الفتى معافىً فيردى ولقد كان آمناً مسروراً

* خزانة الأدب ص ١٨١ ج ٣

(١) هو فاتح العراق ومدائن كسرى ، وفقد بصره في آخر حياته ، وتوفي سنة ٥٥ هـ .

(٢) نتنصف : نخدم .

ودخل عليها عمرو بن معد يكرب - وكان من قصّاد النعمان - وهى بين يدى سعد ، فلما نظر إليها قال : أنت حُرقة ؟ قالت : نعم . قال : فما دهمك ؟ أين تتابع نَعَمِك ، وسطوات نَعَمِك ؟ فقالت : يا عمرو ، إن للدهر عثرات تعثر بالملوك وأبنائهم فتخفِضُهُمْ بعد رفعة ، وتفرِّدُهُمْ بعد مَنعة ، وتُدْهِمُ بعد عز . إن هذا الأمر كنا ننتظره ، فلما حلَّ بنا لم ننكره .

فلما انصرفت من لدن سعد لقيها نساء القادسية ، فقلن لها : ما فعل بك الأمير ؟ قالت : أكرم وجهى ، وإنما يكرم الكريم الكريم .

٣٩ - لا تذهبي بنفسك عن الحق ! *

قال علي بن أبي رافع : كنتُ على بيتِ مالِ علي بن أبي طالب وكتابه . فكان في بيت ماله عقْدُ لؤلؤ كان أصابه يومَ البصرة ، فأرسلتُ إلى بنتِ علي بن أبي طالب ؛ فقالت لى : إنّه قد بلغنى أن في بيتِ مالِ أميرِ المؤمنين عقْدَ لؤلؤ ، وهو في يدك ، وأنا أحبُّ أن تُعيرَنيهِ ، أتُجَمِّلُ به في يومِ الأضحى .

فأرسلتُ إليها : عاريةٌ مضمونة ، مردودة بعد ثلاثة أيام يا بنتَ أميرِ المؤمنين . فقالت : نعم ! عاريةٌ مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام .

فدفعتهُ إليها وإذا أميرُ المؤمنين رآه عليها فعرفه ؛ فقال لها : من أين جاء إليك هذا العقْدُ ؟ فقالت : استعرتُهُ من ابنِ أبي رافع ، خازنِ بيتِ مالِ أميرِ المؤمنين ؛ لِاتْرَيبَ به في العيد ، ثم أردّه .

فبعث إلى أمير المؤمنين فجمته ؛ فقال لي : أتخون المسلمين يا بن أبي رافع ؟
فقلت : معاذ الله أن أخون المسلمين ! فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد
الذي في بيت مال المسلمين بغير إذني ورضاهم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إنها
بنتك ، وسألتني أن أعيرها العقد تزيين به . فأعرتها إياه عارية مضمونة مردودة
على أن ترده سالماً إلى موضعه ؛ فقال : رده من يومك ، وإياك أن تعود إلى مثله ؛
فتنالك عقوبي . ثم قال : ويل لابنتي ، لو كانت أخذت العقد على غير عارية
مردودة مضمونة لكانت إذن أول هاشمية قطعت يدها في سرقة .

فبلغت مقاتله ابنته ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ؛ أنا ابنتك وبصعة^(١) منك ،
فمن أحق بلبسه مني ؟ فقال لها : يا بنت أبي طالب ؛ لا تذهبي بنفسك عن الحق !
أكل نساء المهاجرين والأنصار تزيين في مثل هذا العيد بمثل هذا ؟
فقبضته منها ، ورددته إلى موضعه .

٤٠ — المغيرة يُخطب بنت النعمان*

سار المغيرة^(١) بن شعبة — حينما كان والياً على الكوفة — إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر ، وهي فيه عمياء مُترهبة ، فاستأذنَ عليها ، فقيل لها : أميرُ هذه المدرة^(٢) بالباب ! فقالت : قولوا له : أمن وكدِ جبلة بن الأيهم أنت ؟ قال : لا . قالت : أفمن ولد المنذر بن ماء السماء ؟ قال : لا . قالت : فمن أنت ؟ قال : المغيرة ابن شعبة الثقفي ! قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتُك خاطباً ! قالت : لو كنت جئتني لجمالٍ أو لعمالٍ لأطلبتُك^(٣) ، ولكنك أردت أن تتشرف بي في محافل العرب ، فتقول : تزوجت ابنة النعمان بن المنذر ، وإلا فأى خير في اجتماع أعور وعمياء ؟

فبعث إليها : كيف كان أمركم ؟ فقالت : سأختصرُ لك الجوابَ : أمسينا مساءً وليس في الأرض عربي إلا وهو يرغب إلينا ويرهبنا ، ثم أصبحنا وليس في الأرض عربي إلا ونحن نرغبُ إليه ونرهبهُ .

* الكامل ص ٢٧٧ ج ١ ، المسعودي ص ٦٨ ج ٢

(١) المغيرة بن شعبة من ثقف ، أسلم على عهد النبي ، وشهد بعة الرضوان وفتوح الشام ، والبرموك ، وانمادسية ، وولاه عمر البصرة ، ومات بالكوفة وهو أميرها سنة ٥٠ هـ .

(٢) المدرة : المدينة الضخمة (٣) أطلبه : أعطاه ماطلبه .

٤١ — ولقد أبيت على الطوى *

قال تميم بن عدى اليربوعي :

كنتُ مع عبد الله بن العباس^(١) عند مُنصرَفه من دمشق ، فسألته في بعض الأيام ، وقلتُ له : بماذا يتمُّ عقل الرجل ؟ فقال : إذا صنع المعروف مبتدئاً به ، وجادَ بما هو محتاجٌ إليه ، وتجاوز عن الذلَّة ، وجازى على المكرُمة ، وتجنَّب مواطنَ الاعتذار ؛ فقد تمَّ عقله . فحفظتُ ذلك منه ، وألصقتُه بقلبي .

ثم بعد أيام نزلنا منزلاً ، فطلبنا طعاماً فلم نجده ، ولا قدرنا عليه — فإن زيادا كان قد نزل بذلك المنزل قبلنا بأيامٍ قليلةٍ في جمعٍ كثيرٍ ؛ فأتوا على ما كان فيه من الطعام — فقال عبدُ الله لوكيله : أخرج إلى هذه البرية ، فلعلك تجد بها زاعياً معه طعام ، فمضى الوكيل ومعه غلمان ؛ فأطالوا التوقُّف ، فلما كادوا يرجعون لاح لهم خبَاء ، فأموه ؛ فوجدوا فيه عجوزاً ، فقالوا لها : هل عندك طعام نبتاعه منك ؟ فقالت : أما طعامٌ يبيعُ فلا ؛ ولكن عندي أكلة لي ، وبأولادى إليها أمسُّ حاجة ، قالوا : وأين أولادك ؟ قالت : في رعيهم ، وهذا وقت عودتهم . قالوا : فما أعددتِ لهم ؟ قالت :

* العقد الفريد للملك السعيد ص ١٣

(١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ولد قبل الهجرة بسنتين ، وكان رسول الله يحبه ويقربه ، ودعا له فقال : « اللهم علمه التأويل » فكان أعلم الناس بآيات القرآن وتأويلها والفقه في الدين ، على ما أوتيته من لسان ذاق غواص على موضع الحاجة ، وعاش عمره محبباً إلى الخلفاء وتوفي سنة ٦٨ هـ .

خُبْزَةٌ (١) تَحْتَ مَلَكْتِهَا (٢) اَنْتَظِرُ بِهَا أَنْ يَجِيئُوا ، قَالُوا لَهَا : فَجُودِي لَنَا بِنَصْفِهَا . قَالَتْ : لا ؛ وَلَكِنْ بِهَا كَلِّهَا ، قَالُوا : وَلَمْ مَنَعْتَ النِّصْفَ وَجُدْتِ بِهَا كُلِّهَا ، وَلا خُبْزَ عِنْدِكَ غَيْرِهَا ؟ قَالَتْ : إِنْ إِعْطَاءَ الشُّطْرُ (٣) مِنْ خُبْزَةٍ نَقِيصَةً ؛ فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَنْقُصُنِي ، وَأَجُودُ بِمَا يَرْفَعُنِي ، فَأَحْذُوا الْخُبْزَةَ لِقَرْطِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا وَانصَرَفُوا ؛ وَلَمْ تَسْأَلِ : مِنْ هُمْ وَلا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا .

فَلَمَّا أَتَوْا عَبْدَ اللَّهِ ، وَأَخْبَرُوهُ خَبَرَ الْعَجُوزِ عَجَبَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : ارْجِعُوا إِلَيْهَا ، فَاحْمَلُوهَا فِي دَعَاةٍ ، وَأَحْضَرُوهَا ؛ فَرَجَعُوا إِلَيْهَا ، وَقَالُوا لَهَا : إِنْ صَاحِبِنَا أَحَبَّ أَنْ يَرَاكَ . قَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ ؟ قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ . قَالَتْ : مَا أَعْرَفْتُ هَذَا الْاسْمَ . قَالُوا : الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ عَمُّ النَّبِيِّ . قَالَتْ : وَاللَّهِ هَذَا الشَّرْفُ الْعَالِي وَذُرُوتُهُ الرَّفِيعَةُ ، وَمَاذَا يَرِيدُ مِنِّي ؟ قَالُوا : يَرِيدُ أَنْ يَكْفِئَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ . قَالَتْ : لَقَدْ أَفْسَدَ الْهَاشِمِيُّ مَا أَثَّلَ لَهُ ابْنُ عَمِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتُ مَعْرُوفًا مَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ ثَوَابًا ؛ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَفْعَلَهُ . قَالُوا : فَإِنَّهُ يَحِبُّ أَنْ يَرَاكَ وَيَسْمَعَ كَلَامَكَ . قَالَتْ : أَصِيرُ إِلَيْهِ ؛ لِأَنِّي أَحَبُّ أَنْ أَرَى رَجُلًا مِنْ جَنَاحِ النَّبِيِّ وَعَضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ .

فَلَمَّا سَارَتْ إِلَيْهِ رَحَّبَ بِهَا وَأَذِنَ بِمَجْلِسِهَا ، وَقَالَ : مِمَّنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : مِنْ كَلْبٍ . قَالَ : كَيْفَ هَالِكٌ ؟ قَالَتْ : لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَفْرَحُ إِلَّا وَقَدْ بَلَغْتُهُ ، وَإِنِّي الْآنَ أَعِدُّشُ بِالْقِنَاعَةِ ، وَأَصُونُ الْقَرَابَةَ ، وَأَنَا أَتَوَقَّعُ مَفَارِقَةَ الدُّنْيَا صَبَاحًا وَمَسَاءً . قَالَ :

(١) الخُبْزَةُ: عَجِينٌ يَوْضَعُ فِي الْمَلَّةِ حَتَّى يَنْضِجَ (٢) الْمَلَّةُ: الرَّمَادُ الْحَارُّ وَالْجَمْرُ (٣) شَطْرُ الشَّيْءِ: نَصْفُهُ .

أخبريني ، ما الذى أعددت لأولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخبزة ؟ قالت :
أعددت لهم قول العربى :

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل

فأعجبه قولها ؛ وقال لبعض غلمانه ، انطلق إلى خبائها ، فإذا أقبل بنوها ،
فجئ بهم ، . فقالت للغلام : انطلق ، فكن بفناء البيت ، فإنهم ثلاثة ، فإذا رأيتهم
تهد أحدهم دائماً النظر نحو الأرض ، عليه شعار الوقار ، فإذا تكلم أفصح ، وإذا
طلب أنجح . والآخر حديد النظر ، كثير الحذر ، إذا وعد فعل ، وإن ظلم قتل .
والآخر كأنه شعلة نار ، وكأنه يطلب بثار ، فذاك الموت المائت^(١) ، والداء
السكابت ، فإذا رأيت هذه الصفة فيهم ، فقل لهم عني : لا تجلسوا حتى تأتونى .

فانطلق الغلام ، فأخبرهم الخبر ، فما بعد أمدّه حتى جاءوا ، فأدناهم عبد الله
وقال : إني لم أبعث إليكم وإلى والدتكم إلا لأصلح من أمركم ، وأصنع ما يجب
لكم ؛ فقالوا : إن هذا لا يكون إلا عن مسألة أو مكافأة فعل جميل تقدّم ، ولم يصدر
منا واحدة منهم ؛ فإن كنت أردت التكرّم مبتدئاً ، فعروفك مشكور ، وبرك
مقبول مبرور . فأمر لهم بسبعة آلاف درهم ، وعشر من النوق ؛ فقالت لهم العجوزة :
ليقل كل واحد منكم بيتاً من قوله :

فتال الأكبر :

شهدتُ عليك بحسنِ المقالِ وصدقِ الفعالِ وطيبِ الخبرِ

وقال الأوسط :

تبرعتَ بالبذلِ قبل السؤالِ فعالَ كريمٍ عظيمٍ الخطرِ

(١) الذى لم يمت بعد .

وقال الأصغر :

وَحَقٌّ لِمَنْ كَانَ ذَا فَعْلُهُ أَنْ يَسْتَرِقَ رِقَابَ الْبَشَرِ

وقالت العجوز :

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ مِنْ مَاجِدٍ وَوَقَّيْتُ - مَاعَشْتُ - شَرَّ الْقَدْرِ

ثم ودَّعُوهُ وانصرفوا .

قال تميم اليربوعي : فالتفت إليّ وقال لي : يا تميم ؛ وددت لو وجدتُ مزيداً
في ابتداء المعروف إلى هذه المرأة وبنيتها ، وجعل يتأوه من تقصيره عن مراده في
ذلك . فقلت له : لقد أحسنتَ وأرجحت ، وقد شهد فعلك بما سبق من قولك ،
فأنت أتمُّ الناس عقلاً ، وأكملهم مروءة !

٤٢ — أبو الأسود الدؤلى وزوجه *

قال أبو محمد القشيري :

كان أبو الأسود^(١) الدؤلى من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان ، وأقربهم مجلسًا ، وكان لا ينطق إلا بعقل ، ولا يتكلم إلا بعد فهم .
فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قريش وأشرف العرب ، إذ أقبلت امرأة أبي الأسود حتى حادت معاوية وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ إن الله جعلك خليفة في البلاد ، ورفيقا على العباد ؛ يُستسقى بك المطر ، ويُستنبت بك الشجر ، وتؤلف بك الأهواء ، ويأمن بك الخائف ، ويردع بك الجانف^(٢) ، فأنت الخليفة المصطفى ، والإمام المرتضى ، فأسال الله لك النعمة في غير تغيير ، والعافية من غير تعذيب^(٣) ؛ قد ألتأني إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق على فيه المنهج ، وتفاقم على منه الخرج ، لأمر كرهت عاره ، لما خشيت إظهاره ؛ فلينصفني أمير المؤمنين من الخصم ، فإني أعوذ بهقوته^(٤) من العار الوبيل ، والأمر الجليل ، الذي يشتد على الحرائر ، ذات البعول الأجاثر^(٥) . . .

فقال لها معاوية : ومن بعلك هذا الذي تصفين من أمره المنكر ، ومن فعله المشهر ؟ فقالت : هو أبو الأسود الدؤلى .

* بلاغات النساء ص ٥٣

(١) اسمه ظالم بن عمرو وأبو الأسود كنيته ، وهو معدود في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشرف والفرسان والأمرء والدهاة والنحويين ، كان من أكثر الناس تعلقا بعلی بن أبي طالب وعنه أخذ النحو ، توفي سنة ٩٩ هـ (٢) الجانف : المائل (٣) تعذيب : نقص (٤) القووة : ماحول الدار (٥) البعول : جمع بعل وهو الزوج ، والأجاثر : جمع أجور تفضيل من جار .

فالتفت إليه وقال : يا أبا الأسود ؛ ماتقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الأسود : هي تقول من الحق بعضاً ، ولن يستطيع أحدٌ عليها نقضاً ، أما ما ذكرت من طلاقها فهو حقٌ ؛ وأنا مخبر عنه أمير المؤمنين بالصدق ؛ والله يا أمير المؤمنين ما طقتُها عن ربيعةٍ ظهرت ، ولا لأى هفوةٍ حضرت ؛ ولكن كرهت شئها ؛ فقطعتُ عنى حبالها .
فقال معاوية : وأى شئها يا أبا الأسود كرهت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنك مهيجٌها على بجواب عتيد ^(١) ، ولسان شديد .

فقال معاوية : لا بدّ لك من محاورتها ، فردد عليها قولها عند مراجعتها ؛ فقال أبو الأسود : يا أمير المؤمنين ؛ إنها كثيرة الصخب ، دأمة الذرّب ^(٢) ، مهينةٌ للأهل ، مؤذيةٌ للبعل ، مسيئةٌ إلى الجار ، مظهره للعار ، إن رأت خيراً كتمته ، وإن رأت شراً أذاعته .

فقات : والله لولا مكان أمير المؤمنين ، وحضور من حضره من المسلمين ، لرددتُ عليك بوادر كلامك ، بنوافذ أقرع بها كل ^(٣) سهامك ؛ وإن كان لا يجمل بالمرأة الحرّة أن تشتم بعلا ، ولا أن تظهر لأحد جهلاً .

فقال معاوية : عزمت عليك لما أجبتّه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ما علمته إلا سئولا جهولا ، ملجأً بخيلاً ^(٤) ، إن قال فشرُّ قائل ، وإن سكت فذو دغائل ^(٥) ، ليمث حين يأمن ، وتعلب حين يخاف ، شحيح حين يضاف ، إذا ذكر الجود انتمتع ، لما يعرف من قصر رثائه ، ولو لم آبائه ، ضيفه جائع ، وجارُه ضائع ؛ لا يحفظ جاراً ، ولا يحمى

(١) عتيد : حاضر (٢) الذرّب : حدة اللسان (٣) يقال كل السيف إذا لم يقطع ، فهو كل وكليل (٤) اشتهر أبو الأسود بالبخل ، وله في ذلك نوادر (٥) الدغائل : جمع دغيلة ، والدغيلة دخل في الأمر مقسد .

ذماراً ، ولا يدرك ثاراً ، أكرمُ الناسِ عليه مَنْ أهانه ، وأهونهم عليه مَنْ أكرمه .
فقال معاوية : سبحان الله لِمَا تَأْتِي بِهِ هَذِهِ الْمَرْأَةُ مِنَ السَّجْعِ ! فقال أبو الأسود :
أصلح الله أمير المؤمنين ؛ إنها مطلقةٌ ، ومَنْ أَكْثَرَ كَلَامًا مِنْ مُطَلَّقةٍ ! ثم قال لها
معاوية : إذا كان رَواحاً ^(١) فتعالى أفضلُ بينك وبينه بالقضاء .

فلما كان الرواح جاءت ومعها ابنتها قد احتضنته ؛ فلما رآها أبو الأسود قام
إليها لينتزع ابنته منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود ، لا تعجل المرأة أن تنطق بحجتها .
قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحقُّ بحمل ابني منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود
دعها تَقُلْ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حمته قبل أن تحمله . فقالت : صدق والله
يا أمير المؤمنين ، حمه خفياً ، وحمته ثقلاً ، إن بطنى لو عاؤه ، وإن ثديى لسقاؤه ،
وإن حجري لفناؤه . فقال معاوية : سبحان الله لِمَا تَأْتِينَ بِهِ ! ثم قال لأبي الأسود :
إنها قد غلبتكَ في الكلام ، فتكفَّ لها أبيتاً لعلك تغلبها ؛ فأنشأ يقول :

مَرَحِبًا بِالنِّسَاءِ تَجُورُ عَلَيْنَا ثُمَّ سَهَلًا بِالْحَامِلِ الْمَحْمُولِ
أَغْلَقْتُ بِهَا عَلِيًّا وَقَالَتْ : إِنَّ خَيْرَ النِّسَاءِ ذَاتَ الْبُؤُولِ
شَغَلَتْ نَفْسَهَا عَلَى فِرَاقًا هَلْ سَمِعْتِ بِالْفَارِغِ الْمَشْغُولِ !

فأجابته :

ليس مَنْ قَالَ بِالصَّوَابِ وَبِالْحَقِّ كَمَنْ جَارَ عَنِ مَنَارِ السَّبِيلِ
كَانَ ثَدْيِي سِقَاءَهُ حِينَ يُضْحِي ثُمَّ حَجْرِي فَنَأُوهُ بِالْأُصِيلِ
لَسْتُ أَبْغِي بِوَاحِدِي يَا بَنَ حَرْبٍ بَدَلًا مَا عَلِمْتَهُ وَالْخَلِيلِ ^(٢)

فقضى لها معاوية عليه ، واحتتمت ابنتها وانصرفت .

(١) الرواح : العشى (٢) تريد بالخليل محمداً رسول الله .

٤٣ - إن قريشا تحدّث أنك من أحلمها *

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش البارقيّة
برحلها ، وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه ؛ بالخير خيراً وبالشرّ شراً .
فلما ورد عليه كتابه ، ركب إليها فأقرأها إياه ؛ فقالت : أما أنا فغير زائغة عن
طاعة ، ولا معتلة بكذب ! ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأموّر تختلج^(١) في
صدرى .

فلما حملها وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى
أنه يجازيني بمولك في بالخير خيراً وبالشرّ شراً ، فما عندك ؟ قالت : يا هذا ؛ لا يطمعك
بربك بي أن أسرك بباطل ، ولا تؤنسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق .
فسارت خير مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فأنزّلها مع حريمه ثلاثاً ، ثم
أذن لها في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ؛ فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين
ورحمه الله وبركاته ؛ قال لها : وعليك السلام يا أم الخير ، وبالرغم منك دعوتني بهذا
الاسم ، قالت : مه^(٢) يا أمير المؤمنين ! لكل أجل كتاب .

قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : لم
أزل في عافية وسلامة حتى صرت إليك ؛ فأنا في عيش أنيق ، عند ملك رفيق ؛
قال معاوية : بحسن نيتي ظفرت بكم ، وأعنت عليكم ! قالت : يا أمير المؤمنين أعيدك

* العقد الفريد ص ٢١٧ ج ١ ، بلاغات النساء ص ٤١

(١) تتردد فيه (٢) مه : كف .

بالله من دَحْضٍ (١) المقال وما تُرِدِي عاقبته ، قال : ليس لهذا أَرَدْنَاكَ . قالت : إنما أُجْرِي في ميدانك ، فاسأل عما بدالك ! قال : أخبريني كيف كان كلامك يوم قُتِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ؟ قالت : لم أكنُ والله زورته (٢) قبلُ ، ولا رويتهُ بعدُ ، وإنما كانت كلماتُ نَفَثٍ لسانِي حين الصَّدْمَةِ ، فإن شئتَ أن أُحْدِثَ لك مقالا غير ذلك فَعَلْتُ ، قال : لأشاء ذلك .

ثم التفت إلى أصحابه فقال : أيكم يحفظُ كلامَ أمِّ الخير ؟ فقال رجلٌ من القوم : أنا أحفظُهُ يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد ، قال : هاته ؛ قال : نعم ! كأنني بها يا أمير المؤمنين في ذلك اليوم عليها بُرْدٌ زَبِيدِي كَثِيفِ الحاشية ، وهي على جمل أَرَمَك (٣) وقد أُحِيطَ حولها حواء (٤) ، وييدها سوط منتشر الضفر (٥) ، وهي كالنحل يهدر في شِقْشِقَتِهِ (٦) تقول :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ » ! إن الله قد أوضح الحق ، وأبان الدليل ، ونور السبيل ، ورفع العلم ، فلم يدعكم في عمياء مُبْهَمَةٍ ! ولا سوداء مُدْهِمَةٍ (٧) ، فإلى أين تريدون رحمكم الله ! أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم فراراً من الزحف ، أم رغبةً عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحق ! أما سمعتمُ الله عز وجل يقول : « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ » أخبَرَكمُ

ثم رفعتُ رأسها إلى السماء وهي تقول :

(١) دحض المقال : باطله (٢) زور الكلام : أعده ، تريد أنها قالت ارتجالاً (٣) أرمك : لونه لون الرماد (٤) الحواء : ما يعمل كالوسادة للراكب على رحل الجمل بدون هودج (٥) ضفر الشعر : لى بعضه على بعض (٦) الشقشقة : شيء يخرج البعير من فيه إذا هاج (٧) ادلهم الظلام : كثفه وأسود ، وأسود مدلهم مبالغة .

قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشر الرعب، وبيدك يارب أمة القلوب؛
فاجمع الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى، واردد الحق إلى أهله.
هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل، والوصى الوفي، والصديق الأكبر! إنها حن
بدرية^(١)، وأحقاد جاهلية، وضغائن أحدية^(٢)، وثب بها معاوية حين الغفلة
ليدرك بها ثارات بني عبد شمس^(٣).

ثم قالت: «قاتلوا أئمة الكفر إنهم لأيمان لهم لعلمهم ينتهون»، صبرا
معشر المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم، وكأني
بكم غداً قد لقيتم أهل الشام كحمرٍ مستنفرة^(٤)، فرّت من قسورة^(٥)، لا تدرى
أين يسلك بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى،
وباعوا البصيرة بالعمى، وعمّا قليل ليصبيحن نادمين حين تحل بهم الندامة،
فيطلبون الإقالة! إنه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل، ومن لم يسكن الجنة
نزل في النار.

أيها الناس، إن الأكياس^(٦) استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستبطئوا
مدة الآخرة فسعوا لها: فالله الله أيها الناس قبل أن تبطل الحتموق، وتعطّل الحدود،
ويظهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان، فإلى أين تريدون - رحمكم الله - عن ابن
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته وأبي ابنه^(٧)؟ خلّج من

(١) بدر وأحد: واقعتان بين النبي والمشرّكين (٣) قوم معاوية، لأن علياً قتل كثيراً منهم في
وقعتي بدر وأحد (٤) مستنفرة: نافرة (٥) القسور: الأسد، والجمع قسورة (٦) الأكياس:
جمع كياس وهو العاقل (٧) تريد الحسن والحسين وهما ابنا فاطمة.

طِينَتِهِ ، وَتَفَرَّعَ عَنْ نَبْعَتِهِ ، وَخَصَّه بِسِرِّهِ ، وَجَعَلَهُ بَابَ مَدِينَتِهِ ^(١) ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِمَعُونَتِهِ ، وَيَمْضِي عَلَى سَنَنِ اسْتِقَامَتِهِ لَا يَهْرَجُ ^(٢) لِرَاحَةِ اللِّذَاتِ .

وَهُوَ مُفْلِقُ الهَامِ وَمَكْسِرُ الأَصْنَامِ ؛ إِذْ صَلَّى وَالنَّاسَ مُشْرِكُونَ ، وَأَطَاعَ وَالنَّاسَ مَرْتَابُونَ . فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَتَلَ مُبَارِزِي بَدْرٍ ، وَأَفْنَى أَهْلَ أَحُدٍ ، وَفَرَّقَ جَمْعَ هَوَازِنَ ، فَيَالِهَا وَقَائِعَ زَرَعَتْ فِي قُلُوبِ قَوْمٍ نِفَاقًا ، وَرِدَّةً وَشِقَاقًا . وَقَدْ اجْتَهَدْتُ فِي القَوْلِ ، وَبَالِغْتُ فِي النِّصِيحَةِ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ يَا أُمَّ الْخَيْرِ مَا أَرَدْتُ بِهِذَا إِلا قَتَلِي ! وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُكَ مَاحَرَجْتُ ^(٣) فِي ذَلِكَ .

قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا يَسُوؤُنِي يَا بَنَ هَنْدٍ أَنْ يُجْرِيَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيَّ يَدِي مِنْ يُسْعِدُنِي اللَّهُ بِشِقَائِهِ ؛ قَالَ : هِيَاتِ ! يَا كَثِيرَةَ الفُضُولِ ! مَا تَقُولِينَ فِي عُمَانَ بْنِ عِفَانَ ؟ قَالَتْ : وَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ فِيهِ ! اسْتَخْلَفَهُ النَّاسُ وَهُمْ كَارِهُونَ ، وَقَتَلُوهُ وَهُمْ رَاضُونَ ، فَقَالَ : إِيهًا يَا أُمَّ الْخَيْرِ ، هَذَا ثَنَاؤُكَ الَّذِي تَتْنِينَ ؟ قَالَتْ : لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ ، وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ، مَا أَرَدْتُ بِعُمَانَ تَقْصًا ، وَلَقَدْ كَانَ سَبَّاقًا إِلَى الْخَيْرَاتِ ، وَإِنَّهُ لَرَفِيعُ الدَّرَجَةِ . قَالَ : فَمَا تَقُولِينَ فِي طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ؟ قَالَتْ : وَمَاعَسَى أَنْ أَقُولَ فِي طَلْحَةَ ؟ اغْتِيلَ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَأَتَى مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْدَرُ ، وَقَدْ وَعَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَمَا تَقُولِينَ فِي الرَّزْبِيِّ ؟ قَالَتْ : يَا هَذَا لا تَدْعُنِي كَرَجِيعِ الصَّبَّيغِ يُعْرَكُ

(١) لعلها تشير إلى ما يروى عن النبي : أنا مدينة العلم وعلى بابها (٢) لا يهرج : لا يميل

(٣) ما حرجت : ما أمت .

في المِرْكَنِ^(١)، قال : حَقًّا لَتَقُولَنَّ ذَلِكَ ، وقد عَزَمْتُ^(٢) عليك ، قالت : وما عَسَيْتُ
أن أقولَ في الزبير ابن عمِّه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريِّه^(٣) ؟ وقد شهد
له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ولقد كان سَبَّاقًا إلى كلِّ مَكْرُمَةٍ في الإسلام .
وإني أسألك بحق الله يامعاوية ؛ فإن قريشًا تُحَدِّثُ أنك من أحلمها ، أن تسعني
بفضل حلمك ، وأن تُعَفِّينِي من هذه المسائل ، وامنص لما شئت من غيرها ؛ قال :
نعم وكرامةً قد أعفيتك ، وردَّها مكرِّمةً إلى بلدها .

(١) المِرْكَن : الإِناء يغسل فيه الثياب ويعرك : يحك ، والرَّجِيع : المردود أى لاتجعلني كالثوب
المصبوغ يحك في الإِناء مرة بعد أخرى لإخراج صبغه منه ؛ تشبه محاورة معاوية إياها ، وسؤاله
لها مرة بعد مرة لاستخراج ما في نفسها مما يغسل من الثياب المصبوغة لاستخراج صبغها منها
(٢) أقسمت عليك (٣) الحوارى : ناصر الأنبياء .

٤٤ — سودة بنت عمارة عند معاوية ! *

وفدت سودة بنت عمارة على معاوية بن أبي سفيان، فاستأذنت عليه فأذن لها .
فلما دخلت سلمت عليه ، فقال لها : كيف أنت ياسودة ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين !
قال لها : أنت القائلة يوم صفين ^(١) :

شمر كفعل أبيك يا بن عمارة يوم الطعان وملتقى الأقران ^(٢)
وانصر عليًا والحسين ورهطه واقصد لهند ^(٣) وابنها بهوان
إن الإمام أخا النبي محمد علم الهدى ومنارة الإيمان
فقيه الختوف ^(٤) وسر أمم لوائه قدمًا بأبيض صارم ^(٥) وسنان

قالت : إى والله ، ما مثلى من رغب عن الحق ، أو اعتذر بالكذب ! قال لها :
فما حملك على ذلك ؟ قالت : حبّ عليّ ، واتباع الحق ، قال : فوالله ما أرى عليك
من أثر علىّ شيئًا ، قالت : أنشدك الله يا أمير المؤمنين ؛ مات الرأس ، وبتر الذنب ،
فدع عنك إعادة ما مضى ، وتذكر ما قد نسى ! قال : هيهات ! ليس مثل مقام
أخيك ينسى ! وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك ! قالت : صدق
فوك والله يا أمير المؤمنين ؛ ما كان أخى ذميم المقام ، ولا خفي المكان ، ولكن
كما قالت الخنساء :

* العقد ص ٢١١ ج ١ ، بلاغات النساء ص ٣٥

(١) هو يوم من أيام الحرب بين علي ومعاوية (٢) الأقران : الأكفاء (٣) هند :
أم معاوية (٤) الختوف : المنايا (٥) الصارم : السيف القاطع ، والسنان : سنان الرمح .

وإن صخرًا لتأتتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وبالله أسأل يا أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيت منه . قال : قد فعلت ، فقولي حاجتك ! قالت : يا أمير المؤمنين ؛ إنك أصبحت للناس سيداً ، ولأمورهم متقلداً ، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبطش بسطانك ، فيحصدنا حصاد السنبُل ، ويدوسنا دِياس البقر ، ويسومنا الخسيصة ، ويسلبنا الجليلة ؛ هذا ابن أَرْطَاة^(١) قدم علينا من قبلك فقتل رجالي ، وأخذ مالي ، يقول لي : فوهي بما استعصم الله منه ، وأجأ إليه فيه^(٢) ، ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومنعة ! فإما عزلته فشكرناك ، وإما لا فعرفناك !

فقال معاوية : إياي تهديد دين بقومك ! والله لقد هممت أن أردك إليه على قتب أشرس^(٣) ، فينفذ حكمه فيك ؛ فأطرقت تبكي ، ثم أنشأت تقول :

صلى الإله على روح تضمَّنه قبرٌ فأصبح فيه العدلُ مدفوناً
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والإيمان مَقْرُوناً

قال لها : ومن ذلك ؟ قالت : عليُّ بن أبي طالب رحمه الله تعالى ! قال : وما صنع بك حتى صار عندك كذلك ؟ قالت : أتيتُه يوماً في رجل ولاء صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين ، فوجدته قائماً يصلي ، فانفتل عن الصلاة^(٤) ، ثم قال برأفة وتعطف : ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فبكي ، ثم رفع يديه إلى السماء ، فقال : اللهم إنك أنت الشاهد عليّ وعليهم ، إني لم أمرهم بظلم خلقك ،

(١) ابن أَرْطَاة : بسر بن أَرْطَاة كان معاوية سيره إلى الحجاز واليمن ليقتل شيعة علي ويأخذ البيعة له (٢) تعني : أنه يطلب منها أن تسب علياً (٣) القتب : الإكاف على قدر سنام البعير ، والمراد نفس البعير بدليل الصفة بعده ، وأشرس : لم يرض (٤) انفتل عن صلته : انصرف .

ولا بتركِ حقك ، ثم أخرج من جيبه قطعةً من جراب ، فكتب فيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم : قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا^(١) النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ » . إذا أتاك
كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام .

فأخذته منه يا أمير المؤمنين ، ماخرمه بخرام ، ولا ختمه بختم فقرأته .
فقال معاوية : اكتبوا بالإنصاف لها والعدل عليها ! قالت : إلى خاصة أم لقومى
عامة ؟ قال : وما أنتِ وغيركِ ؟ قالت : هى والله إذن الفحشاء واللؤم ؛ إن كان
عدلا شاملا ، وإلا يسعنى ما يسع قومى !

قال : هيهات ! لمظكم^(٢) ابن أبى طالب الجرأة ، وغرّكم قوله :
فلو كنتُ بوًّا با على باب جنّةٍ لقلتُ لهمدان : ادخلوا بسلام
اكتبوا لها ولقومها !

(١) القسط : العدل ، والبخس : النقص والظلم (٢) لمظه : ذوقه .

٤٥ — مثلك من قدر فعفا *

لما ولى معاوية الخلافة ، وانتظمت إليه الأمور ، وامتلات منه الصدور ،
وأذعن لأمره الجمهور ، وساعده الله في مراده ، استحضر ليلةً خواصَّ أصحابه ،
وذاكرهم وقائع أيامِ صِفِّين ، ومنَ كان يتولَّى كِبَر الكريهة من المعروفين ،
فانهمكوا في القول الصحيح والمريض ، وآل حديثهم إلى مَنْ كان يجتهدُ في إيقاد
نارِ الحرب عليهم بزيادة التحريض . فقالوا : امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء ^(١)
بنت عدى ، كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف ، وترفع صوتها صارخة : يا أصحاب
على . تُسمِعهم كلاماً كالصوارم ، مستحثةً لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل ، والمدبر
لأقبل ، والمسالِمُ لحارب ، والفارُّ لكرٍّ ، والمتزلزل لاستقرَّ .

فقال لهم معاوية : أيُّكم يحفظُ كلامها ؟ قالوا : كلُّنا نحفظه . قال : فما تشيرون
عليَّ فيها ؟ قالوا : نشير بقتلها ، فإنها أهلٌ لذلك . فقال لهم معاوية : بئس ما أشرتمُ
به ، وقُبْحاً لما قلتم ؛ أيحسُن أن يشتهرَ عني أنِّي بعد ما ظفرت وقدرتُ قتلتُ
امرأةً قد وفّت لصاحبها ؟ إني إذن للئيم . لا والله لا فعات ذلك أبداً .
ثم دعا بكتابه فكتب كتاباً إلى واليه بالكوفة : أن أنفذ إلى الزرقاء

* العقد الفريد ص ٢١٣ ج ١ ، عصر المأمون ص ١٧ ج ٢ ، بلاغات النساء ٣٧

(١) هي الزرقاء بنت عدى بن غالب بن قيس الهمدانية : كانت من أهل الكوفة ، وكانت
ذات شجاعة فائقة ، وبلاغة نادرة ، شهدت مع قومها واقعة صِفِّين ، ولها عدة خطب تحرض
الناس فيها على القتال ضد معاوية .

بنت عدى ، مع نفر من عشيرتها وفرسانٍ من قومها . ومهد لها وطاءً ليناً ومركباً
ذلولاً .

فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها وقرأه عليها . فقالت بعد قراءة الكتاب :
ما أنا بزائغة عن الطاعة . فحملها في هودجٍ ، وجعل غشاه خزاناً مبطناً ، ثم أحسن
صحبتها .

فلما قدمت على معاوية ، قال لها : مرحباً وأهلاً ، خيرَ مَقَدَمٍ قَدِمَهُ وافدٌ .
كيف حالك ياخالة ؟ وكيف رأيت سيرك ؟ قالت : ربيبة بيت أو طفلاً مهداً .
فقال : بذلك أمرناهم . هل تعلمين لم بعثتُ إليك ؟ قالت : وأنى لى بعلم ما لم أعلم ؟
لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى . قال : ألسنِ الراكبةَ الجمل الأحمر ، يوم
صِفِّينَ ؟ وأنت بين الصفوف توقدين نارَ الحرب ، وتحرضين على القتال ؟ قالت :
نعم . قال : فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ؛ إنه قد مات الرأسُ وبتَرَ
الذَّنبُ ، ولن يعود ما ذهب ، والدهر ذو غيرٍ ، ومن تفكَّر أبصر ، والأمر يحدث
بعده الأمر .

فقال : صدقتِ ، فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت ؟ قالت : لا والله .
ولقد أنسيته . قال : لله أبوك ! فلقد سمعتك تقولين : أيها الناس ؛ ارعوا وارجعوا !
إنكم أصبحتم في فتنة غشتكم جلايبب الظلم ، وجارت بكم عن قصد المحاجة ،
فيألها فتنة عمياء صماء بكاء لا تسمع لناعقها ، ولا تسلس لقائدها .

إن المصباح لا يضيء في الشمس ، وإن الكواكب لا تنيرُ مع القمر ، وإن
البغل لا يسبق الفرس ، ولا يُقَطَع الحديد إلا بالحديد ، ألا من استرشدنا أرشدناه ،
ومن سألنا أخبرناه !

أيها الناس إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ! فصبراً يا معشر المهاجرين والأَنْصار على الغُصص ! فكأنكم وقد التأم شملُ الشّتات ، وظهرت كلمة العدل ، وَغَلَبَ الحقُّ باطله . فإنه لا يستوى الحق والمبطل . أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ؟ لا يَسْتَوُونَ . فالنَّزَالُ النَّزَالُ ، والصبرَ الصبرَ ! ألا إن خِضَابَ النساءِ الحِنَاءَ ، وخِضَابَ الرجالِ الدماء . والصبر خير الأمور عاقبة . إئتوا الحرب غير ناكسين ؛ فهذا يوم له ما بعده .

ثم قال : يا زرقاء أليس هذا قولك وتحريضك ؟ قالت : لقد كان ذلك ! قال : لقد شاركتِ علياً في كل دمٍ سفكه . فقالت : أحسن الله بِشَارَتِكِ يا أمير المؤمنين ، وأدام سلامتك . فَمَثَلُكَ مَنْ بَشَّرَ بِخَيْرٍ وَسَرَّ جَلِيسَهُ .

فقال معاوية : أو يسركِ ذلك ؟ قالت : نعم ، والله لقد سرني قولك ، وأتى لي بتصديق الفعل ؟ فضعتك معاوية وقال : والله لو فَاؤُكُمْ له بعد موته أعجب عندي من حُبِّكم له في حياته ؛ اذ كرى حاجتك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين إني آليت على نفسي ألا أسألَ أحداً أعنتُ عليه أبداً . فقال : قد أشار عليٌّ بعضُ من عرفك بقتلك . فقالت : لَوْؤُمٌ من المشير ، ولو أطمعته لشاركتته . قال : كلا بل نَعَفُو عَنْكَ ونَحْسَنُ إِلَيْكَ ونَرَعَاكَ . فقالت : يا أمير المؤمنين كرمٌ منك ، ومِثْلُكَ من قَدَرَ فعفا ، وتجاوز عن أساء ، وأعطى من غير مسألة .

فأعطاها كِسْوَةً ودرَاهِمَ ، وأقطعها ضيعةً تُغَلِّ لها في كل سنةٍ عشرة آلاف درهم ، وأعادها إلى وطنها سالمةً ، وكتب إلى والي الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها .

٤٦ - نهيكم على ! *

يروى أن عكرشة بنت الأترش دخلت على معاوية مُتَوَكِّمَةً على عُكَّازٍ لها ، فسَلَّمَتْ عليه بالخِلافة ، ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن صرتُ عندك أميرَ المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إذ لا علىَّ حتى ! قال : ألسنتِ المتقلدة حائلَ السيف بصفين^(١) وأنت واقفة بين الصَّفين تقولين :

أيها الناس ، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم . إن الجنة لا يحزن من قطعها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ؛ فابتاعوها بدارٍ لا يدومُ نعيمها ، ولا تنصرمُ همومها . وكونوا قومًا مُسْتَبْصِرِينَ في دينهم ، مُسْتَظْهِرِينَ على حقهم .

إن معاوية دَلَفَ إليكم بعجم العرب ، لا يفقهون الإيمان ، ولا يدرون ما الحكمة ، دعاهم إلى الباطل فأجابوه ، واستدعاهم إلى الدنيا فلبَّوه . فالله الله عباد الله في دين الله ؟ وإياكم والتواكل فإن ذلك ينقضُ عُرَا الإسلام ، ويُطْفِئُ نورَ الحق . هذه بَدْرُ الصُّعْرَى . والعقبةُ الأخرى . يامعشرَ المهاجرين والأنصار ، امضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيتمكم ، فكأنى بكم غدًا وقد لقيتم أهلَ الشام كالحُرِّ الناهقة ، تقصعَ قصعَ البعير^(٢) .

* بلاغات النساء ص ٤١ ، العقد الفريد ج ١ ص ٢١٦

(١) موضع قرب الرقة بشاطئ الفرات كانت به الوقعة العظمى بين علي ومعاوية في غرة صفر سنة ٣٧ هجرية (٢) يقال : قصع البعير بجرته يقصع قصعًا : مضغها .

ثم قال : فكأنى أراكِ على عصاكِ هذه قد انكفأ^(١) عليكِ العسكرانُ يقولون : هذه عكرشة بنت الأطرش ، فإن كدتِ لتفليين^(٢) أهل الشام لولا قدرُ الله ، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا ، فما حملكِ على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، يقول الله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن بُدِّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ وَإِن سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلُكُمْ عفا الله عنها والله غفورٌ حلِيمٌ » . وإن اللبيب إذا كره أمرًا لا يجب إعادته .

قال : صدقتِ ، فاذكري حاجتك ؛ قالت : كانت صدقاتنا تُؤخذ من أغنيائنا فتردُّ على فقرائنا ، وقد فقدنا ذلك ، فما يُجبرُ لنا كسِير ، ولا يُنعشُ لنا فقيرٌ ، فإن كان عن رأيكِ فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيكِ فما مثلك من استعان بالخوانة ، ولا استعمل الظلمة .

قال معاوية : ياهذه ، إنه ينوبنا من أمورِ رعيتنا تُغورُ تنفقُ ، وبحورُ تندققُ ، قالت : سبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقًا فجعل فيه ضررًا لغيرنا وهو علامُ الغيوب ؛ قال معاوية : هيهات يا أهل العراق ! نهبكم على فلن تطاقوا .
ثم أمر بردَّ صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

(١) انكفأ : رجع (٢) فل الجيش : هزمه .

٤٧ — وهل أحل عندك محل علي؟*

حجّ معاوية سنة من سنّيه ، فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالبحجون^(١) ، يقال لها دارميّة الحجونيّة ، وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأخبر بسلامتها ، فبعث إليها فجيء بها ، فقال : ما حالك يا بنةَ حامٍ ؟ فقالت : لست لحامٍ إن عبتني ، إنما أنا امرأة من بني كنانة ، ثمّ من بني أبيك ، قال : صدقت ، أتدرين لم بعثتُ إليك ؟ قالت : لا أعلم الغيب إلا الله . قال : بعثتُ إليك لأسألك : علامَ أحببتِ علياً وأبغضتني ، وواليتّه وعاديتني ؟ قالت : أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك ، قالت : أما إذ أبيت ، فإني أحببتُ علياً على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر ، وطلبتِك^(٢) ما ليس لك بحق ، وواليتُ علياً على ما عقد له رسول الله من الولاء ، وعلى حبه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وشقّك العصا ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بطنك ! قالت : يا هذا ؛ بهند^(٣) والله كان يُضرب المثل في ذلك لابني . قال معاوية : يا هذه اربعي^(٤) ، فإنما لم نقل إلا خيراً ، فرجعت وسكنت .

* العقد الفريد ص ١٣٢ ج ١ ، صبح الأعشى ص ٢٥٩ ج ١ ، بلاغات النساء ص ٦٧ .
(١) الحجون : جبل بمكة (٢) الطابة : الطاب (٣) هند : أم معاوية (٤) ربع : وقف وانتظر وتحبس .

فقال لها : يا هذه هل رأيتِ عليًّا؟ قالت : إى والله لقد رأيتُه . قال : فكيف رأيتُه ؟ قالت : رأيتُه والله لم يفتنه الملك الذى فتنتك ، ولم تشغله النعمة التى شغلتك . قال : هل سمعتِ كلامه ؟ قالت : نعم والله ، فكان يجلو القلوب من العمى ، كما يجلو الزيتُ الصدأ .

قال : صدقت ، فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطينى مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أغدو بالبانها الصغار ، وأستحيى بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر . قال : فإن أعطيتك ذلك فهل أحلّ عندك محلّ علي ؟ قالت : ماء ولا كصداء^(١) ، ومرعى ولا كالسعدان^(٢) ، وفتى ولا كالك^(٣) ، سبحان الله أو دونه ! فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعدْ بالحلم منى عليكمُ فمن ذا الذى بعدى يُومَل للحلمِ
خذيها هنيئًا ، واذكرى فعلَ ماجدٍ جزاكِ على حرب العداوة بالسلمِ
ثم قال : أما والله لو كان علىَّ حياً ما أعطاك منها شيئاً ، قالت : لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين !

(١) صداء : عين لم يكن عندهم ماء أعذب من مأها (٢) السعدان : نبت ذو شوك ، وهو من أفضل مراعى الإبل (٣) قاله متمم بن نويرة فى أخيه مالك لما قتل فى الردة ، والأمثال الثلاثة تضرب للشىء يفضل على أقرانه .

٤٨ - نَبَحْتَنِي كِلَابُكَ ! *

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها - وهو يومئذ بالمدينة - وعنده مروان بن الحكم ، وعمرو بن العاص - فدخات عليه ، وكانت امرأة قد أسنت ، وعشى^(١) بصرها ، وضعت قوتها ، ترعش بين خادمين لها ، فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام . وقال : كيف أنت يا خالة ؟ فقالت : بخير يا أمير المؤمنين ! قال : غيرك الدهر ، قالت : كذلك هو ذو غير^(٢) ، من عاش كبير ، ومن مات قير ! قال عمرو بن العاص : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين يوم صفين :

يا زيدُ دونك فاحنفر^(٣) من دارنا سيفاً حُساماً في التراب دفيناً
قد كنت أذخره^(٤) ليوم كريمةٍ فاليوم أبرزه الزمان مصوناً
قال مروان : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أترى ابن هندٍ للخلافة مالكا هيات ! ذاك - وإن أراد - بعيدُ
منتك نفسك في الخلاء ضلالةً أغراك عمرو للشقا وسعيدُ
قال سعيد بن العاص : هي والله القائلة :

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أميةً خاطباً

* بلاغات النساء ص ٤٠ ، العقد الفريد ص ٢١٢ ج ١

(١) عشى بصرها : ضعف (٢) غير الدهر : أحواله المتغيرة (٣) احنفر الشيء : تقاه كما تحفر الأرض بالحديدة (٤) أذخره (٥) معاوية .

فَاللَّهُ أَخْرَ مَدَّتِي فَتَطَاوَلْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَابًا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلزَّمَانِ خَطِيئُهُمْ بَيْنَ الْجَمِيعِ لَأَلِ أَحْمَدَ عَائِبًا
ثُمَّ سَكْتُوا ! فَقَالَتْ بَكَّارَةٌ : نَبَحْتَنِي كَلَابِكُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاعْتَوَرْتَنِي ^(١) ،
فَقَصَّرَ مَحْجَنِي ، وَكَثُرَ عَجْبِي ، وَعَشَى بِصَرِي .
وَأَنَا وَاللَّهِ قَائِلَةٌ مَا قَالُوا ، لَا أَدْفَعُ ذَلِكَ بِتَكْذِيبٍ ، وَمَا خَفِيَ عَلَيْكَ مِنِّي أَكْثَرَ ،
قَامِضٍ لِسَانِكَ ، فَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بِمَدِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَضَحَكَ مَعَاوِيَةَ ، وَقَالَ :
لَيْسَ يَمْنَعُنَا ذَلِكَ مِنْ بَرِّكَ ! إِذْ كَرَى حَاجَتَكَ ! قَالَتْ : أَمَا الْآنَ فَلَا !

(١) تناوبتني ، والمحجن : العصا المعقوفة الرأس .

٤٩ — أروى بنت الحارث *

دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية ، وهى عجوز ، فلما رآها معاوية قال : مرحباً بك وأهلاً يا عمّة ! فكيف كنت بعدنا ؟ قالت : يا ابن أخى ؛ لقد كفرت بالنعمة ، وأسأت لابن عمك ^(١) الصّحبة ، وتسمّيت بغير اسمك ، وأخذت ^(٢) غير حقك ، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فأتعس ^(٣) الله منكم الجُدود ، وأضرع منكم الحدود ، وردّ الحقّ إلى أهله ، ولو كره المشركون !

وكانت كلبتنا هى العليا ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) هو المنصور على من ناواه ، ولو كره المشركون ؛ فكنا - أهل البيت - أعظم الناس فى الدين حظاً ونصيباً وقدرًا ، حتى قبض الله نبيه ، فولّيتم علينا من بعده ، وتحتجون بقرابتكم من رسول الله ، ونحن أقربُ إليه منكم ، وأولى بهذا الأمر ، فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل فى آل فرعون ؛ وكان على بن أبى طالب - رحمه الله - بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى ؛ فعايتنا الجنة ، وغايتكم النار .

فقال لها عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز الضالّة ! وأتصرى من قولك ،

وغضى من طرفك !

* العقد الفريد ص ٢١٩ ج ١ ، بلاغات النساء ص ٣٢

(١) تريد على بن أبى طالب (٢) تشير إلى أخذها الخلافة (٣) أهلك ، أو أعثر ، والجودود الحظوظ .

فقلت له : وأنت ياعمرو تتكلم ، اعن بشأن نفسك . فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ، ولا كريم منصبها ، وأمك كانت أشهر امرأة تغنى بمكة ، وأخذهن لأجرة !

فقال مروان : كفى أيتها العجوز ، وأقصرى لما جئت له . فقلت : وأنت أيضاً يابن الزرقاء تتكلم ! ثم التفتت إلى معاوية فقالت : والله ماجراً على هؤلاء غيرك ! وإن أمك القائلة في قتل حمزة :

نحن جزيناً كم بيوم بدرٍ والحربُ بعد الحرب ذاتُ سَعْرِ (١)

ما كان عن عتبة لي من صبرٍ أبي وعمي وأخي وصهرى (٢)

شفيت وحشى (٣) غليلَ صدرى شفيتَ نفسى وقضيتَ نذرى

فشكرُ وحشى على دهرى حتى ترمَّ أعظمى في قبرى

فقال معاوية لمروان وعمرو : ويلكما ! أنما عرضتماني لها وأسمعتماني ما أكره ،

ثم قال لها : يا عمة ! اقصدى قصد حاجتك ، ودعى عنك أساطير النساء ! قالت :

تأمر لي بألفى دينار ، وألفى دينار ، وألفى دينار ! قال : ما تصنعين يا عمة بألفى دينار ؟

قالت : أشتري بها عيناً خرخرارة (٤) في أرض خوارة (٥) ، تكون لولد الحارث

ابن عبد المطلب ! قال : نعم الموضع وضعها ! فما تصنعين بألفى دينار ؟ قالت :

أستعين بها على عسر المدينة ، وزيارة بيت الله الحرام ! قال : نعم الموضع وضعها !

فما تصنعين بألفى دينار ؟ قالت : أزوج بها فتيان عبد المطلب من أكفأهم ! قال :

نعم الموضع وضعها ! هى لك !

(١) ذات سَعْرِ : من سَعْرِ الحرب : أوقدها (٢) تشير إلى من قتل من بنى أمية يوم بدر

(٣) وحشى : قاتل حمزة يوم أحد (٤) خرخرارة : عين ماء جارية (٥) خوارة : منخفضة ،

والمراد : أرض تصلح للزراعة ليست وعرة .

ثم قال لها : والله لو كان عليّ ما أمر لكِ بها ! قالت : صدقت ؛ إن علياً أدى الأمانة ، وعملَ بأمر الله ، وأخذَ به ، وأنتَ ضيعتَ أمانتكِ ، وخُنتَ اللهَ في ماله ، فأعطيتَ مالَ الله من لا يستحقه ، وقد فرض الله في كتابه الحقوقَ لأهلها وبينها ، فلم تأخذ بها ، ودعانا عليٌّ إلى أخذ حَقنا الذي فرضَ الله لنا ، فَشِغِلَ بحربك عن وضع الأمور مواضعها ، وما سألتُك من مالكَ شيئاً ، فتمنَّ به ، إنما سألتُك من حقنا ، ولا نرى أخذ شيءٍ غير حقنا ! أتذكرُ عليّاً ! فضَّ الله فاك ! ثم علا نحيبها وقالت :

ألا ياعين ويحكِ أسعدينا ألا وابكِي أميرَ المؤمنين
رُزينا^(١) خيرَ مَنْ ركب المطايا وفارسها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال أو احتذاها ومن قرأ المثاني^(٢) والمئينا

فأمر لها بستة آلاف دينار، وقال لها: يا عمة؛ أنفقي هذه فيما تحبين، فإذا احتجبتِ فاكتبي إلى ابنِ أخيكِ يحسنَ صَفَدَكَ^(٣) ومعونتكِ إن شاء الله !

(١) رزينا : أصبنا (٢) المثاني : آيات القرآن (٣) الصفد : العطاء .

٥٠ — أم سنان تشكو مروان *

حبس مروان^(١) بن الحكم ، وهو والى المدينة ، غلاماً من بنى ليث فى جناية جناها بالمدينة ، فأنته جدّة الغلام — وهى أم سنان بنت خيشمة المذحجية — فكلمته فى الغلام ، فأغظ لها ؛ فخرجت إلى معاوية ، فدخلت عليه فانتسبت له فعرفها ، فقال لها : مرحبا يا بنت خيشمة ؛ ما أقدمك أرضنا وقد عهدتكم تشنئين^(٢) قربي ، وتحضين^(٣) على عدوى !

قالت : يا أمير المؤمنين ! إن لبنى عبد مناف أخلاقاً طاهرة ، وأحلاماً وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسهنون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ماسن آباؤه لأنت ! قال : صدقت ، نحن كذلك ، فكيف قولك^(٤) :

عزب^(٥) الرقاد ، فقلتي لآتر قد
والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا
إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا على كاهلال تحفه
وسط السماء من الكواكب أسعد^(٦)
خير الخلاق وابن عم محمد
إن يهدكم بالنور منه تهتدوا
ما زال مذ شهد الحروب مظفراً
والنصر فوق لوائه ما يفقد

* العقد الفريد ص ٢١٤ ج ١ ، بلاغات النساء ص ٦٨

(١) ولد مروان بن الحكم سنة ٢ هـ وأسلم أبوه الحكم يوم الفتح ، فنشأ مروان مسلماً ، وكتب لثمان فى خلافته وولى لمعاوية المدينة مرات وبويع بالخلافة والكن لم تطل مدته فيها ومات سنة ٦٥ هـ (٢) تشنئين قربي : تبغضين (٣) تحضين : تحرضين (٤) يذكرها بقولها فى الحرب التى كانت بينه وبين على بن أبى طالب لأنها كانت من شيعة على (٥) عزب : بعد (٦) سعود الجوم عشرة : منها سعد الذابح وسعد السعود ، وهى تشير إلى صحابة على .

قالت : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ؛ وأرجو أن تكون لنا خلفاً ! فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ، وهي القائلة أيضا ؟

إِذَا هَلَكْتَ أبا الحسين فلم تَزَلْ بالحق تُعرَف هاديا مَهْدِيًا
فأذهبْ، عليك صلاةُ ربك مادعت^(١) فوقَ العِصونِ حمامةٌ قُرْبِيًا^(٢)
قد كنتَ بعد محمدٍ خَلْفًا كما أوصى إليك بنا ، فكنتَ وقِيًا
فاليوم لاخلفُ يُؤمَلُ بعده هيهات نمدحُ بعده إنسيًا
قالت : يا أمير المؤمنين ؛ لسانُ نطقٍ ، وقول صدق ، وأئن تحقق فيك ماظننا ،
لحظك الأوفر ، والله ماورثك الشنان^(٣) في قلوب المسلمين إلاهؤلاء ، فأدحض
مقاتلهم ، وأبعد منزلتهم ، فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قرباً ، ومن المؤمنين
حباً .

قال : وإنك لتقولين ذلك ! قالت : ياسبحان الله ! والله مامثلك مُدحٍ بباطل ،
ولا اعتذر إليه بكذب ؛ وإنك لتعلم ذلك من رأينا ، وضمير قنوبنا .
كان والله على أحبِّ إلينا منك ، وأنت أحبُّ إلينا من غيرك . قال : ممن ؟
قالت : من مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، قال : وبم استحققت ذلك
عندك ؟ قالت : بسعة حلمك ، وكريم عفوكم . قال : فإنهما يطعمان في ذلك ؟ قالت :
هما والله من الرأي على مثل ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله تعالى^(٣) .

قال : والله لقد قاربت ؛ فما حاجتك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين : إن مروان
تَبَنَّى^(٤) بالمدينة تبناً من لا يريد منها البراح ، لا يحكمُ بهدل ، ولا يقضى بسنةٍ ، يتتبعُ

(١) القمري : نوع من الحمام (٢) الشنان : البغض (٣) تريد أنهما يأملان الخلافة بعدك كما
كنت تأملها بعد عثمان (٤) تبناً : أقام .

عثراتِ المسلمين ، ويكشفُ عَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، حبس ابن ابني فَأْتَيْتُهُ ، فقال :
كنتِ وكنتِ ، فَأَلْقَمْتُهُ أَخْشَرَ مِنَ الْحَجَرِ ، وَأَلْعَقْتُهُ أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى
نَفْسِي بِاللَّامَةِ ، وَقُلْتُ : لِمَ لَأَصْرَفُ ذَلِكَ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْهُ بِالْعَفْوِ عَنْهُ ؟ !
فَأْتَيْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لِتَكُونَ فِي أَمْرِي نَاطِرًا ، وَعَلَيْهِ مُعَدِيًّا^(١) . قَالَ :
صَدَقْتَ ؛ لِأَسْأَلُكَ عَنِ ذَنْبِهِ ، وَلَا عَنِ الْقِيَامِ بِحُجَّتِهِ ، أَلَا كَتَبُوا لَهَا بِإِطْلَاقِهِ .
قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَأَنْتَ لِي بِالرَّجْعَةِ ، وَقَدْ نَفِدَ زَادِي ، وَكَلَّتْ رَاحَتِي ؟
فَأَمْرُهَا بِرَاحِلَةٍ وَخَمْسَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ !

(١) معدياً : معينا ناصرا .

٥١ — ليلي الأخيلية عند معاوية *

بيننا معاوية يسيرُ إذ رأى راكباً ؛ فقال لبعض شرطه : ائتني به وإياك أن
تروعه ^(١) ! فأتاه ، فقال : أجب أمير المؤمنين ! فقال : إياه أردت .

فلما دنا الراكبُ حدرَ ^(٢) لثامه ، فإذا ليلي الأخيلية ^(٣) ، فأنشأت تقول :

معاوي لم أكد آتيك ، تهوى برحلى نحو ساحتك الراكبُ

تجوبُ الأرضَ نحوك مائتاً ^(٤) إذا ما الأكم ^(٥) قنمها السرابُ

وكنت المرتجى ، وبك استعازت لتنعشها إذا بخل السحابُ

فقال : ما حاجتك ؟ قالت : ليس مثلى يطلبُ إلى مثلك حاجة ! فتخيّر أنت !

فأعطاها خمسين من الإبل ، ثم قال : أخبريني عن مضر ! قالت : فاخرُ بمضر ،

وحارب بقيس ، وكأثر بتميم ، وناظر بأسد . فقال : ويحك ياليلي ! أ كما يقولُ الناسُ

كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، ليس كلُّ الناسِ يقولون حقاً ! الناس شجرة

بقي ، يحسدون النعم حيث كانت ، وعلى من كانت ، كان يا أمير المؤمنين سبُ ^(٦)

البنان ، حديد اللسان ، شجى للأقران ، كريم الخبر ، عفيف المتر ، جميل المنظر ،

* الأغاني ج ١٠ ص ٧٤ ، مهذب الأغاني ج ٤ ص ٢٣٩ ، زهر الآداب ج ٤ ص ٧٣

(١) تروعه : تفزعه (٢) حدر الشيء : أنزله (٣) هي ليلي الأخيلية بنت عبد الله من بني الأخيل بن عامر ، من النساء المتقدمات في الشعر ، هويا توبة بن الحمير ، وخطبها إلى أبيها ، فأبى أن يزوجه إياه ، توفيت نحو سنة ٨٠ هـ (٤) تائي : تتأني (٥) الأكم : جمع أكمة : الموضع يكون أشد ارتفاعاً من غيره (٦) سبب البنان : سخي ، والسبب : نقيض الجمد .

وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له. قال : وما قلت له ؟ قالت : قلت ولم أتعدّ الحق
وعلمى فيه :

بعيد المدى لا يبلغ القوم شأوه ألدّ^(١) ملدّ يغلب الحقّ باطله
إذا حلّ ركب في ذراه وظلّه لينعمهم مما تخاف نوازه
حاهمُ ينصل السيف من كل فادح يخافونه حتى تموت خصائله^(٢)

فقال معاوية : ويحك ياليلي ! يزعم الناس أنه كان عاهراً فاجراً ! فقالت من
ساعتها مرتجلة :

معاذ النهى قد كان - والله - توبةً جواداً على العلات^(٣) جمّاً نوافله
أغرّ خفاجياً^(٤) يرى البخل سبةً تحالف كفاء الندى وأنامله
عفيفاً بعيد الهم صلباً قنائه جميلاً محيياً قليلاً غوائله
وكان إذا ما الضيفُ أرغى بعيره لديه أتاه نيله وفواضله
وقد علم الجوعُ الذي كان سارياً على الضيف والجيران أنك قاتله
وأنت رحبُ الباع ياتوبَ بالقرى إذا مالئيم القوم ضاقت منازلُه !
يلبت قرير العين من كان جاره ويضحى بخير ضيفه ومنازله

فقال لها معاوية : ويحك ياليلي ! لقد جرت بتوبة قدره ؛ فقالت : يا أمير المؤمنين
والله لو رأيتَه وخبرته لعلمت أنى مقصرة في نعمته ! لا أبلغ كنهه ما هو أهله ! فقال
لها معاوية : في أى سنّ كان ؟ فقالت يا أمير المؤمنين :

(١) اللدد : شدة الخصومة (٢) الخصلة : كل لجة فيها عصب (٣) جواداً على العلات : أى
على كل حال (٤) خفاجة : حى من بنى عامر .

أنته المنايا حين تمّ تمامه وأقصر عنه كل قرْن يُصاولة
وصار كليث الغاب يحمى عرينه فترضى به أشباله وحلائله
عطوف حلیم حين يطلب حلمه وسمُّ زُعاف لا تصاب مقاتله
فامر لها بجائزة ، وقال : أى ماقلت فيه أشعر ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ؛ ماقلت
شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر ، ولقد أجدتُ حيث أقول :
جزى الله خيراً - والجزاء بكفّه - فتى من عقيلٍ ساد غير مكلف
فتى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه فلم ينفك جمّ التصرف

دخل ابنُ الزبير^(١) على أمّه^(٢) حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم ، فقال . يا أمّه ؛ خذني الناس حتى ولدي وأهلي ، فلم يبقَ معي إلا اليسير مِمَّنْ ليس عنده من الدفع أكثرُ من صبر ساعة ، والقومُ يُعطونني ما أردتُ من الدنيا ، فما رأيك ؟

فقلتُ : أنت والله يابني أعلم بنفسك ؛ إن كنتَ تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له ، فقد قُتِلَ عليه أصحابك ، ولا تمكِّن من رقبته يتلقَّب بها غلمانُ بني أمية ، وإن كنتَ إنما أردتَ الدنيا فبئس العبدُ أنت ، أهلكتَ نفسك ، وأهلكتَ من قُتِلَ معك ؛ وإن قلتَ : كنتُ على حق ، فلما وَهَنَ أصحابي ضعفتُ ، فهذا ليسَ فعلَ الأحرار ، ولا أهلِ الدين وكم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن ! والله لضربة بالسيف في عز أحب إليّ من ضربةٍ بسوط في ذلّ ، قال : إني أخاف إن قتلوني أن يُمَثِّلوا بي . قالت : يابني ؛ إن الشاة لا يضرها سلخُها بعد ذبحها .

فدنا ابنُ الزبير ، فقَبِلَ رأسها ، وقال : هذا والله رأيي ؛ والذي قمتُ به داعياً إلى يومى هذا ، ماركنتُ إلى الدنيا ، ولا أحببتُ الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا

* تاريخ الطبرى ص ٢٠٣ ج ٧ ، بلاغات النساء ص ١٣٠ ، العقد الفريد ص ٢٧١ ج ٢

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام طلب الخلافة بعد موت يزيد بن معاوية وبويع له في الحجاز والعراق واليمن ومكث خليفة تسع سنوات ، ثم حاصره الحجاج بمكة وقتل سنة ٧٣ هـ (٢) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق وهي من قريش ، من فضليات نساء العرب ، وأخت عائشة لأبيها توفيت سنة ٧٣ هـ ، وهذه المحاوراة كانت حين حاصر الحجاج ابن الزبير في مكة ، وحين خذله عبد الله أعوانه .

الغضبُ لله أن تُستحلَّ حرْمه ، ولكنِّي أحببتُ أن أعلم رأيك ، فزدتني بصيرة مع بصيرتي ، فانظري يا أمه فإني مقتول من يوحى هذا ، فلا يشتدَّ حزنك ، وسلِّمي لأمر الله ؛ فإن ابْنك لم يتعمدْ إتيانَ منكراً ولا عملاً بفاحشة ، ولم يجزُرْ في حكم الله ، ولم يغدِرْ في أمان ، ولم يتعمدْ ظلمَ مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلمٌ عن عمالي فرضيتُ به ، بل أنكرته ، ولم يكن شيءٌ آثرَ عندي من رضا ربي ، اللهم إني لأقول هذا تزكيةً مني لنفسي ؛ أنت أعلمُ بي ، ولكن أقوله تعزيةً لأمي لتسلو عني .

فقلت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدَّمتني ، وإن تقدَّمتك ففي نفسي حرجٌ حتى أنظرُ إلام يصير أمرُك ، قال : جزاك الله يا أمه خيراً ، فلا تدعي الدعاءَ لي قبلُ وبعْدُ ، فقلت : لأدعه أبداً ، فمن قُتِلَ على باطل فقد قُتِلَ على حق ! ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النحيب والظلم في هواجر المدينة ومكة ، وبرّه بأبيه وبي ، اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيتُ بما قضيتَ فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين .
ثم ودَّعها وخرج ، ولم يلبث أن قُتِلَ رحمه الله .

٥٣ — التلطف في السؤال *

دخلت امرأة من هوازن على عبيد الله بن أبي بكرة^(١) ، فوقفت بين
السماطين^(٢) ، وجعلت تظهر وجهها مرة ، وتستره أخرى ، فلما أبصرها علم أن لها
حاجة ؛ فقال لجلسائه : ما عليكم أن تقوموا حتى تقول هذه المرأة حاجتها .
فتقدمت ، وقالت : أصلح الله الأمير ؛ إني أتيتك من أرض شاسعة ، ترفعى
رافعة ، وتحفضنى واضعة ؛ لئلمات قد أكلن لحمى ، وبرين عظمى ، فضاق بى
البلد العريض . وقد جئت بلداً لا أعرف فيها أحداً ، لا قرابة تكفنى ، ولا عشيرة
تعرفنى ، بعد أن سألت أحياء العرب : من المرجو نائله ، المعطى سائله ؛ فأرسلت
إليك ، وذللت عليك ، وأنا - أصلحك الله - امرأة قد هلك عنها الوالد ، وذهب
عنها الطارف والتالد ، ومثلك يسد الخلة ، ويزيح العلة ، فإما أن تحسن صفدى^(٣) ،
وتقيم أودى ، وإما أن تردنى إلى بلدى ! فقال : بل أجمع لك كل ما ذكرت .
ثم أمر لها بعشرة آلاف درهم ، وزاد وكسوة وراحلة .

* غرر الحصاص الواضحة ص ١٦٥

(١) عبيد الله بن أبي بكرة : كان أجمل الناس وأشجعهم ، وولاه الحجاج سجستان سنة ٧٨ هـ
ومات هناك (٢) الصفين (٣) الصدق : العطاء .

٥٤ — نساء بنى تميم *

قال الشعبي: قال لى شريح^(١): يا شعبي عليك بنساء بنى تميم، فإنهن النساء! قلت: وكيف ذلك؟ قال: انصرفت من جنازة ذات يوم مُظهِراً^(٢)، فمررت بدور بنى تميم، فإذا امرأة جالسة فى سقيفة^(٣) على وسادة، وتجاهها جارية رُوْدَة^(٤)، ولها ذُوَابَة على ظهرها كأحسن من رأيت من الجوارى، فاستسقيت — وما بى من عطش — فقالت: أى الشراب أعجب إليك؟ ألبىذ أم اللبن أم الماء؟ قلت: أى ذلك تيسر عليكم. قالت: اسقوا الرجل لبناً فإنى إخاله غريباً. فلما شربت نظرت إلى الجارية فأعجبتنى، فقلت: من هذه؟ قالت: ابنتى، فقلت: وممن؟ قالت: زينب بنت حدير، إحدى نساء بنى تميم. قلت: أفارغة أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة. قلت: أتزوجينها؟ قالت: نعم، إن كنت كفوئاً، ولها عمٌ فاقصده.

وانصرفت إلى منزلى لأقيل فيه، فامتنعت منى القائلة^(٥)، فأرسلت إلى إخوانى القراء^(٦)، ووافيت معهم صلاة العصر، فإذا عمها جالس، فقال: أبا أمية!

* مهذب الأغانى ص ٨٠ ج ٣، المستطرف ص ١٩ ج ٢، العقد القربى ص ٨٠ ج ٤،

الأغانى ص ٣٦ ج ١٦

(١) هو شريح بن الحارث، أدرك الجاهلية واستقضاء عمر بن الخطاب على الكوفة، فأقام بها قاضياً مدة طويلة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين فى فتنة ابن الزبير امتنع من القضاء فيها، وكان أعلم الناس بالقضاء، ذا فطنة وذكاء ومعرفة، وعقل وإصابة كما كان شاعراً محسناً، توفى سنة ٨٧ هـ (٢) أظهر: دخل فى الظهيرة، والظهيرة: حد انتصاف النهار (٣) السقيفة: الموضع المظلل (٤) الرُوْدَة: الشابة الحسنة (٥) القائلة: نصف النهار، وقال قتيلا: نام فيه (٦) جمع قارىء، وهم الذين يقرءون القرآن ويتلونونه.

حاجتِكَ ، قلت : إليك . قال : وما هي ؟ قلت : ذُكِرْتُ لى بنتُ أخيك زينب ، فقال : ما بها عنك رغبة ، ثم زوجنيها . وما بلغت منزلى حتى ندمتُ وقلت : تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفأها ! ثم هممت بطلاقها ، ولكن قلت : أجمعها إلى ، فإن رأيت ما أحبّ وإلا طلقته .

ثم مكثت أياماً حتى أقبل نساؤها يهادينها^(١) ، ولما أدخلت قلت : يا هذه ، إن من السنّة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يُصلي ركعتين وتصلّى ركعتين ، ويسأله الله خيرَ ليلتهما ، ويتعوّذ به من شرّها . فتوضّأتُ فإذا هي تتوضّأ بوضوئى ، وصليتُ فإذا هي تصلّى بصلاتى . ولما قضينا الصلاة قالت لى : إني امرأة غريبة ، وأنتَ رجل غريبٌ لا علم لى بأخلاقك ، فبيّن لى ما تحبّ فأتته ، وما تكره فانزجر عنه ، فقلت : قدمت خير مَقْدَمٍ ؛ قدمت على أهل دار زوجك سيّد رجالهم ، وأنت سيّدة نساءهم ، أحبُّ كذا وأكره كذا ، وما رأيت من حسنة فابثيها ، وما رأيت من سيّئة فاستريها .

قالت : أخبرنى عن أختانك^(٢) أحبّ أن يزوروك ؟ فقلت : إني رجل قاص وما أحبّ أن تملونى . قالت : فمن تحبّ من جيرانك يدخلُ دارك آذنُ له ، ومن تكرهه أكرهه ؟ قالت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء .

وأقيمت عندها ثلاثاً ، ثم خرجتُ إلى مجلس القضاء ، فكنت لا أرى يوماً إلا وهو أفضل من الذى قبله ، حتّى إذا كان رأس الحول دخلتُ منزلى امرأة عجوز تأمر وتنهى . قلت : يا زينب من هذه ؟ قالت : أمى فلانة . قلت : حيّاك الله

(١) يقال : تهادت المرأة إذا تمايلت في مشيتها ، وكل من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه

(٢) الختن : الصهر ، أو كل من كان من قبل المرأة .

بالسلام ، قالت : أبا أمية ، كيف أنت وحالك ؟ قلت : بخير ، أحمدُ الله ، قالت :
أبا أمية ، كيف زوجك ، قلت : كخَيْرِ امرأة ، قالت : إن المرأة لا ترى في حال
أسوأ خُلُقاً منها في حالين : إذا حظيت عند زوجها ، وإذا ولدت غلاماً ، فإن رابك
منها ريب فالسوط ، فإن الرجال ما حازت - والله - بيوتها شرّاً من الورهاء^(١)
المتدللة^(٢) .

قلت : أشهد أنها ابنتك ، قد كفيتمني الرياضة ، وأحسنت الأدب . قالت :
أحب أن يزورك أختانك ؟ قلت : متى شاءوا .
قال شريح : فكانت كل حولٍ تأتيها وتوضى تلك الوصية ، ثم تنصرف .
ومكثت مع زينب عشرين عاماً ، فما غضبتُ عليها قط إلا مرة كنت لها فيها
ظالماً^(٣) .

(١) الورهاء : الحماء (٢) يقال : تدلت المرأة على زوجها إذا أرتته جراءة عليه كأنها تخالفه
وما بها خلاف .

(٣) قدروا أن شريحاً رأى رجلاً يضرب امرأته فقال :

رأيت رجلاً يضربون نساءهم	فشلت يميني يوم أضرب زينبا
أضربها في غير جرم أتت به	إلى فإ عذري إذا كنت مذنباً
فتاة تزين الحلى إن هي حليت	كأن بفمها المسك خالط محلباً

٥٥ — ليلي الأخيلىة عند الحجاج *

قال مولى من الموالى : كنتُ أدخلُ مع عَنبَسَةَ بنِ سعيدٍ^(١) بنِ العاصِ إذا دخل على الحجاج ؛ فدخل يوماً ، فدخلتُ إليهما ، وليس عند الحجاج أحدٌ إلا عَنبَسَةَ ؛ فأقعدنى ، فجىء الحجاج بِطَبِقٍ فيه رُطَبٌ ، فأخذ الخادمُ منه شيئاً ، فجاءنى به ، ثم جىء بِطَبِقٍ آخر ، حتى كثرتِ الأطباق ، وجعل لا يأتون بشيء إلا جاءنى منه بشيء ، حتى ظننتُ أن ما بين يديَّ أكثرُ مما عندهما .

ثم جاء الحجابُ ؛ فقال : امرأةٌ بالباب ؛ فقال له الحجاج : أدخِليها ، فدخلت ، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه ، حتى ظننتُ أن ذقنَه قد أصاب الأرض ؛ فجاءت حتى قعدت بين يديه ؛ فنظرتُ فإذا امرأةٌ قد أسدَّت ، حَسَنَةُ الخَلْقِ ، ومعها جاريتان لها ، وإذا هى ليلي الأخيلىة .

فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له ؛ فقال لها : ياليلي ؛ ما أتى بك ؟ فقالت : إخلاف^(٢) النجوم ، وقلةُ الغيوم ، وكَلْبُ^(٣) البردِ ، وشدةُ الجهد ، وكنت لَنَا بعد الله الرِّفْدُ^(٤) .

* الأمالى ص ٨٦ ج ١ ، زهر الآداب ص ٧٦ ج ٤ ، المصارع ص ١٨٥ ، الأغاني ص ٧٨ ج ١٠ ، الفوات ص ١٧٦ ج ٢ ، المحاسن والأضداد ص ٢٤٦ ، السمط ص ٢٨٠ ج ١ ، أشعار النساء ص ٣٧ ج ٣

(١) كان عنبسة آخر الناس عند الحجاج ، وكان على جانب عظيم من البخل وله فيه أخبار طريفة (٢) إخلاف النجوم : تريد أخلفت النجوم التي يكون بها المطر فلم تأت بمطر (٣) كلب البرد : شدته (٤) الرفد : المعونة والعطية .

فقال لها : صفي لنا الفججاج^(١) . فقالت : الفججاج مُعْبَرَةٌ ، والأرض مُتَشَعِّرَةٌ ،
والمَبْرُكُ^(٢) مُعْتَلٌ ، وذو العيال مُخْتَلٌ^(٣) ، والهالك للقل^(٤) ، والناس مُسْنِتُونَ^(٥) ،
رحمة الله يرَجُونَ ؛ وأصابتنا سنون مُجْحَفَةٌ^(٦) مُبَايَظَةٌ^(٧) ، لم تدع لنا هُبِعاً^(٨) ولا
رُبِعاً ، ولا عافِظَةً^(٩) ولا نافِظَةً ، أذهبت الأموال ، ومزقت الرجال ، وأهلكت
العيال .

ثم قالت : إني قلت في الأمير قولاً ، قال : هاتي ، فأنشأت تقول :

أحجاجٌ لا يُفْلَلُ سلاحك ^(١٠) إنها أ	مَنَابِياً بكفَّ الله حيث تَرَاهَا
أحجاجٌ لا تُعْطَى العَصَاةَ مُنَاهُمْ	ولا اللهُ يُعْطَى للعصاة مُنَاهَا
إذا هبط الحجاجُ أرضاً مريضةً	تتبعُ أقصى دَائِهَا فشفاها
شفاها من الداء العُضَالُ الذي بها	غلامٌ إذا هَزَّ القنَاةَ سقاها
سقاها فروَّاهَا بشربِ سِجَالِهِ ^(١١)	دماءِ رجالٍ حيث مال حَشَاهَا
إذا سمع الحجاجُ رِزْزاً ^(١٢) كَتِيبَةً	أعدَّ لها قبل النزولِ قِرَاهَا
أعدَّ لها مسمومةً فارسيَّةً	بأيدي رجالٍ يَحْلُبُونَ صَرَاهَا ^(١٣)
فما ولدَ الأَبْكَارُ والعونُ ^(١٤) مثله	يبحرُ ولا أرضٍ يَجِفُّ ثَرَاهَا

(١) الفججاج : جمع فجع وهو الطريق الواسع بين جباين (٢) المبرك : أرادت الإبل فأقامت
المبرك مكانها (٣) ذو العيال مختل : أي محتاج ، والحللة الحاجة (٤) الهالك للقل : من
أجل القلة (٥) مسنونون : مقحطون (٦) السنة المجحفة : التي تجحف بالفوم قنلا وإفساداً
للأحوال ، أو مضرة بالمال (٧) مبلطة : ملزقة بالبلاط : تريد مهلكة (٨) الهبع : ما نتج في
الصيف ، والربيع ما نتج في الربيع (٩) العافطة : الضأن والنافطة : الماعزة (١٠) السلاح :
يذكر ويؤنث (١١) السجال : جمع سجال ، وهو الدلو العظيمة (١٢) الرز : الصوت تسمعه
من بعيد (١٣) الصرى : البقية . قال في السمط عند تفسير هذا البيت : تعنى نصال الرماح
والسهام كأنها مسقية ، من أصابته لم ينج منها (١٤) العون : جمع عون ، وهي التي كان لها زوج .

فلما قالت هذا البيت ، قال الحجاج : قاتلها الله ! والله ما أصاب صفتي شاعرٌ
مذ دخلتُ العراقَ غيرها .

ثم التفتَ إلى عنبسة بن سعيد ، فقال : والله إني لأعدُّ للأمرِ عُدَّتَهُ ، عسى
الآ يكونُ أبداً ، ثم التفتَ إليها ، فقال : حسبك !

قالت : إني قد قلتُ أكثرَ من هذا ! قال : حسبك ، ويحك ! حسبك !
ثم قال : يا غلام ؛ اذهب إلى فلان ؛ فقل له : اقطعْ لسانها ، فذهب بها ،
فقال له : يقولُ لك الأميرُ : اقطعْ لسانها !

فأمر بإحضار الحجاج ؛ فالتفتَ إليه فقالت : ثَكَلْتِكُ أُمَّكُ ! أما سمعتَ
ما قال ؟ إنما أمرُك أن تقطعَ لسانى بالصلَّة ، فبعثَ إليه يستثبته ؛ فاستشاط الحجاج
غضباً ، وهمَّ بقطعِ لسانه ، وقال : ارزُدْها ؛ فلما دخلتْ عليه قالت : كاد والله
يقطعُ مقولى ، ثم أنشأت تقول :

حجاجُ أنت الذى ما فوقهُ أحدٌ إلا الخليفةُ والمستفقرُ الصمُّ
حجاجُ أنت شهابُ الحربِ إن لَقِحتَ^(١) وأنت للناسِ نورٌ فى الدُّجا يقدُّ
ثم أقبلَ الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها
الأمير . إلا أننا لم نَرَ قطُّ أفصحَ لساناً ، ولا أحسنَ محاورَةً ، ولا أملحَ وجهاً ، ولا
أرصنَ شعراً منها .

فقال : هذه ليلي الأخيلية ، التى ماتت توبة الخفاجى من حبها ، ثم التفتَ
إليها ؛ فقال : أنشدينا يا ليلي بعضَ ما قال فيك توبة .

(١) أصله من لقت الأبل إذا حملت ، والحرب إذا عظمت تتولد عنها الأمور التى لم تكن تحتسب
(الخرزانه - ص ٤٢٦ ج ١) .

قالت : نعم أيها الأمير ، هو الذى يقول :

وهل تَبْكَيْنَ لَيْلَى إِذَا مُتَّ قَبْلَهَا وقام على قبرى النساءِ النواحُ ؟
كما لو أصاب الموتُ لَيْلَى بِكَيْتِهَا وجادَ لها دمعٌ من العينِ سافحٌ (١)
وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لَا أَنَالُهُ بلى ! كلٌّ ما قرَّتْ به العينُ طائح
ولو أنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ علىَّ ، ودونى جَنْدَلٌ وصفائحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا إليها صدَى من جانبِ القبرِ صائح

فقال : زِيدِينَا مِنْ شَعْرِهِ يَا لَيْلَى ، قالت : هو الذى يقول :

حَمَامَةَ بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ تَرَمَى سقاك من الغرِّ الغوادى (٢) مَطِيرُهَا
أَيُّنَى لَنَا ، لَا زَالَ رَيْشِكِ نَاعِمًا وَلَا زَلَّتْ فِي خَضْرَاءِ غَضٍّ نَضِيرُهَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا زَرْتُ لَيْلَى تَبَرَّقَمْتُ فَقَدْ رَانِي مِنْهَا الْغَدَاةَ سُفُورُهَا
وَقَدْ رَانِي مِنْهَا صَدُودٌ رَأَيْتُهُ وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورُهَا (٣)
وَأَشْرَفَ بِالْقُورِ (٤) الْيَفَاعَ لَعَلَّنِي أَرَى نَارَ لَيْلَى أَوْ يَرَانِي بِصِيرُهَا
يَقُولُ رَجَالٌ : لَا يُضِيرُكَ نَأْيُهَا بلى ! كلٌّ ماشفٌ (٥) الْنَفُوسَ يُضِيرُهَا
بلى ! قَدْ يُضِيرُ الْعَيْنَ أَنْ تَكْتَبَرَ الْبُكَاءُ وَيُمنَعُ مِنْهَا نَوْمُهَا وَسُرُورُهَا
وَقَدْ زَعَمْتُ لَيْلَى بَأَنَى فَاجِرُهُ لِنَفْسِي تَقَاهَا ، أَوْ (٦) عَلَيْهَا فُجُورُهَا

فقال الحجاج : يا لَيْلَى ؛ ما الذى رآبه من سُفُورِكَ ؟ فقالت : أيها الأمير ؛ كان

يُلمُّ بى كثيراً ؛ فأرسل إلىَّ يوماً : إني آتيك ، وفِطْنِ الحى ؛ فأرصدوا له ؛ فلما

(١) منصب (٢) الغوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ غدوة (٣) بسورها : عبوسها
(٤) القور : جمع قارة : وهى الأرض ذات الحجارة السوداء . واليفاع كسحاب : التل (٥) شفه
الهم : هزله (٦) أو هنا بمعنى الواو .

أتانى سَفَرَتٌ عن وجهى ؛ فعلم أن ذلك لشرٍّ ؛ فلم يزد على التسليم والرجوع .
فقال : للهِ دُرُك ! فهل رأيتِ منه شيئاً تَكْرهينه ؟ فقالت : لا والذى أسأله
أن يصلحك ، غير أنه قال مرة قولاً ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر ، فأنشأتُ
أقول :

وذى حاجةٍ قلنا له : لا تَبْخُ بها فليس إليها ما حيتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحبٌ و خليلُ
فلا والله الذى أسأله أن يصلحك ما رأيتُ منه شيئاً ، حتى فرّق الموت بيني
وبينه ، قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن خرج فى غزاةٍ له ، فأوصى ابن عم له :
إذا أتيت الحاضر من بنى عبادة ، فنادِ بأعلى صوتك :

عفا الله عنها ، هل أبيتنَّ ليلةً من الدهر لا يسرى إلىَّ خيالها ؟
وأنا أقول :

وعنه عفا ربي وأحسن حاله فعزّت علينا حاجةٌ لا ينالها
قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن مات ؛ فأتانا نعيه ، فقال : أنشدينا بعض
مرّاثيك فيه ، فأنشدت :

لَتَبْكِ العَذَارَى من خفاجةٍ نِسوةٍ^(١) بماءِ شَمونِ العَبْرَةِ المتحدّرِ
قال لها : فأنشدينا ؛ فأنشدته :

كأن قى الفتيان تَوَبَّةً لم يُنْخِ قلائصَ يفحصن الحصى بالكرّاكر^(٢)
فلما فرغت من القصيدة ، قال محصن الفقمسى^(٣) - وكان من جلساء الحجاج :

(١) نسوة : تبيين ، وارتفاعه فعل مضمر ، كأنها قالت تبكيه نسوة وفى هامش الأمالى : « لعله المتحدّر
بالألف قبل الدال لتستقيم القافية » (٢) الكركرة : رعى زور البعير ، أو صدر كل ذى خف
وتفعل الإيل ذلك فى شدة الحر يطلين برد الماء لينلته (٣) كان محصن الفقمسى من جلساء الحجاج .

من الذى تقول هذه هذا فيه ؟ فوالله إني لأظنها كاذبة ! فنظرت إليه ، ثم ردت عليه رداً شديداً ، فقال الحجاج : هذا وأبيك الجواب ، وقد كنت عنه غنياً .
ثم قال لها : سلى ياليلى تُعْطَى ، قالت : أعطِ فمثلك أعطى فأحسن ، قال : لك عشرون ، قالت : زد فمثلك زاد فأجمل ، قال : لك أربعون ، قالت : زد فمثلك زاد فأكمل ، قال : لك ثمانون ، قالت : زد ، فمثلك زاد فتمم ، قال : لك مائة ، واعلمى أنها غنم ، قالت : معاذ الله أيها الأمير ! أنت أجودُ جوداً ، وأمجّد مجداً ، وأورى زندياً ، من أن تجعلها غنماً ، قال : فما هي ؟ ويحك ياليلى ! قالت : مائة من الإبل برُعاتها . فأمر لها بها .

ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت : تدفع إلى النابغة الجعدى ، قال : قد فعلت ، وقد كانت تهجوه ويهجوها ، فبلغ النابغة ذلك ؛ فخرج هارباً عائداً بعبد الملك . فاتبعته إلى الشام ، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة ، فمات بقومس^(١) .

(١) صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

٥٦ - الحجاج يخالف سجايه *

خرج يزيد بن شبيب الشيباني في أيام عبد الملك بن مروان، فظفر به الحجاج^(١) وبأصحابه، وجعل يقتل كل مقدور عليه منهم، فلما كان آخر الأمر قدم إليه رجل^٢ منهم، له سمت^(٢) ورؤاء وهيئة.

فلما هم الحجاج بقتله سمع ضجعةً بالباب؛ فقال لحاجبه: ما هذه الضجة؟ قال: نسوة في الباب يسألن الدخول على الأمير، فقال الحجاج: ائذن لهن بالدخول؛ فدخلن وهن ثلاث وعشرون امرأة، كلهن أهل بيت هذا الرجل الذي هم الحجاج بقتله، فقال لهن الحجاج: ما حاجتكن؟ فتقدمت امرأة منهن فقالت: أصلح الله الأمير! إن رأيت أن تجود باستماع ما أقول! فقال لها: قولي ما أحببت، فقالت:

أحجاجُ إما أن تمَنَّ بترِّ كه علينا وإمَّا أن تُقتلنَا معَا
أحجاج لو تشهد مقام بناته وعماته يندبنه الليل أجمعا
أحجاج لا تجع به إن قتلتَهُ ثمانا وتسعا واثنتين وأربعَا
فمن رجلٍ دانٍ يقومُ مقامه علينا فهلا لا تزِدْنَا تَضَعُضُعا

فلان الحجاج لقلها، ووجد رقةً عليهن، وعفا عنه وأطلقه، وزاد في عطائه مائة دينار، وكتب كتاباً إلى عبد الملك يذكر له خبره وخبر النسوة والمرأة وشعرها، وأنه قد رقى لهن، وأطلقه وزاد في عطائه مائة دينار.

فكتب إليه عبد الملك يحمده على ذلك، وأمره أن يزيدَه مائة أخرى في عطائه.

* المقدم الفريد للملك السعيد ص ١١٨، المحاسن والمساوي، طبع ابيزج ص ٦٠٢، المستطرف ص ١٩٥ ج ١

(١) انظر ص ٣٧ (٢) سمت: هيئة أهل الخير.

٥٧ — أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامه*

قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك ؛ فدخل وعليه درع وعمامة سوداء ، وقوس عربية وكفانة ، فبعثت إليه أمُّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، فقالت : مَنْ هذا الأعرابي المُستَلَّمُ^(١) في السلاح عندك ، وأنت في غِلالة^(٢) ؟ فبعث إليها : انه الحجاج .

فأعدت الرسول إليه ، فقال : تقول لك : والله لأن يخلو بك ملك الموت أحبُّ إليّ من أن يخلو بك الحجاج ! فأخبره الوليد وهو يمازحه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، دع عنك مفاكهة النساء بزُخرف القول ؛ فإنما المرأة ريحانة ، وليست قهرمانة^(٣) ؛ فلا تُطلِّمها على سرِّك ومكايده عدوِّك .

فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج ؛ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ حاجتي إليك أن تأمره غداً بأن يأتيني مُستَلِّماً ، ففعل ذلك .

وأتاها الحجاج ؛ فحجبتة ثم أدخلته ولم تأذن له في القعود ، فلم يزل قائماً ، ثم قالت : إيه يا حجاج ، أنت الممتنُّ على أمير المؤمنين بقتال ابن الزُّبير وابن الأشعث ؟ أما والله لولا أن الله علم أنك شرُّ خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ،

* ابن أبي الحديد ص ٤٠ ج ٢ ، بلاغات النساء ص ١٢٤ ، عيون الأخبار ص ١٦٩ ج ١
(١) استلام الرجل : إذا لبس ما عنده من عدة : رمح وبيضة ومغفر وسيف ونبل (٢) الغلالة : شعار تحت الثوب (٣) القهرمان : هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده والقائم بأمر الرجل بلغة الفرس ، ولم نجد في اللسان المؤنث .

ولا يقتل ابن ذات النطاقين^(١) ؛ أول مولود في الإسلام .

وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكحة النساء وبلوغ أوطاره ، فإن كنَّ يلدن مثلك فما أحقته بالقبول منك ، وإن كن يلدن مثله فهو غير قابل لقولك . أما والله لقد نفضَ نساء أمير المؤمنين الطيب من غدائرهن والحلى من أيديهن وأرجلهن ، فبعنه في أعطية أهل الشام ، حين كنت في أضيق من القرن^(٢) ، قد أظلمتكم رماحهم ، وأثخنك^(٣) كفاحهم ، وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم ؛ فأبحاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه ؛ قاتل الله القائل حين نظر إليك وسنان غزاة^(٤) بين كتفيك :

أسد على وفي الحروب نعامة فتخاء^(٥) تنفر من صفير الصافر
هلا كررت على غزاة في الوغى بل كان قلبك في جوارح طائر

ثم قالت لجوارحها : أخرجني ؛ فأخرج !

فدخل على الوليد ، فقال : ما كنت فيه يا حجاج ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ ما سكنت حتى ظننت نفسي قد ذهبت ، وحتى كان بطن الأرض أحب من ظهرها ، وما ظننت أن امرأة تبلغ بلاغتها ، وتحسن فصاحتها ! قال : إنها بنت عبد العزيز !

(١) ذات النطاقين : أسماء بنت أبي بكر لأنها شقت نطاقها ليلة خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغار فجعلت واحدة لسفرة النبي والأخرى عصاما لفرسته (٢) القرن : الجمعية من جلود تكون مشقوقة ثم تحرز (٣) أثخن : غلب وقهر (٤) غزاة : امرأة شبيب الحارجي (٥) يقال ناقة فتخاء : ارتفعت أخلافها قبل بطنها وهو دم .

٥٨ — الشعراء عند سكينه بنت الحسين *

اجتمع الفرزدقُ وجميل وجريرو نُصيب وكثيرٌ في موسم من المواسم ، فقال بعضهم لبعض : والله لقد اجتمعنا في هذا الموسم ، وما ينبغي لنا أن نفرّقوا إلا وقد تتابع لنا في الناس شيء نذُكرُ به . فقال جرير : هل لكم في سكينه ^(١) بنت الحسين ؟ نقصدها فنسلم عليها . فلعن ذلك يكون سبباً لبعض ما تريد ؟ فقالوا : امضوا بنا ، فمكتوا أياماً ، ثم أذنت لهم ، فدخلوا عليها ، وقعدت لهم حيث تراهم ولا يرونها ، ثم أخرجت لهم وصيفة لها وضيئة ، قد روت الأشعار والأحاديث ، فأقرأها كلّ منهم السلام فقالت : أيكم الفرزدق ؟ فقال : هأنذا . قالت : أنت الذي يقول :

أيتُ أمتي النفسَ أن سوف نلتقى وهل هو مقدورٌ لنفسى لقاءُها
فإن ألقها أو يجمع الدهرُ بيننا ففيها شفاء النفس منها ودأؤها

قال : نعم ! قالت : قولك أحسنُ من منظرك ! وأنت القائل :

ودعني بإشارةٍ وتحيةٍ وتركني بين الديارِ قتيلاً
لم أستطع ردَّ الجوابِ عليهم عند الوداعِ وما شفّين غليلاً
لو كنتُ أمليكمُ إذن لم يبرحوا حتى أودعَ قلبي الخبولاً

* المحاسن والمساوي ص ٢٣٤ طبع لبيزج ، مصارع العشاق ص ٢٧٢ ، الأغاني ص ١٦٩ ج ١٤ ، الموشح ص ١٥٩

(١) هي سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ كانت عفيفة برزة من النساء ، تجالس الأجلة من قريش ، ويجمع عندها الشعراء وتزوجت عدة أزواج وتوفيت سنة ١١٧ هـ .

قال : نعم ! قالت : أحسنت ، أحسنَ اللهُ إليك ، وأنتَ القائل :

هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً كَمَا انْقَضَ بَارِزَاتُ الرِّيشِ كَاسِرِهِ (١)
فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ نَادَتَا : أَحَى فَيْرُجِي أُم قَتِيلٌ نَحَاذِرُهُ
فَقُلْتُ : ارْفَعُوا الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بِنَا وَوَلَّيْتُ فِي أَعْقَابِ لَيْلٍ أَبَادِرُهُ

قال : نعم ! قالت : سوِّءَةٌ لك ! فما دعاك إلى إفساء سرِّها وسرِّك ، هلا

سرتَ عليها وعلى نفسك ! فضرب بيده على جبهته ، وقال : نعم ، فسوءة لي !

ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت : أيكم جرير ؟ فقال : هأنذا ! قالت :

أنت القائل :

رُزِقْنَا بِهِ الصَّيْدَ الْغَزِيرَ وَلَمْ نَكُنْ كَمَنْ نَبَلَهُ مُحْرَمَةٌ وَحَبَائِلُهُ
فِيهِاتِ هِيَّاتِ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهِيَّاتِ حَيْثُ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُهُ

قال : نعم ! قالت : أحسنَ اللهُ إليك ، وأنتَ القائل :

كَأَنَّ عَيُونَ الْمُجْتَبِينَ تَعْرِضَتْ وَشَمْسًا تَجَلَّى يَوْمَ دَجْنٍ (٢) سَحَابُهَا
إِذَا ذُكِرَتْ لِلْقَلْبِ كَادَ لِذِكْرِهَا يَطِيرُ إِلَيْهَا وَاعْتَرَاهُ عَذَابُهَا

قال : نعم ! قالت : أحسنت ! وأنتَ القائل :

سَرَّتِ الْهَمُومُ فَبِتْنَ غَيْرَ نِيَامِ وَأَخُو الْهَمُومِ يَرُومُ كُلَّ مَرَامِ
ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنزَلَةِ الْاَلْوَى وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَائِكَ الْاَيَّامِ
طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامِ

(١) كسر الطائر جناحيه : إذا ضم منهما شيئاً ، وهو يريد الوقوع أو الانقضاض (٢) الدجن :

المطر الكثير .

لو كان عهدك كالذي حدثتني لوصلت ذاك فكان غير ذمام
تجري السواك على أغر كأنه بردٌ تحدر من مئون غمام
قال : نعم ! قالت : سوء لك ! جعلتها صائدة القلوب ، حتى إذا أناخت ببابك
جعلت دونها حجاباً ! ألا قلت :

طرقتك صائدة القلوب فرحباً نفسى فداؤك فادخلي بسلام
قال : نعم ! فسوء لى .

ودخات على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم كثير ؟ فقال : هأنذا ! فقالت :
أنت القائل :

وأعجبنى يا عز منك خلأيق^ه حسان^ه إذا عد الخلائق أربع^ه
دئوك حتى يطمع الصب في الصبا وقطعك أسباب الصبا حين تقطع^ه
وأنت لا تدرى غريماً مظلته أيشده إن قاصاك أم يتضرع^ه
وأنت إن واصلت أعلمت بالذى لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع^ه
قال : نعم ! قالت : أعطاك الله منك ! وأنت القائل :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر لعزة من أراضنا ما استحللت
فما أنا بالداعى لعزة في الورى ولا شامت إن نعل عزة زلت
وكنت كذى رجلين رجلٍ صحيحه ورجل رمى فيها الزمان فسلت
قال : نعم ! قالت : أحسن الله إليك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم نصيب ؟ فقال : هأنذا !
قالت : أنت القائل :

ولولا أن يقال صَبَا نُصِيبُ لقلتُ: بِنَفْسِي النَّشَأُ (١) الصَّغَارُ
قال: نعم! قالت: أحسنت وكرمت، إلا أنك صبوت إلى الصغار، وتركت
الناهضات بأحمالها.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت، وقالت: أيكم جميل؟ قال: أنا؟ قالت:
أنتَ القائل:

لقد ذرفتُ عيني وطالَ سُفُوخُهَا وَأَصْبَحَ مِنْ نَفْسِي سَقِيماً صَحِيحُهَا
ألا ليتنا كُنَّا جميعاً وإن نَمْتُ يُجَاوِرُ فِي الْمَوْتِ ضَرِيحِي ضَرِيحُهَا
أظُلُّ نَهَارِي مُسْتَهَاماً وَيَلْتَقِي مَعَ اللَّيْلِ رُوْحِي فِي الْمَنَامِ وَرُوْحُهَا
فهل لي في كَتْمَانِ حُبِّي رَاحَةٌ! وهل تَنْفَعُنِي بَوْحَةٌ لو أَبُوْحُهَا؟

قال: نعم! قالت: بارك الله عليك! وأنتَ القائل:

خَلِيلِي فَمَا عَشْتُمَا هل رَأَيْتُمَا قَتِيلاً بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي؟
أبيتُ مَعَ الْهَالِكِ ضَيْقاً لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذَوْوُ فَضْلٍ
فِيَارِبِّ إِنْ تَهَلَّكَ بِثَيْنَةٍ لَا أَعِشْ فَوَاقَاً (٢) وَلَا أَفْرَحُ بِمَالِي وَلَا أَهْلِي
وِيَارِبِّ إِنْ وَقَّيْتَ شَيْئاً فَوْقَهَا حَتُّوفَ الْمَنَايَا رَبِّ وَاجْمَعْ بِهَا شَمْلِي

قال: نعم! قالت: أحسنت. أحسن الله إليك، وأنتَ القائل:

ألا ليتَ شِعْرِي هل أبيتنَّ لَيْلَةً بُوَادِي الْقُرَى إِنْ أذِنَ لَسَعِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بِشَاشَةٌ وَكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ
وِيَالَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا كُنَّ رُجْعاً وَدَهْرًا تَوَلَّى يَابْتِينَ يَعُودُ

(١) النشأ: جمع ناشئ «المذكور والمؤنث» وهو الحدث الذي جاوز حد الصغر، وجمعه نشأ

(٢) فواقا: فترة.

إذا قلت : مابي يابئينة قاتلي من الحبّ قالت : ثابتٌ ويزيدُ
وإن قلت : رُدّي بعضَ عقلي أعشُ تناءتْ وقالت : ذاك منكَ بعيدُ
فما ذكِرَ الخُلانُ إلاّ ذكّرتُها ولا البخلُ إلاّ قلتُ سوفَ تجودُ
فلا أنا مردودٌ بما جمتُ طالباً ولا حُبُّها فيما يبيدُ يبيدُ
يموت الهوى مني إذا مالقيتها ويحيياً إذا فارقتها ويزيدُ
قال : نعم ! قالت : لله أنت ! جعلت لحديثها ملاحه وبشاشه ، وقتيلها شهيداً ،
وأنت القائل :

ألا ليتني أعمى أصمُّ تقودني بئينة لا يخفي على مكانها

قال : نعم ! قالت : قد رضيت من الدنيا أن تقودك بئينة وأنت أعمى أصم ؟
قال : نعم !

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، ومعها مُدْهُنٌ فيه غالية ^(١) ، ومنديل فيه
كسوة ، وصرّةٌ فيها خمسمائة دينار ، فصبّت الغالية على رأس جميل ، حتى سالت على
لحيته ، ودفعت إليه الصرة والكسوة ، وقالت : ابسط لنا العذر ؛ أنت أشعرهم !
وأمرت لأصحابه بمائة مائة !

(١) الغالية : طيب .

٥٩ - الفرزدق وسكينة بنت الحسين *

خرج الفرزدق ^(١) حاجبًا ؛ فلما قضى حجه عدل إلى المدينة ، فدخل إلى سكينة بنت الحسين ، فسكمت ، فقالت له : يا فرزدق ؛ من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قالت : كذبت ! أشعر منك الذي يقول :

بنفسى من تجمبه عزيز على ومن زيارته لمأم

ومن أمسى وأصبح لا أراه ويطرفنى إذا هجع النيام

فقال : أما والله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه . قالت : أقيموه ؛ فأخرج .

ثم عاد إليها من الغد ، فدخل عليها ؛ فقالت : يا فرزدق ؛ من أشعر الناس ؟

فقال : أنا ، قالت : كذبت ! صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول :

لولا الحياء لعادنى استعبارٌ ولزرت قهرك والحبيب يزار

كانت إذا هجر الضجيع فراشها ^(٢) كتم الحديث وعقت الأسرار

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

فقال : والله لئن أذنت لي لأسمعك أحسن منه ، فأمرت به فأخرج .

ثم عاد إليها في اليوم الثالث ، وحولها مولات لها كأنهن التماثيل ؛ فنظر

الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها ، وبهت ينظر إليها . فقالت له سكينة : يا فرزدق ؛

* الأغاني ص ٣٨ ج ٨ ، مصارع العشاق ص ٧٤ ، المحاسن والساوى ص ٢٣٣ طبع لبيزج

(١) هو أبو فراس همام بن غالب ، نشأ بالبصرة وأخذه أبوه برواية الشعر ونظمه فرواه ونبغ فيه ، وتعرف بولاية البصرة ومدحهم وهجاءهم ، ثم رحل إلى خلفاء بني أمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم مات سنة ١١٠ هـ (٢) الضجيع : الزوج ، وهجرها أن يغيب عنها ، يصفها بالعفاف .

مَنْ أَسْعَرُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَنَا، قَالَتْ: كَذِبْتَ! صَاحِبُكَ أَسْعَرُ مِنْكَ حَيْثُ يَقُولُ:
إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتَلْنَا
يَصْرَعُنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَاءَ بِهِ وَهَنْ أَوْضَعُ خَلَقَ اللَّهُ إِنْسَانًا
فَقَالَ: لَيْنَ تَرَكَتَنِي لِأَسْمَعَنَّكَ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَأَمَرْتُ بِإِخْرَاجِهِ!

فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا وَقَالَ: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنْ لِي عَلَيْكَ حَقًّا عَظِيمًا. قَالَتْ: وَمَا
هُوَ؟ قَالَ: ضَرَبْتُ إِلَيْكَ أَبَاطِ الْإِبْلِ مِنْ مَكَّةَ إِرَادَةَ التَّسْلِيمِ عَلَيْكَ، فَكَانَ جِزَائِي
مِنْ ذَلِكَ تَكْذِيبِي وَطَرْدِي، وَتَقْضِيلَ جَرِيرِ عَلِيٍّ، وَمَنْعَكَ إِيَّايَ أَنْ أُنْشِدَكَ شَيْئًا مِنْ
شِعْرِي، وَبِي مَا قَدِ عَمِلَ مِنْهُ صَبْرِي؛ وَهَذِهِ الْمَنَائِي تَغْدُو وَتَرُوحُ، وَلَعَلِّي لَا أَفَارِقُ
الْمَدِينَةَ حَتَّى أَمُوتَ، فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَمَرِي بِي أَنْ أُدْرَجَ فِي كَفْنِي، ثُمَّ أَدْفَنَ فِي ثِيَابِ
هَذِهِ الْجَارِيَةِ^(١)!

فَضَحَكَتْ سَكِينَةً وَأَمَرَتْ لَهَا بِالْجَارِيَةِ، فَخَرَجَ بِهَا آخِذًا بِرِيطِهَا^(٢)؛ ثُمَّ قَالَتْ
لَهُ: يَا فَرَزْدَقَ، احْتَفِظْ بِهَا وَأَحْسِنْ صَحْبَتَهَا، فَإِنِّي آثَرْتُكَ بِهَا عَلَى نَفْسِي، بَارَكَ اللَّهُ
لَكَ فِيهَا.

قَالَ الْفَرَزْدَقُ: فَلَمْ أَزَلْ وَاللَّهِ أَرَى الْبُرْكَةَ بِدَعَائِهَا فِي نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي.

(١) يشير إلى الجارية التي أعجبته (٢) الربطة: الملاءة.

٦٠ — يوم عند امرأة من بني أمية *

خرج النُصيب هو وكثير والأحوص^(١) غِبَّ يومٍ أمطرت فيه السماء ، فقال :
هل لكم في أن نركب جميعاً فَنَسِيرَ حَتَّى نَأْتِيَ العَقِيقَ ، فَنَمْتَعَ فِيهِ أَبْصَارَنَا ؟ فقالوا :
نعم ؛ فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدوابِّ ، ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من
الثياب ، وتنكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق ، فجعلوا يتصفَّحون ويرون بعض
ما يشتهون . حتى رُفِعَ لَهُمْ سِوَادُهُ عَظِيمٌ فَأَمُوهُ حَتَّى أَتَوْهُ ، فإذا وصائفُ ورجالٌ من
الموالى ونساء بارزاتُ ، فسألنهم أن ينزلوا فاستحيوا أن يُجيبُوهُنَّ من أول وهلةٍ ؛
فقالوا : لا نستطيع أن نمضي في حاجةٍ لنا ، فحلفنهم أن يرجعوا إليهن ، ففعلوا
وأتوهنَّ فسألنهم النزول فنزلوا .

ودخلت امرأةٌ من النساء فاستأذنت لهم ، فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت :
ادخلوا .

قال النُصيب : فدخلنا على امرأة جميلة برزة على فرش لها ، فرحبت وحييت ،
وإذا كراسي موضوعةٌ ، فجلسنا جميعاً في صفٍّ واحدٍ كلُّ إنسانٍ على كرسى ،
فقالت : إن أحببتُم أن ندعو بصبي^(٢) لنا فنصيحته ونعرك أذنه فعلنا ، وإن شئتم
بدأنا بالغداء ، فقلنا : بل تدعين بالصبي ، ولن يفوتنا الغداء .

فأومأت بيدها إلى بعض الخدم ، فلم يكن إلا كلاً ولا^(٣) حتى جاءت جارية

* الأغانى ص ٣٥٦ ج ١

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله شاعر هجاء ، كان معاصراً لجرير والفرزدق وهو من
سكان المدينة ، ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه توفي سنة ١٠٥ هـ (٢) الصبي هنا :
العود على التشبيه (٣) العرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل أو ظهور شيء خفي قالوا : كان فعله
كلاً ، وربما كرروا فقالوا كلاً : ولا (اللسان - مادة لا) .

جميلةٌ قد سُتِرَتْ بِمُطْرَفٍ ، فأمسكوه عليها حتى ذهب بُهْرُهَا^(١) ، ثم كُشِفَ عنها ،
وإذا جارية ذات جمالٍ قريبةٌ من جمالِ مَوْلَاتِهَا ، فرحبتُ بهم وحيثهم ، فقالت
لها مولاتُها : خُذِي العودِ ويحك ! وغنى من قول النصيب ، عافى الله أبا محجن :

ألا هل من البين المفرق من بُدِّ وهل مثلُ أيامٍ بمنقطع^(٢) السعدِ
تمتتُ أيامي أولئك والمعنى على عهد عادٍ ما تُعيد^(٣) ولا تُبدي
فغنته ، فجاءت به كأحسن ما سمعته قط بأحلى لفظ وأشجى صوت ، ثم قالت
لها : خُذِي أيضاً من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن !

أرقَ الحبُّ وعاده سَهْدُهُ لِطَوَارِقِ الهَمِّ التي تَرِدُهُ
وذكرتُ من رَقَّتْ له كَبِدِي وأبى فليس ترقُّ لي كَبِدُهُ
لا قَوْمُهُ قَوْمِي ، ولا بَلَدِي - فنكون حيناً جيرةً - بَلَدُهُ
ووجدتُ وجداً لم يكن أحدٌ قبلي من أجلِ صِبايةٍ يَجِدُهُ
إلا ابنُ عجلان^(٤) الذي تبكتُ هندا ففات^(٥) بنفسه كمدُهُ

قال : فجاءت به أحسن من الأول ، فكذت أظيرُ سروراً ، ثم قالت لها :
ويحك ! خذِي من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن :
فيالك من ليلٍ تمتعتُ طولَهُ وهل طائفٌ من نائمٍ مُتَمَتِعٍ

(١) البهر في الأصل : انقطاع النفس من الإعياء ، ويراد هنا : الخجل والروع (٢) منقطع
المكان : حيث ينتهي ، والسعد موضع قرب المدينة (٣) أي لا فائدة منها (٤) هو عبد الله
ابن عجلان ، شاعر جاهلي عاشق ، عشق هنداً بنت كعب بن عمر ومات في سبيلها ، فضرب المثل
بعشقه (تزيين الأسواق - ص ٧٦ ج ٢) أو هو عمرو بن العجلان (الأغاني - ص ٣٥٨ ج ١)
(٥) أي أن الكمد أهلكه وذهب بنفسه .

نعم إن ذا شَجْوٍ - متى يلقَ شَجْوَهُ ولو نأماً - مُستعْتَبٌ^(١) أو مودِّعٌ
له حاجةٌ قد طالما قد أَسْرَهَا من الناسِ في صدرٍ بها يتصدَّعُ
تحمّلها طولَ الزمانِ لعلها يكونُ لها يوماً من الدهرِ مَنزَعُ
وقد قرِعتُ في أمِّ عمرو لي العَصَا قديماً كما كانت لذي الحِلْمِ تُقرَعُ^(٢)

قال : فجاءت والله بشيء حيرني وأذهلني، طربا لحسن الغناء، وسرورا باختيارها الغناء في شعري، وما سمعتُ فيه من حُسن الصنعة وجودتها وإحكامها، ثم قالت لها : خذي أيضاً من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن :

يأيتها الركبُ إني غيرُ تائبكمُ حتى تَلَمُّوا وأتمُّ بي مُهْمُونَا
فما أرى مثلكمُ ركباً كَشَكِّكُمْ يدعوهمُ ذو هوى إلاَّ يعوجُّونَا
أم خَبَرُونِي عن دأى بعلمكمُ وأعلمُ الناسِ بالداءِ الأَطْبُونَا^(٣)

قال نصيب : فوالله لقد زُهيتُ بما سمعتُ زهواً، خيّل إلىَّ أني من قُرَيش ، وأن الخِلافة لي ، ثم قالت : حَسْبُكَ يَا بُنَيَّةُ ، هاتِ الطعامِ يا غلام ؛ فوثب الأُحوصُ وكثييراً، وقالوا : والله لا نَطْعَمُ لَكَ طَعاماً ، ولا نَجْلِسُ لَكَ في مجلسٍ ، فقد أَسأتِ عِشْرَتَنَا واستَخَفَفْتِ بنا ، وقدَّمتِ شعر هذا على أشعارنا ، واستمعت الغناء فيه ؛ وإن في أشعارنا لَمَّا يَفْضَلُ شعره ، وفيها من الغناء ما هو أحسنُ من هذا ، فقالت : على معرفةٍ كلُّ ما كان مني !

(١) الاستعتاب : طلب العتبي (٢) يشير إلى المثل : « إن العصا قرعت لذي الحلم » ، يضرب لمن إذا نبه انتبه ، والمعنى أنه قد لم قديماً في حبها (٣) الأطبون : البارعون في الطب .

قال : فخرجنا مُعْضِبِينَ واحْتَبَسْتَنِي ، فتنغديت عندها ، وأمرت لي بثلاثمائة دينار
وحلّتين وطيب ، ثم دفعت إلي مائتي دينار ، وقالت : ادفعاها إلى صاحبك ، فإن
قبلاها وإلا فهي لك .

فأتيت منازلهما فأخبرتتهما بالقصة ، فأما الأحرص فقبلها ، وأما كثير فلم
يقبلها ، وقال : لعن الله صاحبك وجائزتها ولعنك معها ، فأخذتها وانصرفت .
قال الراوي : فسألت النصيب : من المرأة ؟ قال : من بنى أمية ، ولا أذكر
اسمها ما حيت لأحد .

٦١ — حديث عائشة بنت طلحة مع النميري

لما تأيَّمت^(١) عائشةُ بنتُ طلحة كانت تقيم بمكة سنةً وبالمدينة سنةً ، وتخرج إلى مال^(٢) لها عظيم بالطائف ، وقصرٍ كان لها هناك ففتنزهُ فيه ، وتجلس بالعشيَّات ، فيتناضَلُ بين يديها الرُّماة .

فمرَّ بها النميريُّ^(٣) الشاعر ، فسألتُ عنه فنُسب لها ، فقالت : ائتوني به فأتوها به . فقالت له : أنشدني ممَّا قلت في زينب^(٤) ؛ فامتنع عليها وقال : تلك ابنةُ عمي ، وقد صارت عظاماً بالية ، قالت : أقسمتُ عليك بالله إلا فعلتَ ؛ فأنشدتها قوله :

تَصَوَّغَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ^(٥) إِذْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نَسْوَةٍ عَطْرَاتِ
تَهَادَيْنِ مَا بَيْنَ الْمُحْصَبِ^(٦) مِنْ مَنِيٍّ وَأُقْبَانَ لَا شُعْتًا وَلَا غَيْرَاتِ
أَعَانَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَرْشَهُ مَوَاشِيَ بِالْبَطْحَاءِ مُؤْتَجِرَاتِ^(٧)
مَرَزْنَ بِفَتْحٍ^(٨) ، ثُمَّ رُحْنَ عَشِيَّةً يَلْبِينِ لِلرُّحْمَنِ مُعْتَمِرَاتِ

* الأغانى ص ٢٠٣ ج ٦

(١) تأيَّمت المرأة : إذا مات عنها زوجها ولم تتزوج . وقد كانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر فهلك عنها ، فتزوجها بعده مصعب بن الزبير فقتل عنها ، ثم تزوجها عمر ابن عبد الله بن معمر ، فمات عنها ، فلم تتزوج بعده ، توفيت سنة ١١٠ هـ (٢) المال : ممالك من كل شيء . (٣) هو محمد بن عبد الله ، من ثقف ، شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية توفي سنة ٩٠ هـ (٤) هي زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج الثقفي ، وللنميري فيها أشعار كثيرة : شبب بها في حياتها ، وراثها بعد موتها (٥) نعمان : موضع بين مكة والطائف (٦) المحصب : موضع بين مكة ومني (٧) مؤتجرات : طالبات للأجر (٨) فتح : موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال .

يخبئن أطراف البنان من التقى ويقتلن بالأحاط مُقتدرات
تقسمن لبي يوم نعام إنني رأيت فؤادي عارم^(١) النظرات
جلون وجوهاً لم تلحها سمام حرور ولم يسقن بالسبرات^(٢)

ولما رأيت ركب النيرى راعها وكن من ان يلقينه حذرات
فأذنين ، حتى جاوز الركب ، دونها حجاباً من القسى^(٣) والحبرات
فكذت ، اشتياقاً نحوها وصباية ، تقطع أنفاسي إثرها حسرات
فراجعت نفسي والحفيظة بعدما بللت رداء العصب^(٤) بالعبرات^(٥)

فقلت : والله ما قلت إلا جميلاً ، ولا ذكرت إلا كرمًا وطيباً ، ولا وصفت
إلا ديناً وتقى ، أعطوه ألف درهم .

فلما كانت الجمعة الأخرى تعرض لها ؛ فقلت : على به ، فأحضر . فقلت له :
أنشدني من شعرك في زينب ، فقال لها : أو أنشدك من شعر الحارث بن خالد
فيك ؟ فوثب مواليها إليه ؛ فقلت : دعوه فإنه أراد أن يستقيد^(٦) لبنت عمه ؛
هات مما قال الحارث في فأنشدها^(٧) :

(١) عارم النظرات : شديدها (٢) لاحته الشمس : لفتحته وغيرت وجهه ، والسمام : جمع
شموم وهي ريح حارة ، وسففته : غيرته . والسبرات : جمع سبرة وهي شدة البرد (٣) القسى :
نوع من الثياب ، والحبرات : ضرب من برود اليمن (٤) العصب : برود يصغ غزلها ثم تنسج
(٥) روى أن هذه القصيدة حينما بلغت عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج : « قد بلغني
قول الحيث في زينب ، فله عنه ، وأعرض عن ذكره ؛ فإنك إن أدنيتته أو عانبتته أطعته ،
وإن عاقبتته صدقته » (٦) يأخذ بثأرها (٧) قال الحارث بن خالد هذه الأبيات حين تزوج
مصعب بن الزبير عائشة ، ورحل بها إلى العراق . والحارث بن خالد : أحد شعراء قریش
المعدودين الغزليين ، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة في شعره ، لا يتجاوز الغزل إلى
المدح والهجاء إلا نادراً .

ظعن الأمير بأحسن الخلق وغدا بلبك مطلع الشرق
في البيت ذي الحسب الرفيع ومن أهل التقى والبر والصدق
ما صبحت أحداً برؤيتها إلا غدا بكواكب الطلق^(١)

فقلت : والله ما ذكر إلا جميلاً ؛ ذكر أنى إذا صبحتُ زوجى بوجهى غدا
بكواكب الطلق ، وأنى غدوتُ مع أمير تزوجنى إلى الشرق ، وأنى أحسنُ الخلق
في البيتِ ذي الحسبِ الرفيع ؛ أعطوه ألف درهم واكسوه حلتين ، ولا تعدُّ لآتياننا
بعد هذا يا نميرى !

(١) يقال : يوم طلق أى مشرق معتدل ، وهو يريد : أن من أصبحه برؤيتها يرى اليوم طيباً
سعيداً .

٦٢ — أتريد أن تقتلني ! *

أقبل أبو العباس السفاح^(١) على أختي أم سلمة^(٢) بنت يعقوب، فسأله التزويج بها فزوجه إياها، فأصدقها خمسمائة دينار، وأهدى مائتي دينار، ودخل عليها من ليلته، وحظيت عنده، وحلف ألا يتزوج عليها ولا يتسرى، وغلبت عليه غلبةً شديدة، حتى ما كان يقطعُ أمراً إلا بمشورتها وبأمرها، حتى أفضت الخلافة إليه، خوفاً لها بما حلف .

فلما كان ذات يوم في خلافته خلا به خالد بن صفوان ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إني فكرت في أمرك ، وسعة ملكك ، وقد ملكت نفسك امرأةً واحدة ؛ فإن مرضتُ مرضتُ ، وإن تألمتْ أَلِمَتْ ، وحرمتَ نفسك الجوارى ، والتمتع بما تشهى منهن ؛ فإنَّ منهن - يا أمير المؤمنين - الطويلة الغيداء^(٣) ، وإن منهن الغصَّةَ البيضاء ، والدقيقة السمراء ، من مولدات المدينة ؛ ولو رأيتَ يا أمير المؤمنين الطويلةَ البيضاء ، والسمراء العساء ، من مولدات البصرة والكوفة ، وذوات الألسن العذبة والقود المهففة ، وحسن زيَّهن وزينتهن وشكلهن لرأيت شيئاً حسناً .

* المحاسن والمساوي ص ٤٣٠ طبع ليزنج ، ثمرات الأوراق ص ٢٩٢ ج ٢ ، المسعودي

ص ٢١٥ ج ٢

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، رأس الدولة العباسية بويج بالخلافة سنة ١٣٢ هـ ومات سنة ١٣٦ هـ (٢) كانت عند عبد العزيز بن الوليد فهلك عنها، ثم كانت عند هشام فهلك عنها (٣) الغيداء : المثنية ليناً .

وأين أنت يا أمير المؤمنين من بنات الأحرار ، والنظر إلى ما عندهن من الحياء
والتخفّر !
وجعل خالد يجيد في الوصف ، ويجدّ في الإطناب ، بحلاوة لفظه وجودة
وصفه .

فلما فرغ قال له أبو العباس : ويحك يا خالد ! ما صكّ مسامعي - والله -
قط كلام أحسن مما سمعته ، فأعدّ عليّ كلامك ؛ فقد وقع مني موقعا ! فأعاد عليه
خالد الكلام أحسن مما ابتدأه ، ثم انصرف .
وبقي أبو العباس مفكّرا فيما سمع منه ، فدخلت عليه أم سلمة امرأته - وكانت
تبرّه كثيرا ، وتتحرّى مسرّته وموافقته في جميع ما أرادها - فقالت له : إني
لأنكرك يا أمير المؤمنين ؛ فهل حدث أمر تكرهه ؟ أو أتاك خبرٌ فارغمت له ؟
قال : لم يكن من ذلك شيء !

قالت : فما قصّتك ؟ فجعّل ينزوي عنها ؛ فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد
له ! فقالت : فما قلت له ؟ إنه . . . قال : سبحان الله ينصحنى وتشتمينه ! ؟
فخرجت من عنده مغضبة ، وأرسلت إلى خالد بعض خدمها ، وأمرتهم ألا
يتركوا منه عضواً صحيحاً .

قال خالد : فانصرفتُ إلى منزلي ، وأنا مسرور بما رأيتُ من أمير المؤمنين ،
وإعجابه بما ألقىته إليه ، ولم أشك أن صلته ستأتيني ، فلم ألبث حتى صار إلى
أولئك الخدم ، وأنا قاعد على باب داري ؛ فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوي أيقنتُ
بالجائزة ! حتى وقفوا على ؛ فسألوا عني ، فقلت : هأنذا خالد ؛ فسبق إلى أحدهم

بهرآوة كانت معه ، فلما أهوى بها إلى وثبت فدخلت منزلى ، وأغلقت الباب على ، واستترت ، ومكثت أياماً على تلك الحال لا أخرج من منزلى ، ووقع فى خلدى أنى أوتيت من قبل أم سلمة .

وطلبنى أبو العباس طلباً شديداً ، فلم أشعر ذات يوم إلا بقوم قد هجموا على وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فأيقنت بالموت .

ولما وصلت إلى الدار أوماً إلى بالجلوس ، ونظرت فإذا خلف ظهرى بابٌ عليه ستور قد أرخيت ، وحركة خلفها ! فقال : يا خالد ؛ لم أرك منذ ثلاث ! قلت : كنتُ عليلاً يا أمير المؤمنين ! قال : ويحك ! إنك وصفت لى فى آخر دخلة من أمر النساء والجارى ما لم يخرق مسامعى قط ! فأعده على !

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ! أعلمتك أن العرب اشتقت الضرّة من الضرّ ، وأن أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة إلا كان فى جهده^(١) ! فقال : ويحك ! لم يكن هذا فى الحديث ! قلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وأخبرتكم أن الثلاث من النساء ، كأنّافى^(٢) القدر يغلى عليهن ! قال أبو العباس : برئت من قرابتى من رسول الله إن كنت سمعتُ هذا منك فى حديثك ! قلت : وأخبرتكم أن الأربعة من النساء شرٌّ لصاحبهن يشيبنه ويهرمّنه ويسقمّنه ! قال : وبيك ! والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت ! قلت : بلى والله ! قال : وتلك ! أو تكذبى ! قلت : وتريد أن تقتلنى يا أمير المؤمنين ! !

(١) الجهد : المشقة (٢) الأنافى : جمع أنفية : وهى ما يوضع عليه القدر .

قال خالد : فسمعت الضحك من وراء الستر . قلت : نعم ، وأخبرتكَ أيضاً
أن بنى مخزوم ريحانة قريش ، وأنت عندك ريحانة من الرياحين ، وأنت تطمع
بعينك إلى حرائر النساء وغيرهن من الإماء !

فقبل لى من وراء الستر : صدقتَ والله يا عمّاه وبررت ، بهذا حدّثتَ
أميرَ المؤمنين ، ولكنه بدل وغير ، ونطق عن لسانك !

فقال أبو العباس : مالك قاتلك الله وأخزأك ، وفعل بك وفعل !
فتركته وخرجت ، وقد أيقنتُ بالحياة ، فما شعرت إلا برسل أم سلمة قد
صاروا إلى ، ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت^(١) وبرذون وغلّام !

(١) التخت : وعاء يصاب فيه الثياب .

٦٣ — بعد أن ذهب الملك ! *

كانت الخيزران^(١) أم الهادي والرشيد في دارها ، وعندها أمهاتُ أولادِ الخلفاء ، وغيرهن من بناتِ بنى هاشم ، فبينما هي كذلك إذ دخلت عليها جارية من جواريتها ، فقالت : أعز الله السيدة ، بالباب امرأة ذاتُ حسنٍ وجمالٍ في أطوارِ رثّةٍ ، وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية ، تأتي أن تُخبرَ باسمها وهي تروم الدخول .

فقالت الخيزران للجارية : أدخلها ، فإنه لا بد من فائدة أو ثواب ! فدخلت امرأة ذاتُ بهاء وجمالٍ في أطوارِ رثّةٍ ؛ فوقفت بجانب عضادة الباب ، ثم سلمت متسائلة ، وتكلمت فأوضحت عن بيان ولسان ! فقالوا لها : من أنت ؟

قالت : أنا مزنة زوج مروان بن محمد ، وقد أصراني الدهر إلى ماترين ، ووالله ما الأطوارُ الرثّةُ التي عليّ إلا عارية ، وإنكم لما غلبتمونا على هذا الأمر ، وصار لكم دوننا لم نأمن مخالطة العامة - على ما نحن فيه من الضرر - على بادرة إلينا تزيل موضع الشرف ؛ فقصدناكم لنكونَ في حجابكم على أية حال كانت ، حتى تأتي دَعوةٌ من له الدعوة !

* ثمرات الأوراق للحموي ص ٢١٨ ج ١ ، السعودي ص ٢٤٩ ج ٢

(١) هي زوجة المهدي العباسي ، وأم الهادي والرشيد يمانية الأصل ، ولما ولى ابنها الهادي استبدت بالأمر دونه فكانت المواقب تغدو وتروح إلى بابها ، فتعها الهادي من ذلك . وكانت حازمة ، توفيت في خلافة الرشيد سنة ١٨٣ هـ .

فاغرورقت عينا الخيزران بالدموع ، ونظرت إليها زينب^(١) بنت سليمان بن علي فقالت : لا خففَ الله عنك يا مزنة ، أتذكرين وقد دختُ إليك وأنتِ ، علي هذا البساط بعينه ، فكلمتُك في جثة إبراهيم الإمام ، فانتهرتني ، وأمرت بإخراجي ، وقلت : ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم ! فوالله لقد كان مروان أزعى للحق منك ! لقد دخلتُ إليه فحلف أنه ما قتله - وهو كاذب - وخيّرني بين أن يدفنه ، أو يدفع إليّ جثته ، وعرض عليّ مالا فلم أقبله .

فقالت مزنة : والله ما أداني إلى هذه الحال التي ترىها إلا تلك الفِعال التي كانت مني ، وكأنك استحسنيتها ، فحرّضت الخيزران على مثلها ؛ إنما كان يجب أن تحضّيها على فعل الخير ، وتركِ المقابلة بالشر ؛ لتحرز بذلك نعيمها ، وتصون دينها ! ثم قالت لزينب : يا بنت عم ؛ كيف رأيت صنيع الله بنا في العقوق ، فأحببتِ التأسّي بنا ، ثم ولّت باكية !

وأشارت الخيزران إلى جاريةٍ من جواريتها ، فعدلت بها إلى بعض المقاصير ، وأمرت بتغيير حالها ، والإحسان إليها .

فلما دخل المهدي عليها - وقد انصرفت زينب - قصّت الخيزران عليه قصتها ، وما أمرت به من تغيير حالها ؛ فدعا بالجارية التي ردتّها ، فقال لها : لما رددتها إلى المقصورة ، ما الذي سمعتها تقوله ؟ قالت : لحقتها ، وهي تبكي في خروجها ، وهي تقرأ : « وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ؛ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » .

(١) كان المهدي قد تقدم إلى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان ، وقال لها : اقتبسي من آدابها وخذى من أخلاقها فإنها عجوز لنا قد أدركت أوائلنا .

ثم قال للخيزران : والله لو لم تفعلِ بها ما فعلتِ ما كلمتُك أبداً ، وبكى بكاءً كثيراً ، وقال : اللهم إني أعوذ بك من زوال النعمة !
ثم بعث جارية إلى مقصورتها التي أخليت لها ، وقال للجارية : اقرئي عليها السلام ، وقولي لها : يا بنت عم ، إن أخواتك قد اجتمعن عندي ، ولولا أني ابن عمك لجئتُك !

فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدي فجاءت تسحب أذيالها ، فأمرها بالجلوس ، ورحب بها ، ورفع منزلتها !

ثم تذاكروا أخبار أسلافهم وأيام الناس والدولة وتنقلها ؛ فما تركت لأحد في المجلس كلاماً !

فقال لها المهدي : يا بنت عم ؛ والله لولا أني لأحب أن أجعلَ لقومٍ أنتِ منهم في أمرنا شيئاً لتزوجتُك ، ولكن لا شئ أصون لك من حجابي ، وكونك مع أخواتك في قصرى ؛ لك ما لهن ، وعليك ما عليهن ، إلى أن يأتيتك أمرٌ من له الأمرُ فيما حَكَم به على الخلق .

ثم أخدمها ^(١) وأجازها ؛ فأقامت في قصره إلى أن قضى المهدي والهادي ، ومضى صدر من أيام الرشيد ، وماتت في خلافته ؛ فجزع عليها جزعاً شديداً !

(١) أخدمت فلانا : أعطيته خادماً يخدمه .

٦٤ — أم أمير المؤمنين بالباب *

كانت أم جعفر^(١) بن يحيى أرضعت الرشيد^(٢) مع جعفر؛ لأنه كان ربّي في حجرها، وغدّي برسليها^(٣)، لأن أمه ماتت عن مهده، فكان الرشيد يشاورها، مُظهِراً لإكرامها، والتبرك برأيها. وكان آلى وهو في كفالتها أن لا يحجبها، ولا استشفعته لأحد إلا شفّعها، وآلت عليه أم جعفر أن لا دخلت عليه إلا مأذوناً لها، ولا شفعت لأحدٍ مقترف ذنباً؛ فكم أسيرٍ فكّت، ومُبهمٍ عنده فتحت، ومستغلقٍ منه فرّجت.

وتغيّر الرشيد على البرامكة^(٤)، فقتل جعفرًا، وسجن يحيى والفضل، وسجن معهما أقاربهما، واستصفي ضياعهم وأموالهم. ثم احتجب عن الناس، فسعت إليه أم جعفر، وطلبت الإذن عليه، ومّت^(٥) بوسائلها إليه، فلم يأذن لها، ولا أمر بشيء فيها؛ فلما طال ذلك بها خرجت كاشفةً وجهها، واضعةً لثامها، محتففةً^(٦) في مشيها، حتى صارت بباب قصر الرشيد.

فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب، فقال: ظنّ أمير المؤمنين بالباب، في حالةٍ تقلب شماتة الحاسد، إلى شفقة أم الواحد. فقال الرشيد: ويحك يا عبد الملك!

* المقعد الفريد ص ٢٣ ج ٣

- (١) هي فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة (٢) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي، كان ديناً محافظاً كثير الجهاد، وافر العطاء توفي سنة ١٩٣ هـ (٣) الرسل: اللبن (٤) كانت نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ بعد عودة الرشيد من الحج (٥) ممت: توسلت (٦) احتق: مثنى حافيا.

أو ساعية؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين حافية. قال: أدخلها يا عبد الملك، فربَّ كبد
غذَّتها، وكرُبةً فرجتها، وعورة سترتها!

ودخلت، فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية، قام محتفياً حتى تلقاها بين عمَد
المسجد، وأكبَّ على تقبيل رأسها، ثم أجلسها معه؛ فقالت: يا أمير المؤمنين؛
أيعدُّو علينا الزمان، ويجهفونا خوفاً لك الأعوان، ويُجردك^(١) بنا البهتان، وقد
ريبتك في حجرى، وأخذت برضاعك الأمان من عدوى ودهرى! فقال لها:
وماذا يا أمَّ الرشيد؟ قالت: ظنُّك^(٢) يحيى، وأبوك ولا أصفه بأكثر مما عرفه به
أمير المؤمنين؛ من نصيحتته له، وإشفاقه عليه...

فقال لها: يا أمَّ الرشيد؛ أمرٌ سبق، وقضاء حم^(٣)، وغضبٌ من الله نفذ.
فقالت: يا أمير المؤمنين «يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ». .
فقال: صدقت؛ فهذا مما لم يَمْحُهِ اللهُ. فقالت: الغيبُ محبوبٌ عن النبيين؛
فكيفَ عنك يا أمير المؤمنين؟ فأطرق الرشيد ملياً؛ ثم قال:

وَإِذَا الْمَنِيَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ^(٤) لَا تَنْفَعُ

فقالت بغير روية: ما أنا ليحيى بتميمة يا أمير المؤمنين، وقد قال الأول^(٥):

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

هذا بعد قول الله عز وجل: «وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ

يُحِبُّ الْحَسَنِينَ» .

(١) مجردك: يفضيك (٢) الظئر: من يعطف على ولد غيره، للذكر والأنثى (٣) حم: تزل

ووقع (٤) التيممة: خرزة كان العرب في جاهليتهم يعلقون العدد منها على أولادهم وقاية لهم
من العين، والبيت لأبى ذؤيب (٥) البيت للأخطل.

فأطرق الرشيد ثانية ، ثم قال : يا أم الرشيد ، أقول :

إذا انصرفتُ نفسي عن الشيء لم تكذب إليه بوجهٍ آخرَ الدهر تُقْبِلُ
فقلت : يا أمير المؤمنين وهو يقول أيضاً^(١) :

سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا - إِذَا مَا قَطَعْتَنِي - يَمِينَكَ فَاظْطَرُّ أَيْ كَفَّ تَبَدُّلُ

فقال هارون : رضيت ! فقلت : هَبْهُ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ ، لَمْ يُوجِدْهُ اللَّهُ لِقَدَمِهِ » ؛ فَأَكْبَّ مَلِيًّا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : « لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ » . فقلت : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ « وَيَوْمَ مَمْدُ يُفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » ، وَاذْكَرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَيْتِكَ مَا اسْتَشْفَعْتُ إِلَّا شَفَعْتَنِي ! فقال : وَاذْكَرْ يَا أُمَّ الرَّشِيدِ أَلَيْتِكَ أَنْ لاشْفَعْتَ لِمُقْتَرَفِ ذَنْبًا . فلما رأته قد صرَّحَ بمنعها ولأذَّعَنَ مِنْهَا ، أَخْرَجَتْ حُقًّا مِنْ زُمُرُودَةٍ خَضْرَاءَ فَوَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ : مَا هَذَا ؟ فَفَتَحَتْهُ ، وَأَخْرَجَتْ مِنْهُ ذَوَائِبَهُ وَثَنِيَايَاهُ ، وَقَدْ غَمَسَتْ جَمِيعَ ذَلِكَ فِي الْمَسْكَ .

فقلت : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ اسْتَشْفَعُ إِلَيْكَ ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ ، وَبِمَا صَارَ مَعِيَ مِنْ كَرِيمِ جَسَدِكَ ، وَطَيِّبِ جَوَارِحِكَ أَنْ تَشْفَعَنِي فِي عَبْدِكَ يَحْيَى .

فأخذ هارون ذلك ، وثمنه ، ثم بكى طويلاً ؛ فَأَبْكَى أَهْلَ الْمَجْلِسِ ، وَذَهَبَ الْبَشِيرُ إِلَى يَحْيَى وَهُوَ لَا يَظُنُّ إِلَّا أَنْ الْبُكَاءَ رَحْمَةً لَهُ وَرُجُوعٌ عَنْهُ . فلما أفاق رمى جميع ذلك في الحلق ، وقال لها : لِحَسَنُ مَا حَفِظْتَ الْوَدِيعَةَ . فقلت : وَأَهْلُ الْمَكَافَأَةِ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) هذا البيت والذي قبله لمن بن أوس .

فسكت وأقبل الحق ، ودفعه إليها ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » . فقالت : والله يقول : « وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ
أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » ، ويقول : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ » . ثم
قال : وما ذاك يا أمَّ الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت أن لا تحجبني ولا تمهني ؟
فقال : أحب يا أمَّ الرشيد أن تبيعي ذلك محكمة فيه . فقالت : أنصفت
يا أمير المؤمنين ، وقد فعلتُ غير مستقيمة لك ، ولا راجعة عنك . فقال : بكم ؟ قالت :
برضاك عن لم يُسَخِّطْكَ . فقال : يا أمَّ الرشيد ؛ أما لي من الحقِّ عليك مثلُ
الذي له ؟ قالت : بلى ! أنت أعزُّ عليَّ وهو أحبُّ إليَّ . قال : فتحكمتي في تمنيةٍ
بغيره . فقالت : قد وهبتُك وجعلتك في حلِّ منه ! . . وقامت عنه غضبي ،
وبقى مبهوتاً ، ما يُحير لفظه .

٦٥ - كريم يجمع بين زوجين *

قال إبراهيم بن ميمون : حججت في أيام الرشيد^(١) ، فبينما أنا بمكة أجول في سِكَهَا إِذَا أَنَا بِسُودَاءِ قَائِمَةٍ سَاهِيَةٍ ، فَأَنكَرْتُ حَالَهَا ، وَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا ، فَكُنْتُ كَذَلِكَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَتْ :

أَعْمُرُو عَلَامَ تَجَنَّبْتَنِي أَخَذْتُ فَوَادِي فَعَدَّ بَتَنِي
فَلَوْ كُنْتُ يَا عَمْرُو خَيْرَ تَنِي أَخَذْتُ حِدَارِي فَمَا نَلْتَنِي

قال : فدنوت منها ، فقلت : يا هذه من عمرو ؟ فارتاعت من قولي ، وقالت : زوجي . فقلت : وما شأنه ؟ قالت : أخبرني أنه يهواني وما زال يدس إلي ، ويعلق بي في كلِّ طريق ، ويشكو شدة وجده حتى تزوجني ، فلبث معي قليلاً ، وكان له عندي من الحب مثل الذي كان لي عنده ، ثم مضى إلى جدة ، وتركني . قلت : صفيه لي ، فقالت : أحسن من تراه ، وهو أسمرٌ حلوظيرف .

قلت : فخبّرني ، أتحبين أن أجمع بينكما ؟ قالت : فكيف لي بذلك ! وظننتني أهزل بها .

قال : فركبت راحلتي ، وصرت إلى جدة ، فوقفتم في المرقى أتبصر من يعمل في السفن ، وأصوت^(٢) ياعمرؤ! ياعمرؤ! فإذا به خارجٌ من سفينة وعلى عنقه صن^(٣) ، فعرفته بالصفة .

* مصارع العشاق ص ١٥٩

(١) انظر صفحة ١٦٢ (٢) أصوت : أنادي (٣) الصن : شبه السلة المطبقة ، يجعل

فيها الطعام والخبز .

فقلت : « أعمرو ، علام تجبنتني » فقال : هيه ! هيه ! رأيتهَا ، وسمعتَه منها !
ثم أطرق هنيهة ، ثم اندفع يعنّيه ، فقلتُ : ألا ترجع ! فقال : بأبي أنت ! ومن لي
بذلك ؟ ذلك والله أحبُّ الأشياءِ إليّ ، ولكن منعَ منه طلبُ المعاش ، قلت : كم
يكفيك كلَّ سنة ؟ قال : ثلاثمائة درهم ، فأعطيته ثلاثة آلاف درهم وقلت : هذه لعشر
سنين ، ورددته إليها ، وقلت له : إذا فنيت أو قاربتِ الفناء قدِمت عليّ وأعطيتك ،
وإلا وجهت إليك . وكان ذلك أحبَّ إليّ من حجي .

٦٦ — أعرابية على قبر زوجها*

قال الأصمعي^(١) : دخلتُ بعضَ مقابر الأعراب ، ومعى صاحب لى ، فإذا جارية على قبر كأنَّها تمثال ، وعليها من الحَلْيِ والحلل ما لم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة ، وصوتٍ شَجْبى ! فالتفتُ إلى صاحبى ؛ فقلت : هل رأيتَ أعجبَ من هذه ؟ قال : لا والله ، ولا أحسبني أراه !
ثم قلتُ لها : يا هذه ؛ إني أراك حزينة ، وما عليكِ زىَّ الحزن ! فأنشأت تقول :

فإن تسألانى فيمَ حزنى؟ فإننى رهنيةٌ هذا القبر يا فتيان
وإني لأستحييه والترُّبُ بيننا كما كنتُ أستحييه حين يرانى
ثم اندفعت في البكاء ، وجعلت تقول :

يا صاحبَ القبر يا مَنْ كانَ ينعِمُ بى بالا ويكثرُ فى الدنيا مُواساتى
قد زرتُ قبرك فى حَلْيى وفى حُلَى كأننى لست من أهل المصيبات
أردتُ آتيك فيما كنتُ أعرفُه أن قد تسرُّ به من بعض هيئاتى
فمن رآنى رأى عبرى مولَّهة عجيبة الزىَّ تبكى بين أمواتٍ !

* المقد الفريد ص ٢٦ ج ١

(١) انظر صفحة ٥٤

٦٧ — على قبور الذاهيين*

قال الأصمعي :

دَفَعْتُ يَوْمًا فِي تَلَمُّسِي بِالْبَادِيَةِ إِلَى وَادٍ خَلَاءَ ، لِأَنِيسَ بِهِ إِلَّا بَيْتَ مُعْتَنَزٍ ^(١) ،
بِفَنَائِهِ أَعْنَزُ ، وَقَدْ ظَمِئْتُ ، فِيمِمْتَهُ فَسَلَّمْتُ ، فَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ بَرَزَتْ كَأَنَّهَا نِعَامَةٌ
رَاحِمٍ ^(٢) ، فَقُلْتُ : هَلْ مِنْ مَاءٍ ؟ فَقَالَتْ : أَوْ لَبِنٍ ؟ فَقُلْتُ : مَا كَانَ بُغِيَّتِي إِلَّا
الْمَاءُ ، فَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ اللَّبْنَ فَإِنِّي إِلَيْهِ فَقِيرٌ .

فَقَامْتُ إِلَى قَعْبٍ فَأَفْرَغْتُ فِيهِ مَاءً ، وَنَظَّفْتُ غَسَلَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى الْأَعْنَزِ
فَتَغَبَّرْتَهُنَّ ^(٣) حَتَّى احْتَلَبْتُ قُرَابَ ^(٤) مِلءِ الْقَعْبِ ، ثُمَّ أَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مَاءً حَتَّى رَغَا ،
وَوَطَّطْتُ ثَمَالَتَهُ ^(٥) ، كَأَنَّهَا غِمَامَةٌ بِيضَاءُ ، ثُمَّ نَاوَلْتَنِي إِيَّاهُ فَشَرِبْتُ حَتَّى تَحَبَّبْتُ ^(٦)
رِيًّا ، وَاطْمَأْنَنْتُ .

قُلْتُ : إِنِّي أُرَاكَ مُعْتَنَزَةً فِي هَذَا الْوَادِي الْمَوْحَشِ ، وَالْحِلَّةُ ^(٧) مِنْكَ قَرِيبٌ ،
فَلَوْ انْضَمَمْتُ إِلَى جَنَابِهِمْ ^(٨) فَأَنْسَيْتُ بِهِمْ . فَقَالَتْ : يَا بَنَ أَخِي ! إِنِّي لَأَنْسُ
بِالْوَحْشَةِ ، وَأَسْتَرِيحُ إِلَى الْوَحْدَةِ ، وَيَطْمِئِنُّ قَلْبِي إِلَى هَذَا الْوَادِي الْمَوْحَشِ ، فَأَتَذْكَرُ
مَنْ عَهَدْتُ ، فَكَأَنِّي أَخَاطِبُ أَعْيَانَهُمْ ، وَأَتَرَايَ أَشْبَاحَهُمْ ، وَتَتَخَيَّلُ لِي أُنْدِيَةٌ
رِجَالُهُمْ ، وَمَلَاعِبُ وِلْدَانِهِمْ ؛ وَمَنْدَى أُمُوَاهُمْ .

* الأملی ص ٧ ج ٢

(١) معتنز : منفرد (٢) الراحم : التي تحضن بيضها (٣) تغبرتهن : احتلبت الغبر ، وهو بقية
اللبن في الضرع (٤) قراب : قريب (٥) الثالة : الرغوة (٦) تحببت : امتلاأت (٧) الحلة : وجعها
حلال بيوت الناس (٨) الجناب : فناء الدار .

والله يابن أخى ، لقد رأيتُ هذا الوادى بَشع^(١) اللدَّيين^(٢) بأهل أدواح^(٣) وقَبَاب ، ونعم^(٤) كالهضاب ، وخيل كالذئاب ، وفتيان كالرماح ، يبارون الرياح ، ويحمون الصَّبَاح ، فأحال عليهم الجلاءَ قَمًّا^(٥) بغرفة ، فأصبحتِ الآثارُ دَارسةً ، والمحالُ طامسةً ، وكذلك سيرةُ الدهرِ فيمن وثق به .

ثم قالت : إِرْمِ بعينيك فى هذا الملا^(٦) المتَّبَاطن^(٧) . فنظرتُ فإذا قبورُ نحوِ أربعين أو خمسين . فقالت : ألا ترى تلك الأجداث ؟ قلت : نعم . قالت : ما انطوت إلا على أخ أو ابن أخ ، أو ابن عم ؛ فأصبحوا قد أُمُت^(٨) عليهم الأرض ، وأنا أترب ماغالهم . انصرف راشداً رحمك الله !

(١) بَشع : ملآن (٢) اللدَّيان : الجانبان (٣) الأدواح : الأشجار العظيمة (٤) الهضاب : الجبال الصغار (٥) قَمَّا : كَنَسَا (٦) الملا : ما اتسع من الأرض (٧) المتَّبَاطن : المتطامن (٨) أُمُت : احتوت .

٦٨ - الحق أنطقها وأخرسه *

قال الشَّيْبَانِيُّ : جلس المأمون^(١) يوماً للمظالم ، فكان آخرُ من تقدم إليه ،
وقد همَّ بالقيام ، امرأةً عليها هيئةُ السَّفَرِ ، عليها ثياب رَثَّةٌ .

فوقفت بين يديه فقالت : السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته .
فنظر المأمون إلى يحيى بن أكرم ، فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمةَ الله ، تكلمي
في حاجتك . فقالت :

ياخيرَ مُنتَصِفٍ يُهْدِي له الرَّشْدُ وياإماماً به قد أشرقَ البلدُ
تَشْكُو إليك عميدَ القومِ أَرْمَلَةٌ عدا عليها فلم يُتْرَك لها سبَدُ^(٢)
وابتَزَّ مني ضياعيَ بعدَ مَنَعَتِهَا ظمأً وفرَّقَ مني الأهلُ والولدُ
فأطرق المأمونُ حيناً ، ثم رفع رأسه إليها . وهو يقول :

في دُونِ ما قُلتِ زال الصبرُ والجلدُ عني وقُرِّحَ مني القلبُ والكبيدُ
هذا أو أن صلاةَ العصرِ فانصرفي وأحضري الخصمَ في اليوم الذي أُعِدُ
والجلس السبتُ إن يُقضَ الجلوسُ لنا نُنصِفُك منه وإلا المجلسُ الأحدُ
فلما كان يوم الأحد جلس ، فكان أوَّلَ من تقدم إليه تلك المرأة ،

* العقد الفريد ص ١٥ ج ١ ، عصر المأمون ص ٣٤٨ ج ١ ، المحاسن والمساوي ص ٣٥٠ طبع لبيزج
(١) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، من أعظم خلفاء بني العباس وعلمائهم وحكامهم
كان وافر الخلق ، عظيم الحلم ، محبا للعلم ، مؤثراً للحكمة ، توفي سنة ٢١٨ هـ (٢) السبد : القليل
وهو في الأصل القليل من الشعر .

فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال : وعليك السلام ، أين الخصم ؟ فقلت : الواقفُ على رأسك يا أمير المؤمنين ، وأوماتُ إلى العباسِ ابنه .

فقال : يا أحمد بن أبي خالد ، خذُ بيده ، فأجلسه معها مجلسَ الخصوم ، فجعل كلامها يعلو كلامَ العباس ، فقال لها أحمد بن أبي خالد : يا أمةَ الله؛ إنك بين يدي أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، فاحفضي من صوتك ، فقال المأمون : دَعِها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها وأخرسه . ثم قضى لها بردٌ ضيَعَتْهَا إليها ، وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يوغرها ^(١) ضيَعَتْهَا ، ويُحسِنَ معاونتها ، وأمر لها بنفقة !

(١) أوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير خراج .

٦٩ -- أجارها ثم تزوجها *

قال إبراهيم^(١) بن المدبر :

جاءني يوماً محمد^(٢) بن صالح بعد أن أُطْلِقَ من الحبس فقال لي : إني أريد المقام عندك اليوم على خلوّة لأبثك من أمرى شيئاً لا يصلح أن يسمعه غيرنا .
فقلت : افعَل ؛ فصرفت من كان بحضرتي وخالوت معه ، وأمرت بردّ دابته وأخذ ثيابه .
فلما اطماننا وأكلنا واضطجعنا قال لي : إني خرجت في سنة كذا وكذا ، ومعى أصحابي على القافلة ، فقاتلنا من كان فيها فهزمناهم وملكنا القافلة ؛ فبينما أنا أحوزها وأنسخ الجمال إذ طلعت عليّ امرأة ، مارأيتُ قطُّ أحسنَ منها وجهاً ولا أحلى منطقاً .
فقلت : يا فتى إن رأيت أن تدعولي بالشريف المتولى أمر هذا الجيش ؟ فقلت :
قد رأيتُه وسَمِعَ كلامك ! فقلت : سألتك بحق الله وحق رسوله أنت هو ؟ فقلت :
نعم وحق الله وحق رسوله إني لهو . فقلت : أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى ؛ ولأبي محلٌّ من سلطانه ، ولنا نعمة إن كنت ممن سمعَ بها فقد كفناك ما سمعت ، وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري ! ووالله لا استأثرت عنك بشيء أملكه ، ولك بذلك عهدُ الله وميثاقه عليّ . وما أسألك إلا أن تصونني وتسترني ، وهذه ألف دينار معي لنفقتي ، فخذها حلالاً ، وهذا حلٌّ عليّ ثمنه خمسمائة دينار فخذها . وما شئت

* الأغانى ص ٨٧ ج ١٥

(١) إبراهيم بن المدبر : شاعر كاتب من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدمهم وذوى الجاه فيهم ، وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله توفي سنة ٢٧٠ هـ (٢) محمد بن صالح : ينتهى نسبه إلى علي بن أبي طالب ، كان شاعراً حجازياً ظريفاً من شعراء أهل بته المقدمين توفي سنة ٢٣٨ هـ .

بعده آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم ، فليس منهم أحدٌ يمنعني شيئاً أطلبه ، وادْفَعْ عني واحمني من أصحابك ومن عارٍ يلحقني . فوقع قولها من قلبي موقِعاً عظيماً ، فقلت لها : قد وهب الله لك مالكٍ وحليكَ وجاهك ، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها .

ثم خرجت فنادتُ في أصحابي فاجتمعوا فنادت فيهم : إني قد أجزت هذه القافلة وأهلها وخفرتُها وحَمَيْتُها ، ولها ذمةُ الله وذمةُ رسوله وذمتي ؛ فمن أخذ منها خيطاً أو عقلاً فقد آذنته بحربٍ . فانصرفوا معي وانصرفت .

فلما أخذتُ^(١) وحُيِّتُ جاءني يوماً السجَّان ، وقال لي : إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك ، وقد حُظِرَ عليَّ أن يدخلَ عليك أحدٌ ؛ إلا أنهما أعطتاني دُمَلَجَ ذهب ، وجعلتاه لي إن أوصلتُهما إليك ، وقد آذنتُ لهما وهما في الدهليز . فاخرج إليهما إن شئت .

ففكرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب لأعرف أحداً . ثم قلت : لعليهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي . فخرجت إليهما فإذا بصاحبتي ، فلما رأتي بَسَكْتَ لِمَا رَأَتْ من تغيير خَلْقِي وثقل حديدي ؛ فأقبلتُ عليها الأخرى فقالت : أهو هو ! فقالت : إي والله انه لهو هو ! ثم أقبلت عليَّ فقالت : فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ! والله لو استطعتُ أن أقيكَ مما أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت وكنت بذلك مني حقيقةً ، ووالله لا تتركُ المعاونة لك والسعي في حاجتك وخالصك بكل حيلةٍ ومالٍ وشفاعةٍ ، وهذه دنانير وثياب وطيب فاستعن بها على موضعك ، ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك حتى يُفْرِجَ اللهُ عنك . ثم أخرجت إليَّ كسوةً وطيباً ومِائتي دينار .

(١) حبس المتوكل محمد بن صالح حين خرج عليه ثلاث سنين ، ثم عفا عنه لشعر مدحه به .

• وكان رسولها يأتيني كلَّ يوم بطعام نظيف ، ويتواصل برُّها بالسجَّان ؛ فلا
يَمْتَنع من كلِّ شيء أريدُه . ثمَّ منَّ اللهُ بِخِلاصِي فخطبَها ؛ فقالت : أمَّا من جِهتي
فأنا لك مُتَابِعَةٌ مُطِيعَةٌ والأمر إلى أبي . فأتيته فخطبَها إليه ، فردَّني ؛ فقامتُ من
عنده منكسراً مستحجياً .

قال ابراهيم بن المدبِّر : فقلت له : إن عيسى صنيعَةٌ أُخِي وهو لي مطيعٌ وأنا
أُكْفِيكَ أمره . فلما كان من الغد لقيت عيسى في منزله وقلت له : قد جئتُك في
حاجة لي ، فقال : مقضيَّةٌ ، ولو كنتَ استعملتَ ما أحبُّه لأمرتني فجئتُك ، وكان
أسرَّ إليَّ . فقلت له : قد جئتُك خاطباً إليك ابنتك . فقال : هي لك أمةٌ وأنا لك
عبدٌ وقد أُجبتك . فقلت : إني خطبْتُها علي من هو خير مني أباً وأماً ، وأشرف لك
صهراً : محمد بن صالح العلوِي . فقال لي : ياسيِّدي ، هلاً كان غير هذا ؟ فلم أزل أرفق
به حتى أُجاب . وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرتُه وما برحت حتى زوّجته ، وسُقَّتْ
الصداقَ عنه (١) .

(١) وفي ابن المدبِّر يقول محمد بن صالح حينما أولاه وأعاناه على زواجه :
فهلا في الذئ أولاك عرفاً تسرى من مكالك ما يسير
ثناء غير محتاق ومدحاً مع الركبان ينجد أو يغور
أخ واساك في كلب الليالي وقد خذل الأفارب والنصير
حفاظا حين أسلمك الموالى وضم بنفسه الرجل الصبور
فإن تشكر فقد أولى جميلا وإن تكفر فإنك لاكفور

٧٠ — أنظر كيف ربّت ابنها *

قال الفضل بن يزيد : نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين ، وكنت مشغولاً بأخبار العرب ، أحبُّ أن أسمعها وأجمعها . فبينما أنا أدور في بعض أحيائهم ، إذا بامرأة واقفة في فناء خبائها ، وهي آخذة بيد غلام ، قلّما رأيتُ مثله في حسنه وجماله ، وهي تعاتيه بلسان رطب ، وكلام عذب ، تحنُّ إليه الأسماع ، وترتاح إليه القلوب . وأكثر ما أسمع منها : أيُّ بنيّ ، وهو يتسم في وجهها ، قد غلب عليه الحياء والخجل ، لا يردّ جواباً . فاستحسنْتُ ما رأيتُ ، واستحليت ماسمعت ، ثم دنوت منه وسلمت عليه ، فردّ عليّ السلام ، فوفقت أنظر إليهما .

فقلت : يا حضريّ ، ما حاجتك ؟ فقلت : الاستكثار مما أسمع ، والسرور بما أرى من هذا الغلام . فقلت : يا حضريّ ، إن شئتُ سقتُ إليك من خبره ، ماهو أحسن مما شاهدت من أدبه . فقلت : قد شئتُ — يرحمك الله — فقلت : حملته والرزق عسر ، والعيش نكد ، حملاً خفيفاً ، حتى إذا مضت له تسعة أشهر ولدته ؛ فوربك ماهو إلا أن صار ثالث أبويه حتى أفضل الله عز وجلّ وأعطى ، وأتى من الرزق بما كفى وأغنى ؛ ثم أرضعته حولين كاملين ، فلما استتم الرضاع نقلته من خرّق المهد إلى فراش أبيه ، فنشأ كأنه شبل أسد ، أقويه برد الشتاء وحرّ الهجير ، حتى إذا مضت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب ، فحفظه القرآن فتلاه ، وعلمه الشعر فرواه ، ورجب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده ، فلما أن بلغ الحلم ، واشتدّ عظمه ،

وكل خلقه ، حملته على عتاق الخيل فتمرس وتمرس^(١) ، ولبس السلاح ، ومشى بين بويتات الحى الخيلاء ، فأخذ في قرى الضيف ، وإطعام الطعام ، وأنا عليه ورجلة ، أشفق عليه من العيون أن تصيبه .

ثم اتفق أن نزلنا بمنهل من المناهل بين أحياء العرب ، فخرج فتیان الحى فى طلب ثأر لهم ، وشاء الله أن أصابته وعكة^(٢) شغلته عن الخروج ، وأمعن القوم ، ولم يبق فى الحى غيره ، ونحن آمنون وادعون ، ثم أدير الليل ، وأسفر الصباح ، فطلعت علينا غر الجياد ، وطلاع العدو ، وما هو إلا هنية حتى أحرزوا الأموال دون أهلها ، وهو يسألنى عن الصوت ، وأنا أستر عنه الخبر إشفاقاً عليه وضناً به .

ولما علت الأصوات ، وبرزت الخدّرات^(٣) ، رمى دثاره^(٤) ، وثار كما يثور الأسد ، وأمر بإسراج فرسه ، ولبس لأمة حر به ، وأخذ رُمحه بيده ، ولحق حُماة القوم ، فطعن أديانهم منه فرمى به ، ولحق أبعدهم منه فقتله ، فانصرفت وجوه الفرسان ، ثم رأوه صبيغاً صغيراً لامدَد وراءه ، فحملوا عليه ، فأقبل يؤم البيوت ، ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة ، حتى إذا مدّهم وراءه ، وامتدوا فى أثره عطف عليهم ، ففرق شملهم ، وشتت جمعهم ، وقلل كثيرتهم ، ومزّقهم كل ممزّق ، ومزّق كما يمزّق السهم ، وناداهم ! خلّوا عن المسال ! فوالله لارجعت إلا به أو أهلك دونه !

فانصرفت إليه الأقران ، وتمايلت نحوه الفرسان ، وحملوا عليه ، وقد رفعوا إليه الأسنّة ، وعطفوا عليه بالأعنة ، فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من وراء

(١) تفرس : ثبت ونظر وأرى الناس أنه فارس ، وتمرس : عالج الأمور ، واحتك بها (٢) الوعكة : الألم من شدة التعب (٣) الخدّرات : المحجوبات من النساء (٤) الدثار : ما فوق الشعار من الثياب .

الإبل ، وجعل لا يعطف على ناحية إلا حطمها ، ولا كتيبة إلا مزقها ، حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه .

ثم ساق المال وأقبل به ؛ فكبر القوم عند رؤيته ، وفرح الناس بسلامته . فوالله ما رأينا قط يوماً كان أسمح صباحاً ، وأحسن رواحاً من ذلك اليوم ، ولقد سمعته يقول في وجوه فتيات الحى هذه الأبيات :

تأملن فعلى هل رأيتن مثله إذا حشرجت نفس الجبان من الكرب ؛
 وضقت عليه الأرض حتى كأنه من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
 ألم أعط كلاً حقه ونصيبه من السمهرى اللدن والمرهف العصب (١)
 أنا بن أبي هند بن قيس بن مالك سليل المعالي والمكارم والسيب (٢)
 أبي لى أن أعطى الظلّامة مرهف وطرف (٣) قوى الظهر والجوف والجنب
 وعزمٌ صحيح لو ضربت بجمده الـجبال الرواسى لانحططن إلى التراب
 وعرض نقي أنقى أن أعيبه وبيت شريف في ذراً ثعلب الغاب (٤)
 فإن لم أقاتل دونكن وأحتمى لكن وأحميكن بالطعن والضرب
 فلا صدق اللاتي مشين إلى أبي يهيننه بالفارس البطل الندب (٥)

(١) السمهرى : الرمح وهو منسوب إلى سمهر ، رجل كان يثقف الرماح ، والمرهف : السيف الرقيق الحد ، والعصب : القاطع (٢) السيب : العطاء (٣) الطرف : الكريم من الخيل (٤) ثعلب : أصله ثعلبية وهى قبيلة الغلام ، والغلب : جمع أغلب ، وهو الأسد ويريد أنهم شجعان (٥) الندب : الخفيف فى الحاجة .

٧١ — خائف وجد مأمناً *

قال وهب بن ناجية الرضافي: كنت أحد مَنْ وقعت عليه التهمة في مال مصر أيام الواثق، فطلبني السلطان طلباً شديداً، حتى ضاقت عليّ الرضافة^(١)، وغيرها، فخرجت إلى البادية مرتاداً رجلاً عزيز الدار، منيع الجار، أعوذُ به، وأنزلُ عليه.

فبينما أنا أسيرُ إذ رأيتُ خياماً، فعدلتُ إليها، فملتُ إلى بيت منها مضروب، وبفنائها رُمحٌ مركز، وفرسٌ مربوط؛ فدنوتُ فسلمت، فردَّ عليّ نساءً من وراء السجف^(٢)، وقالت لي إحداهن: اطمئنْ يا حضري، فنعم مناخُ الضيفان بؤاك القدر، ومهدك السفر. قلت: وأنى يطمئنُّ المطلوب، أو يأمنُ المرغوب، من دون أن يأوى إلى جبلٍ يعصمه، أو مأمنٍ أو مفزعٍ يمنعه؟ وقليلاً ما يهجع مَنْ السلطان طالبه، والخوفُ غالبه! قالت: لقد ترجم لسانك عن ذنبٍ عظيمٍ وقلبٍ صغير، وأيمُ الله لقد حلتَ بفناء رجل لا يُضام بفناء أحدٍ، ولا يجوع بساحته كيد، هذا الأسود بن قنان، أخواله كعب، وأعمامه شيبان، صعلوك^(٣) الحى في ماله، وسيدهم في حاله، وسندهم في فعاله^(٤)، صدوق الجوار، وقود النار، وبهذا وصفته أمامة بنت خزر ج حيث تقول:

* محاضرات الأبرار ص ١١٦ ج ٢

(١) الرضافة: محلة ببغداد (٢) السجف: الستر (٣) أصل الصعلوك الفقير، والمراد أنه ينفق حتى يصير فقيراً (٤) الفعال: (بالفتح) الفعل الحسن من فاعل واحد، وإذا كان من فاعلين فهو الفعال (بالكسر).

إذا شئت أن تلقى فتى لووزنته بكل معدي وكل يمان
وفي بهما فضلاً وجوداً وسودداً ورأيا، فذاك الأسود بن قنان
فتى لا يرى في ساحة الأرض مثله ليوم ضراب أو ليوم طعان

قال : فقلت : يا جارية ، وأنى لى به ! فقلت : يا خادم ، مولاك ! فلم تلبث
أن جاءت وهو معها فى جماعة من قومه ، وقال : أى المنعمين علينا أنت ؟ فسبقتنى
المرأة ، وقالت : هذا رجل نبت به أوطانه ، وأزعجه زمانه ، وأوحشه سلطانه ؛
وقد ضمنا له ما يضمّن لثله على مثلك ، قال : بل الله فاك ، أشهدكم يا بنى عمى
أن هذا الرجل فى جوارى وفى ذمتى ، فمن آذاه فقد آذانى ، ومن كاده فقد كادنى .
وأمر بيته فضرب إلى جانبه ، وقال : هذا بيتك وأنا جارك ، وهؤلاء رجالك ،
فلم أزل بينهم فى خمنض وسعة إلى أن سرت عنهم .

٧٢ - تحنّ إلى وطنها *

هَوَى بَعْضُ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ أَعْرَابِيَةً فَتَزَوَّجَ بِهَا ، فَلَمْ يُوَاقِفْهَا هَوَى الْمَدَنِ ، فَلَمْ
تَزَلْ تَعْتَلِّ وَتَتَأَوَّهُ ، مَعَ مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالرَّاحَةِ ، وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ؛ فَسَأَلَهَا
عَنْ شَأْنِهَا ، فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا تَجِدُ مِنَ الشُّوقِ إِلَى الْبِرَارِيِّ وَأَحَالِيْبِ^(١) الرُّعَاءِ ، وَوُرُودِ
الْمِيَاهِ الَّتِي تَعُودُ ؛ فَبَنَى لَهَا قَصْرًا عَلَى رَأْسِ الْبَرِيَّةِ بِشَاطِئِ الدَّجَلَةِ^(٢) ، وَأَمَرَ
بِالْأَغْنَامِ وَالرُّعَاءِ أَنْ تَسْرَحَ بَيْنَ يَدَيْهَا وَتَتَرَاءَى لَهَا ؛ فَلَمْ يَزِدْهَا ذَلِكَ إِلَّا اشْتِيَاقًا إِلَى
وَطْنِهَا .

ثم مرّ بها يوماً في قصرها من حيث لا تشعر بمكانه ، فسمعها تنتحب وتبكي ،
حتى ارتفع صوتها ، وعلا نحيبها ، ثم قالت :

وَمَا ذَنْبُ أَعْرَابِيَةٍ قَدَفَتْ بِهَا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكْ ظَنَنْتِ
تَمُنُّ أَحَالِيْبَ الرُّعَاءِ وَخِيْمَةً بِنَجْدٍ فَلَمْ يَقْضِ لَهَا مَا تَمُنُّ
إِذَا ذَكَرْتَ مَاءَ الْعُدَيْبِ^(٣) وَطَيْبِهِ وَبَرْدَ حِصَاةِ آخِرِ اللَّيْلِ أَنْتِ
لَهَا أَنْةٌ عِنْدَ الْعِشَاءِ وَأَنْةٌ سَحِيرًا ، وَلَوْلَا أَنْتَاهَا لَجُنُنْتِ

فخرج عليها الخليفة ، وقال : قد قضى ما تمنيت ، فالحق بأهلك من غير فراق ؛
فما مرّ عليها وقت أسرّ من ذلك ، وسرى ماء الحياة في وجهها من حينها ، والتحمت
بأهلها بجميع ما كان عندها في قصرها ، وظلّ الخليفة يزورها في أهلها بين الحين
والحين .

* محاضرات الأبرار ص ٢٤٨ ج ٢
(١) الإحلابة : أن يجلب لأهله وهو في المرعى لبناً ، ثم يبعث به إليهم ، وجمعه أحاليب ،
والرعاء : جمع راع (٢) دجلة : نهر بالعراق (٣) العديب : موضع .

٧٣ - سئمت حياتي حين فارقت قبره ! *

قال محدث: سألت أبا الندى^(١) - وكان من أعلم من شاهدت بأخبار العرب: هل تعرف من شعر الذلفاء بنت الأبيض في ابن عمها نجدة بن الأسود؟ قال: نعم! كنت فيمن حضر جنازة نجدة، حتى وضعناه في قبره، وأهلاًنا عليه التراب، وصدرنا^(٢) عنه غير بعيد، فأقبلت نسوة يتهادين^(٣)، فيهن امرأة قد فاقهن طولاً، كالغصن الرطب، وإذا هي الذلفاء؛ فأقبلت حتى أكبّت على القبر، وبكت بكاءً محرقاً، وأظهرت من وجدها ما خفن معه على نفسها، فقلن لها: يا ذلفاء؛ إنه قد مات السادات من قومك قبل نجدة، فهل رأيت نساء هم قتلن أنفسهن عليهم؟ فلم يزلن بها حتى قامت، فانصرفت عن القبر، فلما صارت منه غير بعيد عطفت بوجهها عليه، وقالت:

سئمت حياتي حين فارقت قبره
ورحمت وماء العين ينهل هامله^(٤)
وقالت نساء الحى: قد مات قبله
شريف فلم تهلك عليه حلائله^(٥)
صدقن! لقد مات الرجال ولم يم
كنجدة من إخوانه من يعادله
فتى لم يضق عن جسمه لحد قبره
وقد وسع الأرض الفضاء فضائله

قال: فقلت: أحسنت والله يا أبا الندى وأحسنت! فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر؟ قال: نعم! كنت ممن حضر قبر نجدة عند زيارتها إياه لتمام الحول،

* معجم الأدباء ص ١٦٠ ج ١٧

(١) محمد بن أحمد أبو الندى الفندجاني اللغوي، رجل واسع العلم، راجع المعرفة باللغة وأخبار العرب وأشعارها (معجم الأدباء ص ١٦٠ ج ١٧) (٢) رجعتنا عنه (٣) يتمايلن في مشيتهن (٤) ينهل: ينصب، وهامله، دمه الفائض (٥) أى زوجته.

فرايتها قد أقبلت حتى أكبّت على القبر ، وبكّت بكاءً شديداً ، ثم أنشأت تقول :
ياقبرَ نَجْدَةَ لم أهجرُكَ مَقْلِيَةً ولا جفوتُكَ من صَبْرِي ولا جَلَدِي
لَكِنُ بِكَيْتِكَ حتى لم أجدَ مَدَدًا من الدموعِ ولا عونًا من الكَمَدِ
وَأَيْسَتِي جفوني من مَدَامِعِهَا فقلت للعين : فيضِي من دمِ الكَبِدِ
فلم أزلُ بدمي أبكيكَ جاهدةً حتى بقيتُ بلا عين ولا جَسَدِ
والله يعلمُ لولا الله ما رضيتُ نَفْسِي عليكِ سوى قَتَلِ لها يَدِي

قال : فقلت : أحسنت والله يا أبا الندى وأحسنت ! فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم : حضرنا في زمن الربيع ونحن في رياض خِصْرَةَ مُعْشَبَةَ ، فركبَ الفتيانُ ، وعقدوا العَدَبَ^(١) الصُّفْرَ في القنا الحمر ، وجعلوا يتجاولون . فلما أردنا الانصراف ، قال بعضنا لبعض : ألا تجعلون طريقكم على الذلفاء ! لعالمها إذا نظرت إليكم تسلّت بمن بقي عن هلك !

قال : فخرجنا نؤمّها فأصبناها بارزةً من خبائها ، وهي كالشمس الطالعة ، إلا أنه يعلوها كسوفُ الحزن ، فسلمنا عليها ، وقلنا : يا ذلفاء ! إلى متى يكون هذا الوجود على نَجْدَةَ ! أما أن لك أن تتسلّي بمن بقي من بني عمك عن هلك ؟ ها نحن أولاء سادات قومك وفتيانهم ونجومهم ، وفينا السادة والذادة^(٢) ، والبأس والنجدة ؛ فأطرقت ملياً ، ثم رفعت رأسها باكية وهي تقول :

صدقتم إنكم لنجوم قومي ليوث عند مختلف العوالي^(٣)
ولكن كان نجدة بدر قومي وكهفهم المنيف على الجبال !
فما حسن السماء بلا نجوم وما حسن النجوم بلا هلال !

ثم دخلت خبائها ، وأرسلت سترها ، فكان آخر العهد بها !

(١) أي الرايات ، والقنا الحمر : الرماح (٢) الذادة : المدافعون : جمع ذائد (٣) العوالي : جمع عالية ، وهي أعلى القناة أو النصف الذي يلي السنان .

٧٤ - المتكلمة بالقرآن *

قال عبدُ الله بنُ المبارك : خرجت حاجًّا إلى بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام ، فبينما أنا في الطريق إذ أنا بسواد ، فتميزت ذلك ، فإذا عجزتُ عليها درع^(١) من صوف ، وخمار ؛ فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته . فقالت : « سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٌ » . فقلت لها : رَحِمَكَ اللهُ ! ماتصنعين في هذا المكان ؟ قالت : « وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ » ؛ فعلمتُ أنها ضالَّة عن الطريق .

فقلت لها : أين تريدن ؟ قالت : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى » ؛ فعلمت أنها قضت حجبها وهي تريد بيت المقدس . فقلت لها : أنت منذم في هذا الموضع ؟ قالت : « ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا » . فقلت : ما أرى معك طعاماً تأكلين ؟ قالت : « هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ » . فقلت : فبأى شيء تتوضئين ؟ قالت : « فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا » . فقلت لها : إن معي طعاماً ؛ فهل لك في الأكل ؟ قالت : « نَمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ » . فقلت : قد أبيح لنا الإفطار في السفر . قالت : « وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

فقلت : لم لا تكلميني مثل ما أكلمك ؟ قالت : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » . فقلت : فمن أي الناس أنت ؟ قالت : « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ

* ذيل ثمرات الأوراق ص ٢٣٤ ج ٢

(١) درع : قيص .

لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا .
فقلت : قد أخطأتُ فاجعليني في حل . قالت : « لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ
يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ » .

فقلتُ : فهل لك أن أحملك على ناقتي ؛ فتدركي القافلة ؟ قالت : « وَمَا تَفْعَلُوا
مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ » .

قال : فأنختُ الناقة ، فقالت : « قُلْ لِمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ » .
فغَضَضْتُ بصرى عنها ؛ وقلت لها : ارْكَبِي .

فلما أرادت أن تركب نقرت الناقة ؛ فمزقت ثيابها ؛ فقالت : « وَمَا أَصَابَكُمْ
مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » . فقلت لها : ارْكَبِي . قالت : « سُبْحَانَ الَّذِي
سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ^(١) ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ » .

فأخذت بزمام الناقة ، وجعلت أسعى وأصيح ؛ فقالت : « وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ،
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ » ، فجعلت أمشي رويداً رويداً ، وأترنم بالشعر ؛ فقالت :
« فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ » . فقلت لها : لقد أوتيت خيراً كثيراً ، فقالت :
« وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ » .

فلما مشيت بها قليلاً قلتُ لها : ألك زوج ؟ قالت : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ » .

فسكتت ولم أكلمها ، حتى أدركتُ بها القافلة ، فقلت لها : هذه القافلة
فمن لك فيها ؟ فقالت : « الْأَمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » ؛ فعلمت أن
لها أولاداً . فقلت : وما شأنهم في الحج ؟ قالت : « وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ
يَهْتَدُونَ » ؛ فعلمت أنهم أدلاء الركب .

(١) أقرن للامر : أطاقه وقوى عليه .

فقصدت القباب والعمارات ؛ فقلت : هذه القباب ؛ فمن لك فيها ؟ قالت :
« وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا » . « وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا » . « يَا يَحْيَى
خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ » . فناديت : يا إبراهيم ، يا موسى ، يا يحيى ؛ فإذا بُشِبَانُ
كَأَنَّهُمُ الْأَقْمَارُ قَدْ أَقْبَلُوا ؛ فلما استقرَّ بهم الجلوس ، قالت : « أُبْعَثُوا أَحَدَكُمْ
بِرِزْقِكُمْ ^(١) هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ » .
فمضى أحدهم ، فاشتري طعاماً فقدّموه بين يديّ ، فقالت : « كُلُوا وَأَشْرَبُوا
هَنِيئًا بِمَا أَسْلَقْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ » .

فقلت : الآن طعامكم على حرام حتى تجربوني بأمرها ؛ فقالوا : هذه أمنا لها
منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن ؛ مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن ؛
فقلت : « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .

الباب الثالث

في القصص التي تمثل ذلاقة أسنتهم، وحكمة منطقتهم،
وما ينضاف إلى ذلك من فصاحة اللفظ، وبلاغة المعنى،
وجمال الأسلوب، وحسن التصرف في الإبانة والتعبير.

٧٥ - بنو أسد وامرؤ القيس *

قَدِمَ عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ ^(١) بِنِ حُجْرِ الْكِنْدِيِّ بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهِ رَجَالَاتٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فِيهِمُ الْمُهَاجِرُ بْنُ خِدَاشٍ، وَعَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ، وَقَبِيصَةَ بْنِ نُعَيْمٍ - وَكَانَ رَجُلًا مَقِيمًا فِي بَنِي أَسَدٍ ذَا بَصِيرَةٍ بِمَوَاقِعِ الْأُمُورِ وَرَدًّا وَإِصْدَارًا، يَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُ مِنْ كَانَ مُحِيطًا بِأَكْنَافِ بَلَدِهِ مِنَ الْعَرَبِ.

فَلَمَّا عَلِمَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بِمَكَانِهِمْ أَمَرَ بِإِزَالِهِمْ، وَتَقَدَّمَ ^(٢) فِي إِكْرَامِهِمْ وَالْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ، وَاحْتَجَبَ عَنْهُمْ ثَلَاثًا.

فَقَالُوا لِمَنْ بِيَابِهِ مِنْ رَجَالِ كِنْدَةَ: مَا بَالُ الرَّجُلِ لَا يُخْرِجُ إِلَيْنَا؟ فَقِيلَ لَهُمْ: هُوَ فِي شُغْلٍ بِإِخْرَاجِ مَا فِي خَزَائِنِ حُجْرٍ مِنَ الْعُدَّةِ وَالسَّلَاحِ! فَقَالُوا: اللَّهُمَّ غَفْرًا! إِنَّمَا قَدِمْنَا فِي أَمْرٍ تَنَاسَى بِهِ ذِكْرَ مَا سَلَفَ، وَنَسْتَدْرِكُ بِهِ مَا فَرَطَ؛ فَلْيُبَلِّغْ ذَلِكَ عَنَّا.

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ ثَلَاثِ فِي قَبَاءٍ ^(٣) وَخُفٍّ وَعِمَامَةِ سُودَاءٍ - وَكَانَتِ الْعَرَبُ لَا تَعْمُ بِالسَّوَادِ إِلَّا فِي التَّرَاتِ ^(٤) - فَلَمَّا رَأَوْهُ نَهَضُوا لَهُ، وَبَدَرُوا إِلَيْهِ قَبِيصَةَ فَقَالَ: إِنَّكَ فِي الْمَحَلِّ وَالْقَدْرُ وَالْمَعْرِفَةُ بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ، وَمَا تُحَدِّثُهُ أَيَّامُهُ، وَتَتَنَقَّلُ بِهِ

* الْأَغَانِي ص ١٠٣ ج ٩، صَبِيحُ الْأَعْشَى ص ٢١٦ ج ٢

(١) هُوَ أَشْهَرُ شِعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَرْفَعُهُمْ مَنْزِلَةً، يَتَّصِلُ نَسَبُهُ بِمُلُوكِ كِنْدَةَ، كَانَ قَوِيَّ الشَّاعِرِيَّةِ رَقِيقُ الْوَصْفِ دَقِيقُ الشُّعُورِ. تُوُفِيَ سَنَةَ ٥٦٠ م (٢) تَقَدَّمَ فِي كَذَا: أَمْرٌ بِهِ (٣) الْقَبَاءُ: الثَّوْبُ الْمُجْتَمِعُ الْأَطْرَافِ (٤) التَّرَاتِ: جَمْعُ تَرَةٍ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ وَتَرٌ أَيْ تَقَصُّرٌ وَاسْتَعْمَلَ فِي الثَّأْرِ.

أحواله بحيث لا تحتاجُ إلى تبصيرٍ واعظٍ ، ولا تذكرةٍ مُجربٍ ، ولك من سوؤدٍ
منصيبك ، وشرفٍ أعراقتك^(١) ، وكرمٍ أصلك في العربٍ مُحتملٌ ، يَحتمِلُ ما حَمَلٌ
عليه من إقالة العثرة ، والرجوعِ عن الهفوة ؛ ولا تتجاوزُ الهممُ إلى غايةٍ إلا
رَجعتُ إليك ؛ فوجدتُ عندك من فضيلةِ الرأى ، وبصيرةِ الفهم ، وكرمِ الصّبح ،
ما يُطوّل رَغباتها ، ويستغرق طلباتها .

وقد كان الذى كان من الخطبِ الجليل ، الذى عمّت رزيتُهُ نزاراً واليمن ، ولم
تُخصَّصْ به كِنْدَةٌ دوننا ؛ للشرفِ البارِع الذى كان لِحُجْرٍ ؛ ولو كان يُفدى هالك
بالأنفُس الباقية بعده لما بَحَلتُ كرامئنا^(٢) على مثله بيذُل ذلك ، ولقد يناه منه ،
ولوكن مَضَى به سبيلٌ لا يرجع أولاه على أخراه ، ولا يَلحِقُ أقصاهُ أدناه .
فَأحمدُ الحالات في ذلك : أن تعرفَ الواجبَ عليك في إحدى خلال ثلاث :
إما أن اخترتَ من بنى أسدٍ أشرفها بيتاً ، وأعلاها في بناء المكرُمات صوتاً ، فَمَقْدَنَاهُ
إليك بِنِسْعَةٍ^(٣) تذهب مع شَفَرَاتِ حُسَامِكِ بباقي قَصَدَتِهِ^(٤) ، فيقال : رجل
امتحنَ بِهَيْلِكَ عزيزٍ عليه ، فلم تُسْتَلِّ سَخِيمَتُهُ إلا بِتَمَكِينِهِ من الانتقام ؛ أو فداءً
بما يروح^(٥) على بنى أسدٍ من نَعْمِهَا ، فهى أُلُوفٌ تَجَاوِزُ الحِسْبَةَ ، وكان ذلك فداءً
ترجع به القُضْبُ^(٦) إلى أجفانها ، لم يَرُدُّدْهُ تسليط الإحن على البراء ؛ وإما أن
توادعنا حتى تضعَ الحواملُ قَدْسِدَلَ الأزرُ ، وتُعَمِّدَ الخُمُرُ فوق الرايات .

فبكى امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع طرفه إليهم فقال : قد علمتِ العربُ أن

(١) الأعراف : جمع عرق ، وهل أصل كل شئ (٢) الكرائم : خيار الأموال وقد يراد
بها النفوس أو النساء (٣) النسعة : السير من الجلد يجعل زماما للبعير فيقاد به (٤) القصدة :
العنق (٥) يروح : يرجع (٦) القضب : السيوف .

لا كَفءَ لِحُبْرٍ فِي دَمٍ ، وَأُنَى لِنِ اعْتِاضٍ بِهِ نَاقَةٌ أَوْ جَمَلًا فَأَ كَتَسِبَ بِذَلِكَ
سُبَّةَ الْأَبَدِ ، وَفَتَّ الْعَضُدَ ؛ وَأَمَّا النَّظْرَةُ فَقَدْ أَوْجَبَتْهَا الْأَجِنَّةُ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِهَا ،
وَإِنِّي لِنِ أكون لِعَظْمِهَا سَبِيًّا ، وَستَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كِنْدَةَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، تَحْمِلُ فِي
الْقُلُوبِ حَقًّا ، وَفوقِ الْأَسِنَّةِ عَلَقًا^(١) .

إِذَا جَالَتِ الْخَيْلُ فِي مَأْزِقٍ^(٢) تُصَافِحُ فِيهِ الْمَنَايَا النَّفُوسَا

أَنْقِيْمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ ؟ قَالُوا : بَلِ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَأِ الْاِخْتِيَارِ ، لِحَرْبٍ وَبَلِيَّةٍ ،
وَمَكْرُوهٍ وَأَذْيَةٍ ؛ ثُمَّ نَهَضُوا عَنْهُ وَقَبِيصَةَ يَقُولُ مِثْمَثًا :

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ الْمَوْتَ إِنْ غَدَتِ كِتَائِدِنَا فِي مَأْزِقِ الْمَوْتِ تُمِطُّ
فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَسْتَوْخِمُهُ وَلَكِنْ اسْتَعِذُّ بِهِ ؛ فَرُويدا
يُنْكَشِفُ لَكَ دُجَاهَا عَنْ فُرْسَانِ كِنْدَةَ وَكِتَائِبِ حَمِيرٍ . وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرُ غَيْرِ
هَذَا أَوْلَى بِي ، إِذْ كُنْتَ نَازِلًا بِرَبْعِي ، وَمَتَجَرِّمًا بِذِمَامِي ؛ وَلَكِنَّكَ قَلْتَ
فَأَجَبْتُ .

قال قبيصة : إن ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب^(٣) ، قال امرؤ القيس :

هو ذاك !

(١) - العلق : الدم (٢) المأزق : المضيق (٣) الإعتاب والعتي : رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى العاتب .

٧٦ — خاتمة الأعشى *

وفد الأعشى^(١) إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد مدحه بقصيدة التي أولها :
ألم تغتمض عينك ليلة أرمداً^(٢) وعادك ما عاد السليم^(٣) المسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهديداً^(٤)
وفيها يقول لناقته :

فأليت لأرثي لها من كلاله^(٥) ولا من حفاً^(٦) حتى تزور محمدًا
نبي يرى مالا ترون وذكره أغار لعمرى في البلاد وأنجداً^(٧)
متى ماتناخي عند باب ابن هاشم تراحي^(٨) وتلقى من فواضله يدا
فبلغ خبره قريشاً؛ فرصدوه على طريقه وقالوا : هذا صناجة^(٩) العرب ، مامدح
أحدًا قط إلا رفع في قدره .

فلما ورد عليهم قالوا له : أين أردت يا أبا بصير؟ قال : أردت صاحبكم
هذا لأسلم . قالوا : إنه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك ، قال : وما هي ؟
فقال أبو سفيان بن حرب : الزنا . قال : لقد تركني الزنا وتركته ، ثم ماذا ؟
قالوا : القمار ، قال : لعلي إن لقيته أن أصيب منه عوضاً من القمار ، ثم ماذا ؟

* الأغاني ص ١٢٥ ج ٩ ، سيرة ابن هشام ص ٢٣٦ ج ١

(١) اسمه ميمون بن قيس ، أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفجوههم ، متصرف في المديح
والهجاء ، وهو أول من سأل بالشعر ، واتجع به أقاصي البلاد ، توفي سنة ٦٢٩ م (٢) رجل
أرمد : به رمد في عينيه ، والكلام على تقدير مصنر محذوف ، والتقدير : اغتماض ليلة أرمد ،
فحذف المضاف وأقيمت ليلة بدله (٣) السليم : اللديغ (٤) مهديداً : اسم امرأة (٥) الكلاله : التعب
(٦) الحفا : رقة القدم (٧) أغار : دخل الغور وهو كل ما انحدر مغرباً عن تهامة ، وأنجد : دخل
التجد ، وهو ضد الغور (٨) تراحي : تستريح (٩) كان الأعشى يسمى صناجة العرب : لجودة
شعره . وأصل الصناجة : اللاعب بالصننج .

قالوا : الربّا . قال : مادّنتُ ولا ادّنتُ ؛ ثمّ ماذا ؟ قالوا : الحمر . قال : أوّه ! أَرْجِعْ
إلى صُبابَةٍ قد بقيت في المهراس ^(١) فأشربها .

فقال له أبو سفيان : هل لك في خيرٍ مما هممتَ به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن
وهو الآن في هُدنة ، فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك سنّتك هذه ، وتنظر
ما يصير إليه أمرنا ، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً ، وإن ظهر علينا أئنته .
فقال : ما أكره ذلك . فقال أبو سفيان : يامعشر قريش ، هذا الأعشى ! والله لأن
أتى محمداً واتبعه ليُضرمَنَ عليكم نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الإبل ،
ففعّلوا ، فأخذها وانطلق إلى بلده . فلما كان بقاع منفوحة ^(٢) رعى به بعيه فقتله .

(١) المهراس : حجر منقور يسع كثيراً من الماء (٢) منفوحة : قرية مشهورة من نواحي اليمامة .

٧٧ — رثاء فوق قبر *

كان عامر^(١) بن الطفيل أفرس وأسود أهل زمانه ، فلما مات ودُفِنَ مرَّ على قبره حَيَّانُ بنُ سلمي — وكان قد غاب عند موته — فقال : ماهذه الأنصاب ؟ فقالوا : نَصَبناها على قبر عامر ، فقال : ضيقتُم على أبي علي ، وأفضَلتُم^(٢) منه فضلا كثيرا ، ثم وقف على قبره وقال : أنعم ظلماً أباعلي ، فوالله لقد كنت تشنُّ الغارة ، وتحمي الجارة ، سريراً إلى المولى بوعدك ، بطيئاً عنه بوعيدك^(٣) ، وكنت لاتضل حتى يضلَّ النجم ، ولا تهابُ حتى يهابَ السيل ، ولا تعطش حتى يعطشَ البعير ، وكنت والله خيرَ ماتكون حين لاتظنُّ نفسٌ بنفس خيرا . ثم التفتَ إليهم ، فقال : هلا جعلتم قبرَ أبي علي ميلاً في ميل !

* مجمع الأمثال ص ٢٣ ج ٢

(١) عامر بن الطفيل بن مالك ابن أخي عامر ملاعب الأسننة وابن عم لبيد الشاعر المعروف ، كان مناديه ينادى بعكاظ : هل من راجل فأحمله ، أو جائع فأطعمه ، أو خائف فأؤمنه ؟ وكان سيد بني عامر غير مدافع . وقد وفد على النبي ومعه أربد أخو لبيد بضميران الشر والسوء فخاب مساعهما ، وسار عامر يريد قومه فمات في الطريق سنة ١١ هـ (٢) أفضل منه : إذا ترك منه شيئاً ، والفضل والفضلة : البقية من الشيء (٣) الوعيد في الشر ، والوعد في الخير .

٧٨ — بمثل هذا فليُثنَى على الملوك *

قال حسان^(١) بن ثابت : قدِمت على عمرو بن الحارث ، فاعتاص على الوصول إليه ، فقلت للحاجب بعد مُدّة : إن أذنت لى عليه وإلا هجوتُ اليمينَ كلها ، ثم انقلبتُ عنكم ؛ فأذن لى ، فدخاتُ عليه فوجدتُ عنده النابغة وهو جالسٌ عن يمينه ، وعلقمة بن عبدة وهو جالس عن يساره ، فقال لى : يا بن الفريرة ؛ قد عرفت عيصك^(٢) ونسبك فى غسان ، فارجع فإنى باعث إليك بصلة سنمية ، ولا أحتاج إلى الشعر ، فإنى أخافُ عليك هذين السبعين : النابغة وعلقمة ، أن يفضحك ، وفضيحتك فضيحتى وأنت والله لا تُحسِنُ أن تقول :

رِقَاقُ النَعَالِ طَيِّبٌ حُجْرَاتُهُمْ يُحْيَوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَّاسِ^(٣)
فأبيتُ وقلت : لا بدّ منه ، فقال : ذاك إلى عميكَ ، فقلت لهما : بحقّ الملك إلا قدّمتمانى عليكم ، فقالا : قد فعلنا ، فقال عمرو بن الحارث : هات يا بن الفريرة ، فأنشأت :

* الأغانى ص ٢٢ ج ١٤

(١) حسان بن ثابت ، شاعر الأنصار فى الجاهلية وشاعر رسول الله فى النبوة وشاعر اليمين كلها فى الإسلام ، دافع عن رسول الله بشعره ، كما دافع عنه قومه بسيوفهم وعمر طويلا ومات سنة ٥٤ هـ (٢) العيص : الأصل والفريرة أمه (٣) رقاق النعال : أى أن نعالهم رقيقة لا يخرصونها طباقا ، وذلك كناية عن قلة مشيهم ، لأنهم ملوك ، بل يركبون الخيل غالبا ، وحجزة الأزار والسرراويل : مجمع شدها على الوسط من الجسم ، كناية عن عقهم ، والسبابس : يوم الشعانين ، وهو يوم عيد عند النصارى وكان المدوح نصرانيا .

لله در عصابة نادمتها يوماً بجلق^(١) في الزمان الأوّل
أولادُ جفنة^(٢) عند قبر أبيهم^(٣) قبر ابن مارية الكريمة المفضّل
يسقون من ورد البريص^(٥) عليهم كأساً تصقّق^(٦) بالرحيق السلسل
يغشون حتى ماهر كلابهم لايسألون عن السواد المقبل
بيض الوجه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأوّل
فلبثت أزماناً طوالاً فيهم ثم ادركت كائني لم أفعل

قال : فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل^(٧) عن موضعه سروراً حتى شاطر البيت وهو يقول : هذا وأبيك الشعر لا ما يعلا نى به منذ اليوم ، هذه والله البتارة التي قد بترت المدائح ، أحسنت يا بن الفريعة ، هات له يا غلام ألف دينار مرجوحة^(٨) ، فأعطيت ذلك ، ثم قال : لك على في كل سنة مثلها .

ثم أقبل على النابغة فقال : قم يا زياد ، فهات التناء المسجوع ، فقام النابغة فقال : ألا انعم صباحاً أيها الملك المبارك ، السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، ووالدى

(١) جلق : دمشق (٢) جفنة : هو جفنة بن عمرو أبو ملوك الشام ، وأولاده هم : النعمان والمنذر والمينذر وجبله وأبو شمر ، وكانوا جميعاً ملوكاً (٣) أراد بهذا : أنهم أعمام مقيمون بدار مملكتهم ، ليسوا أصحاب رحلة وانتجاع (٤) هي مارية بنت ظالم الكندية أم الحارث الأعرج وهي ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل ، فيقال لما يغلى به الثمن : بقرطى مارية ، وأختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار (٥) البريص : غوطة دمشق (٦) صفق الشراب : حوله بزوجا من إناء إلى إناء ليصفو . والرحيق : الحمر أو أطيبها ، والسلسل : العذب البارد (٧) زحل عن موضعه : زحف (٨) مرجوحة : هي ما كان في كل دينار منها عشرة دنانير .

فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكماء جلساؤك ، والمدار^(١) سمارك ،
والمقاول إخوانك ، والعقل شعارك ، والحلم دثارك ، والسكينة مهادك ، والوقار غشاؤك ،
والبر وسادك ، والصدق رداؤك ، واليمن حذاؤك ، والسخاء ظهارتك ، والحمية
بطانتك ، والعلاء غايتك ، وأكرم الأحياء أحياءك ، وأشرف الأجداد أجدادك ،
وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف
النساء حلائلك ، وأفخر الشبان أبناؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأعلى البنين
بنيانك ، وأعذب المياه أمواهك ، وأفيح الدارات^(٢) داراتك ، وأنزله الحدائق
حدائقك ، وأرفع اللباس لباسك ، قد حالف الإضر^(٣) عاتقك ، ولأم المسك
مسكك^(٤) ، وجاور العنبر ترائبك^(٥) ، وصاحب النعيم جسدك .

العسجد آنتك ، واللجين صحافك ، والعصب^(٦) مناديلك ، وألحواري^(٧)
طعامك ، والشهد إدامك ، وألخرطوم^(٨) شرابك ، والأشراف مناصفك^(٩) ،
والخير بفنائك ، والشر بساحة أعدائك ، والنصر منوط بلوائك ، والخذلان مع
ألوية حسادك ، والبر فعلك ، قد طحطح^(١٠) عدوك غضبك ، وهزم مقانبيهم^(١١)
مشهدك ، وسار في الناس عدلك ، وسكن قوارع الأعداء ظفرك .

الذهب عطاؤك ، والدواة رمزك ، والأوراق لحظك ، والغنى إطراقك ، وألف
دينار مرجوحة إيمانك .

(١) المداره : جمع مدره ، وهو السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة
(٢) الدارة : المحل يجمع البناء (٣) الأضر^(٣) : الخز (٤) المسك : الجلد (٥) الترائب : عظام
الصدر (٦) العصب : نوع من البرود (٧) الحواري : لباب الدقيق (٨) الخرطوم : أول مايجرى
من العنب قبل أن يداس (٩) جمع منصف وهو الخادم (١٠) طحطح : كسر وفرق وبدد إهلاكا
(١١) المقنب من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين .

أيفاخرك المنذر اللخمي؟ فوالله لقفناك خيرٌ من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه ،
ولإيخضك خيرٌ من رأسه ، ولخطوك خير من صوابه ، ولصمتك خيرٌ من كلامه ،
ولأمك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه ؛ فهب لي أسارى قومي ، واسترهن
بذلك شكري ، فإنك من أشرف قحطان ، وأنا من سروات عدنان .

فرفع عمرو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه ، وقال : بمثل هذا فليثن على
الملوك ، ومثل ابن الفريعة فليمدحهم . وأطلق له أسرى قومه !

٧٩ - عُتْبَةُ وَأَعْرَابِي*

حجَّ عتبة^(١) سنة إحدى وأربعين ، والناسُ قريبٌ عهدٌم بفتنة ، فصلَّى بمكة الجمعة ، ثم قال : أيها الناس ؛ إنا قد ولينا هذا المقام الذي يُضَاعَف فيه للمُحْسِن الأجرُ ، وعلى المُسِيء فيه الوزرُ ، ونحن على طريقِ ما قَصَدْنَا ؛ فلا تَمُدُّوا الأَعْنَاقَ إلى غيرنا ؛ فإنها تَنقَطِعُ دوننا ، وربُّ مُتَمَنَّئٍ حَتْفُهُ في أَمْنِيَّتِهِ ؛ فأقبلوا العافية ما قبلناها فيكم ، وقبلناها منكم ؛ وإياكم ولو^(٢) فإنها أتعبت من كان قبلكم ، ولن تُريحَ من بعدكم ؛ وأنا أسألُ الله أن يُمَيِّنَ كَلًّا على كَلِّ .

فصاح به أعرابي : أيها الخليفة ! فقال : لستُ به ولم تُبْعِد^(٣) . فقال : يا أخاه . قال : سمعتُ قتل . قال : تالله إن تحسنوا - وقد أسأنا - خير من أن تسيئوا وقد أحسننا ؛ فإن كان الإحسانُ بكم دوننا فما أحقكم باستقامته ، وإن كان منا فما أولاكم بمكافئنا ؛ رجل من بني عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ، ويقرب إليكم بالخلوة ، قد كثره العيال^(٤) ، ووطئه الزمان ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر .

فقال عتبة : أستغفرُ الله منكم ، وأستعينه عليكم ، قد أمرنا لك بغناك ، فليت إسرَاعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك !

* الأمالي جزء ١ ص ٢٤٠ طبعة المطبعة الأميرية .

(١) هو عتبة بن أبي سفيان ، أخو معاوية بن أبي سفيان ، وولاه أخوه معاوية إمارة مصر سنة ٤٣ هـ وشهد يوم النار مع عثمان ، ويوم الجمل مع عائشة ، وكان من خطباء بني أمية المعدودين وتوفي سنة ٤٤ هـ (٢) اللو : قول المتنم على الفئات ، لو كان كذا لفلت ولفعلت ، ومنه الحديث « إياك واللو ؛ فإن اللو من الشيطان » (٣) ولم تبعد : أى أنه أخو الخليفة وهو معاوية بن أبي سفيان . (٤) كثره العيال : كانوا كثيرين فغلبوه بكثيرتهم .

٨٠ - إن من البيان لسحراً *

وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبْرُقَانُ ^(١) بن بدر وعمرو ^(٢) بن الأَهِمَّ ، فقال الزُّبْرُقَانُ : يا رسولَ الله ، أنا سيدُ تميم ، والمطاعُ فيهم ، والمجَابُ منهم آخذ لهم بحقِّهم ، وأمنعُهم من الظلم ، وهذا يعلمُ ذلك - يعني عمرو - فقال عمرو : أجل يا رسولَ الله ، إنه مانع لحوزته ^(٣) ، مطاعٌ في عشيرته ، شديدُ العارضة ^(٤) فيهم .

فقال الزُّبْرُقَانُ : أما إني والله قد علمُ أكثر مما قال ، ولكنني حسدني شرفي ! فقال عمرو : أما والله لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيقَ العطن ^(٥) ، زَمِر ^(٦) المرءة ، أحق الأب ، لئيم الخال ، حديث الغنى ! !

فراى الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ، فقال : يا رسول الله : رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وغضبتُ فقلتُ أفبَحَ ما علمتُ ، وما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الثانية !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسِحْرًا » .

* زهر الآداب ص ٥ ج ١ ، مجمع الأمثال ص ٧ ج ١

(١) الزُّبْرُقَانُ : اسمه حصين بن بدر ، وفد على رسول الله في قومه - وكان أحد ساداتهم ، فأساهموا في سنة تسع ، وولاه صدقات قومه . وأقره أبو بكر وعمر على ذلك ، والزُّبْرُقَانُ في الأصل : الفمر ، ولقب به لحسنه . وتوفي نحو سنة ٤٥ هـ (٢) عمرو بن الأَهِمَّ : هو عمرو بن سنان ، وسُمي سنان الأَهِمَّ ، لأن قيس بن عاصم المنقري ضربه بقوس فهتم فاه . وبنو الأَهِمَّ أهل بيت بلاغة في الجاهلية والإسلام (٣) حوزة الرجل : ما يجوزه ويملكه (٤) العارضة : البديهة وقوة الكلام (٥) العطن : المناخ حول الورد ، وضيق العطن : كناية عن البخل (٦) زمر المرءة : قليلها .

٨١ — عبد الله بن عباس والخطيئة*

بيننا ابن عباس جالسٌ في مجلسٍ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كُفِّهَ
بصره ، وحوله ناسٌ من قريش ، إذ أقبل أعرابي^(٢) يَحْطِرُ ، وعليه مُطْرَفٌ^(٣) وجبَّةٌ
وعمامة خزٌ ، حتى سلَّم على القوم ، فردّوا عليه السلام ، فقال : يا ابن عمِّ رسول الله ،
أفتنيتني ، قال : فيم ؟ قال : أتخاف عليَّ جُنَاحًا إن ظلمني رجلٌ فظلمته ، وشتمتني
فشتمته ، وقصرت بي فقصرتُ به ؟ فقال : العفو خيرٌ ، ومن انتصر فلا جُنَاحَ عليه .
فقال : يا ابن عمِّ رسول الله ؛ رأيت امرأً أتاني فوعدني وغرّني ومَنَّاني ، ثم أخلفني
واستخفَّ بحُرمتي ، أيسعني أن أهجوه ؟ قال : لا يصلحُ الهجاء ؛ لأنه لا بدَّ لك من
أن تهجوه غيره من عَشِيرته ، فتظلم من لم يظلمك ، وتشتِم من لم يشتِمك ، وتبغى
على من لم يبغِ عليك ، والبغى مرثعه وخيم ، وفي العفو ما قد علمت من الفضل ،
قال : صدقتَ وبررتَ .

فلم ينسبْ أن أقبل عبد الرحمن بن سُمَيحان الحِمْيَرِي حليفُ قريش ؛ فلمَّا
رأى الأعرابيَّ أجله وأعظمه وألطف في مسأَلته ، وقال : قرَّب الله دارك يا أبا
مُليكة ، فقال ابن عباس : أجروْل ؟ قال : جروْل ، فإذا هو الخطيئة ، فقال ابن
عباس : لله أنت ! أيُّ مردى^(٤) قذاف ، وزائدٍ عن عشيرة ، ومُثْنٍ بعارفةٍ تُؤثناها

* الأغانى ص ١٩٢ ج ٢

(١) مجلس رسول الله : أى المكان الذى كان يجلس فيه (٢) هو جروْل بن أوس من بني
عبس ؛ كان من فحول الشعراء ومتقدميهم ، ولكنه كان ذاشر وسفه ، شديد الهجاء يخاف العرب
لسانه ويسترضونه بالمال خوفا من شره ومات سنة ٥٩ هـ (٣) المطرف : رداء من خز (٤) المردى :
فى الأصل حجر يرمى ، ويطلق على الرجل الشجاع فيقال إنه مردى حروب .

أنت يا بأمليكة ! والله لو كنت عركت^(١) بجَنَبِكَ بعض ما كرهت من أمر الزُّبْران
كان خيراً لك ، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك ، وشتمت من لم يشتُمك ، قال :
إني والله بهم يا أبا العباس^(٢) لعالم ؛ قال : ما أنت بأعلم بهم من غيرك ، قال : بلى
والله ! يرحمك الله ! ثم أنشأ يقول :

أنا ابنُ بَجَدْتَهُمْ^(٣) علماً وتجربةً فسَلَّ بسعدٍ تجدني أعلم الناس
سعدُ بن زيدٍ كثيرُ إن عدتَهُمْ ورأسُ سعد بن زيد آل شماس
والزبرقان ذنابهم^(٤) وشرُّهم لس الذي نأبى أبا العباس كالرأسِ

فقال ابن عباس : أقسمت عليك ألا تقول إلا خيراً ، قال : أفعَل .

ثم قال ابن عباس : يا أبا مُليكة ، من أشعرُ الناس ؟ قال : أمن الماضين أم
من الباقين ؟ قال : من الماضين ، قال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عريضه يفرِّه ومن لا يتَّقِ الشرَّ يُشتم
وما بدونه الذي يقول :

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلَّهُه على شعبي ، أي الرجال المهذب !
ولكنَّ الضراعة أفسدته كما أفسدت جرّولا - يعني نفسه - والله يا ابن عمِّ
رسول الله لولا الطمعُ والجشعُ لكنتُ أشعرَ الماضين ، فأما الباقون فلا تشكُّ أني
أشعرهم وأضرُّهم^(٥) سهما إذا رميت !

(١) عرك بجنبه ما كان من صاحبه : احتمله (٢) كنية عبد الله بن العباس (٣) البجدة : دخلة
الأمر وباطنه ، والمراد أنا العالم بالشيء (٤) ذنابهم : ذنبهم (٥) أضرهم .

٨٢ — طريق لسانه ! *

لما وُلِّي سعيدُ بن عثمان بن عفان خراسان أراد أن يستصحبَ يزيد^(١) بن ربيعة بن مفرغ، فأبى عليه، وصحب عبّاد بن زياد ابن أبيه، فقال له سعيد: أمّا إذ أُبيتَ أن تصحبني وآثرت عبّاداً فاحفظ ما أوصيك به: إن عبّاداً رجلٌ لئيمٌ، فأيتك والدّالة عليه، وإن دعاك إليها من نفسه، فإنها خدعة منه لك عن نفسك، وأقلل زيارته، فإنه طرف^(٢) مملوكٌ، ولا تُفآخره وإن فآخرك، فإنه لا يحتمل لك ما كنتُ أحتمله.

ثم دعا سعيد بجال فدفعه إلى ابن مفرغ وقال: استعن به على سفرك؛ فإن صحّ لك مكانك من عبّاد وإلا فمكانك عندي مُمهّد فأتني.

ثم سار سعيد إلى خراسان وتخلّف ابن مفرغ عنه، وخرج مع عبّاد بن زياد.

قال الراوى: فلما بلغ عبّاد الله^(٣) بن زياد صحبة ابن مفرغ أخاه عبّاداً شقّ عليه؛ ولما عزم عبّاد على السير إلى سجستان، جاء عبّاد الله يودّعه فدعا ابن مفرغ وقال له: إنك سألت عبّاداً أن تصحبه وأجابك إلى ذلك وقد شقّ علىّ.

فقال له ابن مفرغ: ولم؟ أصحابك الله! فقال: لأنّ الشاعر لا يُقنعه من

* تاريخ الطبرى ص ١٧٧ ج ٦، الأغانى ص ٥٥ ج ١٧، مهذب الأغانى ص ٢ ج ٣

(١) يزيد بن ربيعة بن مفرغ: شاعر محسن غزل من شعراء الحماسة توفى سنة ٦٩ هـ

(٢) الطرف: من لا يثبت على صاحب (٣) كان عبّاد الله والى البصرة على عهد معاوية.

الناس ما يُقْنَعُ بعضهم من بعض ؛ لأنه يَظُنُّ فيجعل الظنَّ يقيناً ، ولا يعذر في موضع ؛ وإن عبّاداً يقدم على أرض حرب فيشتغلُ بحروبه وخراجِه عنك ، فلا تعذره أنت وتكسبنا شرّاً وعاراً .

فقال له : لستُ كما ظنَّ الأمير ، وإن لمعروفه عندي لشكراً كثيراً ، وإن له عندي - إن أغفل أمرِي - عذراً مُمهّداً .

قال عبيد الله : لا ، ولكن تضمّن لي إن أبطأ عنك ما تحبّه ألا تعجل عليه حتّى تكتب إليّ . قال : نعم ، قال : امض على الطائر الميمون !

قال الراوى : فلما قدم عباد سجستان ، واشتغل بحروبه مع الترك وخراجِه استبطّاه ابن مفرّغ ، ولم يكتب إلى عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ، ولكن بسط لسانه ، فذمّه وهجاه ؛ وكان عباد عظيم اللحية كأنها جِوَالِقُ^(١) ، فدخلت الريح فنفشتها ، فضحك ابن مفرّغ وقال لرجل كان إلى جنبه :

ألا ليت اللّحى كانت حشيشاً فنعلفها خيولَ المسلمينا^(٢)

فسعى به الرجل إلى عبّاد ، فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال : لا يجملُ بي عقوبته في هذه السرعة مع الصحبة لي ، وما أُؤخّرُها إلا لأشفي نفسي منه .

وبلغ الخبرُ ابن مفرّغ فقال : إني لأجدُ ريحَ الموت من عبّاد ؛ ثم دخل عليه فقال : أيها الأمير ؛ إني كنت مع سعيد بن عثمان ، وقد بلغك رأيه فيّ ، وجهيلُ أثره عليّ ، وإني اخترتُك عليه فلم أظفرُ منك بباطل ؛ وأريد أن تأذن لي في الرجوع ؛ فلا حاجة لي في صحبتك .

(١) الجوالق : وعاء (٢) كان قد أصاب الجنود مع عبّاد ضيق في أعلاف دوابهم .

فقال له : أمّا اختيارك إياي فإني اخترتك كما اخترتني ، واستصحبتك حين سألتني ، وقد أعجلتني عن بلوغ محبتي فيك ؛ وطلبت الآن لترجع إلى قومك فتفضحنى فيهم ، وأنت على الإذن قادرٌ بعد أن أفضى حَقِّك ! فسكت ابن مفرغ . ثم أجرى عبّاد الخليلَ يوماً ، فجاء سابقاً ، فقال ابن مفرغ يهزأ به : سبق عبّاد وصلت^(١) لحيمته ! فبلغ ذلك عبّاداً ، وبلغه أنه لا يزال يسبه ويذكّره ، فطلب عليه العلل ، ودسّ إلى قوم كان لهم عليه دين ، فأمرهم أن يُقدّموه إليه ، ففعلوا . فحبسه وأضرّ به .

ثم بعث إليه : أن بعني الأراك^(٢) وبرداً ، فبعث إليه ابن مفرغ مع الرسول : أبيعُ المرء نفسه أو ولده ! ثم أضرّ به عبّاد حتى باعها عليه لرجل من أهل خراسان ، فقال ابن مفرغ حين بلغه بيعهما :

شريت برداً ولو ملكتُ صفقته
لولا الدعيُّ ولولا ما تعرّض لي
أما الأراكُ فكانت من محارمنا
كانت لنا جنّةً كنا نعيشُ بها
ياليتني قبل ما ناب الزمانُ به
قد خاننا عيشُ من لم نخشَ عثرته
لا متني النفس في بردٍ فقلت لها :
لما تطلبت في بيعٍ له رشداً
من الحوادثِ ما فارقتَه أبداً
عيشاً لذيداً وكانت جنّةً رغداً
تغني بها إن خشينا الأزل^(٣) والنكداً
أهلي لقيتُ على عدوانه الأسدَا
من يأمن اليوم آمن ذا يعيش غداً
لا تهلكي إثر بُردٍ هكذا كمدَا

(١) المصلي في الخليل : هو الذي يتلو السابق (٢) كانت الأراكه قينة لابن مفرغ وبرد غلامه .
رباهما وكان شديد الضن بهما (٣) الأزل : الضيق والشدة .

كم من نعيم أصبنا من لذاذته قلنا له - إذ تولى : ليته خلداً^(١) !
ثم قال عبّاد لحاجبه : ما أرى هذا يُبالي بالمقام في الحبس ، فبِع فرسه وسلاحه
وأثائه ، واقسم ثمنها بين غرّمائه ؛ ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم ، وبقيت عليه
بقية حبسه بها .

وعلم ابن مفرغ أنه إن أقام على ذمّ عبّاد وهجائه ، وهو في محبسه ، زاد نفسه
شرّاً ؛ فكان يقول للناس إذا سألوه عن حبسه ما سببه : رجلٌ أدبه أميرُه ليُقوم
من أوده ، أو يكفّ من غرّبه ، وهذا لعمرى خيرٌ من جرّ الأمير ذيله على مُداهنة
صاحبه .

فلما بلغ ذلك عبّاداً من قوله رقّ له ، وأخرجه من السجن ، فهرب حتى أتى
البصرة ، ثم خرج منها إلى الشام ، وجعل ينتقل في مُدنها هارباً ، ويهجو زياداً
وولده ، وأشعاره فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم ، ثم تعدّى ذلك إلى أبي سفيان
فقذفه وسبّ ولده .

ولما تمادى في ذلك جاء عبّاد إلى أخيه عبيد الله بالبصرة ، فوجده وافداً على
معاوية ، فكتب إليه ببعض ما هجا به آل زياد وأبا سفيان .

(١) ذكروا : أن الأراكة وبردا حينما دخلا منزل الخراساني قال له برد - وكان داهية
أريباً - أتدري ما اشتريت ؟ قال : نعم ، اشتريتك وهذه الجارية ، فقال : لا والله ما اشتريت إلا العار
والدمار والفضيحة أبداً ما حييت ! فجزع الرجل ، وقال له : كيف ذلك ؟ وبلك ! قال : نحن
ليزيد بن مفرغ ، والله ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشره ، أفتراه يهجو ابن زياد وهو أمير
خراسان وأخوه أمير العراقين وعمه الخليفة في أن استبطأه ويمسك عنك وقد ابتعتني وابتعت هذه
الجارية ، وهى نفسة التى بين جنبيه ! والله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما
أدخلته على منزلك ! فقال : فاشهد أنك وإياها له ، فإن شئنا أن تمضيا إليه فامضيا ، وإن شئنا
أن تكونا عندي فافعلا ! قال : فاكتب إليه بذلك ، فكتب الرجل إلى ابن مفرغ في الحبس بما فعله ،
فكتب إليه يشكر فعله ، وسأله أن يكونا عنده حتى يفرج الله عنه .

فلما قرأ عبید الله الشعر دخل على معاوية ، ثم استأذنه في قتل ابن مفرغ ، فأبى عليه أن يقتله وقال : أدبه ولا تبلغ به القتل .

ثم جعل ابن مفرغ ينتقل من بلد إلى بلد ، فإذا شاع خبره انتقل حتى لفظته الشام ؛ فأتى البصرة ، ونزل على الأحنف بن قيس فالتجأ واستجار به ، فقال له الأحنف : إني لا أجير على ابن سُمَيَّة^(١) ؛ إنما يجير الرجل على عشيرته ؛ فأما على سلطانه فلا .

ثم أتى خالد بن عبد الله فاستجار به ، فأبى أن يجيره ، فأتى عمر بن عبید الله فوعده ، وأتى طلحة الطلحات فوعده ، ثم أتى المنذر العبدي فأجاره ، وكان عبید الله بن زياد زوجاً لبنته ، وكان من أكرم الناس عليه ، فاغتر بذلك ، وأدل بموضعه منه ، وطلبه عبید الله فقبل له : قد أجاره المنذر .

فبعث عبید الله إلى المنذر فاتاه ، فلما دخل عليه بعث بالشرط ، فكبسوا دار المنذر وأتوه بابن مفرغ ، فلم يشعر المنذر إلا بابن مفرغ قد أقیم على رأسه ؛ فقام إلى عبید الله فكلّمه فيه وقال : أذكرك الله أيها الأمير ، لا تخفر جوارى فإني قد أجرته .

فقال عبید الله : يا منذر ، ليمدحنّ أباك وليمدحننك ، ولقد هجانى وهجانى أبي ثم تجيره على ! والله لا يكون ذلك أبداً ، ولا أغفرها له ؛ فغضب المنذر ، فقال له عبید الله : لعالك تدلّ بكريمتك عندي ، إن شئت والله لأبينها بتطبيق البتة^(٢) . فخرج المنذر من عنده ، وأقبل عبید الله على ابن مفرغ ، وقال له : بئسما

(١) سمية : أم زياد (٢) منصوب على المصدر ، يقال : لأفعله البتة ، لكل أمر لا رجعة فيه .

صحبتَ به عبّاداً ! فقال : بئسما صحبني به عبّاد ! اخترتهُ على سعيد بن عثمان ،
وأنفقتُ على صحبته كلَّ ما أفدتهُ وكلَّ ما أملكه ، ثم عاملني بكل قبيح ،
وتناولني بكل مكروه ، من حبسٍ وغُرْمٍ ، وشتمٍ وضربٍ ، فكنتُ كمن شامَ برقاً
خلباً في سحاب جهام ، فأراق ماءه طمعاً فيه فمات عطشاً ، وما هربتُ من أخيك
إلا لما خفت أن يُجرى فيّ ما يندم عليه ، وقد صرتُ الآن في يدك ، فشانك فاصنع
بي ما أحببت .

فأخذ عبيدُ الله في تعذيبه ، وأمر أن يُطاف به ، بحالة سيئة ، وقرن بهرة
وخزيرة ، والصبيان حوله يصيحون به ويلحون عليه ، ثم رُدَّ إلى السجن ، وسُقي
فيه من ألوان العذاب والنكال . فقال يذكر ما فعل به وإهمال قریش إياه :

دَارَ سَلَمَى بِالخَبْتِ ذِي الأَطْلَالِ كيف نومُ الأسيرِ في الأغللِ ؟
أَيْنَ مَنَى السَّلَامُ من بعد نَأْيٍ ؟ فارجمي لي تحيّي وسؤالي
أَيْنَ مَنَى نَجَابِي وَجِيَادِي وغزالي ! سقى الإله غزالي
أَيْنَ ، لا أين جُنَيْتِي وَسِلَاحِي ومطايا سيرتها لِإزحالي ؟
هَدَمَ الدَّهْرُ عَرشَنَا فِتْدَاعِي فبليناً إذ كلُّ عيش بال
إِذْ دَعَانَا زَوَالُهُ فَأَجَبْنَا كلُّ دنيانا ونعمة زوالِ
أَمْ قَضِينَا حَاجَاتِنَا فإلى المُو تِ مصيرُ الملوك والأقيالِ
لا وَصَوْمِي لربنا وزكاتي وصلاتي أدعو بها وابتهالي
مَا أَتَيْتُ العِدَاةَ أَمْراً دَنِيّاً ولدى الله كابرُ الأعمالِ
أَيْهَا المَلِكِ المَرْهَبِ بِالْقَتْلِ بلغت النكال كلَّ النكالِ
فَاخْشَ نَاراً تَقْذِفُ الوجوه وَيَوْمًا يقذف الناس بالدواهي التّقالِ

قد تعدّيتَ في القصاص وأدرکتَ ذُحُولاً^(١) لمعشر أقتال
وكسرت السنَّ الصحيحة مِنِّي لا تُداني فمَنكر إذلالِي
وقرَّتهم مع الخنازير هرّاً وَيَمِينِي مغلولةً وشمالي
وأطلمت مع العقوبة سِجْنًا فكم السجن؟ أومتى إرسالي؟
يغسلُ الماءُ ما صنعتَ ، وقولي راسخٌ منك في العظام البوالي
لو قبلتَ الفداءَ أورمتَ مالي قلت : خذه فداءَ نفسيَ مالي
لو بغيري من معشرٍ لعبَ الدهرُ لما ذمَّ نصرتي واحتياي
كم بكاني من صاحبٍ وخليلٍ حافظ الغيبِ حامدٍ للخصال

ليت أني كنت الخليف للخمِّ وجُدامٍ أو طيِّ الأجبالِ
بدلاً من عصابة من قريشٍ أسلموني للخصم عند النضالِ
خذَلوني وهم لذلك دعَوني ليس حامى الذمار بالخذالِ
لا تدعني ، فذاك أهلي ومالي إن حَبيليك من متين الحبالِ
حسرتنا إذ أطعتُ أمر غواتي وعصيت النصيح ، ضلَّ ضلالي!
ولكن عبيد الله أرسله إلى أخيه عبّاد بسجستان ، فكلمتُ اليمانية فيه بالشام

معاوية ؛ فأرسل رسولاً إلى عبّاد أن يحمل إليه ابن مفرِّغ ، فحمل من عنده ،
وقال في طريقه :

(١) الذحل : الثأر .

عدس^(١) مالعباد عليك إمارهٗ نجوتِ ، وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقَ
لعمرى لقد نَجَّكَ مِنْ هَوَّةِ الرَّدَى إِمَامٌ وَحَبْلٌ لِلْأَنَامِ وَثِيقٌ
سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ نِعْمَةٍ وَمِثْلِي بِشُكْرِ الْمُنْعَمِينَ حَقِيقٌ
فلما دخل على معاوية بكى وقال : رَكِبَ مِنِّي مَا مِ يَرْكَبُ مِنْ مُسَلِمٍ ، عَلَى غَيْرِ
حَدَثٍ وَلَا جَرِيرَةٍ ! قَالَ : أَوْلَسْتَ الْقَائِلُ :

أَلَا أَبْلُغُ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ
أَفَلَمْ تَقُلْ :
فَأَشْهَدُ

في أشعار كثيرة هجوت بها زيادا ! اذهب فقد عفونا عن جرمك ، أما لو إيانا
تعامل لم يكن مما كان شيء ؛ انطلق ، وفي أى أرض شئت فانزل . فنزل الموصل .

(١) عدس : اسم زجر البغال .

٨٣ — عبد الله بن الزبير ومقتل أخيه مصعب *

قال شيخ من أهل مكة :

لما أتى عبد الله^(١) بن الزبير قتلُ مصعب^(٢) أخيه أضرب عن ذكره أياماً حتى تحدّثت به إماء مكة في الطرق . ثم صعد المنبر ، فجلس عليه ملياً لا يتكلم ، فنظرتُ إليه ، والسكابة على وجهه ، وجبينه يرشحُ عرقاً ، فقلت لا خير إلى جنبي : ماله لا يتكلم ؟ أتراه يهاب المنطق ؟ فوالله إنه لخطيب ، فما تراه يهاب ! قال : أراه يذكر قتل مصعب سيّد العرب ، وهو بفضيع تذكّره غير ملوم . فقال : « الحمد لله الذي له الخلق والأمر وملك الدنيا والآخرة ، يُعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء ؛ ألا إنه لم يذل - والله - من كان الحقُّ معه وإن كان مُفرداً ضعيفاً ، ولم يعز من كان الباطل معه ، وإن كان في العدة والعدّد والكثرة » .

ثم قال : « إنه قد أتانا خبرٌ من العراق ، بلدِ العَدْرِ والشقاق ، فساءنا وسرّنا : أتانا أن مصعباً قتل - رحمة الله عليه ومغفرته - فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفراقِ الحميم لذعةً يجدُّها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوى من بعد ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر ؛ وأما الذي سرّنا منه ، فإننا قد علمنا أن قتله شهادةٌ له ، وأنه

* الأغانى ص ١٦٦ ج ١٧ .

(١) انظر صفحة ١٢٦ (٢) كان من أجواد العرب ، وولاه أخوه عبد الله بن الزبير العرايين فسار إليه عبد الملك بن مروان ، ووجه أخاه محمد بن مروان على مقدمته فلقبه مصعب فقاتله فقتل مصعب ودخل عبد الملك الكوفة وباع له أهلها .

عز وجل جاعل ذلك لنا وله خيرةً إن شاء الله تعالى .
إن أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن ، لقد قُتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا
خيارَ الصالحين ؛ إنَّا واللهِ مانعوتُ حتف أنوفنا مانعوتُ إلا قتلا : قَعَصًا ^(١) بالرماح
وتحتَ ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ؛ والله ما قُتل منهم رجلٌ في
جاهلية ولا إسلام قط ؛ وإنما الدنيا عارية من الملك القهار ، الذي لا يزول سلطانه ،
ولا يبيد ملكه ، فإن تقبل الدنيا على لا أخذها أخذ الأشر البطر ، وإن تدبر
عنى لا أبكي بكاء المهتر ^(٢) ، ثم نزل !

(١) قعصه : قتله مكانه (٢) المهتر : الذي فقد عقله من السكر أو المرض أو الحزن .

٨٤ - عمر بن أبي ربيعة وجميل *

اجتمع عمرُ بن أبي ربيعة ، وجميل ^(١) بن عبد الله العُدْرِي ، فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها :

لقد فرح الواشون أن صرمت ^(٢) حبلي
يقولون : مهلاً يا جميل ، وإنني
خليلي فيما عشتما هل رأيتما
أبيتُ مع الهلاك ^(٣) ضيفاً لأهلها
أفوق أيها القلب اللجوج عن الجهل
فلو تركت عقلي معي ما طلبتها
حتى أتى على آخرها . ثم قال لعمر : يا أبا الخطاب ، هل قلت في هذا الروي شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدني ، فأنشده :

جری ناصحٌ بالودِّ بيني وبينها
فلما تواقفنا عرفت الذي بها
فقلن لها : هذا عشاءٌ وأهلنا
فقلت : فما شئتن ؟ قلن لها : انزلي
فقررتني يوم الحِصَاب ^(٦) إلى قتلي
كمثل الذي بي حدوك النعل بالنعل
قريبٌ أتما تسأمي مركب البغل ؟
فلأرضٍ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْلِ

* الأغاني ص ١١٥ ج ١ ، زهر الآداب ص ٢٤٠ ج ٢

- (١) يعد جميل بن معمر مثال الغزل البدوي العفيف ، نشأ في البادية ، وأحب ابنة عمه بثينة وعرف بها ، وقال فيها شعرا كثيرا وقد لقي في سبيل حبه العنت والمذاب ، مات سنة ٨٢ هـ
(٢) صرمت حبلي : قطعت الصلة بي (٣) الهلاك : الصعاليك الذين ينتابون الناس ابتغاء معروفهم ،
(٤) جل : علم على امرأة (٥) طلايها : طلي إياها (٦) الحِصَاب كالحِصْب : موضع رمى الجمار .

نَجُومٌ دَرَارِيٌّ تَبْكُنْفَنَ صُورَةً
فَسَلِمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خَيْفَةً أَنْ يَرَى
فَقَالَتْ - وَأَرَخْتُ جَانِبَ السِّتْرِ : إِيَّامًا
فَقُلْتُ لَهَا : مَا بِي لَهْمٌ مِنْ تَرَقُّبٍ
فَلَمَّا اقْتَصَرْنَا دُونَهُنَّ حَدِيثِنَا
عَرَفْنَا الَّذِي تَهْوَى فِقْلَانِ : ائِذْنِي لَنَا
فَقَالَتْ : فَلَا تَلْبَسِي قَلْبِي : تَحَدَّثِي
فَقَمْنًا وَقَدْ أَفْهَمْنَا ذَا اللَّبِّ أَيْمًا
فَقَالَ جَمِيلٌ : هِيَ يَا أَبَا الْخَطَّابِ ! لِأَقُولُ وَاللَّهِ مِثْلَ هَذَا سَجِيسَ اللَّيَالِي (٣) ،
وَاللَّهُ مَا يَخَاطَبُ النِّسَاءَ مَخَاطَبَتِكَ أَحَدٌ ؛ وَقَامَ مَشْمَرًّا .

(١) هوج : جمع هوجاء ، وهي المتعجلة في السير كأن بها هوجا وحمقا (٢) الشكل : دل المرأة وغزلها (٣) أي لأقول مثل هذا أبدا ، وهي كلمة تستعمل للتأييد .

٨٥ — لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة بالقلب *

ذُكِرَ شعرُ الحارث^(١) بن خالد وشعرُ عمرَ بن^(٢) أبي ربيعة عند ابن أبي عتيق في مجلس رجلٍ من ولد خالد بن العاص بن هشام ، فقال : صاحبنا — يعني الحارث ابن خالد — أشعرُهما .

فقال له ابنُ أبي عتيق : بعضُ قولك يا ابنَ أخى لشعرِ عمرَ بن أبي ربيعة نَوْطَةٌ^(٣) في القلب ، وعلوقٌ بالنفس ، ودَرَكَ لِلْحَاجَةِ لَيْسَتْ لَشَعْرٍ ، وما عَصِيَ اللهُ عزَّ وجلَّ بشعرٍ أَكْثَرَ مما عَصِيَ بشعرِ عمرَ بن أبي ربيعة ، فخذُ عني ما أصف لك : أشعرُ قريشٍ مَنْ دَقَّ مَعْنَاهُ ، وَلَطْفَ مَدَّ خَلُّهُ ، وَسَهْلَ مَخْرَجِهِ وَمَتْنَ حَشْوِهِ ، وتعظفتُ حواشيه ، وأنارتُ معانيه ، وأعربَ عن حاجته !

فقال المفضلُّ للحارث : أليس صاحبنا الذي يقول :

إني وما نَحَرُوا غَدَاةَ مَنِيَّ عند الجمارِ يَتُودِهَا الْعَقْلُ^(٤)
لو بَدَّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا سَفَلًا ، وَأَصْبَحَ سَفَلُهَا يَعْلوُ
فيكاد يعرفها الخبيرُ بها فيرُدُّهُ الإِقْوَاءُ وَالْمَحَلُّ^(٥)
لعرفتُ مَعْنَاهَا بما احتملتُ مني الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

* الأغاني ص ١٠٨ ج ١ ، الأملی ص ١٧ ج ٢

(١) انظر ص ١٥٣

(٢) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الفرشي ، اختلف شعره بوصف النساء ، وعد أنسب الشعراء ، وأوصفهم لربات الحجال ، وكان يقيم بمكة ويتعرض للحجاج ، وله في ذلك أخبار كثيرة توفي سنة ٩٣ هـ .
(٣) النوطة : التعلق (٤) يتودها : يثقلها ، والعقل : الحبس (٥) أقوت الدار : أقفرت وختت من أهلها ، والمحَلُّ : الجذب .

فقال له ابنُ أبي عتيق : يا ابنَ أخي ؛ استرُ على نفسك ، واكتمْ على صاحبك ،
ولا تُشاهدِ المحافلَ بمثلِ هذا ؛ أما تطيّر الحارثُ عليها حينَ قلبَ ربعها ، فجعل
عاليه سافلَه ، مابقي إلا أن يسألَ اللهَ تبارك وتعالى لها حجارةً من سجّيل^(١) ؛ ابن
أبي ربيعة كان أحسنَ صُحبةً للرّبع من صاحبك ، وأجملَ مخاطبة حيث يقول :
سائلاً الرّبعَ بالبلي^(٢) وقولاً هجتَ شوقاً لي الغداة طويلاً
أينَ حيُّ حُلوك إذ أنت محفو فُ بهم أهلٌ أراك جميلاً ؟
قال : ساروا فأمعنوا واستقلوا^(٣) وبرغبي لو استطعتُ سبيلاً
سَمِّمونا وما سَمِّمنا مُقاماً وأحبوا دَمائنا وسهولاً
فانصرف الرجلُ خجلاً مُذعناً .

(١) السجّيل : الطين المتحجر (٢) البلي : تل قصير (٣) استقلوا : واصلوا السير وجدوا في

٨٦ - ابن المسيب يفخر بصاحبه *

قال بعض الرواة :

دخلتُ مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مع نَوْفَلِ بْنِ مُسَاحِقٍ ؛ وإِنَّهُ لَمُعْتَمِدٌ عَلَى يَدِيَّ إِذْ مَرَرْنَا بِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ^(١) فِي مَجْلِسِهِ ؛ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ ، فَرَدَّ سَلَامَنَا ثُمَّ قَالَ لِنَوْفَلٍ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ؛ مَنْ أَشْعَرُ ؟ أَصَاحِبُنَا أَمْ صَاحِبُكُمْ ؟ - يَعْنِي عبيدَ اللهِ ابْنَ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ أَوْ عَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ؛ فَقَالَ نَوْفَلٌ : حِينَ يَقُولَانِ مَاذَا ؟ فَقَالَ : حِينَ يَقُولُ صَاحِبِنَا :

خَلِيلِيَّ مَا بَالُ الْمَطِيِّ ^(٢) كَأَنَّمَا نَرَاهَا عَلَى الْأَدْبَارِ بِالْقَوْمِ تَنَكُّصُ ^(٣)

وَقَدْ أَبْعَدَ الْحَادِي سُرَاهُنَّ وَاتَّحَى بِهِنَّ فَمَا يَأْلُو عَجُولُهُ مُقْلَصُ ^(٤)

وَقَدْ قُطِعَتْ أَعْنَاقُهُنَّ صَبَابَةً فَأَنْفُسُنَا مِمَّا تَكَلَّفُ شُخْصُ

يَزِدُّنَ بِنَا قُرْبًا فَيَزِدَادُ شَوْقُنَا إِذَا زَادَ طَوْلُ الْعَهْدِ ، وَالْبَعْدُ يَنْقُصُ

وَيَقُولُ صَاحِبُكُمْ مَا شِئْتُ ! فَقَالَ لَهُ نَوْفَلٌ : صَاحِبُكُمْ أَشْهَرُ بِالْقَوْلِ فِي الْغَزْلِ -

أَمْتَعِ اللهُ بَكَ - وَصَاحِبُنَا أَكْثَرَ أَفَانِينَ شِعْر .

قَالَ : صَدَقْتَ ؛ فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ ذِكْرِ الشَّعْرِ ، جَعَلَ سَعِيدٌ يَسْتَغْفِرُ اللهُ

وَيَعْتَدُ بِيَدِهِ ، وَيَعُدُّهُ بِالْخُمْسِ كُلِّهَا حَتَّى وَفَى مِائَةَ .

* الأغانى ص ٩٢ ج ٥ ، وص ١١٣ ج ١ ، عصر المأمون ص ٨٤ ج ٢

(١) كان سعيد بن المسيب سيد التابعين من الطراز الأول ، جمع بين الحديث والفقه والزهد

والورع والعبادة ، وله في كل ذلك أخبار ماثورة ، توفي سنة ١٠١ هـ (٢) المطي : جمع مطية

(٣) تنكص : تراجع وتولى وتجمم (٤) مقلص : مشمر جاد في السير .

قال الراوى : فلما فارقناه قلت لنوفل : أترأه استغفر الله من إنشاده الشعر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كلا ! هو كثير الإنشاد والاستشهاد للشعر ، ولكنى أحسبهُ للفخر بصاحبه !

٨٧ — أعشى همدان يهجو ويمدح *

كان أعشى^(١) همدان شاعرَ أهل اليمن بالكوفة وفارسهم ، وكان مع خالد بن عتاب بن وراق الرياحى بالرسى ، فلما قدم خالدٌ من مغزاه خرج جواريه يتلقينه ، وفيهن أمٌ ولدٌ له كانت رفيعةَ القدرِ عنده ؛ فجعل الناس يمرُّون عليها إلى أن جازَ بها الأعشى ، وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً من النعاس ، فقالت أم ولد خالد لجوارياتها : إن امرأة خالد لتفأخرنى بأبيها وعمِّها وأخيها ، وهل يزيدون على أن يكونوا مثل هذا الشيخ المرتعش^(٢) !

وسمعا الأعشى فقال : من هذه ؟ فقال له بعضُ الناس : هذه جاريةُ خالد ، فضحك وقال لها : إليك عنى يالكهأ^(٣) ؛ ثم أنشأ يقول :

وما يدريك ما فرسٌ جرورٌ^(٤) وما يدريك ما حمْلُ السلاحِ
وما يدريك ما شيخٌ كبيرٌ عداه الدهرُ عن سننِ المِراحِ^(٥)
فأقسم لو ركبتِ الوردُ^(٦) يوماً وليته إلى وضحِ الصباحِ

* الأغانى ص ٤٢ ج ٦

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله ، ويكنى أبا المصباح ، شاعر فصيح كوفى من شعراء الدولة الأموية ، وكان أحد الفقهاء الفراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر ، وقتله الحجاج صبراً حين خروجه عليه مع ابن الأشعث سنة ٨٣ هـ (٢) تريد الأعشى (٣) لكهأ : الثيمة (٤) فرس جرور : لا يتقاد ولا يكاد يتبع صاحبه (٥) المِراح : الاختيال والتبختر (٦) الورد من الخيل : ما بين الكميت والأشقر .

إذن لنظرت

فأصبحت الجارية ، فدخلت إلى خالد فشكته إليه الأعشى ، وقالت : والله
ماتُكْرَم ، ولقد اجترى عليك ! فقال لها : وما ذاك ؟ فأخبرته أنها مرت برجل
في وجه الصبح ، ووصفته له وأنه سبها ، فقال : ذلك أعشى همدان ، فأى شيء
قال لك ؟ فأئشده الأبيات ، فبعث إلى الأعشى ، فلما دخل عليه قال له : ماتقول ؟
هذه ؟ زعمت أنك هجوتها ، فقال : أساءت سمعاً ؛ إنما قلت :

مررت بنسوةٍ متعطّراتٍ كضوءِ الصُّبحِ أو بيضِ الأَداحي (١)
على شقْرِ البغالِ فصِدَنَ قَلبي بحسنِ الدَّلِّ والحدِّقِ المِلاحِ
فقلتُ : مَنْ الظُّباءُ ؟ فقلُنْ : سِرْبُ بدالكِ مِنْ ظُباءِ بنى رِياحِ
فقلت : لا ، والله ، ما هكذا قال ، وأعدت الأبيات .

فقال له خالد : أما لولا أنها قد ولدت مني لو هبتهالك ، ولكني أفتدي
جنايتها بمثل ثمنها ، فدفعه إليه وقال له : أقسمت عليك يا أبا المصبح أن لا تعيد في
هذا المعنى شيئاً بعد ما فرط منك !

(١) الأداحي : جمع أدحية وهي مبيض النعام في الرمل .

٨٨ — أشجع الناس شعراً *

سأل يوماً عبدُ الملك ^(١) بن مروان : من أشجع الناس شعراً ؟ فقيل : عمرو بن معد يكرب . فقال : كيف ! وهو الذى يقول :

فجاشت ^(٢) إلى النفسُ أولَ مرّةٍ فردّتْ على مكروهاها فاستقرّتِ

قالوا : فعمرو بن الإطنابة . فقال : كيف ! وهو الذى يقول :

وقولى كلما جشأت ^(٣) وجاشت مكانك تُحمدى أو تستريحى

قالوا : فعامر بن الطفيل . قال : كيف ! وهو الذى يقول :

أقولُ لنفسي لا يُجادُ بملها : أقلّى مراحاً إنى غيرُ مدبرِ

قالوا : فمن أشجعهم عند أمير المؤمنين ؟ قال : أربعة ؛ عباس ابن مرداس

السلمى ، وقيس بن الخطيّم الأوسى ، وعنترة بن شدّاد العيسى ، ورجل من بنى

مزينة ، أما عباس فلقوله :

أشدُّ على الكتيبةِ لا أبلى أفيها كان حتفى أم سواها

* مجمع الأمثال ص ٢٢ ج ٢

(١) كان عبد الملك بن مروان ليلاً عاقلاً جباراً ، قوى الهيبة ، شديد السياسة حسن التدبير
تولى الخلافة سنة ٦٥ هـ فوطد أركانها ، وقتل ابن الزبير وأخاه مصعباً ، وكافح حتى استقرت له
الأموال ومات سنة ٨٦ هـ (٢) جاشت النفس : اضطربت من الفزع وأصل جاشت : غثت
وفاضت (٣) ارتفعت من حزن أو فزع .

وأما قيس بن الخطيم فلقوله :

وإني لدى الحرب العوان موكل بتقديم نفسي لا أريدُ بقاءها

وأما عنتر بن شداد فلقوله :

إذ تتقون بي الأسنة لم أخم^(١) عنها ولكن قد تضايق مقدمي^(٢)

وأما المزني فلقوله :

دعوت بني قحافة فاستجابوا فقلت : ردوا فقد طاب الورود

(١) أخم : أجبني (٢) تضايق مقدمي : تضايق الموضع الذي هو قدامي من أن يدنوه أحد

٨٩ - الحجاج على قبر ابنه *

لما هلك أبان بن الحجاج ، وأمّه أم أبان بنت النعمان بن بشير ، ودفنه الحجاج^(١) قام على قبره ؛ فتمثّل بقول زياد الأعجم :

الآن لما كنت أكل من مَشَى وافتّر نأبك عن شبّاة القارح
وتكاملت فيك المروءة كلّها وأعنت ذلك بالفعال الصالح !
فلما انصرف إلى منزله ، قال : ارسلوا خلف ثابت بن قيس الأنصاري ؛ فأتاه فقال : أنشدني مرثيتك في ابنك الحسن ، فأنشده :

قد أ كذبَ اللهُ من نَعَى حَسَنًا ليس لتكذيبِ موتهِ ثَمَنُ
أَجُولُ في الدار لا أراك وفي الدار أناس جوارُهُمْ غَبَنُ^(٢)
بُدلتُهُم منك ليمت أنهم أضحوا وبيني وبينهم عدن
فقال له الحجاج : ارثِ ابني أبان . فقال له : إني لا أجد به ما كنت أجدُ
بحسن . قال : وما كنت تجده ؟ قال : ما رأيته قطُّ فشبعته من رؤيته ، ولا غاب
عني قطُّ إلا اشتقتُ إليه .

فقال الحجاج : كذلك كنت أجدُ أبان !

* ذيل الأمالي ص ٧

(١) انظر صفحة ٣٧ (٢) ضعف .

٩٠ - إن صدقناك أغضباك ! *

شكا الحجاج يوماً سوء طاعة أهل العراق ، وسَقَمَ مذهبهم ، وسَخَطَ طريقتهم ، فقال له جامع الحاربي - وكان شيخاً صالحاً خطيباً لَسِيناً : أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ما شنوك^(١) لنسبك ، ولا لبلدك ، ولا لِذَاتِ نَفْسِكَ ، ولكنهم تقموا أفعالك ؛ فدع ما يُعدهم عنك إلى ما يُدنيه منك ، واتمس العافية ممن دونك تُعْطَاهَا مَن فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك^(٢) بعد وعدك .

فقال له الحجاج : والله ما أرى أن أَرِدَ بنى اللسكية إلى طاعتي إلا بالسيف ! فقال جامع : أيها الأمير إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار ! فقال الحجاج : الخيار يومئذ لله ! قال جامع : أجل ! ولكن لا تدرى لمن يجعله الله !

فغضب الحجاج وقال : يا هناه^(٣) إنك من محارب !

فقال جامع :

وللحربِ سُمِينَا وكان مُحَارِبًا إِذَا مَا أَلْقَنَا أَمْسَى مِنَ الطَّغْنِ أَحْمَرًا

فقال له الحجاج : والله لقد هممتُ أن أخلعَ لسانك ، وأضربَ به وجهك .

* زهر الآداب ص ٤٨ ج ٤ ، البيان والتبيين ص ٦٨ ج ٢ ، العقد الفريد ص ١٥١ ج ٢ ،

عيون الأخبار ص ٢١٢ ج ٢

(١) شنوك : أبغضوك (٢) الوعيد : في الشر ، والوعد في الخير (٣) يا هناه : يا فلان .

فقال جامع : إن صدقناك أغضبتنا ، وإن كذبتناك أغضبتنا الله ! وغضب
الأمير أهون علينا من غضب الله .

فقال الحجاج : أجل ! وسكن ، واشتغل ببعض الأمر ، فخرج جامع ،
وانسل من صفوف الناس .

٩١ — الحجاج يخطب ! *

دخل الحجاج الكوفة متوجهاً إلى عبد الملك ؛ فصعد المنبر ، فانكسر تحت
قدمه لَوْح ؛ فعمل أنهم قد تطيروا له بذلك ؛ فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله
تعالى ، فقال :

شاهت^(١) الوجوه ، وتبت^(٢) الأيدي ، وبؤتم بغضب من الله ؛ إذا انكسر
عودُ جذعٍ ضعيف تحت قدمٍ أسدٍ شديد ، تقاءتم بالشؤم ! وإني على أعداء الله
تعالى لأنكدم من الغراب الأبقع^(٣) ، وأشأم من يوم نحسٍ مستمر ، وإني لأعجبُ
من لوط وقوله : لو أن لي بكم قوةً أو آوى إلى ركنٍ شديد ؛ فأى ركنٍ أشدُّ من
الله تعالى ؟

* المستطرف ص ١٥ ج ٢

(١) شاهت الوجوه : قبحت (٢) تبت يداه : خسرتا (٣) الأبقع : الذى فيه سواد

وبياض .

أو ما علمتم ما أنا عليه من التوجه إلى أمير المؤمنين ، وقد وليتُ عليكم أخى
محمد بن يوسف ، وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله مُعَاذًا في أهل اليمن ؛ فإنه
أمره أن يُحْسِنَ إلى مُحْسِنِهِمْ ، ويتجاوز عن مُسِيئِهِمْ ؛ وقد أمرته أن يسيء إلى
مُحْسِنِكُمْ ، وألا يتجاوز عن مُسِيئِكُمْ .

وأنا أعلم أنكم تقولون بعدى : لا أحسن الله له الصحابة ، وأنا معجل
لكم الجواب ؛ لا أحسن الله عليكم الخليفة ، أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم
لى ولكم !

٩٢ — جميل أشعر الناس *

حدّث أحد الرواة فقال :

دخل علينا كثير^(١) يوماً وقد أخذ بطرف رِيْطَتِهِ^(٢) ، وألقى طرفها الآخر وهو يقول : هو والله أشعرُ الناس حيث يقول :

وخبِرْتُ ماني أن تيماء^(٣) منزلٌ ليلي إذا ما الصيفُ ألقى المراسياً
فهذي شهورُ الصيفِ عنى قد انقضتُ فما للنوى ترَمِي بليلى المرامياً ؟
ويجرُّ رِيْطَتَهُ حتى يبلغ إلينا ، ثم يولّي عنا ويجرُّها ويقول : هو والله أشعرُ
الناس حيث يقول :

وأنتِ التي إن شئتِ كدّرتِ عيشي وإن شئتِ بعد الله أنعمتِ بالياً
وأنتِ التي ما منَ صديقٍ ولا عدداً يرى نضوماً أبقيتِ إلا رثي لياً
ثم يرجع إلينا ويقول : هو والله أشعر الناس ؛ فقلنا : من تعنى يا أبا صخر ؟
فقال : ومن أعنى سوى جميل ! هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا !

* الأغاني ص ١٢٥ ج ٨

(١) كثير بن عبد الرحمن شاعر من أهل الحجاز ، أخباره مع عزة كثيرة ، توفي سنة ١٠٥ هـ
(٢) الرِيْطَةُ : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة (٣) تيماء : منزل لبني
عذرة .

٩٣ — مَنْ أَسْعَرَ النَّاسَ؟ *

قال عبد الملك بن مسلم: كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: إنه لم يبقَ شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبتُ منه، ولم يبقَ لي إلا مُنَاقَلَةٌ^(١) الإخوان الأحاديث، وقبلك عامرُ الشعبي^(٢)، فابعث به إليَّ يحدِّثني.

فدعا الحجاج بالشعبي وجهزه، وبعث به إليه، وأطراه في كتابه. فخرج الشعبي، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب: استأذن لي، فقال: ومن أنت؟ قال: عامرُ الشعبي؛ قال: حيَّاكَ اللهُ! ثم نهض، وأجلسه على كرسيه، فلم يلبث أن خرج الحاجب إليه فقال: ادخل.

قال الشعبي: فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسي، وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسي، فسلمتُ فردَّ السلام، ثم أومأ إليَّ، فقعدتُ عن يساره، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال: ويحك! من أسعر الناس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين! فأظلم عليَّ ما بيني وبين عبد الملك، ولم أصبر أن قلت: ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أسعر الناس! فعجِبَ عبدُ الملك من عَجَلَتِي قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِي عَنْ حَالِي، ثم قال: هذا الأخطل! فقلت: يا أخطل أسعُرُ منك الذي يقول^(٣):

* أمالي المرتضى ص ١٠١ ج ٣، خزنة الأدب ص ١١٨ ج ٢، الأغاني ص ١٦٢ ج ٩
(١) المناقلة في المنطق: أت تحدته ويحدتك (٢) هو عامر بن شراحيل كوفي المنشأ، تابعي جليل القدر وافر العلم، يقال إنه أدرك خمسمائة من الصحابة توفي سنة ١٠٣ هـ
(٣) قال النابغة هذا الشعر حين نظر إلى العيمان بن الحارث أخى عمرو بن الحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر ابن أبي شمر (مهذب الأغاني ص ٢٣٠ ج ٢).

هذا غلامٌ حسنٌ وجهه مقتبل الخير سريعُ التمامِ
للحارث الأكبر والحارث الأصغر والحارث خير الأنامِ
ثمَّ لهنديٌ ولهنديٌ ، فقدَّ أسرع في الخيرات منه إمام
خمسة آباء هم ما هم هم خير من يشرب صوب الغمام
فقال عبد الملك : ردّها عليّ ، فرددتها حتى حفظها ؛ فقال الأخطل : من
هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الشعبي ، قال : صدق ، والله النابغة أشعر
مني !

قال الشعبي : ثم أقبل عليّ عبد الملك فقال : كيف أنت يا شعبي ؟ قلت :
بخير - لا زلت به - ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع
عبد الرحمن بن محمد الأشعث .

فقال : مه ! فإننا لا نحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراه منّا في قولٍ ولا فعل
حتى تُفارقنا ، ثم أقبل عليّ فقال : ما تقول في النابغة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ،
قد فضّله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء ، وذلك أنه خرّج يوماً
وبيباه وقد غطفان ، فقال : يا معاشر غطفان ، أي شعرائكم الذي يقول :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً	وليس وراء الله للمرء مذهبٌ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةَ	ترى كل ملكٍ دونها يتذبذبُ
كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ	إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبُ
لَنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً	لم يبلغك الواشي أغش وأكذبُ
وَلَسْتَ بِمُسْتَبِقٍ أَحَا لَا تَلْمُهُ	على شعبي ؛ أي الرجال المهذب !

قالوا : النابغة ، قال ، فأَيِّكُمْ الذى يقول :

فإنَّكَ كالليل الذى هو مدركى وإن خلتُ أن المتأى عنكَ واسعُ
خطاطيف^(١) حُجْنٌ فى حبالٍ متينةٍ تُمَدُّ بها أيدٍ إليك نوازِعُ

قالوا : النابغة ؛ قال : أَيِّكُمْ الذى يقول :

إلى ابنٍ مُحَرَّقٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِي وراحتى وقد هدتِ العيونُ
أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي على خوفٍ تُظَنُّ بِي الظنُونُ
فألفيت الأمانةَ لم تَحْنُهَا كذلك كان نوحٌ لا يَخُونُ

قالوا : النابغة ، قال : هذا أشعر شعرائكم . ثم أقبل عبد الملك على الأخطل

فقال : اتَّحِبَّ أَنْ لَكَ قِيَاضًا^(٢) بشعرك شعر أحد من العرب ، أو تحبُّ أنك قلتَه ،

فقال : لا والله ، إلا أنى وددت أنى كنت قلت أبياتاً قالها رجل منّا ؛ كان والله مُغْرِفًا^(٣)

القناع ، قليل السماع ، قصير الذراع ، قال : وما قال ؟ فأنشده :

إنَّا محيوك فاسلم أيها الطللُ وإن بليت وإن طالت^(٤) بك الطولُ
ليس الجديدُ به تَبَقَى بِشَاشَتِهِ إلا قبيلاً ولا ذو خلةٍ يصلُ
والعيشُ لا عيشَ إلا ما تَقَرُّ به عينٌ ولا حالٌ إلا سوفَ تنتقلُ
والناسُ من يَلْقَ خيراً قائلون له ما يشتهى ولأم الخطى الهبلُ
قد يدرك المتأنى بعضَ حاجتهِ وقد يكون مع المُسْتَعَجِلِ الزَّلُّ

قال الشعبي : فقالت : قد قال القَطَامِيُّ أفضل من هذا ، قال : وما قال ؟

قلت : قال :

(١) الخطاف : حديدة حجناء تعقل بها البكرة والجحن : الاعوجاج (الاسان مادة خطف)
(٢) المفاضة : المبادلة والمعاوضة (٣) أغدق قناعه : أرسله على وجهه (٤) يقال : طال طولك ، أى عمرك .

طَرَقَتْ جَنُوبَ رِحَالِنَا مِنْ مَطْرَقٍ مَا كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَرِيبَ الْمَعْنَقِ
حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : ثَكَلَتِ الْقَطَامِيَّ أُمُّهُ ، هَذَا وَاللَّهِ
الشَّعْر ، ثُمَّ قَالَ : يَا شَعْبِي ، أَيُّ شِعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ أَشْعَرُ مِنَ النِّسَاءِ ؟ قُلْتُ :
خَنَسَاءُ قَالَ : وَ لِمَ فَضَلَّتْهَا عَلَى غَيْرِهَا ؟ قُلْتُ : لِقَوَاهُمَا :

وَقَائِلَةٌ وَالنَّعْشُ قَدْ فَاتَ خَطُوهَا لتَدْرِكَهُ يَا لَهْفٍ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ
أَلَا ثَكَلَتْ أُمَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ ، مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ !

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَشْعَرُ وَاللَّهِ مِنْهَا لَيْلِي الْأَخِيلِيَّةِ حَيْثُ تَقُولُ :

مُهَيِّفُ الْكُشْحِ وَالسَّرِّ بِالْمُنْخَرِقِ عَنْهُ الْقَمِيصُ لَسِيرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ
لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ وَمُصْبِحَهُ فِي كُلِّ حَيٍّ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ

ثُمَّ قَالَ : يَا شَعْبِي لَعَلَّهُ شَقَّ عَلَيْكَ مَا سَمِعْتَهُ ؛ فَقُلْتُ : أَيُّ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَشَدَّ الْمَشَقَّةِ ، إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكَ فَلَمْ أُفِدْكَ إِلَّا أَيْبَاتِ النَّبِيعَةِ فِي الْغَلَامِ .

ثُمَّ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا شَعْبِي ؛ إِنَّمَا أَعْلَمُنَاكَ هَذَا ؛ لِأَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ
يَتَطَاوَلُونَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ وَيَقُولُونَ : إِنْ كَانُوا غَلِبُونَا عَلَى الدَّوْلَةِ ؛ فَلَنْ يَغْلِبُونَا
عَلَى الْعِلْمِ وَالرَّوَايَةِ ؛ وَأَهْلُ الشَّامِ أَعْلَمُ بِعِلْمِ أَهْلِ الْعِرَاقِ . ثُمَّ رَدَدَ عَلَيَّ أَيْبَاتَ لَيْلِي
حَتَّى حَفِظْتُهَا ، وَأُذِنَ لِي فَانصرفت ، فَكُنْتُ أَوَّلَ دَاخِلٍ وَآخِرِ خَارِجٍ .

٩٤ — الشعبي عند عبد الملك بن مروان *

قال الشعبي: دخلت على عبد الملك بن مروان في علته التي مات فيها ، فقلت :
كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا شعبي ؛ أصبحت كما قال عمرو بن قميئة ^(١) :
كأنني وقد جاوزتُ تسعينَ حِجَّةً خلعتُ بها عنى عِنَانِ ^(٢) لجامي
رَمَتْنِي بناتُ الدهر من حيثُ لأرى فكيف بمن يُرمى وليس بِرامِـ
فلو أتى أرميَ بنبلٍ رميتها ولكنني أُرَمِي بغيرِ سِهَامِـ
وأهلكني تأميلُ يومٍ وليلةٍ وتأميلُ عامٍ بعد ذلك وعامِـ
على الراحتين تارة وعلى العصا أنوءُ ثلاثا بَمَدَهْنٍ قِيَامِي
فقلت : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لبيد ؛ وقد بلغ سبعين

حجة :

كأنني - وقد جاوزتُ سبعينَ حِجَّةً - خلعتُ بها عن منكبي رِدَائِيَا
فلما بلغ سبعا وسبعين سنة قال :
باتت تشكِّي إلى النفسُ مُجْهِشَةً ^(٣) وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا
فإن تُزَادِي ثلاثاً تَبْلُغِي أَمَلًا وفي الثلاثِ وفاءٌ للثمانيا
فلما بلغ مائة سنة قال :

* الأغاني ص ١٥٩ ج ١٦ ، مهذب الأغاني ص ٦٢ ج ٢ ، العقد الفريد ص ١٤٨ ج ١ طبعة المطبعة الأميرية .

(١) في العقد الفريد « زهير » (٢) عنان اللجام : السير الذي يشد به (٣) الجبش والإجهاش : أن يفزع الإنسان إلى غيره ، وهو مع ذلك كأنه يريد البكاء .

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولها وسؤالِ هذا الخلقِ كيف لبيد؟
فلما بلغ مائةَ سنةٍ وعشراً قال:

أليس ورائي إن تراختَ مِنِّي
أخبرَ أخبارَ القرونِ التي خَلَّتْ
لزومِ العصا تُحْنِي عليها الأصابعُ
أدبٌ كأني كلما قمتَ راعمُ
فلما بلغ ثلاثين ومائة سنة ، وقد حضرتهُ الوفاة قال :

تمنى ابنتاى أن يعيشَ أبوهما وهل أنا إلا من ربيعةٍ أو مُضَرَ
فإن حان يوماً أن يموتَ أبوكا فلا تَحْمِشَا وَجْهًا ولا تَحْلِقَا الشَّعْرَ
وقولا : هو المرءُ الذى لا صَدِيقَه أضاعَ ولا خانَ الخليلَ ولا غَدَرَ
إلى الحولِ ثم اسمُ السلامِ عليكما ومن يَبْكُ حَوْلًا كاملاً فقد اعتَدَرَ^(١)

قال الشعبي: فتبسم عبد الملك وقال: لقد قويت من نفسى بقولك يا عامر، وإني لأجد خفاً وما بى من بأس، وأمر لى بصلة. وقال لى: اجلس يا شعبي فحدثنى ما بينك وبين الليل. فجلست فحدثته حتى أمسيتُ وخرجت من عنده، فما أصبحت حتى سمعت الواعية^(٢) فى داره.

(١) اعتذر: أتى بعذر (٢) الواعية: الصراخ والصوت.

٩٥ — تَلَطَّفَ عبد الله بن الحجاج *

كان عبد الله بن الحجاج شجاعا فاتكا صعلو كما من صعاليك العرب ، وكان متسرِّعا إلى الفتن ، فكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان . فلما ظفر به عبد الملك هرب إلى ابن الزبير ، فكان معه حتى قُتِل ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكِّرا ، واحتال حتى دخل عليه ، وهو يطعم الناس ، وجلس حَجْرَةً^(١) ، فقال له : مالك يا هذا لاتأكل ؟ قال : لأستحلُّ أن آكل حتى تأذن لي ، قال : إني قد أذنت للناس جميعا ، قال : لم أعلم ، أفأكل بأمرك ؟ قال : كُلْ . فأكل وعبد الملك ينظر إليه ويعجب من فعاله .

فلما أكل الناس جلس عبد الملك في مجلسه ، وجلس خواصه بين يديه ، وتفرق الناس ، فجاء عبد الله ووقف بين يديه ، واستأذنه في الإنشاد فأذن له ، فأنشد :

أبلغ أمير المؤمنين فإنني مما لقيت من الحوادث مَوْجَع
مُنِعَ القرار فجمت نحوك هارباً جيش يجرُّ ومقنب^(٢) يتلمع
فقال عبد الملك : وما خوفك لأأم لك ! فقال عبد الله :

إن البلاد على وهى عريضةٌ وَعِرتُ مذهبها وسدَّ المطمع

فقال عبد الملك : ذلك بما كسبت يداك ، وما اللهُ بظلام للعبيد ، فقال

عبد الله :

* الأغاني ص ٢٥ ج ١٢

(١) حجرة : منفردا في ناحية (٢) المقنب : جماعة الخيل تجتمع للغارة ، ويتلمع : يضيء .

إن الذى يعصيك منا بعدها من دينه وحياته متودّع
أتى رضاك ولا أعود لمثلها وأطيع أمرك ماأمرت وأسمع
فقال له عبد الملك : هذا لانقبله منك إلا بعد المعرفة بك و بذنبك ، فإذا عرفت
الحوبة^(١) قبلت التوبة ، فقال عبد الله :

ولقد وطئت بنى سعيدٍ وطأةً وابن الزبير فعرشهُ متضععُ
فقال عبد الملك : لله الحمد والمنّة على ذلك ، فقال عبد الله :

مازلت تضرب منكبا عن منكب تعلو ويسقل غيركم مايرفع
لايستوى خاوى نجوم آفلُ والبدر منبلجا إذا مايطلع
ووضعت أمية واسطين لقومهم ووضع
بيت أبو العاصى بناه بربوّة على المشارف عزّه مايدفع
فقال له عبد الملك : إن توريتك عن نفسك تريبنى ، فأى الفسقة أنت؟ وماذا
تريد ؟ فقال :

حرّبت^(٢) أصيبيتى يد أرسلتها وإليك بعد معادها ما ترجع
وأرى الذى يرجو ثراث محمد أفلت نجومهم ونجمك يسطع
فقال عبد الملك : ذلك جزاء أعداء الله ، فقال عبد الله :

فارحم أصيبيتى الذين كأنهم حجلى تدرج بالشربة^(٣) وقع
فقال عبد الملك : لأنعشهم الله ، وأجاع أكبادهم ، ولا أبقي وليداً من نسلهم ،
فإنهم نسل كافر فاجر لايبالى ما صنع ، فقال عبد الله :

(١) الحوبة : الإثم (٢) حربه : سلب ماله ، وأصيبية : تصغير صبية (٣) الحجلى حيوان ،
والشربة موضع بنجد .

مال لهم مما يُضنُّ جمعته يوم القليب فحيز عنهم أجمع
فقال له عبد الملك : لعلك أخذته من غير حلّه ، وأنفقته في غير حقّه ، وأرصدت
به لمشاقّة أولياء الله ، وأعددت له معاونة أعدائه ، فنزعه منك إذا استظهرت به على
معصية الله . فقال عبد الله :

أذنو لترحمي وتجرّفاقي فأراك تدفعني فأين المدفع؟
فتبسّم عبد الملك وقال له : إلى النار ! فمن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن الحجاج
الثعلبي ؛ وقد وطئت دارك ، وأكلت طعامك ، وأنشدتُك ، فإن قتلتني بعد ذلك
فأنت وما تراه ، وأنت بما عليك في هذا عارف ! ثم عاد إلى إنشاده فقال :
ضاقَت ثياب الملبسين وفضلهم عني فألبسني ، فتوبك أوسعُ

فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه وقال : البسه لالبت ! فالتحف به ،
ثم قال له عبد الملك : أولى لك ! والله لقد طاوولتكم طمعا في أن يقوم بعض هؤلاء
فيقتلك ، فأبى الله ذلك ، فلا تجاورني في بلد ، وانصرف آمنا ، قم حيث شئت !

٩٦ - نصيب عند عبد العزيز بن مروان*

قال نُصَيْبٌ ^(١): قلت الشعر وأنا شاب فأعجبني قولي ؛ فجعلت آتى مَشَيْخَةً من بنى ضمرة ومَشَيْخَةً ^(٢) من خزاعة فأنشدهم القصيدة من شعري ، ثم أنسبها إلى بعض شعرائهم الماضين فيقولون : أحسن والله ! هكذا يكون الكلام ! وهكذا يكون الشعر .

فلما سمعتُ ذلك منهم علمتُ أني مُحْسِنٌ ؛ فأزعموا وأزعمتُ الخروجَ إلى عبد العزيز بن مروان ، وهو يومئذٍ بمصر ؛ فقلت لأختي أُمَامَةَ - وكانت عاقلةً جَلْدَةً : أَى أُخِيَّةٍ ؛ إني قد قلتُ شعراً ، وأنا أريد عبد العزيز بن مروان ، وأرجو أن يُعْتَمَقَ اللهُ به وأُمَّكَ ومن كان مَرَقُوقًا ^(٣) من أهل قَرَآبِي .

قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! يا بنِ أُمِّ ، أتجتمعُ عليك الخصلتان : السوادُ ، وأن تكون ضَحْكَةً ^(٤) للناس ! قلت : فاسمعي . فأنشدتها فسمعت ، فقالت : بأبي أنت ! أحسنت والله ! في هذا رجاءٌ عظيم ، فاخرُجْ على بركة الله .

فخرجت على قَعُودِي حتى قَدِمْتُ المدينة فوجدتُ بها الفرزدق في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت إليه فقالت : أنشدُهُ وأسْتَشِدُّهُ ، وأعرِضْ عليه شعري . فأنشدته ؛ فقال لي : ويلك ! أهذا شعرك الذي تطلب به الملوك ! قلت :

* الأغانى ص ٣٢٥ ج ١

- (١) هو نصيب بن رباح : كان رقيقاً لبعض العرب ، ثم اشتراه عبد العزيز ، وكان شاعراً فعلاً مقمداً في النسب والمديح ، وكان عفيفاً كبير النفس يجيد مدائح الملوك ومراثيمهم توفي سنة ١٠٠ هـ .
(٢) المشيخة : الشيوخ (٣) رق : صار في رق (٤) الضحكة : من يضحك الناس منه .

نعم . قال : فلستَ في شيء إن استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل !
فانفضختُ^(١) عرقاً !

فحصبني رجل من قریش كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمع إنشادي ، وسمع ما قال لي الفرزدق فأوماً إليّ ؛ فقمتم إليه ، فقال : ويحك ! أهدا شعرك الذي أنشدته الفرزدق ؟ قلت : نعم . فقال : فقد والله أصبت ، ولئن كان هذا الفرزدق شاعراً ، لقد حسدك ؛ فإننا نعرف محاسن الشعر ، فامض لوجهك ، ولا يكسر نك . فسررتني قوله ، وعلمت أنه قد صدقني فيما قال ، فاعتزمتُ على الماضي ؛ فضيت ! فقدمت مصرَ وبها عبدُ العزيز بنُ مروان ، فحضرتُ بابه مع الناس ، فنحيتُ عن مجلس الوجوه فكنتُ وراءهم ، ورأيتُ رجلاً جاء على بقلة حسن الشارة ، سهل المدخل ، يؤذن له إذا جاء . فلما انصرف إلى منزله انصرفت معه أماشي بقلته ، فلما رأني قال : ألك حاجة ؟ قلت : نعم ! أنا رجلٌ من أهل الحجاز شاعر ، وقد مدحتُ الأمير ، وخرجتُ إليه راجياً معروفاً ، وقد ازدريتُ فطردت من الباب ، ونحيتُ عن الوجوه . قال : فأنشدني . فأنشدته فأعجبه شعري ، فقال : ويحك ! أهدا شعرك ؟ فإياك أن تنتحل ! فإن الأمير راويةٌ عالم بالشعر ، وعنده رُواةٌ فلا تنفضخني ونفسك ؛ فقلت : والله ما هو إلا شعري . فقال : ويحك ! فقل أبياتاً تذكر فيها خوف^(٢) مصر وفضلها على غيرها ، والقني بها غداً .

فعدوت عليه من غد فأنشدته قولي :

سرى لهمُ تمنيني إليك طلائعهُ
بمصر وبالخوف اعترتني رواعهُ

(١) انفضخت عرقاً : تدفقت عرقاً (٢) الحوف بمصر حوفان : المشرق والغربي ، وهما متصلان .

وبات وسادى ساعدٌ قلَّ لحمه عن العظمِ حتى كادَ تَبْدُو أَشَاجِعُهُ^(١)

قال : وذكرتُ فيها الغيثَ فقلت :

وكم دون ذلك العارض البارق الذى له اشتقتُ من وجهٍ أُسَيْلٍ مَدَامِعُهُ

تَمَشَّى به أَفْنَاءُ^(٢) بكرٍ ومذحج وَأَفْنَاءُ عَمْرُو وَهُوَ خِصْبٌ مَرَابِعُهُ

فكلُّ مسيلٍ من تهامة طيب دميثُ الرُّبَا تَسْقَى البِحَارَ دَوَافِعُهُ^(٣)

أَعْنَى عَلَى بَرَقِ أُرْيُكٍ وَمِيضَه تَضَى دُجُنَاتِ الظَّلَامِ لَوَامِعُهُ

إذا اكتحلتُ عِيناً مَحَبٌّ بِضَوْنِهِ تجافت به حتى الصبَاحُ مضاجِعُهُ

فقال : أنت والله شاعر ! احضُرْ بالبَابِ حَتَّى أَذْكَرُكَ لِلْأَمِيرِ .

قال : فجلستُ على الباب ودخل ، فما ظننتُ أنه أمكنه أن يذكرنى حتى دعا

بى ؛ فدخلت على عبد العزيز ، فسلمت فصعدتُ فى بصره وصوبتُ ، ثم قال : أنت

شاعر ؟ وويلك ! قلت : نعم أيها الأمير ! قال : فأنشدنى . فأنشدته فأعجبه شعرى .

وجاء الحاجب فقال : أيها الأمير هذا أيمن بن خريم الأسدى بالبَابِ . قال :

أئذنى له ، فدخل فاطمأن ، فقال له الأمير : يا أيمن كم ترى ثمن هذا العبد فنظر إلى .

فقال : والله لنعم الغادى فى أثر المخاض^(٤) ، هذا أيها الأمير أرى ثمنه مائة دينار .

فقال : فإن له شعراً وفصاحة ! فقال لى أيمن : أتقول الشعر ؟ قلت : نعم . قال :

قيمته ثلاثون ديناراً . قال : يا أيمن أرْفَعُهُ وتخفضه أنت ؟ قال : لكونه أحق أيها

الأمير ؛ مالهذا وللشعر ؟ مثل هذا يقول الشعر أو يحسن شعراً ؟ فقال : أنشده يا نصيب

فأنشدته .

(١) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف (٢) أفناء بكر ومذحج : أخلاط الناس (٣) الدوافع : مسايل الماء (٤) المخاض : الحوامل من النوق ، وهو يريد : لنعم هذا العبد يرمى الإبل !

فقال له عبد العزيز: كيف تسمع يا أيمن. قال: هو أشعر أهل جلدته. قال: هو والله أشعر منك. قال: أمِنِّي أيها الأمير؟ قال: إي والله منك. قال: والله أيها الأمير إنك لمألول طَرِفٌ^(١). قال: كذبت والله ما أنا كذلك، ولو كنت كذلك ماصبرت عليك تنازعي التحية، وتواكلني الطعام، وتسكى على وسائدي وفرشي، وبك مابك - وكان بأيمن بياض.

قال: ائذن لي أن أخرج إلى بشر بالعراق^(٢)، واحملي على البريد. قال: قد أذنت لك، وأمر به فحمل على البريد إلى بشر. فقال فيه يمدحه ويعرض بأخيه عبد العزيز:

ركبتُ من المقطمِ في جُمادى	إلى بشر بن مروان البريداً
ولو أعطاك بشرٌ ألف ألف	رأى حقاً عليه أن يزيداً
أمير المؤمنين أقم ببشرٍ	عمودَ الحق إن له عموداً
ودعْ بشرًا يقومهم ويحدث	لأهل الزيف إسلاماً جديداً
كان التاج تاج بني هرقل	جلوه لأعظم الأيام عيدا
على ديباج خدسي وجه بشرٍ	إذا الألوان خالفت الحدودا ^(٣)
قال: فأعطاه بشر مائة ألف درهم.	

(١) يقال رجل طرف: إذا كان لا يثبت على عهد (٢) بشر بن مروان: أخو عبد العزيز بن مروان (٣) في قوله هذا يعرض بكلف كان بوجه عبد العزيز بن مروان.

٩٧ — سليمان بن عبد الملك وسميه *

أقبلَ على سليمان^(١) بن عبد الملك فتى من بني عبس ، وسمي ، فأعجبه ، فقال : ما اسمك ؟ قال : سليمان ، قال : ابن من ؟ قال : ابن عبد الملك ! فأعرض عنه ؛ وجعل يفرض^(٢) لمن دونه ، فعلم الفتى أنه كره موافقة اسمه واسم أبيه . فقال : يا أمير المؤمنين ، لا عدمت اسمك ، ولا شقي اسمي يوافق اسمك ، فأرض ؛ فإنما أنا سيف بيدك ، إن ضربت به قطعت ، وإن أمرتني أطعت ؛ وسهم في كنانتك أشتد إن أرسلت ، وأنفذ حيث وجهت .

فقال له سليمان وهو يختبره : ما قولك يا فتى لو لقيت عدوا ؟ قال : أقول : حسبي الله ونعم الوكيل ! قال سليمان : أكنت مكثفياً بهذا لو لقيت عدوك دون ضرب شديد ؟

قال الفتى : إنما سألتني يا أمير المؤمنين : ما أنت قائل ؟ فأخبرتكم ، ولو سألتني : ما أنت فاعل ؟ لأنبأكم ، إنه لو كان ذلك ، لضربت بالسيف حتى يتعقف^(٣) ، ولطعنت بالرمح حتى يتقصف !

فأعجب سليمان به ، وأحقه في العطاء بالأشراف وتمثل :

إذا ما اتقى الله الفتى ثم لم يكن على قومه كلاً فقد كمل الفتى

* ابن أبي الحديد ص ٣٢٢ ج ١

(١) كان سليمان ملكاً غيوراً ، نهماً يحب الطعام ، كما كان فصيحاً لساناً ، توفي سنة ٩٩ هـ .
(٢) يقال أفرض له : إذا جعل له فريضة ، والفريضة ، البعير المأخوذ في الزكاة ، ثم اتسع فيه حتى سمى البعير فريضة من غير الزكاة (٣) التعقف : التبعويج .

٩٨ — عقيد الندى *

قال الحرث بن سليمان : شهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ، وأتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أتيتك مستعدياً . قال : وَمَنْ بِكَ ؟ قال : موسى شَهَوَات^(١) . قال : وما له ؟ قال : سَمِعَ^(٢) بي ، واستطال في عِرْضِي .

فقال : يا غلام ، على بموسى فَأَتَيْتِي به ، فَأَتَيْتَ به ، فقال : ويحك ! أَسَمَّتَ به واستَطَلَّتْ في عِرْضِيه ؟ قال : ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ولكنني مدحتُ ابن عمه فغضب هو .

قال : وكيف ذلك ؟ قال : أردتُ شراءَ جاريةٍ لم يبلغ ثمنها جِدَّتِي^(٣) ، فَأَتَيْتُهُ وهو صديق فشكوتُ إليه ذلك ، فلم أصب عنده شيئاً ، فَأَتَيْتُ ابن عمه سعيد ابن خالد ، فشكوتُ إليه ما شكوتُهُ إلى هذا فقال : تَعُوذُ إِلَيَّ ؛ فتركته ثلاثاً ثم أَتَيْتُهُ ، فَسَهَّلَ مِنِّي إِذْنِي ، فلما استقرَّ بي المجلس قال : يا غلام ، قل لقيمي : هاتِ وديعتي .

فَفَتَحَ بَاباً بَيْنَ بَيْتَيْنِ وَإِذَا بَجَارِيَةٌ ، فقال لي : أهذه بُغَيْتُكَ ؟ قلت ! نعم فِدَاكَ

* الأغانى ص ٣٥٣ ج ٣

(١) هو موسى بن يسار مولى قريش ، ويكنى أبا محمد ، وشهوات لقب غلب عليه ، كان سئولاً ملحفاً ، فكانت كلما رأى مع أحد شيئاً يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس ، تباكي ، فإذا قيل له ما لك ؟ قال : أشتهي هذا ، فلقب موسى شهوات (٢) سمع به في الناس : شهره وفضحه (٣) الجدة : الغنى ، ويريد هنا ما عنده من مال .

أبى وأمى ! قال : اجلس ثم قال : يا غلام ، قل لقيمتى هاتى ظبية^(١) نفقتى ، فأبى
بظبية ، فُنثرت بين يديه ، فإذا فيها مائة دينار ليس فيها غيرها ، فرَدَّتْ في الظبية
ثم قال : عتيدة طيبى^(٢) ، فأبى بها ؛ ثم قال : ملحفة^(٣) فراشى ، فأبى بها ،
فصيرَ ما فى الظبية وما فى العتيدة فى حواشى الملحفة ، ثم قال : شأنك بالجارية
واستعن بهذا .

فقال له سليمان بن عبد الملك : فذلك حين تقول ماذا ؟ قال : قلت :

أبا خالدٍ أعنى سعيدَ بن خالد أبا العُرف لا أعنى ابنَ بنتِ سعيدِ
ولكننى أعنى ابنَ عائشةَ الذى أبو أبويه خالدُ بن أسيدِ
عقيد^(٤) الندى معاش يرضى به الندى فإن مات لم يرضَ الندى بعقيدِ
دَعُوهُ دَعُوهُ إنكم قد رقدتم وما هو عن أحسابكم برقودِ
قتلتَ أناساً هكذا فى جلودهم من الغيظ لم تقتلهمُ بجديدِ

فقال سليمان : على يا غلام بسعيد بن خالد ، فأبى به ، فقال : أحقُّ ما وصفك
به موسى ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فأعاد عليه فقال : قد كان ذلك
يا أمير المؤمنين . قال : فما طوقتكَ هذه الأفعال ؟ قال : دين ثلاثين ألف دينار ،
فقال له : قد أمرت لك بمثلها وبمثلها وبمثلها وبثلث مثلها . فحملت إليه مائة ألف
دينار .

قال الحارث : فلقيت سعيدَ بن خالد بعد ذلك فقلت له : ما فعل المال الذى
وصلك به سليمان ؟ قال : ما أصبحتُ والله أملكُ منه إلا خمسين ديناراً . قلتُ :
ما أغتاله ؟ قال : خلة^(٥) من صديق . أو فاقةٌ من ذى رحم .

(١) الظبية : جراب صغير من جلد ظي (٢) العتيدة : الحفة يكون فيها طيب الرجل أو
العروس (٣) الملحفة : الملاعة (٤) عقيد الندى : حليف السكرم (٥) الخلة : الحاجة والفقير .

٩٩ — خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء *

لَمَّا اسْتَخْلَفَ عُمَرَ ^(١) بَنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَفَدَتْ إِلَيْهِ الشُّعْرَاءُ كَمَا كَانَتْ تَفْعَدُ عَلَى الْخُلَفَاءِ مِنْ قَبْلِهِ ، فَأَقَامُوا بِيَابَهُ أَيَّامًا لَا يَأْذَنُ لَهُمُ بِالْدُخُولِ حَتَّى قَدِمَ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ عَلَى عُمَرَ - وَكَانَتْ لَهُ مِنْهُ مَكَانَةٌ - فَقَالَ جَرِيرٌ :

يَأَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَرْجِي مَطِيَّتُهُ هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي
أَبْلَغُ خَلِيفَتِنَا إِنْ كُنْتَ لَأَقِيهِ أَنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ ^(٢) فِي قَرْنِ
وَحْشِ الْمَكَانَةِ مِنْ أَهْلِي وَمَنْ وَلَدِي نَأَى الْحَلَّةِ عَنْ دَارِي وَعَنْ وَطَنِي

فَقَالَ : نَعَمْ أبا حَرْزَةَ وَنُعْمَى عَيْنَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عُمَرَ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛
إِنَّ الشُّعْرَاءَ بِيَابِكَ ، وَأَقْوَالَهُمْ بَاقِيَةٌ ، وَسَهَامُهُمْ مَسْمُومَةٌ .

قال : يا عدى : مالى وللشعراء !

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله قد مُدِحَ وأعطى ؛ وفيه أسوة لكل

مسلم . قال : من مدحه ؟

قال : عباس بن مرداس ؛ فكساه حلّةً قطع بها لسانه ، قال : صدقت ، فمن

بالباب منهم ؟

* العقد الفريد لابن عبد ربه ص ٢٠٨ ج ١ ، ثمرات الأوراق ص ٧١ ج ١

(١) ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنة ٥٩٩ هـ ، وكان من خيار الخلفاء ، عالماً ، زاهداً ، عابداً تقياً ، سار سيرة مرضية ، وسلك المثل الأعلى فى الحكم توفى سنة ١٠١ هـ (٢) صدقه : أوثقه .

قال : ابنُ عمك عمرُ بنُ أبي ربيعة القرشي . قال : لا قرَّبَ اللهُ قرابته ،
ولا حيًّا وجهه ؛ أليس هو القائل :

ألا ليتَ أُنِّي يومَ تدنو منِّي شَمَمَتَ الذي ما بينَ عينيكِ والقمِ
وليتَ طهورى كانَ ريقكِ كلَّه وليتَ حنوطى من مُشاشِكِ^(١) والدمِ
وياليتَ سلمى في القبورِ ضجيعتى هنالك أو في جنةٍ أو جهنمِ
فليتَه تمنى لقاءها في الدنيا ، ثم يعملُ عملاً صالحاً ، والله لا يدخل على أبداً .
فمن بالبابِ غيره ممن ذكرت ؟ قال : جميل بن معمر العذرى .

قال : أليس هو القائل :

ألا ليتنا نحيًا جميعاً وإن نمتُ يوافي لى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا في طولِ الحياةِ براغبٍ إذا قيل قد سوى عليها صفيحها
أظلُّ نهارى لا أراها وتلتقى مع الليلِ رُوحى في المنامِ ورُوحها
والله لا يدخل على أبداً . فمن بالبابِ غيره ممن ذكرت ؟ قال : كثير عزة .

قال : أليس هو القائل :

رهبان مدين والذى عهدتهم يكون من حذرِ الفراقِ قعوداً
لو يسمعون كما سمعتُ حديثها خرُّوا لعزة ركَعاً وسجوداً
أبعده الله . فوالله لا يدخلُ على أبداً ؛ فمن بالبابِ غيره ممن ذكرت ؟ قال :
الأحوص الأنصارى . قال : لا دَخَلَ على أبداً ؛ أليس هو القائل - وقد أفسد على
رجلٍ من أهل المدينة جاريته حتى هربَ بها منه :
الله بينى وبين سيدها يفرُّ عنى بها وأتبعُ

(١) المشاش : روعس العظام مثل الركبتين والمرقنين والمنكبين .

فمن بالباب غيره ممن ذكرت؟ قال: هام بن غالب الفرزدق! قال: أليس هو

القائل:

ها دلتاني من ثمانين قامةً
كما انقضَّ بازٍ أقتمُ الريشِ كاسرُهُ
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا:
أحى يُرجى أم قتيل نحاذرُهُ؟
فقلت: ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا
ووليت في أعقاب ليلى أبادرُهُ
والله لا دخل على أبدأ، فمن بالباب غيره ممن ذكرت؟ قال: الأخطل

التغلي، قال: أليس القائل:

ولستُ بصائمٍ رمضانٍ عمري
ولستُ بآكلٍ لحمِ الأضاحي^(١)
ولستُ بزاجرٍ عيساً بكوراً
إلى بطحاء مكة للنجاح
ولستُ بقائمٍ كالعبدِ يدعو
قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً^(٢)
وأسجدُ عند مُنبَلجِ الصباح
أبُعدُهُ أبعدَهُ الله عني! فوا الله لا دخلَ على أبدأ، ولا وطيء لي بساطاً، فمن

بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت؟ قال: جرير، قال: أليس هو القائل:

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد أولئك الأيام
طرفتكَ صائدةُ القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجمي بسلام
فإن كان ولا بد فهذا؛ فأذن له .

قال عدى بن أرطاة: فخرجتُ إليه؛ فقلت: ادخلُ يا جرير، فدخل

وهو يقول:

إن الذي بعث النبيَّ محمداً
جعل الخلافةَ في إمامٍ عادلٍ

(١) الأضاحي: جمع أضحية وهي شاة يضحي بها. (٢) الشمول: البارء من الحر.

وسع الخلائق عدله ووفأؤه حتى ارعوا وأقام ميل المائل
والله أنزل في الكتاب فريضة لابن السبيل والفقير العائل
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس موعاةً بحبِّ العاجلِ
فلما مثل بين يديه قال : يا جرير اتق الله ، ولا تقل إلا حقاً ؛ فأنشأ يقول :
كم باليامة من شعناء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدك تكفى فقد والده كالفرخ في العش لم يدرج^(١) ولم يطر
أذكر الجهد والبلوى التي نزلت أم قد كفاني ما بلغت من خبري
إنا لندرجو - إذا ما الغيث أخلفنا - من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن حاجة هذا الأرملة الذكر
الخير ما دمت حياً لا يفارقنا بوركنت يا عمر الخيرات من عمر !
فقال : يا جرير ، ما أرى لك فيما ههنا حقاً ! قال : يا أمير المؤمنين ؛ إني ابن
سبيل ومنقطع ! فقال له : ويحك يا جرير ! قد أولينا هذا الأمر ، ولا نملك إلا
ثلثائة درهم ؛ فمائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ؛ يا غلام ؛ أعطه
المائة الباقية .

فأخذها جرير ، وقال : والله يا أمير المؤمنين لهي أحب مال اكتسبته ، ثم
خرج ، فقال له الشعراء : ما وراءك ؟ قال : ما يسوءكم ! خرجت من عند خليفة
يعطى الفقراء ، ويمنع الشعراء ، وإني عنه لراضٍ ، وأنشد :
رأيت رُفي الشيطان لا تستقره وقد كان شيطاني من الجن راقياً

١٠٠ — الشعراء عند عمر بن عبد العزيز *

قال حماد الراوية :

دخلتُ المدينة أُلتمس العلم ، فكان أول مَنْ لقيتُ كثيرٌ ^(١) عَزَّة . فقلت :
يا أبا صخر ، ما عندك من بضاعتي ؟ قال : عندي ما عند الأحوص ^(٢) ونُصيب .
قلت : وما هو ؟ قال : هما أحقُّ بإخبارك . فقلت له : إننا لم نَحْتِ المَطِيَّ نحوكم
شهرًا نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكرٌ ، وقلَّ مَنْ يفعل ذلك ، فأخبرني عما
سألتك ليكون ما تُخبرني به حديثًا آخذُه عنك .

فقال : إنه لما كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان ، قَدِمْتُ أنا ونُصيب
والأحوص ، وكلُّ واحدٍ منا يُدليُّ بسابقته عند عبد العزيز وإخائه لعمر . فكان
أولُّ مَنْ لقينا مَسَلَمَةَ بن عبد الملك وهو يومئذ في العرب ، وكلُّ واحدٍ منا ينظر
في عِطْفِيهِ لا يَشْكُ أنه شريك الخليفة في الخلافة ، فأحسن ضيافتنا وأكرم مَثوانا ،
ثم قال : أما علمتم أن إمامكم لا يُعطي الشعراء شيئًا ، قلنا : قد جئنا الآن ، فوجه
لنا في هذا الأمر وجهًا . فقال : إن كان ذو دينٍ من آل مروان قد ولى الخلافة فقد
بقي من ذوى دُنْيَاهُمْ مَنْ يَقْضِي حوائجكم ويفعلُ بكم ما أنتم له أهل .

فأقمنا على بابِه أربعة أشهرٍ لا نصلُ إليه ، وجعل مَسَلَمَةُ يستأذن لنا فلا
يُؤَدِّن . فقلت : لو أتيتُ المسجدَ يوم الجمعة فتحفظتُ من كلام عمرَ شيئًا ! فأتيت

* الأغانى ص ٢٥٦ ج ٩ ، المقصد ص ٢١٣ ج ١

(١) انظر صفحة ٢٢٥ (٢) انظر صفحة ١٤٨

المسجد فأنا أوَّل مَنْ حَفِظَ كَلَامَهُ ، سمعته يقول في خطبة له : « لِكُلِّ سَفَرٍ زَادٌ لَا مَحَالَةَ ، فَتَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ التَّقْوَى ، وَكُونُوا كَمَنْ عَايَنَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنْ ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ ، فَعَمِلَ طَلِبًا لِهَذَا وَخَوْفًا مِنْ هَذَا . وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَقَسَّوْا قُلُوبَكُمْ ، وَتَفَقَدُوا لَعْدُوَكُمْ .

واعلموا أَنَّهُ إِنَّمَا يَطْمئنُّ بِالدُّنْيَا مَنْ وَثِقَ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الآخِرَةِ . فَأَمَّا مَنْ لَا يُدَاوِي جُرْحًا إِلَّا أَصَابَهُ جُرْحٌ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى ، فَكَيْفَ يَطْمئنُّ بِالدُّنْيَا ! أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَمُرَّكُمْ بِمَا أَنهَى نَفْسِي عَنْهُ فَتَخَسَّرَ صَفْقَتِي ، وَتَبْدُو عَيْلَتِي ، وَتُظْهِرَ مَسْكَنتِي يَوْمَ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّدَقُ » .

فَارْتَجَّ الْمَسْجِدُ بِالْبُكَاءِ ، وَبَكَى عَمْرٌ حَتَّى بُلَّ ثَوْبُهُ ، وَظَنْنَا أَنَّهُ قَاضٍ نَحْبَهُ . فَبَلَغْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقُلْتُ : جَدِّدَا لِعَمْرٍ مِنَ الشَّعْرِ غَيْرَ مَا أَعَدَدْنَا ، فَلَيْسَ الرَّجُلُ بِدُنْيَوِيٍّ .

ثُمَّ إِنْ مَسَّامَةَ اسْتَأْذَنَ لَنَا يَوْمَ جُمُعَةٍ بَعْدَ مَا أُذِنَ لِلْعَامَّةِ . فَدَخَلْنَا فَسَمَّانَا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيْنَا . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، طَالَ الثَّوَاءُ ، وَقُلْتُ الْفَائِدَةَ ، وَتَحَدَّثْتَ بِجَفَانِكَ إِيَّانَا وَفَوَدَّ الْعَرَبَ .

فَقَالَ : يَا كَثِيرٌ ، أَمَا سَمِعْتَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : « إِنَّمَا الْأُصْدَاقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّاتُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » ، أَفَنَ هُوَ لَاءُ أَنْتِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ وَأَنَا ضَاحِكٌ : أَنَا ابْنُ سَبِيلٍ وَمُنْقَطَعٌ بِهِ . قَالَ : أَوْلَسْتَ ضَيْفَ أَبِي سَعِيدٍ ؟ قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : مَا أَحْسَبَ مَنْ كَانَ ضَيْفَ أَبِي سَعِيدِ ابْنَ سَبِيلٍ وَلَا مُنْقَطَعًا بِهِ .

ثم استأذنته في الإنشاد ، فقال : قل ولا تقل إلا حقاً . فإن الله سائلك .
فقلت :

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيًّا وَلَمْ تُخَفِّ
وَقَلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قَاتَ بِالذِّى
لَقَدْ لَبَسْتَ لُبْسَ^(١) أَهْلُوكِ ثِيَابَهَا
وَتَوَمَّضُ أَحْيَانًا بَعِينِ مَرِيضَةٍ
فَأَعْرَضْتَ عَنْهَا مَشْمُزًا كَأَنَّمَا
وَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَجْبَالِهَا فِي مُنْمَعٍ
وَمَا زِلْتَ سَبَاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلِكُ عَفْوًا وَلَمْ يَكُنْ
تَرَكْتَ الَّذِي يَفْنَى وَإِنْ كَانَ مُونِقًا
فَأَضْرَرْتَ بِالْفَانِي وَسَمَّرْتَ لِلَّذِي
وَمَا لَكَ أَنْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ
سَمَّا لَكَ^(٢) هُمْ فِي الْفَوَادِ مُورِقٌ
فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كُلِّهَا
يَقُولُ : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمَسَاهُونَ تَقَسَّمُوا
فَعِشْتَ بِهِ مَا حَجَّ لِلَّهِ رَاكِبٌ

بَرِيًّا وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مَجْرِمٍ
فَعَلْتَ ، فَأَصْحَى رَاضِيًّا كُلُّ مُسْلِمٍ
وَأَبَدْتَ لَكَ الدُّنْيَا بِكَفِّ وَمَعْصَمٍ
وَتَبَسَّمُ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ الْمُنْظَمِ
سَقَمْتُكَ مَدْوُفًا^(٢) مِنْ سِمَامٍ وَعَلَقَمٍ
وَمِنْ بَحْرِهَا فِي مُزْبِدِ الْمَوْجِ مُقَمِّمٍ
صَعَدْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمَقْدَمِ
لَطَابِ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمٍ
وَأَثَرَتْ مَا يَبْقَى بَرَأَى مُصَمِّمٍ
أَمَامَكَ فِي يَوْمِ مِنَ الْهَوْلِ مُظْلَمٍ
سِوَى اللَّهِ مِنْ مَالٍ رَعِيَتْ وَدِرْهَمٍ
صَعَدْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بِسَلْمٍ
مُنَادٍ يُنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
بِأَخْذِ لَدِينَارٍ وَلَا أَخْذِ دِرْهَمٍ
لَكَ الشَّطْرُ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرَ نَدَمٍ
مُغْدٌ مُطِيفٌ بِالْمَقَامِ وَزَمْرَمٍ

(١) الهلوك من النساء : الفاجرة المتساقطة على الرجال (٢) مدوفا : مخلوطا والسمام : السم (٣) سمالي

فَأَرْبِحُ بِهَا مِنْ صَقَّةٍ لِمَبَايِعِ وَأَعْظِمُ بِهَا أَعْظِمُ بِهَا ثُمَّ أَعْظِمُ
فَقَالَ لِي : يَا كَثِيرٌ ، إِنْ اللَّهُ سَأَلْتُكَ عَنْ كُلِّ مَا قُلْتَ . ثُمَّ تَقْدِمُ إِلَيْهِ الْأَحْوَصَ
فَاسْتَأْذَنَهُ فَقَالَ : قُلْ وَلَا تَقُلْ إِلَّا حَقًّا ، فَإِنَّ اللَّهَ سَأَلْتُكَ . فَأَنْشَدَهُ :

وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا خُطْبَةٌ مِنْ مُؤَلَّفٍ بِمَنْطِقِ حَقٍّ أَوْ بِمَنْطِقِ بَاطِلٍ
فَلَا تَقْبَلَنَّ إِلَّا الَّذِي وَافَقَ الرِّضَا وَلَا تَرَجَعَنَّ كَالنِّسَاءِ الْأَرَامِلِ
رَأْيَانِكَ لَمْ تَعْدِلْ عَنِ الْحَقِّ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً فَعَلَ الظَّوْمِ الْمَجَادِلِ
وَلَكِنْ أَخَذْتَ الْقَصْدَ جُهْدَكَ كُلَّهُ وَتَقَفُوْا مِثَالِ الصَّالِحِينَ الْأَوَائِلِ
فَقَلْنَا وَلَمْ نَكْذِبْ بِمَا قَدْ بَدَأْنَا وَمَنْ ذَا يَرُدُّ السَّهْمَ بَعْدَ مُرُوقِهِ
وَلَوْ لَا الَّذِي قَدْ عَوَّدْتَنَا خِلَافِيَّ عَلَى فُوقِهِ إِنْ عَارَ (١) مِنْ نَزْعِ نَابِلِ
لَمَّا وَخَدْتَ شَهْرَ أَرْبَحِيَّ جَسْرَةَ (٢) غَطَارِيفُ كَانَتْ كَاللِّيُوثِ الْبِوَاسِلِ
وَلَكِنْ رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ الَّذِي بِهِ تَقُلُّ مُتَوْنِ الْبَيْدِ بَيْنَ الرَّوَاحِلِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلشَّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ صُرِفْنَا قَدِيمًا مِنْ ذَوِيكَ الْأَفْضَلِ
وَكَانَ مُصِيبًا صَادِقًا لَا يَعِيبُهُ وَإِنْ كَانَ مِثْلَ الدَّرِّ مِنْ قَوْلِ قَائِلِ
فَإِنَّ لَنَا قُرْبِيَّ وَنَحْضَ مَوَدَّةٍ سَوَى أَنَّهُ يَبْنِي بِنَاءَ الْمَنَازِلِ
فَذَاوُوا عَدُوَّ السَّلَامِ عَنْ عَقْرِ دَارِهِمْ وَمِيرَاثَ آبَاءِ مَشَوْا بِالْمَنَاصِلِ (٣)
فَقَبْلَكَ مَا أَعْطَى الْهَيْمَةَ (٤) وَأَرْسَوْا عَمُودَ الدِّينِ بَعْدَ تَمَائِيلِ
حِلَّةً عَلَى الشَّعْرِ كَعَبًا مِنْ سَدَيْسٍ وَبَازِلِ

(١) السهم العائر : الذي لا يدري من أين أتى (٢) الجسرة : النافقة العظيمة (٣) المناصل : جمع منصل وهو السيف القاطع (٤) هيمدة : اسم لمائة من الإبل خاصة ، ويريد بكمب كعب بن زهير ، والسديس : من الإبل ما دخل في الثامنة ، والبازل : ما بلغ التاسعة .

رسولُ الإلهِ المصطفى بنُبوَّةٍ عليه سلامٌ بالضحَا والأصائل
فكلُّ الذي عدَّدتُ يكفيك بعضُهُ ونَيْلُك خيرٌ من بحور السوائل

فقال له عمر: يا أحوصُ؛ إن الله سألُك عن كل ما قلت . ثم تقدم إليه
نُصيبُ فاستأذن في الإنشاد . فأبى أن يأذن له وغضب غضباً شديداً ، وأمره باللاحق
بدا بق^(١)؛ وقال لنا: ما عندي ما أعطيكم ، فانتظروا حتى يخرج عطائي فأوسيك
منه . فانتظرناه حتى خرج ، فأمر لي وللأحوص بثلاثمائة درهم ، وأمر لنصيب بمائة
وخمسين درهماً . فما رأيت أعظم بركةً من الثلاث المائة التي أعطاني ، ابتعتُ بها
وصيفةً فعلمتها الغناء فبعتها بألف دينار .

(١) دابق : قرية قرب حلب .

١٠١ — إيجاز في المقال وبلاغة في البيان *

قال سفیان القرشي :

كنا عند هشام^(١) بن عبد الملك ، وقد وفد عليه وفدُ أهل الحجاز - وكان شباب الكتاب إذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم - فحضرتُ كلامهم .
وكان محمد بن أبي الجهم أعظم القوم قدراً ، وأكبرهم سنناً وأفضلهم رأياً وحلماً ؛ فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، إن خطباء قريش قد قالت فيك ما قالت ، وأكثرت وأطنت ، والله ما بلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى خطيبهم فضلك ، وإن أذنت في القول قلت . قال : تكلم ، قال : أفأوجز أم أطنب ؟ قال : بل أوجز .

قال : تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمع لك خير الآخرة والأولى ، إن لي حوائج أفأذكرها ؟ قال : هاتها ، قال : كبرت سني ، ونال الدهر مني ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسري ، وينفى فقري فعل ! قال : وما الذي ينفي فقرك ، ويجبر كسرك ؟ قال : ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار !

فأطرق هشام طويلاً ، ثم قال : هيهات يا ابن أبي الجهم ، بيت المال لا يحتمل ما ذكرت ، فقال : إن الله آثرك لمجلسك ، فإن تعطينا فحقاً أدبت ، وإن تمنعنا

* العقد ص ١٧٦ ج ٣ ، الأمالي ص ١٤٧ ج ١ ، صبح الأعشى ص ٢٦٤ ج ١

(١) تولى الخلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ، وكان غزير العقل ، حليماً عفيفاً ، امتدت أيامه ، وجرى فيها كثير من الوقائع توفي سنة ١٢٥ هـ .

فَسَأَلَ الَّذِي بِيَدِهِ مَا حَوَيْتَ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْعَطَاءَ مَحَبَّةً ، وَالْمَنْعَ مَبْغَظَةً ؛ وَاللَّهِ لَأَنْ أَحْبَبْتُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أُبْغِضَكَ !

قال : فألف دينار لماذا ؟ قال : أفضى بها ديناً فدَحِنِي ^(١) قضاؤه ، وقد عَنَانِي حَمَلُهُ ، وَأَضْرَبِي أَهْلَهُ . قال : فلا بأس ؛ تُنْفَسُ كُرْبَةً ، وَتُودَى أَمَانَةً . وَأَلْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا ؟ قال : أزوِّجُ بها من أَدْرَكَ من وُلْدِي . قال : نَعَمْ الْمَسْلُوكُ سَلَكْتَ ، أَغْضَضْتَ بَصْرًا ، وَأَعْفَفْتَ وُلْدًا ، وَرَفَعْتَ نَسْلًا . وألف دينار لماذا ؟ قال : اشتري بها أرضاً يعيش بها ولدي ، وأستمع بفضلها على نواب دهرى ، وتكون ذخراً لمن بقى .

قال : فإننا قد أمرنا لك بما سألت . قال : فالحمد لله على ذلك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحم خيراً ، ثم خرج .

فأتبعه هشام بصره ، وقال : تالله ما رأيت رجلاً أطف في سؤال ، ولا أرق في مقال من هذا ، هكذا فليكن القرشى . أما والله إنا لنعرف الحق إذا نزل ، ونكره الأسراف والبخل ، وما نعطي تبذيراً ولا نمنع تقثيراً ، وما نحن إلا خزان الله في بلاده ، وأمنائه على عباده ، فإذا أذن أعطينا ، وإذا منع أبدينا ، ولو كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ، ما جبهنا ^(٢) قائلًا ، ولا ردّدنا سائلًا ، ونسأل الذي بيده ما استحفظنا أن يُجرّيه على أيدينا ، فإنه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ^(٣) ؛ إنه كان بعباده خبيراً بصيراً . فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ لقد تكلمت فأبلغت ، وما بلغ في كلامه ما قصصت . قال : إنه مبتلى ، وليس المبتلى كالمُتَلَّى .

(١) فدحني : أنقلني (٢) جبهه : نقيه بما يكره (٣) يقدر : يقسم .

١٠٢ - - سميت فأكدت ، ورجعت فرزقت *

وفد عروة^(١) بن أذينة الشاعر على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ،
فلما دخلوا عليه عرف عروة ؟ فقال له : ألت القائل :

لقد علمتُ وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسهَى له فيعيني تطلبه ولو قعدتُ أتاني لا يعنيني
وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ! فقال له : يَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
زادك الله بسطةً في العلم والجسم ، ولا ردّ وافدك خائباً . والله لقد بالغت في الوعظ ،
وأذكرتني ما أنسانيه الدهر !

وخرج من فوره إلى راحلته ؛ فركبها وتوجه راجعاً إلى الحجاز ؛ فلما كان في الليل
ذكره هشام ، وهو في فراشه ؛ فقال : رجل من قریش قال حكمة ، ووفد إلى ،
فجبهته ورذذته عن حاجته ، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول .
فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر بانصرافه ، وقال : لاجرم ؛ ليعلم أن الرزق سيأتيه .

* الشعر والشعراء ص ٢٢٥ ، المستطرف ص ٧ جزء أول ، ابن خلكان ص ٢١٢ ج ١
(١) عروة بن أذينة : كان من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله شعر في الغزل عفيف رائق ،
وقفت عليه سكنة بنت الحسين مرة فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي ذهبت نحو سقاء القوم أبترد
هيني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لئسار على الأحياء تنقد
فقال لها نعم . فقالت : وأنت القائل :

قالت وأبشتمها سري وبحت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها غطي هواك وما ألقى على بصري !
قال : نعم ، فالتفتت إلى جواربها وقالت : هن حرائر إن كان خرج هذا من قلب سليم قط .

ثم دعا مولى له ، وأعطاه ألفى دينار ، وقال : الحق بهذه ابن أذينة ، وأعطه إياها ، فأدركه وقد دخل بيته ؛ ففرع الباب عليه ، فخرج إليه ، فأعطاه المال .

فقال : أبلغ أمير المؤمنين قولى : سمعت فأكدت ، ورجعت إلى بيتى فأتانى

رزقى .

١٠٣ — هذا الذى تعرف البطحاء وطأته *

حجَّ هشامُ بن عبد الملك فى خلافة الوليد أخيه ، ومعه رؤساءُ أهلِ الشام ، فجهد أن يستلم الحجر ، فلم يقدر من ازدحام الناس ، فنُصب له منبر فجلسَ عليه ينظر إلى الناس ، وأقبل على بن الحسين ، وهو أحسنُ الناسِ وجهاً ، وأنظفهم ثوباً ، وأطيبهم رائحةً ؛ فطاف بالبيت ، فلما بلغ الحجر الأسود تنحَّى الناسُ كلَّهم ، وأخلَّوا له الحجر ليستلمه هيبةً وإجلالاً .

فغاض ذلك هشاماً ، وبلغ منه ؛ فقال رجل لهشام : مَنْ هذا أصلح الله الأمير ! قال : لا أعرفه — وكان به عارفاً — ولكنه خاف أن يرغبَ فيه أهل الشام ، ويسمعوا منه ، فقال الفرزدق — وكان لذلك كله حاضراً : أنا أعرفه ، فسألنى ياشامى ، قال : ومن هو ؟ قال :

هذا الذى تعرف البطحاء^(١) وطأته والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلَّهم هذا التقىُّ النقىُّ الطاهرُ العلمُ

* الأغاني ص ٧٥ ج ١٤ ، المحاسن والمساوى ص ٢٣١ طبع ليزج .

(١) البطحاء : مسيل واسم فيه دقاق الحصى .

إذا رأته قريشٌ قال قائلها : إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ
يكادُ يمسكه عرفانٌ^(١) راحته
فليس قولك : من هذا ؟ بضائره
العربُ تعرفُ من أنكرت والعجمُ
فحبسه هشام فقال في حبسه :

أحبسني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوى منيها
يقلبُ رأساً لم يكن رأس سيّدٍ وعيناً له حولاء بادِ عيوبها
فبعث إليه هشام فأخرجه ، ووجه إليه على بن الحسين عشرة آلاف درهم ،
وقال : اعذر يا أبا فراس ، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به
فودها ، وقال : ما قلتُ ما كان إلا لله ، وما كنتُ لأررأ^(٢) عليه شيئاً ، فقال له
على : نحن أهل بيتٍ إذا أنفدنا شيئاً ما نرجع فيه .

(١) عرفان : منصوب على أنه مفعول له (٢) الحطيم حجر الكعبة أوجدارها ، أو ما بين الركن
وزمزم والمقام (٣) رزأه ماله : أصاب من ماله شيئاً .

١٠٤ — واعظ الملوك *

قال خالد^(١) بن صفوان بن الأهم :

أوفدني يوسف بن عمر التقي إلى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق ،
فقدِمْتُ عليه ، وقد خرج بقرابته وحشمه وعاشيته^(٢) وجلسائه ، فنزل في أرض
قاع صحصح^(٣) ، تنائف أفيح^(٤) ، في عام قد بكرٌ وسُمِّيهِ ، وتتابع وِثْيِهِ^(٥) ، وأخذت
الأرض فيه زينتها على اختلاف ألوان نبتتها من نور ربيعٍ موق^(٦) ، فهو في
أحسن منظرٍ ومخبر ، وأحسن مُسْتَمَطَر ، بصعيد^(٧) كأن ترابه قطع الكافور .
وقد ضرب له سُرادق من حبر^(٨) ، كأن يوسف بن عمر صنع له باليمن ، فيه
فُسْطَاطٌ فيه أربعة أفرشةٍ من خزٍ أحمر ، مثلها مرافقها ، وعليه دُرَاعَةٌ^(٩) من خز
أحمرٍ مثلها عمامتها ، وقد أخذ الناس مجالسهم .

قال : فأخرجت رأسي من ناحية السَّمَطِ^(١٠) ، فنظر إلى شبهة المُسْتَنْطِقِ لى ؛
فقلت : أتمَّ اللهُ عليك يا أمير المؤمنين نِعْمَهُ ، وجعل ماقلدك من هذا الأمر رَشْدًا ،
وعاقبة ما يُؤْمَلُ إليه حَمْدًا ؛ وأخلصه لك بالتقى ؛ وكثره لك بالنما ، ولا كدر عليك

* الأغاني ص ١٣٦ ج ٢ ، معجم الأدياء ص ٢٧ ج ١١

(١) كان خالد خطيبًا بليغًا ولسنًا مبينًا ، حسن السمر جيد المناداة ، مات سنة ١٣٣ هـ (٢) عاشية
الرجل : من يتنابه من زواره وأصدقائه (٣) الصحصح والقاع : الأرض الجرداء المستوية والتنافف :
جمع تنوفة ، وهي أرض لا أنيس بها ولا ماء (٤) الأفيح : الواسع (٥) الوسمى : مطر الربيع
الأول ، والولى : المطر الذى يلي الوسمى (٦) موق : معجب (٧) الصعيد : التراب أو وجه
الأرض (٨) الحبر : جمع الحبرة وهي نوع من منسوج اليمن فيه نقط (٩) الدراعة : الثوب ،
المشقوق من الأمام (١٠) السمط : جمع سمط وهو الصف من الناس وغيرهم .

مِنْهُ ماصفًا ، ولا خالطَ سرورَه بالرّدى . فقد أصبحتَ للمسلمين ثِقَةً ، إليك يقصدون
فى أمورهم ، ويفزعون فى مظالمهم ؛ وما أجدُ شيئاً - يا أميرَ المؤمنين - هو أبلغُ فى
قضاءِ حقِّك ، وتوقيعِ مجلسك ، وما منَ الله علىَّ به منْ مُجالستِكَ ، من أنْ أذكرُكَ
نِعْمَ اللهُ عليك ، وأنبَهَكَ لشُكرها ، وما أجدُ فى ذلك شيئاً هو أبلغُ من حديث من
سَلَفَ قبلكَ من الملوك ؛ فإن أذن أمير المؤمنين أخبرته به .

قال : فاستوى هشامٌ جالساً وكان مُتَكئاً ، ثم قال : هاتِ يابن الأهم !
فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن مَلِكاً من الملوك قبلكَ خرج فى عامٍ مثل عامك هذا
إلى الخورنق والسدير^(١) فى عامٍ قد بكرَ وسَمِيه ، وتتابعَ وليه ، فهو فى أحسنِ
منظر ، وأحسنِ مُستمطر ، بصعيد كأن ترابه قطعُ الكافور ، وكان قد أُعطيَ
فتاءً^(٢) السن ، مع الكثرة والغلبة والقهر ؛ فنظرَ فأبعدَ النظر ؛ ثم قال لجلسائه :
لمن هذا ؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ وهل أحدٌ أُعطيَ مثل ما أُعطيَ ؟

قال : وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجّة^(٣) ، والمضى على أدبِ الحق
ومناهجه - ولم تخلُ الأرضُ من قائمِ الله بالحجة فى عباده ، فقال : أيها الملك ؛ إنك
سألت عن أمرٍ ، أفتأذن لى فى الجواب عنه ؟ قال : نعم ، قال : أرايتَ^(٤) هذا
الذى أنتَ فيه ، أشىءٌ لم تزلْ فيه ، أم شىءٌ صارَ إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنك
وصائرٌ إلى غيرك ، كما صارَ إليك من لدنْ غيرك ؟ قال : كذلك هو ! قال : فما
أراك إلا أعجبتَ بشىءٍ يسيرٌ تكونُ فيه قليلاً ، وتغيبُ عنه طويلاً ، وتكونُ غداً
بحسابه مُرتَهناً . قال : ويحك ! فأين المهرَبُ ؟ وأين المطلبُ ؟ فقال : إمّا أن تقيمَ فى

(١) الخورنق والسدير : قصران بالحيرة (٢) الفتاء : الشباب الحدث (٣) الحجّة : البرهان

(٤) أرايتَ : أخبرنى .

مُلْكِكَ فَعْمَلِ بَطَاعَةَ اللَّهِ رَبِّكَ عَلَى مَاسَاءِكَ وَسَرَّكَ ، وَأَمْضِكَ ^(١) وَأَرْمَضِكَ ^(٢) ،
وإِذَا أَنْ تَضَعَ تَاجَكَ ، وَتَخْلَعُ أَطْمَارَكَ ^(٣) ، وَتَلْبَسُ أَمْسَاحَكَ ^(٤) ، وَتَعْبُدُ رَبَّكَ حَتَّى
يَأْتِيكَ أَجْلُكَ !

قال الملك : فإذا كان السحرُ فاقرعْ على بابي ؛ فإني مُختارٌ أحدَ الرأيين ، فإن
اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا يُعصَى ، وإن اخترتُ فلواتِ الأرضِ وقفَرَ البلادِ
كنتَ رفيقاً لا يخالف .

فلما كان السحرُ قرع عليه بآبِه ، فإذا هو قد وضع تاجه ، وخلع أطماره ، ولبس
أَمْسَاحَه ، وَتَهَيَّأَ لِلسِّيَاحَةِ ، فَلَزَمَا وَاللَّهِ الْجَبَلَ ، حَتَّى أَتَاهُمَا أَجْلُهُمَا ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ
عَدَى بِن زَيْدٍ أَخُو بَنِي تَمِيمٍ :

أَيُّهَا الشَّامُ الْمُعَيَّرُ بِالذَّهْرِ أَنْتَ الْمُرَّ الْمَوْفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْإِيَّامِ ؟ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورٌ !
مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ خَلَدْنَ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ حَفِيرُ
أَيْنَ كَسْرَى كَسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشِرُ وَإِنْ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ ؟
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكَورُ !
وَأَخُو الْحَضْرِ ^(٥) إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ جَلَلَهُ تُجْبَى إِلَيْهِ وَالْحَابُورُ ^(٦)
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَلَهُ كَلَسًا ^(٧) فَلَطِيرٍ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
لَمْ يَهْمُهُ رَيْبُ الْمُنُونَ فَبَادَ الْمُلُوكَ عَنْهُ ، فَبَابَهُ مَهْجُورُ

(١) يقال أمضى : أحرقتى وشق على (٢) أرمضك : أوجمك (٣) الظمر : الثوب الخلق
(٤) المسح : الكساء من الشعر الغليظ وهو يجمع على أمساح على قلة (٥) الحضر : قصر بجبال
تكرت بين دجلة والفرات بناه الضيزن بن معاوية ملك الجزيرة (٦) الخابور : نهر بالجزيرة
(٧) الكلس : ما يدهن به النزل وغيرها .

وتذكرُ ربَّ الخورنقِ إذْ أشرفَ يوماً وللهدى^(١) تفكيرُ
سره ماله وكثرة مايميلكُ والبحرُ مُعرضاً^(٢) والسديرُ
فارغوى قلبه فقال : وما غببَطةٌ حيِّ إلى المماتِ يصيرُ
ثم بعد الفلاحِ والملكِ والإمَّةِ^(٣) وآزتهمُ هناكِ القبورُ
ثم صاروا كأنهم ورقٌ جفَّ فألوت^(٤) به الصبأ والدبؤرُ
فبكى هشام حتى اخضت^(٥) لحيمته ، وبُلت عمامته ، وأمر بنزع أبنيته ، ونقل
قرايته وحشمه وغاشيته وجلسائه ، ولزم قصره .

فأقبلت الموالى والحشم على فقالوا : ما أردت بأمر المؤمنين ! أفسدت عليه
لذته ، ونعصت عليه مأذنبته ، فقلت : إليكم عنى ، فإني عاهدت الله عز وجل ألا
أخلو بملكٍ إلا ذكرته الله عز وجل !

(١) يريد بهذه الجملة : أن التفكير طريق الهدى (٢) معرضاً : متسماً (٣) الإممة : النعمة
(٤) ألوت : ذهبت (٥) اخضت : ابتلت .

١٠٥ — إن خالدًا أدلّ فأملّ *

قال خالد بن صفوان : دخلتُ على هَشمِ بنِ عبدِ الملكِ ، وذلك بعد عزله خالد بن عبدِ الله القسري ، فألفيتهُ جالساً على كرسى في بركةٍ ، ماؤها إلى الكعبين ، فدعا لى بكرُسى فجلستُ عليه ، فقال : يا خالد ، ربَّ خالدٍ جلسَ مجلسك ، كان الوطّ بقلبي ، وأحبَّ إلى !

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن حِلْمَكَ لا يضيِّقُ عنه ، فلو صفحتَ عن جرْمه ! فقال : إن خالدًا أدلّ فأملّ ، وأوجف فأجحف ، ولم يدع لراجع مرَّجعاً ، ولا لعودةٍ موضعاً ، ثم قال : ألا أخبركُ عنه يا بنِ صفوان ؟ قلت : نعم ، قال : إنه ما بدأني بسؤال حاجةٍ قطُّ مُدْ قَدِمَ العراق حتى أكون أنا الذي أبدؤه بها. فقلت : فذاك أحرى أن ترجعَ إليه ، فقال متمثلاً :

إذا انصرفتُ نفسي عن الشيء لم تسكِّدْ إليه بوجه آخرِ الدهر تُقبِلُ
قال خالد : ثم قال لى هشم : حاجتكُ ، فقلت : تزيدني في عطائي عشرة دنانير ، فأطرق ثم قال : ولم ؟ وفيم ؟ العبادةُ أحدثتها فنعينك عليها ، أم لبلاء حسن أبليته عند أمير المؤمنين ، أم لماذا يا بنِ صفوان ؟ إذن يكثرُ السؤال ولا يحتملُ ذلك بيتُ المال ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، وفقك اللهُ وسدَّ ذلك ، أنت والله كما قال أخو خزاعة :

إذا المال لم يوجبْ عليك عطاءهُ قرابهُ قُربى أو صديق توافقه

مَنَعَتْ وَبَعْضُ الْمَنَعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ وَلَمْ يَفْتَلِكْ (١) الْمَالَ إِلَّا حَقَائِقَهُ
فَلَمَّا قَدِمَ خَالِدُ الْبَصْرَةَ ، قِيلَ لَهُ : مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى تَزْيِينِ الْإِمْسَاكِ لَهُ ؟
فَقَالَ : أَحْبَبْتُ أَنْ يَمْنَعَ غَيْرِي فِيكَ كَثْرًا مِنْ يَوْمِهِ !

١٠٦ - أبو النجم عند هشام بن عبد الملك *

ورد أبو النجم (٢) على هشام بن عبد الملك في الشعراء ، فقال لهم هشام : صفوا
لي إبلا فقطروها وأوردوها وأصدروها حتى كأني أنظر إليها ؛ فأنشده ، وأنشده
أبو النجم :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمَجْزِلِ »

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال : « وهى على الأفق كعين » وأراد أن
يقول « الأحول » ، ثم ذكر حوالة هشام ؛ فلم يتم البيت ، وأرتج عليه .
فقال هشام : أجز البيت ؛ فقال : « كعين الأحول » وأتم القصيدة ؛ فأمر
هشام فوجى (٣) عنقه ، وأخرج من الرصافة ، وقال لصاحب شرطته : ياربيع
إياك وأن أرى هذا ! فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقره ففعل .
قال أبو النجم : ولم يكن أحدًا بالرصافة يضيف إلا سليم بن كيسان الكلبي ،

(١) فتلت الشيء : أخذته في سرعة ، ويتعدى إلى مفعولين .

* الكامل ص ٣٩ ج ٢ ، الأغاني ص ١٥٥ ج ١٠ ، رغبة الأمل ص ٢٣٩ ج ٦

(٢) اسمه الفضل بن قدامة أحد رجال الإسلام الفحول المقدمين ، وفي الطبقة الأولى منهم

(٣) وجى : وجاء باليد وبالسكين إذا ضرب به .

وعَمْرُو بنِ بَسْطَامِ التَّغْلَبِيِّ ، فَكَانَتْ أُتِي سُلَيْمًا فَأَتَعَدَّى عِنْدَهُ ، وَآتَى عَمْرًا فَأَتَعَشَّى عِنْدَهُ ، وَآتَى الْمَسْجِدَ فَأَبَيْتَ فِيهِ .

قال : فَاهْتَمَّ هِشَامٌ لَيْلَةً ، وَأَمْسَى لَقِسَ النَّفْسِ ، وَأَرَادَ مُحَدَّثًا يُحَدِّثُهُ ، فَقَالَ لَخَادِمٍ لَهُ : ابْعَثْ مُحَدَّثًا أَعْرَابِيًّا شَاعِرًا يَرُوي الشَّعْرَ .

فَخَرَجَ الْخَادِمُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي النَّجْمِ ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ ، وَقَالَ لَهُ : قُمْ أَجِبِ الْأَمِيرَ . قال : إني رجل أعرابي غريب . قال : إياك أبعث ؛ فهل تروي الشعر ؟ قال : نعم ، وأقوله .

فَأَقْبَلَ بِهِ حَتَّى أَدْخَلَهُ الْقَصْرَ ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ ؛ قَالَ : فَأَيُّنَ بِالْشَّرِّ ، ثُمَّ مَضَى بِهِ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى هِشَامٍ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ ، وَالشَّمْعَ بَيْنَ يَدَيْهِ تَزْهَرُ (١) .

فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهُ هِشَامٌ : أَبُو النَّجْمِ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ طَرِيدُكَ ! قَالَ : اجْلِسْ ؛ فَسَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : أَيْنَ كُنْتَ تَأْوِي ؟ وَمَنْ كَانَ يُنْزِلُكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ . قَالَ : وَكَيْفَ اجْتَمَعَا لَكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَتَعَدَّى عِنْدَ هَذَا ، وَأَتَعَشَّى عِنْدَ هَذَا . قَالَ : وَأَيْنَ كُنْتَ تَبِيتُ ؟ قَالَ : فِي الْمَسْجِدِ حَيْثُ وَجَدَنِي رَسُولُكَ . قَالَ : وَمَالِكَ مِنْ الْوَلَدِ وَالْمَالِ ؟ قَالَ : أَمَالُ الْمَالِ فَلَا مَالَ لِي ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَلِي ثَلَاثُ بَنَاتٍ وَبُنَيٌّ يَقَالُ لَهُ شَيْبَانُ .

فَقَالَ : هَلْ زَوَّجْتَ مِنْ بَنَاتِكَ أَحَدًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ زَوَّجْتُ اثْنَتَيْنِ ، وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ تَجْمَزُ (٢) فِي أَبِيائِنَا كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ .

قال : وما وصيت به الأولى ؟ فقال :

(١) تزهر : تتلأأ (٢) تجمز : تعدو وتسرع .

أَوْصَيْتُ مِنْ بَرَّةَ^(١) قَلْبًا حُرًّا بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحِمَاةِ شَرًّا
لَا تَسْأَمِي ضَرْبًا لَهَا وَجَرًّا حَتَّى تَرَى حُلُوَ الْحَيَاةِ مُرًّا
وَإِنْ كَسْتِكِ ذَهَبًا وَدُرًّا وَالْحَيَّ عُمِّيهِمْ بَشَرًّا طُرًّا

فضحك هشام ، وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت :

سُبِّي الْحِمَاةَ وَابْتِي^(٢) عَلَيْهَا وَإِنْ دَنْتَ فَازْدَلْفَنِي إِلَيْهَا
وَأَوْجَعِي بِالْفِهْرِ^(٣) رَكْبَتَيْهَا وَمِرْقَتَيْهَا وَأَضْرِبِي جَنْبَيْهَا
وِظَاهِرِي النَّذْرَ لَهَا عَلَيْهَا لَا تُخْبِرِي الدَّهْرَ بِهَابَتَيْهَا

قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذهُ ، وسقط على قفاه . فقال : ويحك !

ما هذه وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين . قال : فما قلت
لثالثة ؟ قال : قلت :

أَوْصِيكَ يَا بَتِي فإني ذاهِبُ أَوْصِيكَ أَنْ تَحْمَدَكَ الْقَرَائِبُ
وَالْجَارُ وَالضَّيْفُ الْكَرِيمُ السَّائِبُ لَا يُرْجَعُ الْمَسْكِينُ وَهُوَ خَائِبُ
وَلَا تَنِي أَظْفَارُكَ السَّلَاهُ^(٤) مِنْهُنَّ فِي وَجْهِ الْحِمَاةِ كَاتِبُ

وَالزَّوْجَ إِنْ الزَّوْجَ بِئْسَ الصَّاحِبُ

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تنزج ؟ وأي شيء قلت في تأخير تزويجها ؟

قال : قلت فيها :

(١) كان اسمها برة (٢) بهره : قذفه بالباطل ، وقال عليه مالم يفعل (٣) الفهر . الحجر

يملاء السكف (٤) السلاه : الطويلة .

كَأَنَّ ظَلَامَةَ أُخْتِ شَيْبَانَ يَتِيمَةٌ وَوَالِدَاهَا حَيَّانُ
الرَّأْسُ قَلْبٌ كُلُّهُ وَصَيْبَانُ^(١) وَلَيْسَ فِي الرَّجْلَيْنِ إِلَّا خَيْطَانُ
فَهِيَ الَّتِي يُذَعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ

فقال هشام لحاجبه : ما فعلتِ الدنانيرُ المختومةُ التي أمرتُك بقبضها ؟ قال :
هي عندي ، ووزنها خمسمائة ! قال : فادفعها إلى أبي النجم ؛ ليجعلها في رجلَيْ
ظَلَامَةَ مَكَانِ الْخَيْطَيْنِ !

(١) الصَّيْبَانُ : الصَّوَابَةُ : بَيْضَةُ الْفَعْلِ جَمْعُهُ صَيْبَانٌ .

١٠٧ — لا يعرف الكلام إلا بنشره *

قحطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت العربُ من أحياء القبائل ؛ فجلس هشام لرؤسائهم فدخلوا عليه ، وفيهم درؤاس بن حبيب وله أربع عشرة سنة ، عليه شملتان وله ذؤابة . فأخجم القومُ وهابوا هشاماً ، ووقعت عينُ هشام على درواس فاستغره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحدٌ أن يصلَ إلىَّ إلا وصل حتى الصبيان ؟ !

فعلم درواس أنه يريدُه ، فقال ؛ يا أميرَ المؤمنين ، إن دخولي لم يُجِلْ بك شيئاً ، ولقد شرَّفني ، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وإن الكلامَ نُشر ، والسكوت طيٌّ ، ولا يعرف الكلام إلا بنشره . فقال هشام : فأنشر لا أبالك !! وأعجبه كلامه .

فقال : أصابتنا ثلاث سنين ؛ فسنة أذابت الشَّحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة نَقَّتْ^(١) العظم ، وفي أيديكم فضول أموال : إن كانت لله ففرقوها على عباده المستحقين لها ، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجزي المتصدقين ، ولا يُضيع أجرَ المحسنين ؛ واعلم يا أمير المؤمنين أن الوالى من الرعية كالروح من الجسد ، لا حياة للجسد إلا به .

فقال هشام : ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً . وأمر أن يقسم في

* لباب الآداب ص ٣٥٣

(١) النقى : مخ العظام وشحمها ، ونقى العظم : استخراج نقيه .

باديته مائة ألف درهم ، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم . فقال : يا أمير المؤمنين ،
اردها إلى أعطية أهل باديتي ، فإنني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين
عن كفايتهم . قال : فمالك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : مالي من حاجة
دون عامة المسلمين !!

ولما عاد درواس إلى منزله بعث إليه هشام بمائة ألف درهم ، ففرقها في تسعة
أبطن من العرب ، لكل بطن عشرة آلاف ، وأخذ هو عشرة آلاف ، فقال
هشام : إن الصنعة عند درواس لتضعف على سائر الصنائع^(١) !

(١) جمع صنعة ، وهي المعروف والإحسان .

١٠٨ — أنجحت وفادتك ، ووجبت ضيافتك *

وفد سعد بن مرة بن جبير ، وكان شاعراً ، على الوليد^(١) بن يزيد ، فعرض له في يوم من أيام الربيع ، وقد خرج إلى منزله له ، فصاح به : يا أمير المؤمنين ، ووافدك وزائرک ومؤمک ! فتبادر إليه الحرس ليصدوه عنه ، فقال : دعوه ؛ اذن إلى ! فذنا إليه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل الحجاز شاعر ، قال : تريد ماذا ؟ قال : تسمع مني أربعة أبيات ، قال : هات ؛ فقال :

شمن^(٢) المخايل نحو أرضك بالحيا^(٣) ولقين ركباناً بعرفك قفلاً
قال : ثم مه ؟ قال :

فعمدنا نحوك لم ينحن لحاجة إلا وقوع الطير حتى ترحلاً
قال : إن هذا السير حديث ، ثم ماذا ؟ قال :

يعمدن نحو موطن حجراته كرماً ولم تعدل بذلك معدلاً
قال : قد وصلت إليه فمه ؟ قال :

لاحت لها نيران حبي قسطل^(٤) فاخترن نارك في المنازل منزلاً
قال : فهل غير هذا ؟ قال : لا ، قال : أنجحت وفادتك ، ووجبت ضيافتك ،

أعطوه أربعة آلاف دينار ، فقبضها ورحل !

* الأغاني ص ٢٤ ج ٧

(١) كان الوليد قبل أن يلي الخلافة من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم ، ولما ولي الخلافة انهمك في اللهو والشراب وسماع الغناء ، مات مقتولاً سنة ١٢٦ هـ (٢) شمت مخايل الشيء : إذا تطلعت نحوه ببصرك منتظراً له (٣) الحيا : الحصب والمطر (٤) قسطل : اسم لموضعين : أحدهما قرب اللقاء من أرض دمشق والثاني بين حمص ودمشق .

١٠٩ — شاعر بني هاشم *

لما قال الكهيت^(١) بن زيد الأسدي الهاشميات ، قدم البصرة ، فأتى الفرزق ، فقال : يا أبا فراس إنك شيخ مضر وشاعرها ؛ وأنا ابن أخيك ! قال : ومن أنت ؟ فانتسب له . فقال : صدقت ! فما حاجتك ؟ قال : نُفِثَ عَلَيَّ لِسَانِي ، فقلتُ شعراً ، وأحببتُ أن أعرضَ عليك ماقلت ؛ فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان غير ذلك أمرتني بستّره ، وسترتّه عليّ . فقال : يا ابن أخي ؛ أحسب شعرك على قدر عقلك ؛ فهاتِ ماقلتِ راشداً ، فأنشده :

طربتُ — وماشوقاً إلى البيض^(٢) أطربُ ولا لعباً مني وذو الشيب يلعبُ
قال : بلي ! فإنك في أوان اللعب فالعبُ فقال :

ولم يُلهني دار ولا رسم^(٣) منزلٍ ولم يتطرّبنِي بناتٌ مُحضَبُ
قال : فما يطربك يا ابن أخي ؟ فقال :

وما أنا ممن يزجرُ الطيرَ همَّهُ أصاحَ غرابٍ أم تعرّضَ ثعلب^(٤)ُ
قال : فما أنت ؟ ويحك ! وإلى من تسمو ؟ فقال :

* خزانة الأدب ص ٢٣٧ ج ٤ ، المسعودي ص ١٩٠ ج ٢

(١) نشأ في الكوفة وتأدب على علمائها ، وأخذ عن الأعراب ، وعالج الشعر حتى نبه شأنه واتصل بالولادة والهاشميين يمدحهم وينال جوائزهم ، وقد لقي في سبيل مذهبه الشيعة بلاء كثيراً وقد أثار الفتنة بين عدنان وقحطان وفتح للشيعة طريق مناظرة خصومهم بالشعر وتوفي سنة ١٢٦ هـ (٢) البيض : جمع بيضاء يريد النساء (٣) رسم : أثر ، ويطربني : يجملي على الطرب (٤) الزجر للطير : هو التيمن والتشاؤم بها ، والغراب أعظم ما كانت العرب تتطير به . وهذا نوع من الميافة .

ولا السناجات^(١) البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب
قال : أمّا هذا فقد أحسنت فيه ، فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يطلب
قال : من هم ؟ ويحك ! قال :

إلى نفر البيض^(٢) الذين بحبهم إلى الله فيما نابى أتقرب
قال : أرخني ؛ ويحك ! من هؤلاء ؟ قال :

بني هاشم رهط^(٣) النبي فإني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
قال : لله در بني أبيك ! أصبت وأحسنت ؛ إذ عدلت عن الزعانف والأوباش
إذن لا يصرد^(٤) سهمك ، ولا يكذب قولك .

ثم مرّ فيها ، فقال له : أظهر ثم أظهر ؛ فأنت والله أشعر من مضى ، وأشعر
من بقي .

فقدم المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين ، فأذن له ليلاً ، وأنشده ،
فعلما بلغ من الميمية قوله :

وقتيل بالطف^(٥) غودر منهم بين فوغاء أمة وطفام
بكي أبو جعفر ، ثم قال : يا كميت ! لو كان عندنا مال لأعطيناك ، ولكن
لك ما قال رسول الله لحسان بن ثابت : لازلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا
أهل البيت !

(١) السناج : ماولك ميامنه ، والبارح : ماولك مياسره ، وكان أهل نجد يقيمون بالأول
ويتشاءمون بالثاني ، وأهل العالية على العكس . والأعضب : الثور المكسور القرن ، وكانوا
يتشاءمون به (٢) البيض : المشهورين من الأشراف (٣) الرهط : القوم والقبيلة (٤) صرد السهم :
أخطأ ونفذ حده ضد (٥) الطف : موضع قرب الكوفة ، وقتيل الطف هو الحسين عليه السلام .

فخرج من عنده فأتى عبد الله بن الحسن بن علي فأشده فقال له : إن لي ضيعةً أعطيتُ فيها أربعة آلاف دينار ، وهذا كتابها ، وقد أشهدتُ لك بذلك شهوداً ، وناولهُ إياها !

فقال : بأبي أنت وأمي ! إنني كنتُ أقولُ الشعر في غيركم - أريد بذلك الدنيا والمال ، ولكني والله - ماقلتهُ فيكم إلا لله ! وما كنتُ لأخذَ على شيء جعلتهُ لله مالاً ولا ثمناً ؛ فألح عبدُ الله عليه ، وأبى من إعفائه .

فأخذ الكمية الكتاب ومضى ؛ فكث أياما ، ثم جاء إلى عبد الله فقال : بأبي أنت وأمي ! يا بن رسول الله ؛ إن لي حاجةً ؟ قال : وما هي ؟ وكل حاجة لك مقضية ! قال : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم ! قال : هذا الكتاب تقبلهُ ، وترجعُ الضيعة ! ووضع الكتابَ بين يديه ! فقبله عبد الله .

ونَهَض عبد الله بن معاويةَ بن عبد الله بن جعفر ، فأخذ ثوباً ، فدفعه إلى أربعة من غلمانهِ ، ثم جعل يدخل دور بني هاشم ، ويقول : يا بني هاشم ؛ هذا الكمية قال فيكم الشعر حين صمّت الناسُ عن فضلكم ، وعرض دمهُ لبني أمية ، فأثيبوه بما قدرتم ! فيطرحُ الرجل في الثوب ما قدر عليه من دراهم ودنانير ؛ وأُعلم النساءُ بذلك ؛ فكانت المرأةُ تبعث ما أمكنها ، حتى إنها لتخلع الحلَى عن جسدها . فاجتمع من الدنانير والدرهم ما قيمتهُ مائة ألف درهم .

فجاء بها إلى الكمية فقال له : أئيناك بجهد المُتَمِل ، ونحن في دولة عدوّنا ، وقد جمعنا هذا المال ، وفيه حلَى النساء كما ترى ، فاستعِن به على دهرِك . فقال : بأبي أنت وأمي ! قد أكثرتم وأطيبتم ، وما أردتُ بمدحى إياكم إلا الله ورسولهُ ، ولم أكُ لأخذ لذلك ثمناً من الدنيا ، فأردُدْهُ إلى أهله ، فجهد به عبد الله أن يقبلهُ بكلِّ حيلة

فأبى ، فقال : إن أبيت أن تقبل ، فإنى رأيت أن تقول شيئاً يغضب منه بعض الناس ؛ لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما يجب .
فابتدأ الكميت ، وقال قصيدته ^(١) التي يذكر فيها مناقب قومه من مضر ،
وربيعة ^(٢) وإيادو أثمار ، ويكثر فيها من تفضيلهم ، ويطنب في وصفهم ، وأنهم أفضل
من قحطان .
فتارت العصبية في البدو والحضر ، وانحرف أهل اليمن إلى الدعوة العباسية ، وأعقب
ذلك انتقال الدولة عن بني أمية إلى بني هاشم .

(١) من هذه القصيدة :

وجدت الله إذ سمى نزارا وأسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات وللناس الفقا ولنا الجبيننا
وقد نقض دعبل هذه القصيدة على الكميت ، وذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها كما فعل
الكميت وذلك في قصيدته التي منها :
أفئق من ملائك ياظعينا كفاك اللوم مر الأربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالي يشين الذوائب والفرونا
(٢) كان الكميت من شعراء مضر وأستتمها المتعصبين على الفحطانية المقارعين العالمين بالمنال .

١١٠ — إن يميني يغلب شوؤمك *

لما توفى السفاح ، دخل أبو دلامة^(١) على المنصور ، والناسُ عنده يعزُّونه ،
فقال :

لم تستطع عن عُقرها ^(٢) تحويلاً	أمسيت بالأنبار يا بن محمد
ويلاً وعولاً في الحياة طويلاً	ويلى عليك وويل أهلى كلهم
وليبيكين لك الرجال عويلاً	فلتبكين لك السماء بعبرة
فجعلته لك فى التراب عديلاً	مات الندى إذ مت يا بن محمد
فوجدت أسمح من سألت بخيلاً	إني سألت الناس بعدك كلهم
تدع العزيز من الرجال ذليلاً ؟	أشقتنى أحرَّتْ بعدك للتى
تالله ما أعطيت بعدك سولاً ^(٣)	فلا حلفن يمين حق برّة

فأبكى الناس قوله ؛ فغضب المنصور غضباً شديداً ، وقال : لئن سمعتك تنشُد
هذه القصيدة ، لأقطعن لسانك ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن أبا العباس أمير المؤمنين
كان لى مُكرِّماً ، وهو الذى جاء بى من البدوى ، كما جاء الله بإخوة يوسف إليه ؛
فقل كما قال يوسف لإخوته : « لَأَتْرِيَبَ عَلَيْكُمْ اليومَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ، وهو
أرحمُ الرَّاحِمِينَ » .

* الأغانى ص ٢٤٠ ج ١٠ ، معاهد التنصيص ٢١٠ ج ٢ ، مهذب الأغانى ص ٢١ ج ٩
(١) أبو دلامة : اسمه زند بن الجون ، كوفى المنشأ ، كان أبوه عبداً لرجل من بنى أسد ثم
أعتقه ، نبغ فى الشعر واطّلع إلى السفاح والمنصور والمهدى ، وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيّبون
محاسنه ونوادره توفى سنة ١٦١ هـ (٢) عقر النار : أصلها ووسطها (٣) السول يهمز ولا
يهمز : ما سألته .

فُسِّرَى عن المنصور ، وقال : قد أقلناك يا أبا دلامة ، فسَلَّ حاجتك ! قال :
يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمرَ لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً ، وهو
مريض ، ولم أقبضها ؛ فقال المنصور : وَمَنْ يَعْلَمُ ذلك ؟ قال : هؤلاء ، وأشار إلى
جماعة ممن حضر .

فوثب سليمان بن مجالد ، وأبوالجهم ؛ فقالا : صدق أبو دلامة ؛ نحن نعلم ذلك ؛
قال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مَغِيظٌ : ياسليمان ادفعها إليه ، وسيِّره إلى هذا
الطاغية - يعني : عبد الله ^(١) بن علي - وكان قد خرج بالشام ، وأظهر الخلاف -
فوثب أبو دلامة ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ أعيذك بالله أن أخرج معهم ؛ والله إني
مشعوم !

قال المنصور : امضِ ؛ فإن يُمْنَى يغلبُ شوْمُك . فقال : يا أمير المؤمنين ، والله
مأحِبٌّ أن يُجربَ ذلك مني ، على مثل هذا العسكر ؛ فإني لا أدري أيهما يغلب :
يُمنُك أم شوْمِي ؟ إلا أنني بنفسى أوثق وأعرف وأطولُ تجربة .
فقال : دَعْنِي وهذا ؛ فمالك من الخروج بُدِّ . قال : فإني أصدُقُك الآن : شهدتُ
والله تسعةَ عشرَ عسكرياً ، كلُّها هُزِمَتْ ، وكنتُ سببها ، فإن شئتَ الآن - على
بصيرة - أن يكونَ عسكريك تمامَ العشرين فافعل .

فضحك المنصور ، وأمره أن يتخلَّفَ مع عيسى بن موسى بالكوفة !

(١) هو عبد الله بن علي عم الخليفة المنصور ، خرج عليه ودعا لنفسه ، فوجه إليه المنصور
أبا مسلم .

١١١ — قتلهم الشعر *

كان أبو العباس جالساً في مجلسه على سرير، وبنو هاشم دونته على الكراسي، وبنو أمية على الوسائد قد نُثِيتَ لهم - وكانوا في أيام دَوْلَتِهِمْ يجلسون هم والخلفاء منهم على السرير، ويجلس بنو هاشم على الكراسي - فدخل الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين، بالباب رجلٌ حجازيٌّ أسود ركبٌ على نجيب مُثَمِّمٌ، يستأذن ولا يخبر باسمه، ويحلف ألاَّ يحسُر اللثام عن وجهه حتى يراك؛ قال: هذا مولاي سديف، يدخل؛ فدخل، فلما نظر إلى أبي العباس وبنو أمية حوله، حذر^(١) اللثام عن وجهه ثم سلم، ودنا وقبل يده، ثم انصرف إلى خلفه، فقام مقام مثله، وأنشأ يقول:

أصبح الملكُ ثابتَ الأساسِ بالبَهَّاءِ ليل^(٢) من بني العباسِ
بالصدورِ المُقدِّمينِ قديماً والرؤوسِ القبايقِ^(٣) الرؤوسِ^(٤)
يا أميرَ المطهرينِ من الذمِّ ويارأسِ مُنتَهَى كلِّ راسِ
أنتَ مهدىُّ هاشمٍ وهداها كم أناسٍ رجوك بعد إياسِ
لأنقيلانَ عبدَ شمسٍ عشاراً واقطعنَ كلَّ رَقَلَةٍ^(٥) وغراسِ
أنزلوها بحيثَ أنزلها اللهُ بدارِ الهوانِ والإتباسِ

* الأغاني ص ٣٤٥ ج ٤، المحاسن والمساوي طبعة ليزج ص ١٠٤

(١) حذر اللثام: حطه من علو إلى سفلى (٢) البهائل: جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكل خير (٣) القمقام: السيد الكثير الخير الواسع الفضل (٤) الرؤوس: الولاة والحكام (٥) الرقطة: النخلة الطويلة التي تموت اليد.

خوفهم أظهر التوّدَدَ منهم وبهم منكم كعزّ الموماسي
أقصمهم أيها الخليفةُ واحسُم عنك بالسيف شأفةً (١) الأرجاس
واذ كرن مصرع الحسين وزيد (٢) وقتيل (٣) بجانب المهراس
والإمام (٤) الذي بجران أمسي رهن قبر في غربّة وتناسي
فلقد ساءني وساء سوائِي قربهم من نمارقٍ وكراسي
فتغيّر لون أبي العباس ، وأخذه زمع (٥) ورعدة ؛ فالتفت بعضُ ولد سليمان
ابن عبد الملك إلى رجلٍ منهم ، وكان إلى جنبه ، فقال : قتلنا والله العبد . ثم أقبل
أبو العباس عليهم ، فقال : أرى قتلاكم من أهلي قد سلفوا وأنتم أحياء تتلذذون
في الدنيا ، خذوهم ! فأخذتهم الخراسانية وضر بهم فأهدوا ، إلا ما كان من
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنه استجار بداود بن علي ، وقال له : إن أبي لم
يكن كأبائهم ، وقد علمت صنيعةً إليكم ، فأجاره واستوهبه من السفاح ، وقال
له : قد علمت يا أمير المؤمنين صنيع أبيه إلينا ، فوهبه له ، وقال له : لا تربي وجهه ،
وليكن بحيث تأمنه ، وكتب إلى عماله في النواحي بقتل بني أمية .

(١) الأرجاس : جمع رجس : القدر (٢) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قتل في أيام هشام بن عبد الملك (٣) المهراس : ماء بأحد ، ويعني بالقتيل حمزة بن عبد المطلب ، قتله يوم أحد غلام لجبير بن مطعم اسمه وحشى (٤) الامام الذي بجران هو ابراهيم الأمام رأس الدولة العباسية ، قتله مروان بن محمد صبراً (٥) الزمع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان .

١١٢ — المنصور أحق بشعر طريف*

قال أبو بكر الهذلي : سرتُ مع أمير المؤمنين المنصور^(١) إلى مكة وسأيرته يوماً ، فعرضَ لنا رجل على ناقةٍ حمراء تذهبُ في الأرض ، وعليه جُبَّةٌ خزٌّ وعمامةٌ عدنية ، وفي يده سوط يكادُ يمسُّ الأرض ، سرى الهيمئة .

فلما رآه أمرني فدعوته فجاء ، فسأله عن نسبه وبلاده وبادية قومه وعن ولاة الصدقة ، فأحسنَ الجواب ؛ فأعجبه ما رأى منه ، فقال : أنشدني ، فأنشده شعراً لأوس بن حجر وغيره من الشعراء ، وحدثه حتى أتى على شعر لطريف بن تميم العنبري وهو قوله :

إن قناتي لنَبْعٌ لا يُؤَيِّسُهَا^(٢) غمزُ التفاف^(٣) ولا دهنٌ ولا نارٌ
متى أُجرُ خانقاً تأمنُ مسارحُه^(٤) وإن أُخِفَ آمنا تعلق به الدارُ
إن الأمورَ إذا أوردتها صدرتُ إن الأمورَ لها وزدٌ وإصدار

فقال: ويحك ! ما كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر؟ قال : كان أثقل العرب على عدوه وطأةً ، وأدركهم بثأراً ، وأيمنهم نقيبةً ، وأصلبهم قناةً لِمَنْ رام

* الطبري ص ٢٩٨ ج ٩

(١) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ، ثاني خلفاء بني العباس وأعظمهم شدة وبأساً ويقظة وثباتاً توفي سنة ١٥٨ هـ (٢) التأيس : التذليل والتأثير ، أي لا يؤثر فيها شيء (٣) التفاف : ما تقوم به الرماح (٤) المسارح جمع مسرح : وهو الموضع الذي تسرح إليه الماشية بالغداة للرعى .

هَضُمَهُ ، وَأَقْرَاهُمْ لَضَيْفِهِ ، وَأَحْوَطَهُمْ مِنْ وَرَاءِ جَارِهِ ، اجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ بِعَظَائِفِ كُلِّهِمْ
أَقْرَبَ لَهُ بِهَذِهِ الْخِلَالَ ، غَيْرَ أَنَّ امْرَأَةً أَرَادَتْ أَنْ يُقَصِّرَ بِهِ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِبَعِيدِ
النَّجْعَةِ ، وَلَا قَاصِدِ الرَّمِيَةِ ؛ فَدَعَا ذَلِكَ إِلَى أَنْ جَعَلَ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَأْكُلَ إِلَّا لَحْمَ
قَنْصٍ يَقْتَنِصُهُ ، وَلَا يَنْزِعَ كُلَّ عَامٍ عَنْ غَزْوَةٍ يَبْعُدُ فِيهَا أَثَرَهُ .

قال : يَا أَخَا تَمِيمٍ ، لَقَدْ أَحْسَنْتَ إِذْ وَصَفْتَ صَاحِبَكَ ؛ وَلَكِنِّي أَحَقُّ بِبَيْتِهِ مِنْهُ ،
أَنَا الَّذِي وَصَفَ ، لَاهُو !

١١٣ — المحبة مفتاح كل خير *

دعا المنصور بالربيع^(١) فقال : سَلْنِي مَا تَرِيد ! فمَدَسَكَتْ حَتَّى نَطَقْتَ ، وَخَفَفْتَ حَتَّى ثَقَلْتَ ، وَأَقَلَّتْ حَتَّى أَكْثَرْتَ !

فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَا أَرْهَبُ بِخَلَاكَ ، وَلَا أَسْتَصْغِرُ بِفَضْلِكَ ، وَلَا أَعْتَمِدُ مَالَكَ ، وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَيَّ أَحْسَنُ مِنْ أَمْسِي ، وَغَدَاكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ! وَلَوْ جَازَ أَنْ يَشْكُرَكَ مِثْلِي بغيرِ الخِدْمَةِ وَالْمَنَاصِحَةِ لَمَا سَبَقَنِي لِذَلِكَ أَحَدٌ !

قال : صَدَقْتَ ، عَلِمِي بِهَذَا مِنْكَ أَهْلَكَ هَذَا الْحُلْ ، فَسَلْنِي مَا شِئْتَ !

قال : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْرَبَ عَبْدَكَ الْفَضْلَ^(٢) ، وَتُوَثِّرَهُ وَتَحَبِّهَ ! قال : يَا رَبِيعُ ؛

إِنَّ الْحَبَّ لَيْسَ بِمَالٍ يُوَهَّبُ ، وَلَا رُتْبَةً تُبَدَّلُ ، وَإِنَّمَا تُؤَكِّدُهُ الْأَسْبَابُ !

قال : فَاجْعَلِي لِي طَرِيقًا إِلَيْهِ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ !

قال : صَدَقْتَ ، وَقَدْ وَصَلْتَهُ بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ ! وَلَمْ أَصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَ عُمُومَتِي ؛

لَتَعْلَمَ مَالَهُ عِنْدِي ! فَيَكُونُ مِنْهُ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ مَحَبَّتِي .

ثم قال : فَكَيْفَ سَأَلْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ يَا رَبِيعُ ؟ قال : لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ،

وَمِغْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ! تُسْتَرَّبُ بِهَا عِنْدَكَ عِيُوبُهُ ، وَتُصَيَّرُ حَسَنَاتِ ذُنُوبُهُ !

قال : صَدَقْتَ !

* زهر الآداب ص ٢٢٩ ج ٢

(١) هو الربيع بن يونس ، خدام المنصور ، ثم تدرج في المناصب عنده إلى أن استوزره ، وكان جليلا نبيلًا عارفاً بخدمته الخلفاء ، مات سنة ١٧٠ هـ (٢) هو ابنه الفضل بن الربيع وقد وزر لارشيده بعد البرامكة ولائنه الأمين .

١١٤ — المنصور والشعراء *

قال الربيع بن يونس يوماً لأبي جعفر المنصور: يا أمير المؤمنين؛ إن الشعراء
ببوابك وهم كثير، وقد طالت أيامهم، ونفدت نفقاتهم، فقال: اخرج إليهم، وسلم
عليهم، وقل لهم: من مدحنا منكم، فلا يصف الأسد؛ وإنما هو كلب من الكلاب،
ولا الحية؛ وإنما هي دويبة مئنتنة تأكل التراب، ولا الجبل؛ فإنه حجر أصم،
ولا البحر؛ فإنه عطن لجب^(١)؛ فمن ليس في شعره شيء من هذا فليدخل.
ومن كان في شعره شيء منه فليصرف. فأبلغهم فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم^(٢) بن
هرمة، فقال: أنا له ياربيع فأدخلني عليه.

فأدخله، فلما مثل بين يديه، قال له: ياربيع؛ قد علمت أنه لا يجيبك غيره،
فأنشده قصيدته التي منها:

له لحظات عن حقا في^(٣) سريره إذا كرها^(٤) فيها عقاب ونائل
فأم الذي أمنت آمنه الردى وأم الذي خوفت بالشكل ثاكل

* نهاية الأرب ص ٣٠٦ ج ٣، العقد الفريد ص ١٦٥ ج ١، ذيل زهر الآداب ص ٨٤،
الغرر ص ١٨٥، الأغاني ص ١٠٩ ج ٦.

(١) لجب: ذولجب، وبحر ذولجب: إذا سمع اضطراب أمواجه (٢) هو إبراهيم بن علي بن
هرمة المنتسب إلى قريش، نشأ بالمدينة، وأخذ عن الرواة والمتقدمين والمتأديين كثيراً، وقال الشعر
وأجاده وتوفي سنة ١٥٠ هـ (٣) الحفافان: الجانبان (٤) كرها: أرجعها، والنائل:
الغطاء.

فقال له المنصور : أما لقد رأيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تنشده قولك فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةً الجناح

قال : فقطع بابن هرمة حتى ما قدر على الاعتذار ؛ فقال له المنصور : أنت رجل شاعر طالب خير ، وكل ذلك يقول الشاعر ، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلاثمائة دينار .

فقام إليه الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ابن هرمة رجلٌ منفّاق متلّاف لا يبقى شيئاً ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها يُجرى عليه منها ما يكفيه ، ويكفي عياله ، ويكتب بذلك له فعل .

فقال : افعلوا ذلك به !

١١٥ - المؤمل يمدح المهدي *

وفد المؤمل^(١) بن أميل على المهدي^(٢) بالرّبي فامتدحه ، فأمر له بعشرين ألف درهم ، فاتّصل الخبر بالمنصور ، فكتب إليه يعذله ويقول : إنما كان سبيلك أن تأمرَ للشاعر بعد أن يقوم ببابك سنةً بأربعة آلاف درهم ! وكتب إلى كاتب المهدي بإنفاذ الشاعر إليه . فسأل عنه ، فقيل له : قد شخّص إلى مدينة السلام . فكتب إلى المنصور بحبّره ، فأنفذ المنصور قائداً من قواده إلى النهروان يتصفح وجوه الناس رجلاً رجلاً من يمر به حتى يظفر بالمؤمل .

وسار القائد حتى انتهى إلى القافلة التي فيها المؤمل ، فسأله من أنت ؟ قال : أنا المؤمل بن أميل الحاربي الشاعر أحد زوّار الأمير المهدي ، فقال : إياك طلبت !

قال المؤمل : فكاد قلبي ينصدع خوفاً من أبي جعفر ، وقبض عليّ ثم أتى بي وأسأمتني إلى الربيع ، فأدخلني إلى أبي جعفر ، فسأمتُ تسليماً مروّعاً ، فردّ السلام ،

* نهاية الأرب ص ٣٠٧ ج ٣ ، مهذب الأغاني ص ١٣٥ ج ٤ ، أمالي الزجاجي ص ٦٢ ، ذيل زهر الآداب ص ٨٤ ، الفرر ص ١٨٥ ، عصر المأمون ص ١٠٢ ، المحاسن والمساوي ص ٢٧٠ ، معجم الأديباء ص ٢٠٣ ج ١٩

(١) شاعر كوفي من مخضري الدولتين : الأموية والعباسية ، وانقطع إلى المهدي في حياة أبيه وبعده ، وكان في شعره لين ، وله طبع صالح (٢) المهدي : ابن أبي جعفر المنصور ، كان فطناً كريماً شديداً على أهل الإلحاد ، كثير الجلوس بنفسه للمظالم ، توفي سنة ١٦٩ هـ .

وقال : أتيت غلاماً غراً كريماً فخدعته ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أتيت غلاماً
غراً كريماً فخدعته فانخدع لى ، فكان ذلك أعجبه ، فقال له : أنشدنى ما قلت
فيه ، فأنشده :

هو المهدي إلا أن فيه مَشَابَهَ (١) صُورَةِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
تشابهَ ذا وذا فهما إذا ما أَنَارَا يُشْكِلَانِ عَلَى الْبَصِيرِ
فهذا فى الضياء سراجٌ عدلٌ وهذا فى الظلام سراجٌ نورٌ
ولكن فضل الرحمن هذا على ذا بالمنابرِ والسريرِ
وبالمُلْكِ العزيرِ فذا أميرٌ وماذا بالأميرِ ولا الوزيرِ
ونقصُ الشهرِ يُحمدُ ذا، وهذا مُنِيرٌ عِنْدَ نَقْصَانِ الشَّهْرِ
فيا بنَ خليفة الله المصطفى به تَعَلَّمُوا مُفَاخَرَةَ الْفَخُورِ
لئن قُتَّ الملوكَ وقد تَوَافَوْا إِلَيْكَ مِنَ السَّهْوَةِ وَالْوَعُورِ
لقد سبق الملوكَ أبوك حتى تَرَاهُمْ بَيْنَ كَابٍ أَوْ حَسِيرِ
وجئت وراءه تجرى حثيثاً وما بك حين تجرى من فتورِ
فقال الناس : ما هذان إلا بمنزلة الخَلِيقِ مِنَ الْجَدِيرِ
فإن سبق الكبيرُ فأهلُ سبقِ له فَضْلُ الْكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ
وإن بلغ الصغيرُ مدى كبيرِ فَقَدْ خَلِقَ الصَّغِيرُ مِنَ الْكَبِيرِ

فقال : أحسنت ! ولكن هذا لا يساوى عشرين ألف درهم ، ثم قال له :

(١) مشابهة : جمع شبه على غير قياس .

أين المال؟ قال: ها هو ذا! قال: يا ربيع، أعطه منه أربعة آلاف درهم، وخذ
الباقى .

قال المؤمل: فأخذ منى ستة عشر ألفا، فأليت على نفسى ألا أدخل العراق
والمنصور بها ولاية .

فلما صارت الخليفة إلى المهدي رفعتُ إليه رقعة ذكرت فيها قصتي؛ فلما
قرأها ضحك حتى استلقى، وقال: هذه مظلمة أنا بها عارف؛ ردوا عليه ماله،
هوزيدوا له عشرين ألفا فأخذتها وانصرفت!

١١٦ — مدائح وعطايا*

أهديت جارية يمانية إلى أبي جعفر المنصور ، فأشدته شعرا مروان بن أبي حفصة^(١) يمدح به السريّ بن عبد الله يذكر فيه وراثة العباس ؛ فسألها : لمن هذا الشعر ؟ فأخبرته ، فأمر بإحضار مروان ، فوافاه بالرّبّدة حاجّاً ، فلقى الربيع بن يونس والمنصورُ عليل ، العلة التي مات فيها . فقال : كُنْ قريباً حتى ندعوَ بك ، فلم تزل العلة تشتد به حتى مات قبل أن يصل إليه مروان ، فقال له الربيع : الحقُّ بالمهدى^(٢) ولا تتخلّف عنه ؛ وانصرفَ مروانُ إلى اليمامة ، فجعلها طريقاً ، وعليها بشرُّ بن المنذر والياً ، فأوفده بشر فيمن أوفده ، وأعطى كلّ رجل ألفَ درهم ، فقدم مروان على المهدي ؛ وقد مدحه بأربع قصائد . فأعطاه المهدي ثلاثين ألفَ درهم ، فانصرف إلى اليمامة .

ثم عاد بعد ذلك ، فطلب الوصول بيعقوب^(٣) بن داود ، فأقام نحواً من سنة ، وغضب المهدي على يعقوب بن داود !

قال مروان : بينا أنا واقف على باب المهدي إذ خرج خالد بن يزيد بن منصور فقال : يا بن أبي حفصة ؛ ذكرك أمير المؤمنين أنفأ ، وهو يراك أشعر الناس ، غير أنه يقول : لا حاجة لنا فيما قبلك ؛ فانصرف عن بابنا !

* المحاسن والمساوي ص ٢٤٠ طبع ليزج ، الفرج بعد الشدة ص ٧٣ ج ١

(١) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، نشأ في أواخر الدولة الأموية ؛ ولم يشتهر إلا في دولة بني العباس ، مدح المهدي ومعن بن زائدة والرشيدي ، وبعد من فحول الشعراء ، مات سنة ١٨١ هـ (٢) انظر صفحة ٢٨١ (٣) كان يعقوب وزير المهدي ، وكان على المنزلة عنده ، موضع ثقة منه ثم تغير عليه وحبسه ، وما زال في حبسه حتى تولى الرشيدي وأخرجه منه .

فانصرفت مغموماً؛ ثم تذكرت رجلاً أتحدث عنده ، وأنس لديه ؛ فأتيت يزيد بن يزيد ، فشكوت إليه ما قال لي خالد بن يزيد . فقال : أدلك على رجل صدوق له رقة لعله ينفك . قلت : ومن هو ؟ قال : الحسن الحاجب . فغدوت إلى الحسن ، فشكوت إليه ما حكاه خالد من رأى أمير المؤمنين ؛ فقال : بل ذلك من يعقوب بن داود ! فقلت : بأبي أنت وأمي ! أنت ترجو أن يكون ذلك مفتاحاً لما أنا فيه ! قال : ذاك كما أقول لك ، فانصرفت ، وقلت :

أتاني من المهدي قولاً كأنما به احتز أنفي مُدْمِنُ الصَّغْنِ جَادِعُ
وقلت ، وقد خفتُ التي لاشوي^(١) لها بِلاَ حَدَثٍ ، إِنِّي إِلَى اللَّهِ راجِعُ
ومالي إلى المهدي لو كنت مُدْنِباً سَوَى حِلْمِهِ الصَّافِي مِنَ النَّاسِ شافعُ
ولا هو عند الشَّخْطِ منه ولا الرِّضَا - بِقَيْرِ الذِّي يَرْضَى بِهِ اللَّهُ صانعُ
عليه من التقوى رداً يَكُنُّهُ وللحق نورٌ بينَ عَيْنَيْهِ ساطِعُ
يُنْفِضُ لَهُ طَرْفَ الْعَيْونِ وطَرْفُهُ على غَيْرِهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ خاشِعُ
هل البابُ مُفْضٍ بِي إِلَيْكَ ابْنَ هاشمٍ فَعُدْرِي إِنْ أَفْضَى بِي الْبَابُ ناصِعُ
أَتَيْتُ امْرَأً أَطْلَقَتْهُ مِنْ وَثاقِهِ وَقَدْ أُشْبِتْ فِي أَخْذَعِيهِ الْجوامِعُ^(٢)
وَجَلَّى ضَبَابَ الْعُدْمِ عَنْهُ ورأشُهُ وَأَنْهَضَهُ مَعْرُوفُكَ الْمُتتابعُ
فقلت : وزيرٌ ناصحٌ قد تتابعتُ عَلَيْهِ بِأَنْعَامِ الْإِمَامِ الصَّنَاعُ
وما كان لي إلا إِلَيْكَ ذريعةٌ وما مَلَكَ إِلَّا إِلَيْهِ الذَّرَائِعُ
وإنْ كَانَ مَطْوِيًّا عَلَى الْعَدْرِ كَشْحُهُ فَلَمْ أَدْرِ مِنْهُ ما تُجِنُّ الْأَضالِعُ

(٢) لاشوي لها : لابرء لها ، أو لاخطأ لها (٢) الجوامع : الجامعة : الغل .

وقلت في قصيدة أخرى :

سَيْحَشْرُ يَعْقُوبُ بن دَاوُدَ خَائِبًا يُلُوحُ كِتَابٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ
بَدَا مِنْكَ لِمَهْدِيٍّ كَالصَّبْحِ سَاطِعًا مِنْ الْعَشِّ مَا كَانَتْ تُجْنُ الضَّمِيرُ
وَهَلْ لِبَيَاضِ الصُّبْحِ إِنْ لَاحَ ضَوْؤُهُ فَجَابَ الدُّجَا مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَارِتُ
أَمْرِلَةٌ فَوْقَ التِّي كُنْتَ نَلْتَهَا تَعَايَيْتَ ، لَا أَفْلَحْتَ مِمَّا تُحَاذِرُ

ثم أتيت الحسن بعد يومين ، فقال : ما صنعت ؟ فأشدهما إياه ، فقال :
اكتبهما لي ، فقلت : قد فعلت . فقال : هاتهما ، فتناولهما ، وقال : لست واضعهما
من يدي حتى أضعهما في يد المهدي ، ثم مضى .

وأتيته من الغد ، فقال : ما وضعتهما من يدي حتى وضعتهما في يد المهدي !
فقرأهما فرقاً لك ، وأمر بإدخالك عليه ؛ فاحضر يوم الاثنين .

فحضرت ، فخرج عليٌّ ، فقال : قد علم أمير المؤمنين بمكانك ، وقد أحب
أن يجعل لك يوماً يشرّفك فيه ويبلغ بك ! قلت : فمتى ؟ بأبي أنت وأمي ! قال :
يوم الخميس .

فعدت إليه يوم الخميس ، فإذا وجوه بني العباس يدخلون على المهدي ، فلما
تتأمّ المجلس دعاني فدخلتُ فسامتُ فردّ السلام ، وقال : إنما حبسك عن الدخول
انقطاعك إلى يعقوب بن داود ! فافتتحت النشيد بما قلتُ في يعقوب ، فأشده ،
ثم أشده :

طَرَقَتْكَ^(١) زَائِرَةٌ فَحَيَّ خِيَالَهَا بِيضَاءِ تَخْلِطُ بِالْجَمَالِ دَلَالَهَا

(١) طرق القوم : أتاهم ليلاً .

قَادَتْ فَوَادَكَ فَاسْتَقَادَ^(١) وَمِثْلَهَا قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَّا لَهَا

قال : فَأَنْصَتَ النَّاسَ حَتَّى بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِي :

هَل تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجُومَهَا بِأَكْفَمٍ أَوْ تَسْتُرُونَ هِلَالَهَا

أَوْ تَجْحَدُونَ مَقَالََةَ عَنْ رَبِّكُمْ جَبْرِيْلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا

شَهِدْتُ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرَ آيَةٍ بِتَرَاهِمِ^(٢) فَأَرَدْتُمْ إِبْطَالَهَا^(٣)

فَأَعْجَبَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ! فَقُلْتُ : أَشْهَدُوا ، هَذَا وَاللَّهِ الشَّرْفُ ،

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَجْزِيَنِي خَيْرًا ، ثُمَّ أَنْشَدْتَهُ :

أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ عَائِدُ

حَتَّى صَرْتُ إِلَى قَوْلِي :

أَيَادِي بَنِي الْعَبَّاسِ بَيْضٌ سَوَابِغٍ عَلَى كُلِّ قَوْمٍ بَادِيَاتٌ عَوَائِدُ

فَهُمْ يَعْدِلُونَ السَّمَكِ مِنْ قُبَّةِ الْهُدَى كَمَا يَعْدِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْقَوَاعِدُ

سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا يَنْوُءُ بِصَوَلَاتِ الْأَكْفِ السَّوَاعِدُ

يَزِينُ بَنِي سَاقِي الْحَجِيجِ خَلِيفَةٌ عَلَى وَجْهِهِ نَوْزٌ مِنَ الْحَقِّ شَاهِدُ

يَكُونُ غَرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِذَارِهِ عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقُ رَاقِدُ

كَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا لِرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدُ

عَلَى أَنَّهُ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ مِنْهُمْ سَقَمَتْهُ يَدُ الْمَوْتِ الْحَتُوفُ الرَّوَاصِدُ

(١) استقاد : اتقاد ، والصبأ : الشوق — (٢) التراث : ما يتركه الميت لورثته ، ويعني بأخر

آية من سورة الأنفال قوله تعالى : « وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ » (٣) انظر

أكثر أبيات هذه القصيدة في صفحة ٢٩٢ ج ٢ من عصر المأمون .

فأشار إليّ ، فأمسكتُ ، فقال : يا بني العباس ، هذا شاعرُكم المنقطعُ إليكم ،
المعادى فيكم ، فأعطوه ما يسرُّه ؛ فقلت : ينبغى إذ سمعوا كلام أمير المؤمنين ،
وعرفوا رأيه أن يصلوني من أموالهم ! فقال : أنا فارضُ عليهم لك مالاً ! ففرض
على موسى ابنه خمسة آلاف درهم ، وعلى هارون خمسة آلاف ، ثم فرض على
القوم على قدر حالاتهم ، حتى فرض عليهم سبعة وثلاثين ألف درهم ، والربيعُ
يكتبُ كلَّ ما فرض على كل رجل منهم .

فقال واحد من حضر : يا أمير المؤمنين ؛ إنما نحن من أهلك ، فأدخِلنا
فيما أدخلتهم فيه ؛ فجعل عليه ألفا ، وعلى الربيع ألفين ؛ فتمت أربعين ألفا .
فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ مَنْ لى بهذا المال ؟ قال : هذا ! وأشار إلى الربيع .

ثم قال : إن أمير المؤمنين يعطيك من صلب ماله . فأمر لى بثلاثين ألف درهم
فى ثلاثِ بدرِ فجىء بهنّ ؛ فطُرِحَ حنّ قريباً ، فدعوتُ وشكرت ، فقال : يا ابن أبى
حفصة ؛ ستجئتكِ صلّاتى وبرّى ، ويأتيكِ منى ما يؤدّيكِ إلى الغنى .

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ قد رأيتُ من قبُولك وبشركِ وسرورك بما سمعتُ
منى ما سَأزداُ به شعراً ، وستسمعُ ويبلغك ، وقلت : يا أمير المؤمنين ؛ لا يبلغ
ما أعطيتنى لشاعرٍ بعدى ! قال : أجل ! قلت : وآذيتنى فى زيارتك ! قال : نعم !
قلت : يا أمير المؤمنين ، لى عدوُّ فيك ، وفى أهل بيتك ؛ فإن رأى أمير المؤمنين
ألا يجعلَ لأحدٍ على سلطانٍ دونه ! قال : لا سلطانَ عليك دون أمير المؤمنين ؛
فقلت : اكتبْ إلىّ بذلك كتاباً ، فأمر بالكتاب بذلك ! فانصرفت .

فلما صرْتُ خَافَ السُّرِّ خَرجُ إلىّ خادمٌ بمنديل فيه أربعة أثوابٍ وشئٍ وثوبٍ

خزّ وجبة وقيص . فقال : ألبسوه وأعيدوه إليّ ؛ فلبستُ الخزّ والوشىّ على الثياب التي كانت علىّ ، وألقيتُ القميصَ على أحدٍ منكبيّ ، والجبّة على المنكب الآخر . فقال لي : يابن أبي حفصة ؛ أتدخلُ على أمير المؤمنين هكذا ، وقد مثّلتَ بنفسك ؟ فقلت : والله لو كانت كرامة أمير المؤمنين أحداً ما خلعت منها شيئاً أطيقُ حمّله .

ثم دخلت فلما رآني تبسّم ، ثم قال : مُطَرَف ! فأبطئوا به فقال : المطرف ، وأنا قائم ، ثم قال الثالثة : المطرف . فلما أبطئوا انصرفت ، وقعدت خلف السّتر ، فلم ألبث أن رُفِع السّترُ ، وخرج أمير المؤمنين على دابةٍ فقامتُ إليه ، فلما رآني قال : المطرف ، فما برح حتى أُتيَ به فنُشِرَ عليّ بين يديه ، وأمر لي بعشرة من خدم الروم ، وجائزة سنوية ، وبردون بسرجه ولجامه .

١١٧ — فصاحة نصيب العباسي *

وجه المهدي نصيباً^(١) الشاعر موله إلى اليمن في شراء إبل مهريّة^(٢) ، ووجهه معه رجلا من الشيعة ، وكتب معه إلى عامل اليمن بعشرين ألف دينار ، فمدّ يده في الدنانير ينفقها في الأكل والشرب ، وشراء الجوارى والتزويج ، فكتب الشيعي بخبره إلى المهدي ، فكتب في حمله موثقاً في الحديد ، فلما دخل على المهدي أنشده شعراً ، قال :

تأوَّبني ثِقْلٌ من الهم موجع	فأرق عيني والخليون هُجِعُ
هموم توات لو أطاف يسيرها	بسألي لظلت صُمَّهُ تصدَعُ
وعادت بلادُ الله ظلماءَ حِنْدَساً	فخِلْتُ دُجَا ظلماتها لا تقشَعُ
إليك أمير المؤمنين ولم أجد	سواك مجيراً منك يُدني ويَمْنَعُ
تاهت هل من شافع لي فلم أجد	سوى رحمة أعطاكها الله تَشْفَعُ
لئن جلت الأجرام ^(٣) منى وأفظعت	لعفوك عن جرمي أجل وأوسعُ
لئن لم تسعني يابن عم محمدٍ	فما عجزت عنّي وسائل أربعُ
طُبِعَتَ عليها صِبْغَةٌ ثم لم تزل	على صالح الأخلاق والدين تُطْبَعُ

* الأغاني ص ٢٦ ج ٢٠

- (١) هو عبد نشأ باليامة ، واشترى المهدي في حياة المنصور ، فلما سمع شعره قال : والله ما هو بدون نصيب مولى بني مروان ، فأعتقه وزوجه ، وأقطعه ضيعة بالسوداء ، توفي سنة ١٧٥ هـ .
(٢) مهرة بن حيدان : حى ، والإبل المهرية منه (٣) الأجرام : جمع جرم وهو الذنب .

تغايبك عن ذى الذنب ترجو صلاحه
وعفوك عن لو تكون جزيته
وأنك لا تنفك تنعش عائراً
وحملك عن ذى الجهل من بعدما جرى
وإني لمولك الذى إن جفوته
وإني لمولك الضعيف فأعفني
ثم تشفع له الهادى وأعتقه ، وأمضى المهدي ذلك له ، وأمر بحديده ففك عنه ،
وخلع عليه عدّة من الخلع ، ووصله بألفي دينار ، وأمر له بجارية يقال لها جعفره ،
جميلة فائقة ، فقال له سالم قِيم الرقيق : لا أدفعها إليك أو تعطيني ألف درهم ، فعاد
إلى المهدي وأنشده :

ما زلت تبذل لي الأموال مجتهداً
زوّجتني يابن خير الناس جارية
زوّجتني بضة بيضاء ناعمة
حتى توهمت أن الله عجلها
فسألني (٤) سالم ألقا فقلت له :
هيات ألقك إلا أن أجيء بها
حتى لأصبحت ذا أهل وذا مال
ما كان أمثالها يهدي لأمثالي
كأنها درة في كف لآل (٣)
يابن الخلائف لي من خير أعمال
أني لي الألف يا قبحت من سأل!
من فضل مولى لطيف المن مفضل
فأمر له المهدي بألف دينار ولسالم بألف درهم .

(١) الخلع : الظلم (٢) العنق : نوع من السير (٣) اللآل : بائع اللؤلؤ (٤) سألني :
سألني .

١١٨ — أئته الخلافة منقادة ! *

جلس المهدي للشعراء يوماً فأذن لهم ، وفيهم بشار^(١) وأشجع ، وكان أشجع يأخذ عن بشار ويُعظّمه ، وكان في القوم غير هذين أبو العتاهية^(٢) ، قال أشجع : فلما سمع بشارُ كلامَ أبي العتاهية قال : يا أخا سليم ! أهذا ذلك الكوفي الملقب ؟ قلت : نعم ! قال : لا جزي الله خيراً من جمعنا معه . ثم قال له المهدي : أنشد ، فقال : ويحك ! أويستنشد أيضاً قبلنا ؟ ! فقلت : قد ترى ، فأنشد :

ألا ما لسيدتي مالها أدلاً فأحمل إِدلالها
وإلا فقيم تجنت وما جنيت ! سقى الله أطلالها
ألا إن جاريةً للإمّام قد أسكن الحسنُ سرّ بالها
مشت بين حورٍ قصار الخطأ تجاذب في المشي أ كفا لها
وقد أتعب الله نفسى بها وأتعب باللوم عذالها

قال أشجع : فقال لي بشار : ويحك يا أخا سليم ! ما أدرى من أي أمره أعجب : أمن ضعف شعره ، أم من تشبيهه بجارية الخليفة ، وهو يسمع ذلك بأذنه . حتى أتى على قوله :

* الأغاني ص ٣٣ ج ٤

(١) هو فارسي الأصل ، أخذ أبوه في سبي لهباب بن أبي صفرة ، ثم ولد بشاراً ، وأعتق ، ولد أعمى قبيح المنظر ، ونبغ في الشعر فكان رئيس شعراء العصر العباسي غير مدافع ، وتوفي سنة ١٦٧ هـ (٢) أبو العتاهية : اسمه إسماعيل بن القاسم ، نشأ بالكوفة ، وعالج الشعر صبيّاً خليعاً ، ثم أُلّم بمذاهب المتكلمين والفلاسفة ، وظهر ذلك في شعره مات سنة ٢١١ هـ .

أنتهُ الخِلافةُ منقاداً إليه تجرُّ أذيالها
فلم تكُ تصلحُ إلا لهُ ولم يكُ يصلحُ إلا لها
ولو رامها أحدٌ غيرهُ لزلزَلتِ الأرضُ زلزالها
ولو لم تُطعمه بنات^(١) القلوبِ لَمَّا قَبِلَ اللهُ أعمالها
وإنَّ الخليفةَ من بُغضٍ « لا » إليه لِيُبغِضُ من قالها

قال أشجع : فقال لي بشار ، وقد اهتزَّ طرباً : ويحك يا أخا سُليم ! أترى

الخليفةَ لم يطر عن فراشه طرباً لما يأتي به هذا الكوفي !

(١) يريد النيات .

١١٩ — صريع الغواني *

خرج مُسْلِمٌ^(١) بن الوليد ذات يوم ، فلقى يزيد بن منصور الحميري بباب الرشيد^(٢) ، فسلمَ فردَّ عليه السلام ، ورحَّبَ به ، وسأله عن شأنه فخبَّره ، وسأله أن يقرَّ به من الخليفة ، وأن يحتال حتى يُعَدَّ في مُمَازَحيه ، ومن يجرى عليه أُرْزاقه ! فقال له الحميري : سأأتى لوصولك إلى أمير المؤمنين !

فدخل الحميري فأصاب أمير المؤمنين لَقَسَ^(٣) النفس ، قد اشتمل عليه الفكرُ في سرعة تقضى أمور الدنيا ، وأنه لا يتشبَّثُ منها بشيء إلا كان كالظللِّ الزائل ، والسراب الخادع ! فقال له جعفر بن يحيى : يا أمير المؤمنين أفتظنُّ أن هذا الفكر يحبس عليك الأيام ، ويمنعك مما لا تستمتع به ؛ إنا هذا الذي أنت فيه عارضٌ عرض لك ، وقد كان مَلِكٌ من الملوك حَكِيماً ، يقول : اللهم مَفسِدةً للنفس ، ومَضَلَّةً للفهم ، ومَشْدَهةً للقلب ، ومن أعظم الخطأ التشاغلُ بما لا يمكن دفعه !

وقال له سليمان بن أبي جعفر : يا أمير المؤمنين ، قد قال لقمان الحكيم : من يملك يستأثر ، ومن لا يَسْتَشِرُّ يندم ، والهمُّ نصفُ الهرَمِ ، والفقْرُ الموتُ الأكبر .

* المحاسن والمساوى ص ٢٥٣ طبع لبيزج .

(١) مسلم بن الوليد من أبناء الأنصار ، كان مداحاً محسناً لطيف المعنى رقيق القول مدح يزيد ابن مزيد والبرامكة والرشيد ، وولاه المأمون بريد جرجان ولم يزل بها إلى أن مات سنة ٢٠٨ هـ (٢) انظر صفحة ١٦٢ (٣) لقس النفس : لقست نفسه من الشيء : غشت وخبثت .

فكان الرشيد نَشِط ، واندفع عنه ما اعتراه من ذلك الفكر ، فتقدّم إليه الحميري ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ خلفتُ بالباب أنفًا رجلًا من أخوالك الأنصار ، متقدّمًا في شعره وأدبه وظرفه ؛ أنشدني قصيدة يذكر فيها أنسه ولهوه ولعبه ومحادثته لإخوانه ، ويذكر مجالس اتّصلت له بأبلغ قولٍ وأحسن وصفٍ وأقرب رصفٍ ، يبعثُ والله على الصّباة والفرح ، ويُباعد عن الهمِّ والترّح ، وكأنه قد وفّق - بيمن أمير المؤمنين ، وسعادة جدّه - لأن يكون مُبرِّئًا من هذه الشكوى ، زائدًا في سرور أمير المؤمنين ، مستدعيًا له صلّة رحمة ، والتشرّف بخدمته .

فاستفزه السرور والقلق إلى دخوله ، واستماع قصيدته ، وجعل يتابع الرسل بعضهم في إثر بعض ، حتى دخل ؛ وكان حلول الشائتل ، فوصل إليه في وقتٍ قد كان خرج فيه من رسم الشباب وشرّته ، ولم يكن في عداد من قد اضطرب سنًا ، وكان - ناهيك من رجل - معه فهمٌ وتجربة وتمييز ومعرفة ، فأمهّل حتى سكن ، ثم أذن له في الجلوس ، فانبرى مسلم ينشد قصيدته التي يقول فيها :

أديراً على الكأس لا تشرباً قبلي ولا تطلباً من عند قاتلي ذحلي (١)
فما جزعي أئى أموتُ صباةً ولكن على من لا يحيلُ لها قتلي
أحبُّ التي صدتْ وقالت ليربها : دعيه ، الثريّ آمنه أقرب من وصلي !
بلى ربّما وكّلتُ عيني بنظرةٍ إليها تريدُ القلبَ حَبلاً على خبلي
كتمتُ تباريحَ الصباةِ عادلي فلم يدربا بي ، واسترحتُ من العذلي
إلى أن قال :

(١) الذحل : الثأر .

إذا ما علتَ منا ذؤابةٌ واحدٍ تمشّتْ به مَشْيَ المقيّدِ في الوَحْلِ
فلا نحنُ مِتْنًا مَوْتَةَ الدهرِ بَعْتَةً ولا هيَ عادتُ بعدَ عِلِّ (١) ولا نَهْلِ
سأُنقادُ لِلذَّاتِ مَتَّبِعَ الهوى لِأَمْضَى هَمًّا أو أُصِيبَ قَيِّ مِثْلِي
هل العيشُ إلا أن ترُوحَ مع الصِّبَا وتعدُّ وصريرَ الكأسِ والأعينِ النَّجْلِ !
فجعل الرشيدُ يتناولُ لها ، ويستحسن ما حكاها من وصف شرابٍ وهو
وَعَزَلٍ وسهولةِ الفاظٍ ؛ فأمر له بمال ، وأمر أن يُتخذَ له مجلسٌ يتحوّلُ إليه ، وجعل
الرشيدُ وأصحابه يتناشدون قصيدته ، فسماه يومئذٍ - بأخر بيت من شعره - صريع
العوانى !

(١) العِلُّ : الشرب بعد الشرب تباعا ، أو الشربة الثانية ، والنهْلُ محرّكة : أول الشرب .

١٢٠ — الرشيد وابن مناذر *

قال ابن مناذر: ^(١) حجج الرشيد بمد إيقاعه بالبرامكة ، وحجج معه الفضل بن الربيع ، فبيات فيه قولاً أجدتُ تنميقةً ، وتَنَوَّقْتُ ^(٢) فيه ، فدخلتُ إليه في يوم التَّروِيَةِ ^(٣) ، وإذا هو يسأل عني ويطلبني ، فبدَرَنِي الفضلُ بن الربيع قبل أن أتكلم فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا شاعر البرامكة ومادحهم — وكان البشرُ ظهر لي في وجهه لما دخلتُ — فتنكَّرَ وعبَسَ في وجهي ، فقال الفضل : مره يا أمير المؤمنين أن يُنشدك قوله فيهم :

« أتانا بنو الأملاك من آل برمك »

فقال : أنشدني ، فأبيت ، فتوعدني وأكرهني فأنشدته :

أتانا بنو الأملاك ^(٤) من آل برمك	فياطيب أخبارٍ وياحسنَ منظرٍ
إذا وردوا بطحاء مكة أشرقت	بيحي وبالفضل بن يحيى وجمفر
فتظلم بغداد ويجلو لنا الدجا	بمكة — ما حجوا — ثلاثة أقمُرٍ
فصلحت إلا لجود أكفهم	وأرجلهم إلا لأعوادٍ منبرٍ
إذا راض يحيى الأمر ذلت ^(٥) صعا به	وحسبك من راعٍ له ومدبرٍ

* الأغاني ص ٢٥ ج ١٧

(١) هو محمد بن مناذر شاعر فصيح مقدم في العلم باللغة ، كان في أول أمره ناسكاً متألماً ، ثم عدل عن ذلك فهجما الناس وتهتك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة ، ومدح المهدي ومات في أيام المأمون (٢) تنوقت فيه : بالغت في تجويده (٣) يوم التروية : يوم قبل يوم عرفة وهو الثامن من ذي الحجة (٤) الأملاك : جمع ملك (٥) سهلت .

ترى الناس إجلالا له وكانهم غرائيق^(١) ماء تحت بازٍ مصرصر^(٢)
ثم أتبعْتُ ذلك بأن قلت : كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مدحتهم ، وفي
طاعتك ، لم يلحقهم سَخَطُكَ ، ولم تحلُّ بهم نِقْمَتُكَ ، ولم أكن في ذلك مبتدِعاً ،
ولا خلاَ أحدٌ من نظرائي من مدحهم ، وكانوا قوماً قد أظلني فضلهم ، وأغثناني
رفدُهم ، فأثنت بما أولوا .

فقال : يا غلام الطمِّ وجَّههُ ، فطُمت والله حتى سَدِرْتُ^(٣) ، وأظلم ما كان بيني
وبين أهل المجلس ، ثم قال : اسحبوه على وجهه ، والله لأحرمنك ! ولا تركتُ
أحدًا يعطيك شيئاً في هذا العام ، فسُحبتُ حتى أُخرجت .

وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالاً في نفسي وحالي ، وما جرى عليّ ، لا والله
ما عندي ما يكفي عيالي لعيدهم ، فإذا بشاب قد وقف عليّ ، ثم قال : أعزِّ عليّ والله
يا كبيرنا بما جرى عليك ، ودفِعْ إليّ صرَّةً ، وقال : تَبَلَّغْ بما في هذه ! فظننتها
دراهم ، فإذا هي ثلثمائة دينار ؛ فقلت : من أنت ؟ جعلني الله فداك ! قال : أنا خوك
أبو نواس ، فاستعنْ بهذه الدنانير واعذرني ، فقبلتها وقلت : وصلاك الله يا أخي ،
وأحسن جزاءك !

(١) الغرائيق : جمع غرنوق وهو طائر أبيض من طيور الماء (٢) المصرصر : من يرجع الصوت

(٣) سدر بصره : أظلم ولم يبصر .

١٢١ — ربيعة الرقي يمدح فلا يُثاب *

امتدح ربيعةُ الرقيّ (١) العباس بن محمد بن علي بقصيدة لم يُسبق إليها ، وهي
طويلة يقول فيها :

لو قيل للعباسِ يا بنَ محمدٍ قل : « لا » وأنتُ مُخَلِّدٌ ما قالها
ما إن أُعْذَمَ المكارمُ خَصَلَةٌ إلا وجدتُك عَمَّها أو خالها
وإذا الملوكُ تسابرتُ في بَلَدَةٍ كانوا كواكبها وكنتُ هلالها
إن المكارمَ لم تَزَلْ معقولةً (٢) حتى حَلَلتُ براحتيكَ عقالها

فبعث إليه العباس بدينارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين ،
كاد أن يُجنَّ غضباً ، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن ترد إلي الرقعة
من حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربيعة وأمر من كتب
في ظهرها :

مدحتك مدحة السيف المحلّي لتجري في الكرام كاجريت
فهبها مدحة ذهبت ضياعاً كذبت عليك فيها وأفتريت

* الأغاني ص ٣٨ ج ١٥ ، نهاية الأرب ص ٢١٥ ج ٣ ، معجم الأدباء ص ١٣٤ ج ١١
(١) اسمه ربيعة بن ثابت ، وكان ينزل الرقة ، وبها مولده ومشوّه . وكان من الشعراء المسكتين
المجيدين ، ولكن نخل ذكره عن طبقته لبعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء ،
ومع ذلك فما عدم مفضلاً مقدماً له . ومات سنة ١٩٨ هـ (٢) عقل البعير : شد وظيفه إلى ذراعه ،
وهو استعارة من هذا .

ثم دفعها إلى الرسول ، وقال : ضَعَهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَخَذْتَهَا مِنْهُ ، ففعل .
فلما كان من الغد أخذها العباسُ فنظر فيها ، فلما قرأ الآيات غَضِبَ ، وقام
من فورهِ ، فركب إلى الرشيد - وكان أثيراً^(١) عنده يبجلُّه ويقدمه ، وكان قد همَّ
أن يخطبَ إليه ابنته - فرأى الرشيد الكراهةَ في وجهه ، فقال : ماشأنك ؟ قال :
هجانى ربيعةُ الرِّقَى .

فأحضره الرشيد ، وقال له : أمهجو عَمِي وآثرَ خَلْقِ اللَّهِ عِنْدِي ؟ لقد هممتُ أن
أضربَ عنقك ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ والله لقد امتدحتهُ بقصيدةٍ ماقال أحدٌ مثلها
من الشعراء في أحدٍ من الخلفاء ، ولقد بلغتُ في الثناء ، وأكثرتُ من الوصف ؛
فإن رأى أمير المؤمنين أن يامرَ بإحضرارها فعل .

فلما سمع الرشيد ذلك سَكَنَ غَضَبُهُ ، وأحبَّ أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباسَ
بإحضرارها ، فتلكأ عليه ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرتَ
بإحضرارها . فأحضرت ، فإذ فيها القصيدةُ بعينها ؛ فاستحسنها واستجادها ، وأعجب
بها ، وقال : والله ماقال أحدٌ من الشعراء في أحدٍ من الخلفاء مثلها ، واتقد صدق
ربيعةُ فبرَّ .

ثم قال للعباس : كم أثبتتهُ عليها ؟ فسكت العباس ، وتغيَّر لونه ، وغصَّ بريقه ؛
فقال ربيعةُ : أثابني عليها بدينارين يا أمير المؤمنين ! فتوهمَّ الرشيد أنه قال ذلك من
الموجِدَّة^(٢) عليه ، فقال : بحياتي يارِقى كم أثابك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين
ما أثابني إلا بدينارين .

فغضب الرشيد غضبا شديدا ، ونظر في وجه العباس ، وقال : سوءة لك ! آيةُ

(١) أثيرا : مكرما (٢) الموجدة : الغضب .

حالٍ قعدتُ بك عن إثابته؟ أقلّة مال؟ فوالله لقد مَوَّلْتُكَ^(١) جُهْدِي ، أم انتقطاع
المادة عنك؟ فوالله ما انقطعتُ ، أم أصلك؟ فهو الأصل الذي لا يُدانيه شيء ، أم
نفسك؟ لا ذنْبَ لي . بل نفسك والله فعلتُ بك ذلك حتى فضحتَ أجدادك
بفضحتي وفضحتَ نفسك ؛ فنكس العباس رأسه ، ولم ينطق .

فقال الرشيد : يا غلام ؛ أعطِ ربيعةَ ثلاثين ألف درهم ، واخلعهُ ، واحمله على

بغلة .

ثم قال له : بحياتي لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا تصريحاً ، وفتر
الرشيد عما كان قد همّ به من أن يتزوج إليه ، وأظهر له بعد ذلك جفاءً واطراحاً .

(١) موله : أعطاه مالا كثيراً ، والجهد : الطاقة .

١٢٢ - شاعران بين يدى الرشيد*

قال أحمد بن سعيد الباهلي : كنت عند الرشيد فدخل عليه أشجع^(١) السلمي
وَمَنْصُورُ النَّمْرِيِّ فَأَنْشَدَهُ أَشْجَعُ :

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلام
قصرٌ سُقُوفُ المَزْنِ دونِ سُقُوفِهِ
فيه اجتلى الدنيا الخليفةُ والتقتُ
للملك فيه سلامةٌ وسلامٌ
نَشَرَتْ عليه الأرضُ كُسُوتَها التي
نَسَجَ الرَّبِيعُ وَزَخَرَفَ الإِرْهَامُ^(٣)
أَدْنَتْكَ من ظلِ النبيِّ وصِيَّةٌ
وقَرَابَةٌ وشَجَتْ^(٤) بها الأرحامُ
برقتُ سَمَاوُكُ في العدوِّ وأمطرتُ
هَاماً لها ظلُّ السيفِ غمامُ
وإذا سيوفك صافحتُ هامَ العدا
طارت لَهْنٌ عن الرءوسِ الهامُ
تثنى على أيامك الأيام
والشاهدانِ الحِلُّ والإِحْرَامُ
ولما بلغ قوله :

وعلى عدوك يا بن عمِّ محمدٍ
رَصَدَانِ ضَوْءِ الصُّبْحِ والإِظْلَامِ

* أمالي المرتضى ص ١٧٨ ج ٤ ، الأغاني ص ١٩ ج ١٢ و ص ٣٢ ج ١٧

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي ، نشأ بالبصرة وقال الشعر وأجاد ، وعد من الفحول ، ثم اتصل بالبرامكة ، واختص بجعفر بن يحيى فأعجب به وأوصله إلى الرشيد (٢) منصور النمرى : عربى نشأ فى الجزيرة بين النهرين ، أخذ عن كلثوم العتبانى ، ثم قصد إلى البرامكة ، ومدحهم ، ثم قال الشعر السياسى ووصل به إلى الرشيد (٣) الرهمة : المطر الضعيف الدائم ، والجمع رهم (كعنب) . وأرهمت السماء : أتت بالرهم (٤) وشجت : علفت .

فإذا تنبه رُعْتَهُ وإذا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفَكَ الْأَحْلَامُ
استحسن ذلك الرشيد ؛ وأوماتُ إلى أشجع أن يَقْطَعَ الشَّعْرَ ؛ إذ علمت أنه
لا يأتي بمثلها ، فلم يفعل . ولما أنشده ما بعدهما قتر الرشيد ، وضرب بِمَخْصَرَةٍ (١)
كانت بيده الأرض ، واستنشد منصوراً النمرى ، فمرَّ والله في قصيدةٍ قلماً تقولُ
العربُ مثلها ، مظهرها :

ما تنقضى حَسْرَةٌ مِنِّي وَلَا جَزَعٌ إذا ذكرت شباباً ليس يُرْتَجَعُ
بان الشباب وفاتتى بلذته صروفُ دهرٍ وأيام لها خُدَعُ
ولما بلغ إلى قوله :

ما كنتُ أوفى شبابي كنه غِرَّتِهِ حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع
قال الرشيد : أحسن والله ! لا يتهى أحدٌ بعيش حتى يخطر في رداء الشباب .
ولما بلغ إلى قوله :

أى امرى بات من هرون في سخط فليس بالصلوات الخمس ينتفع
إن المسكارم والمعروف أوديةٌ أحلك الله منها حيث تلتجعُ
إذا رفعت امرأ فالله رافعهُ ومن وَضَعَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَّعُ
نفسى فدأؤك والأبطالُ مُعَلِّمَةٌ يوم الوغى والمنايا بينهم قُرْعُ

رمى الرشيد بالخوان بين يديه ، وصاح وقال : هذا والله أطيبُ من كل طعام
وأعطاه سبعة آلاف دينار .

(١) الخصرة : ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها ، وما يأخذه الملك بشير به إذا خاطب والخطيب
إذا خطب .

قال أحمد بن سعيد : فلما خرجنا قلت لأشجع : غمرتك أن تقطع فلم تفعل ،
ويلاك ! ولم تأت بشيء ! فهلا مت بعد البيتين أو خرست ، فكنت تكون أشعر
الناس !

١٢٣ - يبابك أنزلت حاجتي *

قصداً عربياً مالكا^(١) بن طوق التغلبي صاحب الرحبة^(٢) ، وكان ربّ الهيمّة ،
زرىّ الحال ، فمنع من الدخول عليه مدة ، إلى أن خرج مالك ذات يوم يريد النزهة
حول مدينته ، فاعترض له الأعرابي ، فردّه رجاله ازدراءً به ، فلم يثنى ؛ بل اقترب
منه حتى أخذ بعنان فرسه ، ثم قال : أيها الأمير ؛ أنا عائد بك^(٣) من شرحرسك !
فنههم^(٤) عنه ، وقال له : ما حاجتك ؟ قال : أن تصغى إلى كلامي بسمعك ،
وتنظر إلى بطرفك ، وتقبل على بوجهك ، ثم أنشد :

بيابك دون الناس أنزلت حاجتي وأقبلت أسعى نحوه وأطوف
ويعنى الحجاب والليل مسيل وأنت بعيد والرجال صفوف
يطوفون حولي عابسين كأنهم ذئاب جياع بينهنّ خروف
فكيف وقد أبصرت وجهك مقبلا تردّ أمراً وافاك وهو لهيف
ومالي في الدنيا سواك وما لمن تركت ورائي مربع^(٥) ومصيف

* غرر الحصاص ص ١٦٨

(١) مالك بن طوق أحد ندماء الرشيد ، أقطعه أرضاً بناها ونسبت إليه ، ثم خرج على الرشيد ،
فأنفذ إليه الجيوش حتى ظفروا به ، وحبس ، ثم عفا عنه (٢) مدينة جميلة بين بغداد والرقّة ، بناها
مالك على الفرات ، وساعده الرشيد على بناها بالأموال والرجال (٣) عاذبه : لجأ إليه
(٤) نههم : زجرهم وكفهم (٥) المربع : منزل القوم في الربيع خاصة .

فجئتُك أبعي الخير منك فراغني ببابك من ضرب العبيد صنوفُ
فلا تجملن لي نحو بابك عودةً فقلبي من صنع التساةِ مخوف
فضحك مالك ، ثم قال لحرسه : من يعطيه درهما بدرهمين ؟ فما أتمَّ كلمته حتى
تُثرت الدراهم على الأعرابي من كل جانب ، حتى تحيّر ، واختلط لديه الحابلُ بالنابل ؛
الكثره ما أعطى .

فعند ذلك التفت إليه مالك ، وقال له : هل بقيت لك حاجة يا أبا العرب ؟
قال : أمّا إليك فلا . فقال : وإلى من ؟ قال : إلى الله أن يبقيك للعرب ؛ فإنهم
لن يزالوا بخير ما بقيت لهم !

١٢٤ - النكت في البيع خير من خيانة الشريك *

جلس مالك بن طوق في قصره، في شبَّكٍ مطل على رَحْبَتِهِ ، ومعه جاساؤه ؛
فأقبل أعرابيٌ تَحْبٌ^(١) به ناقته . فقال : إياي أَراد ، ونحوي قصد ، ولعل منه أدبا
يُنْتَفَع به . ثم أمر بإدخاله .

فلما مثل بين يديه قال : ما أقدمك يا أعرابي ؟ قال : سَيْبٌ^(٢) الأمير ، ورجاء
نائله ، قال : هل قدمت أمام رَغْبَتِكَ وسيلة ؟ قال : نعم ! أربعة أبيات قتلها بظهر
البرية ، فلما رأيت ماباب الأمير من الهيبة والجلال ، استحققتها واستصغرتها .
قال : فهل لك أن تنشدنا أبياتك على أن نجيزك عليها ألف درهم ؟ فإن كنت ممن
أحسن رَجِحْنَا ، وإلا فقد نلتَ مُرادك ، وربحت . قال : رضيتُ وأنشده :

ومازلت أخشى الدهرَ حتى تَمَلَّقتُ يداي بمن لا يَتَّقِي الدهرَ صاحِبُهُ
فلما رآني الدهرُ تحت جناحه رأى مرتقى صعبا مَنيعا مطالبُهُ
رآني بحيث النجم في رأسِ باذخ^(٣) تُظِلُّ الوري أكنافه وجوانبُهُ
فتي كسما الغيث والناسُ حولَه إذا قُحطوا^(٤) جادت عليهم سحائبُهُ

فقال : قد والله ظفَرْنَا يا أعرابي ، وزرِقْنَا الفلج^(٥) عليك ، والله ما قيمتها إلا
عشرة آلاف درهم . قال : فإن لي صاحبًا شاركته فيها ، وما أراه يرضى بيّعي . قال :

* ذيل زهر الآداب ص ٢٨٢

(١) الحُب : نوع من السير (٢) السَّيب : العطاء والعرف (٣) باذخ : عال (٤) قحطوا : أصابهم القحط ، وهو الجذب (٤) الفلج : الفوز ، والظفر .

أترك حدثتك نفسك بالنكث^(١)؟ قال: نعم! وجدت النكث في البيع خيراً
من خيانة الشريك، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

١٢٥ - باتت تعيرني الإقتار والعدما*

قال الأصمعي^(٢)، لقيتُ أعرابياً بالبادية فاسترشدته إلى مكان فأرشدني
وأُشدني:

ليس العمى طولَ السؤالِ وإِنَّمَا تمام العمى طولُ السكوتِ على الجهلِ
فكنْ سائلاً عما عَنَّا فَإِنَّمَا خلقتَ أخوا عَقْلَ لتسألَ بالعقلِ
ثم رجعتُ إلى البصرة فكنتُ بها حيناً، ثم قدمتُ البادية، فإذا بالأعرابي
جالس بين ظَهْراني قوم، وهو يقضى بينهم، فما رأيتُ قضيةً أخطأتُ قضيةَ الصالحين
من أقضيته، ثم جلستُ إليه وقلت: يرحمك الله، أما من رشوة! أما من هدية!
أما من صِلَّة! فقال: إذا جاء هذا ذهب التوفيق، فشكوتُ إليه ما ألقى من
عَذلِ حليمةٍ لى إياى فى طلب المعيشة، فقال: لستَ فيها بأوحد، وإني لشريكك،
ولقد قلتُ فى ذلك شعراً، قلت: أنشدنيهِ، فأُشدني:

باتتُ تعيرني الإقتار والعدما لما رأيتُ لأخيها المالَ والحدما
عُنفُ الرأبِكِ ما الأرزاق من جدِّ ولا من العجزِ بل مَقسومة قسما
يأمة الله إني لم أدع طلباً للرزق قد تعلمين الشرق والشأما

* أمالى المرتضى ص ١٤٠ ج ٢

(١) بنقض العهد (٢) راجع صفحة ٥٤

لو كان من جلدِ ذا المَالِ أو أدبِ
ارضى من العيش ما لم تحوجى معه
واستشعري الصبر على الله خالقنا
بالله سرّك أن الله خوّاني
ماسرّني أنّي خوّلتُ ذاك ولا
وأنّني لم أفدِ عقلاً ولا أدباً
فعمسرة المرء أحرى في معاشك من
لكنتُ أكثر من نمل القرى نهما
أن تفتحي لسؤال الأغنياء فما
يوماً سيكشف عنّا الضر والعدما
ما كان خوّله الأعراب والعجما
ألا أقول لباعى حاجة : نعمما
ولا أرث والدى مجدداً ولا كرمما
أمرٍ يجزّ عليكِ الهمّ والألما
قال : فوالله ما أنشدتها زوجي حتى حلفتُ ألا تعذّلي أبداً !

١٢٦ — سكنت عنى والله الحمى *

قال الأصمعي : نزلت ليلةً في وادى بنى العنبر وهو إذ ذاك غان^(١) بأهله ،
فإذا فتية يريدون البصرة ، فأحبت صُحبَتَهُمْ ، وأقمتُ ليلتي تلك ، وإني لَوَصِبتُ^(٢)
محمومٌ ، أخاف ألا أستمسك على راحلتي ، فلما أقاموا ليرحلوا أيقظوني ، فلما رأوا
حالي حملوني ، وركب أحدهم ورأى يُمسكني ، فلما أمعنوا السير تنادوا : ألا فتى
يحدو بنا أو ينشدنا ؟ فإذا منشدٌ في سواد الليل بصوتٍ ندى حزين يُنشد :

لعمرك إني يومَ بانوا فلم أمتُ خُفاتاً^(٣) على آثارهم نصبور
غداة المنقى^(٤) إذ رميتُ بنظرةٍ ونحنُ على متنِ الطريق نسيرُ
فقلتُ لقلبي حين خفَّ به الهوى وكاد من الوجد المبر^(٥) يطيرُ :
فهذا ولما تمض للبين ليلةٌ فكيف إذا مرَّت عليك شهوؤُ؟
وأصبح أعلامُ الأحبة دُونها من الأرض غول^(٦) نازحٌ ومسيرُ
وأصبحت نجدى الهوى متهم الثوى أزيد اشتياقاً أن يحنَّ بعيرُ
عسى الله بعد النأى أن يُسعف النوى ويجمعَ شملُ بعدها وسرورُ

قال : فسكنتُ والله عنى الحمى ما أحسَّ بها ، وقلت لرفيقي : انزل يرحمك الله إلى
راحتك فإني مُتَماسك ، وجزاك الله عن الصحبة خيراً .

* أمالى المرتضى ص ١٤٢ ج ٢

(١) غان : أهل (٢) الوصب : المرض (٣) يقال : مات خفاتاً ، أى فجأة (٤) المنقى : طريق
للعرب إلى الشام كان في الجاهلية يسكنه أهل تهامة (٥) المبر : الشديد (٦) الغول : بعد المشقة .

١٢٧ - عجوز تنشد الأصمعي *

قال الأصمعي : إني لفي سوق ، وقد نزلتُ على رجلٍ من بني كلاب ، كان
متزوجاً بالبصرة ؛ إذ أقبلت عجوز على ناقةٍ لها ، حسنةُ البرّة ، فيها باقٍ جمال ،
فأناختُ وعلتُ ناقةً ، وأقبلتُ تتوكأ على محجنٍ ^(١) لها ، فجلستُ قريباً منّا
وقالت : هل من مُنشد ؟ فقلت للكلابي : أيحضرك شيء ؟ قال : لا ، فأنشدتها
شعرا لبشر بن عبد الرحمن الأنصاري :

وقصيرة الأيام ^(٢) ودّ جليسها لو باع ^(٣) مجلسها بفقدٍ حميم
من مُحذيات أخى الهوى غصص الجوى ^(٤) بدلال غانية ومقلة ريم
صفراء من بقر الجواء كأنما خفر الحياء بها رداعٍ سقيم ^(٥)

قال : فجئتُ على ركبتيها ، وأقبلتُ تحرش ^(٦) الأرض بمحجنها وأنشأتُ تقول :
قفي يا أيمم القلبِ نقرأ تحيةً ونشك الهوى ثم افعلى ما بذاك
فلو قلتُ طأ في النار أعلمُ أنه هوى لك أو مُدن لنا من نوالك
لقدّمتُ رجلي نحوها فوطئتها هدى منك لي أو ضلّة من ضلالك
سلى البانة العلياء بالأجرع الذي به البان هل حييتُ أطلال دارك؟

* أمالي المرتضى ص ١٣٨ ج ٢

(١) المحجن : العصا المعوجة (٢) يريد أن أيام جليسها تقصر ، إذ أن أيام السرور موصوفة
بالقصر (٣) باع : اشترى ، وهو من الأضداد (٤) يقال : أحذيت الرجل ، أي أعطيته (٥) الرداع :
الوجع في الجسد ، وكأنه أراد أنها منقبضة منكسرة من الحياء كما يتغير لون السقيم (٦) تحرش
الأرض : تخدشها .

وهل قتُ في أَطْلَاهِنَ عَشِيَّةً مقام أخى البأساء واخترتُ ذَلِكِ ؟
ليهنك إمساً كي بكفى على الحشى ورفراق عيني خشيةً من زيالك^(١)
قال الأصمعي : فأظلمت علىَّ والله الدنيا بحلاوة منطقتها ، وفصاحة لهجتها ،
قدنوتُ منها وقت : أنشدتُك الله لما زدني من هذا ، فرأيت الضحك في عينيها
وأنشدت :

ومستخفياتٍ ليس يُخفينَ زُرُنَا يُسَحِّبْنَ أَذْيَالَ الصَّبَابَةِ وَالشَّكْلِ^(٢)
جَمَعْنَ الهَوَى حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَ كُنْهُ نَزَعْنَ وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِينَا مِنَ الْقَتْلِ
مَرِيضَاتٍ رَجَعِ الطَّرْفُ خُرْسٍ عَنِ الْخَنَا يَحْتَمِلُ ذَوَى الْأَلْبَابِ بِالْجُدِّ وَالْهَزْلِ
يَعْنَفِي الْعُدَّالَ فِيهِنَّ وَالْهَوَى يَحْذَرُنِي مِنْ أَنْ أُطِيعَ ذَوَى الْعَدْلِ

(١) الزيال : المفارقة (٢) الشكل بالفتح والكسر : دل المرأة وغزلها.

١٢٨ — الأصمعي وبعض الأعراب *

قال بعض الرواة: كنا مع أبي نصر راوية الأصمعي، في رياض من المذاكرة،
نَجَّتَنِي ثَمَارَهَا، وَنَجَّتَلِي أَنْوَارَهَا، إِلَى أَنْ أَفْضَنَا فِي ذِكْرِ أَبِي سَعِيدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
قَرِيبِ الْأَصْمَعِيِّ، فَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ الْأَصْمَعِي؛ إِنَّهُ لَمَعْدُنُ حِكْمٍ، وَبِحَجْرٍ عِلْمٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ
نَرَ قَطُّ مِثْلَ أَعْرَابِي وَقَفَ بِنَا فَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ الْأَصْمَعِيُّ؟ فَقَالَ: أَنَا ذَاكَ! فَقَالَ:
أَتَأْذَنُونَ بِالْجُلُوسِ؟ فَأَذِنَّا لَهُ، وَعَجَبْنَا مِنْ حُسْنِ أَدَبِهِ، مَعَ جَفَاءِ أَدَبِ الْأَعْرَابِ!
قال: يَا أَصْمَعِيُّ؛ أَنْتَ الَّذِي يَزْعَمُ هُوَ لَاءِ الْفَرَّانِ أَنَّكَ أَتَقْبَهُمْ مَعْرِفَةً بِالشَّعْرِ
وَالعَرَبِيَّةِ، وَحِكَايَاتِ الْأَعْرَابِ؟ قال الأصمعي: منهم من هو أعلم مني، ومن
هو دوني!

قال: أفلا تنشدني من بعض شعر أهل الحضرة حتى أقيسه على شعر أصحابنا؟
فأنشده شعراً لرجل امتدح به مسامة بن عبد الملك:

أَمْسَلَمَ أَنْتَ الْبَحْرَ إِنْ جَاءَ وَارِدٌ وَلَيْتُ إِذَا مَا الْحَرْبُ طَارَ عُقَابُهَا^(١)
وَأَنْتَ كَسِيفِ الْهِنْدُوَانِي^(٢) إِنْ غَدَتُ حَوَادِثُ مِنْ حَرْبٍ يَعْبُ عُبَابُهَا
وَمَا خُلِقْتَ أَكْرُومَةً^(٣) فِي أَمْرِي لَهُ وَلَا غَايَةَ إِلَّا إِلَيْكَ مَا بَهَا
كَأَنَّكَ دِيَّانٌ عَلَيْهَا مُوَكَّلٌ بِهَا، وَعَلَى كَفَيْكَ يَجْرِي حِسَابُهَا
إِلَيْكَ رَحَلْنَا الْعَيْسَ^(٤) إِذْ لَمْ نَجِدْهَا أَخَا ثِقَةٍ يُرْجَى لَدَيْهِ ثَوَابُهَا

* زهر الآداب ص ١٠٠ ج ٢

(١) طار عقابها: كناية عن اشتداد الحرب (٢) الهندواني: منسوب إلى رجال الهند
(٣) الأكرومة: فعل الكرم (٤) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.

فتبسّم الأعرابي ، وهزّ رأسه ؛ فظننا أن ذلك لاستحسانه الشعر ، ثم قال :
يا أصمعي ! هذا شعرٌ مُهلّهل ، خلق النسج ، خطؤه أكثر من صوابه ، يغطي
عيوبه حسنُ الرّوي ورواية المنشد ! يشبهون الملك إذا امتدح بالأسد ، والأسد
أبخر شتيم^(١) المنظر ، وربما طرده شرذمة من إماننا ، وتلاعب به صبياننا !
ويشبهونه بالبحر ، والبحرُ صعبٌ على مَنْ ركبهُ ، مُرٌّ على مَنْ شربه ! وبالسيف ،
وربما خان في الحقيقة ، ونبا عن الضريبة ! ألا أنشدتني كما قال صبيٌّ من حيننا !

قال الأصمعي : وما ذا قال صاحبكم ؟ فأنشده :

الموتُ يكره أن يلقى منيته في كرهٍ عندلف الخيلِ بالخيلِ
لوزاحم الشمسِ أبقي الشمسِ كاسفة أوزاحم الصمَّ أَلجأها إلى المئيلِ
أمضى من النجم إن نأبته نأبته وعند أعدائه أجرى من السيلِ
لا يستريح إلى الدنيا وزينتها ولا تراه إليها ساحبَ الذيلِ
يقصرُ المجدُ عنه في مكارمه كما يقصر عن أفعاله قولى !

قال أبو نصر : فأبهتتنا والله ما سمعنا من قوله .

ثم قال الأعرابي : ألا تنشدني شعراً ترتاح إليه النفس ، ويسكن إليه القلب ؟

فأنشده لابن الرقاع العاملي :

وناعمة تجلو بعود أراكة مؤشّرة يسبي المعانق طيها
أراك إلى نجدٍ تحنُّ وإنما متى كلّ نفسٍ حيثُ كان حبيبها
فتبسّم الأعرابي ، وقال : يا أصمعي ؛ ما هذا بدون الأول ، ولا فوّه ،

(١) شتيم : كربه (٢) تأشير الأسنان : تحزيرها .

ألا أنشدتني كما قلت؟ قال الأصمعي: وما قلت؟ جُعِلْتُ فداك! فأنشده:

تعلقتها بكراً وعلقتُ حبَّها فقلبي عن كل الوري فارغٌ بكراً
إذا احتجبت لم يكفك البدر ضوءها وتكفيك ضوء البدر إن حُجب البدر
وما الصبر عنها - إن صبرت - وجدته جميلاً، وهل في مثلها يحسن الصبرُ
ولو أن جلد الذرِّ^(١) لامس جلدُها لكان لمس الذرِّ في جلدِها أثرُ

فقال لنا الأصمعي: اكتبوا ما سمعتم، ولو بأطراف المدي في رقاق الأكباز.
وأقام عندنا شهراً؛ فجمع له الأصمعي خمسمائة دينار! وكان يتعاهدنا في الحين
بعد الحين، حتى مات الأصمعي وتفرق أصحابنا!

(١) الذر: صغار النمل.

١٢٩ - شعرة مُرّ تجل *
—————

جلس جعفر^(١) بن يحيى بالصَّالِحِيَّةِ^(٢) ، يشرب على مُسْتَشْرِفٍ له ، فبجاءه
أعرابيٌّ من بني هلال ، فاشتكى واستَمَاح^(٣) بكلام فصيح ، ولفظٍ مثله يعطف
المسئول .

فقال له جعفر : أتقول الشعر ياهالالي ؟ فقال : كنت أقوله وأنا حَدَثُ أَمَلَّحُ به ،
ثم تركته لما صرتُ شيخاً ، قال : فأنشدنا لشاعرٍ حميد بن ثور ، فأنشده قوله :
لَمَنَ الدِّيارِ بِجانِبِ الحِمْسِ كَمَحَطِّ ذِي الحِجابِ والنَّفْسِ
حتى أتى على آخرها - وكان أشجع السلمي حاضراً المجلس - فاندفع يُنشد
مديحاً في جعفر ، قاله لوقته على الوزن والقافية :

ذهبت مكارم جعفرٍ وفعاله في الناس مثل مذاهب الشمس
ملك تسوس له المعالي نفسه والعقل خير سياسة النفس
فاذا تراءته الملوك تراجعوا جهر الكلام بمنطق همس
ساد البرامك جعفرٌ وهم الألى بعد الخلائف سادة الإنس
فقال له جعفر : صف موضعنا ، فقال :

* الأغاني ص ٣٢ ج ١٧

(١) جعفر بن يحيى كان عالي القدر بعيد الهممة عظيم الكرم ، ذا منزلة قريبة عند الرشيد ،
كما كان سمح الأخلاق ، طلق الوجه ، ظاهر البشر ، فصيحاً لساناً ، وقتله الرشيد سنة ١٨٧ هـ
(٢) الصالحية : بلدة قرب الرهي ، ومحلة ببغداد (٣) استماع : طلب العطاء .

قُصُورِ الصَّالِحِيَّةِ كَالْعِذَارَى لِبِسْنِ ثِيَابِهِنَّ لِيَوْمِ عُرْسِ
مُطَلَّاتٍ عَلَى بَطْنِ كِسْتِهِ أَيَادِي الْمَاءِ وَشَيْئًا نَسِجِ عُرْسِ
إِذَا مَا الطَّلَّ أَثَرٌ فِي ثَرَاهُ تَنَفَّسَ نَوْرُهُ مِنْ غَيْرِ نَفْسِ
فَتَعْبُهُ^(١) السَّمَاءِ بِصَمْعِ وَرْسِ وَتَصَبَّحَهُ بِأَكْوَسِ عَيْنِ شَمْسِ

فقال جعفر للأعرابي : كيف ترى صاحبنا يا هلالى ؟ فقال : أرى خاطره طوع
لسانه ، وبيان الناس تحت بيانه ، وقد جعلت له ما تصلى به ؛ فقال : بل نصلك
يا أعرابي ونرضيه ، وأمر للأعرابي بمائة دينار ، ولأشجع بمائتين .

(١) الغبوق : شراب العشى ، والصبوح : شراب الصباح .

١٣٠ — هَوَّنتَ عَلَى الْعَزْلِ ! *

ولَّى الرشيد جعفر بن يحيى خُرَّاسَان^(١) ، فدخل عليه الناسُ يُهَنِّئُونَهُ ، ثم دخل عليه الشعراءُ فقام أشجع السلمي آخرهم ، واستأذن في الإنشاد ، فأذن له فأشُد :

أَتَصْبِرُ لِلْبَيْنِ أَمْ تَجْزَعُ فَإِنَّ الدِّيَارَ غَدًا بَلَّعُ
غَدًا يَتَفَرَّقُ أَهْلُ الْهَوَى وَيَكْثُرُ بَاكِ وَمُسْتَرْجِعُ
وَتَفْنَى الظُّلُومَ وَيَبْقَى الْهَوَى وَيَصْنَعُ ذُو الشُّوقِ مَا يَصْنَعُ

حتى انتهى إلى قوله :

ودوية^(٢) بين أقطارها مقاطيعُ أرضينَ لا تقطعُ
تجاوزتها فوق رِيْعَانَةٍ^(٣) من الريحِ في سيرِهَا أُسْرَعُ
إلى جعفرٍ نزعَتْ رغبةً وأى فتى نحوه تنزعُ ؟
فما دونه لِأَمْرِيٍّ مَطْمَعٌ ولا لِأَمْرِيٍّ غَيْرِهِ مَبْتَعُ
ولا يرفعُ الناسُ مَنْ حَطَّهُ ولا يضعونَ الذي يرفعُ
يريدُ الملوِكُ مَدَى جَعْفَرٍ ولا يصنعونَ كما يصنعُ
تلوذُ الملوِكُ بأبوابِهِ إذا نالها الحَدَثُ الأَفْطَعُ
بديهتهُ مثلُ تدبيرِهِ متى رُمتهُ فهو مستجمعُ

* الأغانى ص ٧ ج ١٧

(١) خراسان : بلاد واسعة كانت حدودها أول مايلي العراق (٢) الدوية : الفلاة

(٣) الريعانة : الناقة الكثيرة اللبن .

وكم قائلٍ إذ رأى ثروتى وما فى فضول الغنى أصنعُ
غداً فى ظلال ندى جعفرٍ يجرُّ ثيابَ الغنى أشجعُ
فقل لخراسان تحيماً فقد أتاه ابن يحيى الفتى الأروع^(١)

فأقبل عليه جعفرٌ ضاحكاً، واستحسن شعره، وجعل يخاطبه مخاطبة الأَخ
أخاه، ثم أمر له بألف دينار.

قال الراوى: ثم بدا للرشيدي فى ذلك التدبير، فعزل جعفرًا عن خراسان بعد
أن أعطاه العهد والكتب، وعقد له العقد، وأمر ونهى، فوجم لذلك جعفر،
فدخل عليه أشجع وقال:

أمست خراسان تُعزى بما أخطأها من جعفر المرتجى
كان الرشيدُ المعتلى أمره ولى عليه المشرق الأبلج
ثم أراه رأيه أنه أمسى إليه منهم أوجا
فكم به الرّحمن من كربةٍ فى مدّة تقصر قد فرجا

فضحك جعفر وقال: لقد هونت على العزل، وقتت لأمير المؤمنين بالعدر،
فسلنى ما شئت، فقال: قد كفانى جودك ذلة السؤال. فأمر له بألف دينار
أخرى.

(١) الأروع: من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته.

١٣١ — أرى الايام لا تُدني الذي أرتجى *

قال محمد^(١) بن أمية : كنت جالسا بين يدي إبراهيم بن المهدي ، فدخل إليه أبو العتاهية ، وقد تنسك ولبس الصوف ، وترك قول الشعر إلا في الزهد . فرفعه إبراهيم وسرَّ به ، وأقبل عليه بوجهه .

فقال له أبو العتاهية : أيها الأمير ؛ بلغني خبرُ قتي في ناحيتك ومن مواليك يعرف بابن أمية ، يقول الشعر ، وأنشدتُ له شعراً فأعجبني ، فما فعل ؟ فضحك إبراهيم ، ثم قال : لعله أقربُ الحاضرين مجلساً منك .

فالتفت إلى فقال : أنت هو ؟ فديتك ! فتشورتُ^(٢) وخجلت ، وقلت له : أنا محمد بن أمية جُعِلت فداءك ! وأما الشعر فأنا شاب أعبثُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبثُ الشاب . فقال لي : فديتك ! ذاك والله زمان الشعر وإبائه ، وما قيل فيه فهو غرُّه وعيونه . وما زال يُنشطني ويؤنسني حتى رأى أني قد أنستُ به .

ثم قال لإبراهيم بن المهدي : إن رأى الأمير - أكرمه الله - أن يأمره بإنشادي ما حضر من الشعر ! فقال لي إبراهيم : بحياتي يا محمد أنشده ، فأنشدته :

* الأغاني ص ٣٠ ج ١١

(١) محمد بن أمية : كاتب شاعر ظريف ، كان نديماً لإبراهيم بن المهدي (٢) تشور : فعل ما يستحيا منه في الأصل ، والمراد هنا الحجل .

رُبَّ وَعْدٍ مِنْكَ لَا أَنْسَاهُ لِي أَوْجِبَ الشُّكْرَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلِ
أَقْطَعُ الدَّهْرَ بظنِّ حَسَنِ وَأُجَلِّي غَمْرَةً مَا تَنْجَلِي
كَلِمَا أُمِّتُ يَوْمًا صَالِحًا عَرَّضَ الْمَكْرُوهُ لِي فِي أَمَلِي
وَأَرَى الْأَيَّامَ لَا تُدْنِي الَّذِي أُرْتَجِي مِنْكَ وَتُدْنِي أَجَلِي

فبكى أبو العتاهية حتى جرت دموعه على لحيته ، وجعل يردد البيت
الأخيرَ منها وينتحب ، وقام فخرج وهو يرددُه ويبكي ، حتى خرج إلى

الباب !

١٣٢ - حديث عن دعبل *

قال عمرو بن مسعدة : حضرتُ أبا دُلفَ عند المأمون - وقد قال له المأمون :
أى شىء تَرَوى لأخى خُزاعة ؟ فقال : وأى خُزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن
تعرف فيهم شاعراً ؟ فقال : أمّا من أنفسهم ؛ فأبو الشيص ودعبل^(١) وابن أبي
الشيص ، وداود بن أبي رَزِين ؛ وأمّا من مواليهم فظاهر وابنه عبد الله .

فقال : ومن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن شعره سوى دعبل ! هات ؛ أى
شىء عندك فيه ؟ فقال : وأى شىء أقول في رجلٍ لم يترك أهل بيته حتى هَجَاهم ،
فَقَرَنَ إحسانهم بالإساءة ، وبذلهم بالمنع ، وجودهم بالبخل ، حتى جعل كلِّ حسنةٍ
منهم بإزاء سيئةٍ ! قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول في المطلب بن عبد الله
ابن مالك ، وهو أصدقُ الناسِ له ، وأقربُهم منه ، وقد وفد إليه إلى مصر ،
فأعطاه الجزيل ، وولاه ولم يمنعه ذلك أن قال فيه :

أضربُ ندى طَلْحَةَ^(٢) الطَّلِحَاتِ مُتَّيِّداً بلوئِمِ مُطَّابِ فينا وكنُ حَكَمَا

* أغاني ص ٤٤ ج ١٨ ، عصر المأمون ص ٢٥٨ ج ٣

(١) هو دعبل بن علي بن رزين ، من خُزاعة ، شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه
أحد من الخلفاء ولا وزراءهم ولا أولادهم ، ولا ذى نباهة أحسن إليه أو لم يحسن ، وتوفى
سنة ٢٤٦ هـ (٢) طلحة الطلحات : قيل اسمه طلحة بن عبد الله ، وأنه إمعا سمي طلحة
الطلحات بسبب أ.هـ وهى صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة ، وإث أخاها طلحة بن
الحارث ، فقد تكنفه هؤلاء الطلحات كما ترى وقد مدحه سبحانه بن وائل الباهلي فقال :

يا طلح أكرم من مشى حسباً وأعطاهم لتالداً
منك العطاء فأعطني وعلى مدحك في المشاهد

فقال له طلحة : احتكم ، فقال : برذونك الورد ، وغلارك الحجاز ، وقصرك الذى بمكان كذا وعشرة
آلاف درهم . فقال طلحة : أف لك ! سألتنى على قصرك ولم تسألنى على قدرى ! لو سألتنى كل عبد
وكل دابة وكل قصر لى لأعطيتك !

تخرج خزاعة من لؤم ومن گرم فلا تحس لها لؤماً ولا كرمًا
فقال المأمون : قاتله الله ! ما أغوصه وأظفه وأدهاه ! وجعل يضحك .

ثم دخل عبد الله بن طاهر ، فقال له : أى شىء تحفظ يا عبد الله لدعبل ؟
فقال : أحفظُ أبياتاً له فى أهل بيت أمير المؤمنين ، قال : هاتِها ، ويحك ! فأشده
عبد الله قوله :

سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَيامِ الصَّبَابَاتِ أَيامَ أَرْفُلٍ فى أَثوابِ لَدَاتِي
أَيامِ غُصْنِي رَطِيبٌ من لِيانَتِهِ أَصْبُو إلى غيرِ جاراتِ وَكِنانَتِي (١)
دَعَّ عنكَ ذَكَرَ زَمَانٍ فَاتَ مَطْلَبُهُ واقْدِفْ بِرَحْلِكَ عَن مَثَنِ الجَهالاتِ
واقْصِدْ بِكلِ مَدِيحٍ أَنْتَ قائلُهُ نحو الهداةِ بنى بيتِ الكراماتِ
فقال المأمون : إنه قد وجد والله مقالاً فقال ، ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله

فى وصف غيرهم .

ثم قال : لقد أحسن فى وصف سفرٍ سافرَه ، فطال ذلك السفرُ عليه ، فقال فيه :

ألم يَأْنِ (٢) للسَّفَرِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا إلى وطنٍ قبلِ الماتِ رجوعُ !
فقلتُ - ولم أملكُ سِوَا بقِ عَبْرَةٍ نَطَقَنَ بِما ضَمَّتْ عليه ضلوعُ (٣) :
تَبَيَّنَ ! فكم دارٍ تفرَّقَ شملُها وشملٍ (٤) شتيتِ عادَ وهو جميعُ
كذلكَ اللَّياليِ صَرَّفُنَّ (٥) كما ترى لكلِ إناسٍ جَدْبَةٌ وريبعُ (٦)

ثم قال : ما سافرتُ قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني فى سفرى
وهجرتُ اى ومسلتني حتى أعود !

(١) السكنة : امرأة الابن أو الأخت (٢) يأن : يقرب منه محضر ، والسفر : المسافرون (٣) العبارة :
الدمعة ، وما ضمت عليه الضلوع : الحزن والشوق إلى الوطن والأهل (٤) الشمل : ما اجتمع
من الأمر أو ما تفرق منه ، والشتيت : المتفرق ، والجميع : المجتمع (٥) صرف الليالى : أحدثها
(٦) جدبة وريبع : حالنا خير وشر .

١٣٣ - دعبيل عند والى مصر *

قال دعبيل بن علي : حججت أنا وأخي رزين ، وأخذنا كتباً إلى المطلب ابن عبد الله بن مالك ، وهو بمصر يتولّاها .

فصرنا من مكة إلى مصر ، فصحبنا رجلٌ يعرف بأحمد بن السراج ، فما زال يحدثنا ويؤانسنا طولَ طريقنا ، ويتولى خدمتنا ، كما يتولّاها الرُفقاء والأتباع ، ورأيناه حسنَ الأدب - وكان شاعراً ولم نعلم - وكنتمنا أنفسه ، وقد علم ما قصدنا له ، فعرضنا عليه أن يقول في المطلب قصيدةً ننحلهُ إياها ، فقال: إن شئتم ، وأرانا بذلك سروراً وتقبلاً له ، فعملنا قصيدة ، وقلنا له ، تُنشدها المطلب ، وانك تنتفع بها .
فقال : نعم .

ووردنا مصرَ به ، فدخلنا إلى المطلب ، وأوصلنا إليه كتباً كانت معنا ، وأنشدناه ، فسُرَّ بموضعنا ، ووصفنا له أحمد بن السراج هذا ، وذكرنا له أمره ، فأذن له ، فدخل عليه ، ونحن نظنُّ أنه سينشدُ القصيدة التي نحلناه إياها ، فلما مَثَل بين يديه عدلَ عنها وأنشده :

لم آت مُطَلِّباً إلا بمُطَلِّبٍ وهمةٌ باغت بي غايةَ الرتب
أفردتهُ برجاء أن تشاركه في الوسائل أو ألقاه في الكتب^(١)
رحلتُ عيسى إلى البيت الحرام على ما كان من وصبٍ فيها ومن نصبٍ

* الأغانى ص ٤٧ ج ١٨ ، مهذب الأغانى ص ٢٦٥ ج ٧

(١) قال دعبيل : أشار بهذا إلى الكتب التي أوصلتها إليه وهى بين يديه ، فكان ذلك أشد على من كل شيء مرّ به .

أَلْقَىٰ بِهَا وَبِوَجْهِ كُلِّ هَاجِرَةٍ (١)
تَكَادُ تَقْدَحُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْعَصَبِ
حَتَّىٰ إِذَا مَا قَضَتْ نُسْكَىٰ ثَنِيَّتُهَا (٢)
عِطْفُ الزَّمَامِ فَأَمَّتْ سَيِّدَ الْعَرَبِ
فَأَمَّمَتْكَ (٣) وَقَدْ ذَابَتْ مَفَاصِلُهَا
مِنْ طَوْلِ مَا تَعَبِ لَاقَتْ وَمِنْ نَقَبِ (٤)

فصاح مطلب : لبيك ! لبيك ! ثم قام إليه ، فأخذه بيده وأجلسه معه ،
وقال : يا غلام ؛ البدر (٥) ، فأحضرت ، ثم قال : الخلع ، فنشرت ، ثم قال :
الدواب ، فقيدت ، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا ، وحسدناه عليه ؛
وكان حسدنا له بما اتفق له من القبول وجوده الشعر ، وغيظنا بكتمه إيانا نفسه ،
واحتياله علينا أكثر وأعظم ، فخرج بما أمر له ، وخرجنا صفرًا .

قال الراوى : ومكث دعبل أيامًا ، ثم ولّاه المطلب أسوان ، ولكن دعبلا
كان قد هجاه غيظًا منه فقال :

أَمَطَّلْبُ أَنْتَ مُسْتَعَذِبٌ مُحْمِيًّا (٦) الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْتِيلٌ
سِتَاتِيكَ إِمَّا وَرَدْتَ الْعِرَاقَ صَحَائِفُ يَأْثُرُهَا دَعْبِلُ
مَنْمَقَةٌ بَيْنَ أَثْنَائِهَا مَخَازٍ تُحَطُّ فَلَا تَرَحَلُ
وَضَعْتَ رِجَالًا فَمَا ضَرَّهُمْ وَشَرَّفْتَ قَوْمًا فَلَمْ يَنْبُلُوا (٧)
إِذَا الْحَرْبُ كُنْتَ أَمِيرًا لَهَا فَحَظَّهُمْ مِنْكَ أَنْ يُقْتَلُوا
شِعَارُكَ فِي الْحَرْبِ يَوْمَ الْوَعَىٰ إِذَا انْهَزَمُوا : عَجَّلُوا عَجَّلُوا

(١) الهاجرة : إما تكون في الفيضان نصف النهار
وأمره بمعنى قصده (٤) نقب البعير إذا حفي
آلاف درهم (٦) الحميا من كل شيء : شدته
(٢) عطف الثمى : جانبه (٣) يقال : أمه
(٥) البدر : جمع بدرة (بفتح الباء) وهى عشرة
(٧) روى هذا البيت :
وقدمت قوما فلم ينبلوا وعاديت قوما فما ضرهم

هزائمك العر مشهورة^١ يقرطس^(١) فيهن من ينضيل^(٢)
فأنت إذا ما التقوا آخر وأنت إذا انهزموا أول^(٢)

و بلغ المطلب هجاؤه إياه بعد أن ولّاه ؛ فعزله عن أسوان ، وأنفذ إليه كتاب
العزل مع مولى له ، وقال : انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة ، فإذا علاه فأوصل
الكتاب إليه ، وامنعه من الخطبة ، وأنزله عن المنبر ، واصعد مكانه ؛ فلما أن
علا المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب ، فقال له دعبل : دعني أخطب فإذا
نزلت قرأته ، قال : لا ، قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه فقراه ، وأنزله عن المنبر
معزولا^(٣) .

(١) قرطس : أصاب القرطاس ، أى الغرض (٢) قال دعبل : قال لى المطلب : ماتفكرت في
قولك قط :

إن كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطلب
إلا كنت أحب إلى ، ولاتفكرت والله في قولك لى :
وعاديت قوماً فما ضرهم
وقدمت قوماً فلم ينبلوا
إلا كنت أبغض الناس إلى .

(٣) ومن أبياته التي هجا بها المطلب أيضا :

أضرب ندى طلحة الطلحات مثمداً
تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم
بلؤم مطلب فينا وكن حكماً
فلا تعد لها لؤماً ولا كرمًا

١٣٤ — دعبل وعلیّ الرضا *

قال دعبل بن علی : دخلتُ علی علیّ بن موسى الرضا — علیه السلام — فقال
لی : أنشدنی شيئاً مما أحدثت ، فأشده^(١) :

مدارسُ آیاتٍ خلتُ من تلاوةٍ ومنزل وحيٍ مُقفرِ العرصاتِ^(٢)
لآل رسول الله بالخيفِ من منى وبالرُّكنِ والتَّعريفِ والجمراتِ
ديارُ علیِّ والحسينِ وجعفرِ وحمزة والسجّاد ذی الثَّنَاتِ^(٣)
حتّى انتهيتُ إلى قولي :

بنفسی أنتم من كهولٍ وفتيةٍ لفلک عُنَاةٍ^(٤) أو لحملِ دياتِ
أحبّ قصی الرّحم من أجل حبّکم وأهجرُ فيکم أسرتی وبناتی
وأکتُم حُبیبکم مخافةَ كاشحٍ عنيدٍ لأهل الحقِّ غيرِ مؤاتِ
لقد حفتِ الأيام حولی بشرّها وإني لأرجو الأمنَ بعد وفاتی
ألم ترَ أنّي من ثلاثين حجةً أروحُ وأغدو دائم الحسراتِ
أرى فيهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيهم صفراتِ

* الأغانى ص ٤٢ ج ١٨ ، معجم الأدباء ص ١٠٨ ج ١١

(١) تعد هذه القصيدة من أحسن الشعر وفاخر المداخل (٢) العرصات : جمع عرصة : وسط
الدار ، والمعنى أنه لا أنيس بها (٣) يعدد أسماء آل البيت ، وذو الثنات علی بن الحسين بن
علی وسمى بذلك ، لان طول السجود أثر في ثناته ، والتمنّة من الإنسان : الركبة (٤) العناة :
جمع عان وهو الأسير .

فَالَ رَسُولِ اللَّهِ نَحْفُ جَسُومِهِمْ وَأَلِ زِيَادِ حُفْلُ الْقَصْرَاتِ^(١)
إِذَا تَرَوْا^(٢) مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ أَكْفَانًا عَنِ الْأَوْتَارِ مَنْقَبُضَاتِ
فَبِكِي حَتَّى أَعْمَى عَلَيْهِ ، وَأَوْمَأَ إِلَى خَادِمٍ كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ : أَنْ أَسْكُتْ ،
فَسَكُتُ سَاعَةً . ثُمَّ قَالَ لِي : أَعِدْ ، فَأَعَدْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا ، فَقَالَ لِي :
أَحْسَنْتَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، ثُمَّ أَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ مِمَّا ضَرَبَ بِاسْمِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ
وَقَعْتُ لِأَحَدٍ بَعْدَ ، وَأَمَرَ لِي مَنْ فِي مَنْزِلِهِ بِحُلِيِّ كَثِيرٍ أَخْرَجَهُ الْخَلَاءُ إِلَى .
فَقَدِمْتُ الْعِرَاقَ ، فَبِعْتُ كُلَّ دَرَاهِمٍ مِنْهَا بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ ، اشْتَرَاها مِنِّي الشَّيْعَةُ ،
فَحَصَلْتُ لِي مِائَةُ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَالٍ اعْتَقَدْتَهُ^(٣) .

قَالَ حَذِيفَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ : ثُمَّ اسْتَوْهَبَ دَعْبِلَ مِنَ الرِّضَا ثَوْبًا قَدْ لَبَسَهُ لِيَجْعَلَهُ فِي
أَكْفَانِهِ ، فَخَلَعَ جَبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، وَبَلَغَ أَهْلَ قَوْمِ خَبْرُهَا ، فَسَأَلُوهُ
أَنْ يَبِيعَهُمْ إِيَّاهَا بِثَلَاثِينَ آلَافِ دَرَاهِمٍ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ ، فَأَخَذُوهَا
مِنْهُ غَضَبًا ، وَقَالُوا لَهُ : إِنْ شِدَّتْ أَنْ تَأْخُذَ الْمَالَ فَافْعَلْ ، وَإِلَّا فَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَقَالَ لَهُمْ :
إِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا طَوْعًا ، وَلَا تَنْفَعُكُمْ غَضَبًا ، وَأَشْكُوكُمْ إِلَى الرِّضَا ؛ فَصَالِحُوهُ
عَلَى أَنْ أُعْطَوْهُ ثَلَاثِينَ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، وَفَرَدَ كُمْ مِنْ بَطَانَتِهَا ، فَرَضَى بِذَلِكَ !

(١) القصرات : جمع قصرة (بالتحريك) وهي أصل العنق ، وحفل : ممتلئة ، والمعنى أن أعناقهم
مملوءة وغليلة من طول النعم (٢) الوتر : الثأر ، أو الظلم فيه ، والمقصود : أنهم إذا اعتدى
عليهم لا يستطيعون رد الاعتداء (٣) اعتقدته : اقتديته .

١٣٥ - سجدوا لشعره ! *

حدّث دعبل الشاعر : أنه اجتمع هو ومسلم وأبو الشيص^(١) وأبو نواس في مجلس ، فقال لهم أبو نواس : إن مجلسنا هذا قد شهر باجتماعنا فيه ، ولهذا اليوم ما بعده ، فليات كل واحد منكم بأحسن ما قال فلينشده ، فأشد أبو الشيص :

وَقَفَ الهوى بي حيث أنتِ فليس لي متأخر عنه ولا متقدّم
أجد الملامّة في هواك لذيدةً حبّاً لذكرك فليلمني اللوم
وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن يُكرّم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان حظّي منك حظّي منهم

فجعل أبو نواس يعجب من حسن الشعر حتى ما كاد ينقضى عجبته ، ثم أنشد مسلم أبياتاً من شعره الذي يقول فيه :

فأقسمتُ أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقعُ
فغطتُ بأيديها ثمّارَ نحوورها كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع^(٢)

قال دعبل : فقال لي أبو نواس : هات أبا علي ، وكأني بك قد جئنا بأمر القلادة ، فأشدته :

أين الشبابُ ؟ وأية^(٣) سأكا ؟ أم أين يطاب ؟ ضلّ بلّ هلكا

* العقد ص ٤ ج ٢ ، مهذب الأغاني ص ٢٢٤ ج ٧ ، ديوان مسلم ص ٢٠٩ طبعة أوربا .

(١) هو محمد بن رزين عم دعبل ، كان من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر ، لوقوعه بين شعراء كانوا أكثر منه شهرة توفى سنة ١٩٦ هـ . (٢) جمع جامعة : وهي الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق (٣) أية : أية سبيل .

لا تَعَجَّبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبِكِي
يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ صَبْرُكَ يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سَفِكَ؟
لا تَطْلُبَا بِظُلَامَتِي (١) أَحَدًا قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دَمِي اشْتَرَا
ثُمَّ سَأَلْنَاهُ أَنْ يَنْشُدَ ، فَأَنْشَدَ :

لَا تَبْكِي هِنْدًا وَلَا تَطْرُبِي إِلَى دَعْدٍ وَأَشْرَبْ عَلَيَّ الْوَرْدَ (٢) مِنْ حَمْرَاءِ كَالْوَرْدِ
كَأَسًا إِذَا انْحَدَرْتُ فِي كَفِّ شَارِبِهَا أَخَذْتُ بِحَمْرَتِهَا فِي الْعَيْنِ وَالْخَدِّ
فَالْخَمْرُ يَا قُوْتَهُ ، وَالسَّكَّاسُ لَوْلُوْتَهُ فِي كَفِّ جَارِيَةٍ مَمْشُوقَةِ الْقَدِّ
تَسْقِيكَ مِنْ عَيْنِهَا خَمْرًا وَمِنْ يَدِهَا خَمْرًا فَمَالِكَ مِنْ سُكْرَيْنِ مِنْ بُدِّ
لِي نَشُوتَانِ وَلِلنَّدْمَانِ وَاحِدَةٌ شَيْءٌ خَصَصْتَ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحَدِي
فَقَامُوا كُلُّهُمْ ، فَسَجَدُوا ! فَقَالَ : أَفَعَلْتُمُوهَا ؟ لَا كَلْتُمْ ثَلَاثًا وَلَا ثَلَاثًا
وَلَا ثَلَاثًا !

(١) الظلامه : ما احتمله من الظلم والمراد هنا موته عشقاً من أثر النظر بعينه والحب بقلبه
(٢) الورد : الماء الذي يورد .

١٣٦ -- إنما الدنيا أبو دلف ! *

قال المأمون يوماً لبعض جلسائه : أقسم على من حَصَرَ مِمَّنْ يحفظُ قصيدة علي ابن جبلة^(١) الأعمى في القاسم^(٢) بن عيسى إلا أنشدتها ؛ فقال له بعضُ الجلساء : قد أقسم أميرُ المؤمنين ، ولا بدَّ من إبرارِ قسمه ، وما أحفظها ، ولكنها مكتوبة عندي . قال : قم فجمئي بها ، فمضى وأتاه بها ، وأنشده :

زَادَ وَرَدَ الْغَيَّ عَنْ صَدْرِهِ وَارْعَوَى وَاللَّهُ مِنْ وَطَرِهِ
وَأَبَتْ إِلَّا الْبُكَاءَ لَهُ ضَحَكَاتِ الشَّيْبِ فِي شَعْرِهِ
نَدِمِي أَنْ الشَّبَابَ مَضَى لَمْ أَبْلُغْهُ مَدَى أَشْرِهِ^(٣)
حَسَرْتُ^(٤) عَنِّي بَشَاشَتَهُ وَذَوَى الْحَمُودُ مِنْ ثَمَرِهِ
وَدَمٌ أَهْدَرْتُ مِنْ رَشَائِي^(٥) لَمْ يُرِدْ عَقْلًا^(٦) عَلَيَّ هَدْرِهِ

* * *

دَعَّ جَدًّا قَحْطَانَ أَوْ مُضِرَّ فِي يَمَانِيهِ وَفِي مُضِرِّهِ
وَامْتَدَحُ مِنْ وَائِلٍ رَجُلًا عُصْرُ الْآفَاقِ مِنْ عُصْرِهِ

* الأغاني ص ٢٥٩ ج ٨ ، و ص ١٠٠ ج ١٨

(١) علي بن جبلة ، و يلقب بالعكوك : شاعر مطبوع عذب اللفظ ، لطيف المعاني ، مداح حسن التصرف ، استنشد شعره في مدح أبي دلف العجلي وأبي غانم الطوسي ، وزاد في تفضيل أبي دلف حتى فضله عن مضر كماهما أسخط المأمون وكان سبباً في تعذيبه توفي سنة ٢١٣ هـ (٢) كنيته أبو دلف ، وكان محلّه في الشجاعوة علو المحل عند الخلفاء وعظم الغناء في المشاهد وحسن الأدب وجوده الشعر محل لم يكن لأحد من نظرائه (٣) أشر (كفرح) : مرح (٤) حسرت : انكشفت (٥) الرشأ : في الأصل ولد الظبي (٦) العقل : الدية .

المنايا في مقانيه^(١) والعطايا في ذرا حُجره
مَلِكٌ تَنَدَى أَنَامِلَهُ كانبلاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ
مَسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ كابتسامِ الرَّوْضِ عَنْ زَهْرِهِ
جَبَلٌ عَزَّتْ مَنَاكِبُهُ أَمِنَتْ عَدَنَانُ فِي نَفْرِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ^(٢) بَيْنَ مَبْدَاهُ وَمَحْتَضِرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضْرِهِ
مَسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ يَكْتَسِيهَا يَوْمَ مُفْتَخِرِهِ

فغضب المأمون واغتاض، وقال: لست لأبي إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه،
ثم قال: اطلبوه حيث كان؛ فطلب فلم يقدر عليه؛ ولما اتصل به الخبر هرب إلى
الجزيرة، فكتب إلى الآفاق في طلبه، فهرب من الجزيرة إلى الشام، وظفروا به
هناك، وأخذ وحمل إلى المأمون.

ولما وصل إليه سبه وقال له: أنت القائل للقاسم بن عيسى:

كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضْرِهِ
مَسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرَمَةٌ يَكْتَسِيهَا يَوْمَ مُفْتَخِرِهِ

جعلتنا ممن يستعير المسكارم منه! فقال له: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَنْتُمْ أَهْلَ بَيْتِ

(١) المقاب: جمع مقب وهو جماعة الخيل تغير (٢) قيل: إنه بينا أبو دلف يسير مع معقل؛
إذا مرا بقصر، فأشرفت منه جاريتان، فقالت إحداهما للأخرى: هذا أبو دلف الذي يقول فيه
الشاعر: « إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ » فقالت الأخرى: أو هذا؟ قد والله كنت أحب أن أراه منذ
سمعت ما قيل فيه، فالتفت أبو دلف إلى معقل فقال: ما أنصفنا على بن جبلة ولا وفتناه حقه، وإن
ذلك لمن كبير همى وكان قد أعطاه ألف درهم.

لا يُقاس بكم أحدٌ؛ لأن الله جلَّ وعزَّ فضلكم على خلقه، واختاركم لنفسه، وإنما
عنيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانه، فقال: والله ما استثنيت أحداً، ولست
استحلّ دمك لذلك، ولكني أستحلّه بقولك وكفرّك في شعرك، حيث تقول القول
الذي أشركت فيه:

أنتَ الذي تُنزل الأيامَ منزلها وتَنقلُ الدهرَ من حالٍ إلى حالٍ
ومامدّتَ مَدَى طرفٍ إلى أحدٍ إلا قضيتَ بأرزاقٍ وآجالٍ
كذبت . . . ما يقدر على ذلك أحدٌ إلاّ الله عزَّ وجلَّ، الملك الواحد القهار،
ثم أمر بمقابته!

١٣٧ — مدحة شاعر وعطيّة أمير *

قال علي بن جبلة: زرتُ أبا دُلفٍ بالجبيل^(١)، فكان يُظهِر من إكرامِي
و برِّي والتحفِّي^(٢) بي أمراً مفرطاً، حتّى تأخّرت عنه حيناً حياءً؛ فبعثت إلى مَعْقِلِ
بن عيسى، فقال: يقول لك الأمير: قد انقطعت عني، وأحسبك استقلت برِّي
بك، فلا يغضبَنَّك ذلك، فسأزيد فيه حتّى ترضى. فقلت: والله ما قطعني إلا
إفراطه في البر، وكتبتُ إليه:

هجرتك لم أهجرُك من كفرِ نعمةٍ وهل يُرهبُني نيلُ الزيادةِ بالكفرِ؟
ولكنني لما أتيتك زائراً فأفرطت في برِّي عجزتُ عن الشكرِ
فمَ^(٣) الآن لا آتيك إلا مسلماً أزورك في الشهرين يوماً أو الشهرِ
فإن زدتنى برّاً تزايدتُ جفوةً ولم تلقني طولَ الحياةِ إلى الحشرِ!
فلما قرأها مَعْقِل استحسنها وقال: أحسنت والله! أما إن الأمير لتعجبهُ هذه
المعاني.

فلما أوصلها إلى أبي دُلف قال: قاتله الله! ما أشعره وأدقّ معانيه، وأعجبته
وأجابني لوقته — وكان حسن البديهة حاضر الجواب:

* الاغانى ص ٢٥٦ ج ٨

(١) بلاد الجبيل: مدن بين أذربيجان والعراق (٢) تحق به: بالغ في إكرامه (٣) يريد:
فمن الآن.

الأربّ ضيفٍ طارقٍ قد بسطته وأنسته قبل الضيافة بالبشر
أتاني يرجيني فما حال دونه ودون القرى والعرف من نائل سترى
وجدتُ له فضلاً على بقصده إلى وبراً زاد فيه على برى
فزودته مالاً يقل بقاءه وزودني مدحا يدوم على الدهر
وبعث إلى الأبيات مع وصيف له ، وبعث إلى بألف دينار فقلت حينئذ :
إنما الدنيا أبو دافٍ بين مبداه ومحتضره

١٣٨ — بين أبي تمام وعبد الله بن طاهر *

لما شَخَّصَ أبو تمام ^(١) إلى عبدِ الله بن طاهر ^(٢) ، وهو بخراسان ، أقبِل الشتاء وهو هناك . فاستثقلَ البلد ، وقد كان عبد الله وَجَدَ ^(٣) عليه ، وأبطأَ بجائزته ؛ لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يمسسها بيده ترفهًا عنها فقال : يحقر فعلى ، ويترفع على ، فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء ، كالكفوت . فقال أبو تمام :

لم يبق للصيفِ رسمٌ ولا طلالٌ ولا تشيبُ فيسْتَكْسِي ولا سَمَلٌ ^(٤)
عدلٌ من الدمع أن يَبْكِي المصيفَ كما يُبْكِي الشبابُ ويُبْكِي اللهُو والغزلُ
يُمَيِّزُ الزمانَ نَقْضَى معروفها وغدَّتْ يُسْراهِ وَهَى لنا من بعدها بَدَلُ
فبلغت الأبيات أبا العميثل شاعر آل طاهر، فأتى أبا تمام واعتذر إليه لعبد الله ابن طاهر .

ثم دخل إلى عبد الله فقال : أيها الأمير ؛ أتهاون بمثل أبي تمام ، وتجفوه؟ فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره ، والإحسان في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شره ، والتوقى لدمه يُوجبُ على مثلك رعايته ومراقبته ،

* الأغانى ص ١٠٢ ج ١٥

(١) هو حبيب بن أوس ، ولد بالشام ثم انحدر إلى مصر ، فروى الأديب وأتقن الشعر ، ثم سار إلى بغداد فمدح الخليفة وغيره ، وارتفع ذكره وتقدم على شعراء عصره ومات سنة ٢٣١ هـ .
(٢) عبد الله بن طاهر : ولد سنة ١٨٢ هـ في خلافة الرشيد ونشأ نشأة مجيدة ، ثم نشأ في كنف المأمون حيث كان أبوه من أكبر قواده . ثم حل عند المأمون بعد وفاة أبيه بحله ، وكان كثير الاعتماد عليه حسن الالتفات إليه ، وكان عبد الله أيضا ظريفا شاعرا مترسلا جيد الغناء . توفي سنة ٢٣٨ هـ (٣) وجد عليه : غضب (٤) السمل : الثوب الخاق .

فكيف وله بزوعه إليك من الوطن ، وفراقه السكن ، وقد قصدك عاقداً بك أمّله ،
مُعَمِّلاً إليك ركابه ، متعباً فيك فكره وجسمه ، وفي ذلك ما يلزمك قضاء حقه
حتى ينصرف راضياً ، ولو لم يأت بفائدة إلا قوله :

يقولُ في قومس^(١) صحبي وقد أخذت منّا الشرى وخطأ المهريّة^(٢) القود^(٣)

أمطلع الشمس تبغى أن تؤمّ بنا ؟ فقلت : كلاً ولكن مطلع الجود

فقال له عبد الله : لقد نهيت فأحسنت ، وعاتبته فأوجعت ، ولك ولأبي تمام
العتيبي^(٤) . ادعه يا غلام فدعاه . فنادمه يومه ، وأمر له بألفي دينار وما يحمله من
الظهر ، وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه ، وأمر ببذرقته^(٥) إلى آخر عمله .

(١) قومس : إقليم في طبرستان (٢) الأبل المهرية : تنسب إلى مهرة : حى في العرب .
(٣) القود : جمع أفود وهو الطويل العتيق (٤) أعتبه : سره بعد ماساءه والاسم العتيبي (٥) البذرقه :
الحفارة .

١٣٩ — لا يعجبناك من يصون ثيابه خوف الغبار وعرضه مبدول*

ارتاح محمد^(١) بن عبد الله بن طاهر يوماً للمنادمة ، وقد حضره ابن طلوت ، وكان وزيره وأخص الناس به ، وأحضرهم لخلواته ؛ فأقبل عليه ، وقال : لا بد لنا اليوم من ثالث ؛ تطيب لنا به المعاشرة ، وتلد بمنادمته المؤانسة ؛ فمن ترى أن يكون ؟ وأعفنا أن يكون شرير الأخلاق ، أو دنس الأعراق ، أو ظاهر الإملاق . قال ابن طلوت : فأعلمت الفكر ، وقلت : أيها الأمير ؛ خطر ببالي رجلٌ ليس علينا من مجالسته مثونة ، وقد برئ من إبرام^(٢) المجالسين ، وخلا من ثقل المؤانسين ، خفيف الوطأة إذا أدنيتَه ، سريع الوثبة إذا أمرته .

قال : ومن ذلك ؟ قلت : مان^(٣) الموسوس . قال : أحسنت والله ! فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب الشرطة ؛ فصار به إلى الأمير ، فأخذ ونظف ، وأدخل الحمام ، وألبس ثياباً نظافاً ، وأدخل عليه ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ، فقال محمد : وعليك السلام ياماني . أما أن لك أن تزورنا على حين توقان منا إليك ، ومنازعة قلوب منا نحوك ؟ فقال مان : الشوق شديد ، والحب عتيذ ، والمزار بعيد ، والحجاب صعب ، والبواب فظ ، ولو سهّل لنا في الإذن لسهّلت علينا الزيارة ! فقال :

* الأغانى ص ٨٥ ج ٢٠ ، المعوضى ص ٤٢٥ ج ٢

(١) توفي سنة ٢٥٣ هـ وذلك في خلافة المعتز . وكان من الجود والكرم وغزارة الأدب ما لم يكن عليه أحد من نظرائه (٢) أبرمه : أملة (٣) مان الموسوس : اسمه محمد بن القاسم ، شاعر لبن الشعر رقيقه ، لم يقل شيئاً إلا في الغزل ، ومان لقب غلب عليه .

أَلْطَفَتْ فِي الْأَسْتِذَانِ ، فليُطَفِّ لَكَ فِي الْإِذْنِ ؛ لَا يَمْنَعُ مَانَ أَيُّ وَقْتٍ وَرَدَ مِنْ لَيْلٍ
أَوْ نَهَارٍ .

ثُمَّ أذِنَ لَهُ فِي الْجُلُوسِ فَجَلَسَ ، وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلَ ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ ، وَأَخَذَ
مَجْلِسَهُ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ شَوَّقَ إِلَى السَّمَاعِ مِنْ مَوْئِسَةٍ جَارِيَةٍ بِنْتِ الْمُهْدِيِّ . فَأَحْضَرَتْ ،
فَكَانَ أَوَّلَ مَا غَنَتْ بِهِ :

وَلَسْتُ بِنَاسٍ - إِذْ غَدُوا فَتَحَمَّلُوا - دَمُوعِي عَلَى الْخَدَّيْنِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ

وَقَوْلِي ، وَقَدْ زَالَتْ بَلِيلُ حَمُولِهِمْ ، بَوَاكِرُ تَحْدِي : لَا يَكُنْ آخِرَ الْعَهْدِ

فَقَالَ مَانٌ : أَحْسَنْتِ ! وَبِحَقِّ الْأَمِيرِ إِلَّا مَا زِدْتِ فِيهِ :

وَقَتَّ أَنْجَبِي الْفِكْرَ وَالذَّمْعُ حَائِرٌ بِمَقْلَةٍ مَوْقُوفٍ عَلَى الضَّرِّ وَالْجَهْدِ^(١)

وَلَمْ يُعِدِّنِي هَذَا الْأَمِيرُ بَعْدَهُ عَلَى ظَالِمٍ قَدْ لَجَّ فِي الْمُهْجَرِ وَالصَّدِّ

فَانْدَفَعْتَ تَعْنِيهِ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : أَعَاشِقُ أَنْتِ ؟ فَاسْتَحْيَا ، وَغَمَزَهُ ابْنُ طَالُوتَ

الْأَيُّوبِ لَهْ بِشَيْءٍ فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : مَبْلَغُ طَرْبٍ وَشَوْقٍ كَانَ كَأَمْنًا فَظَهَرَ ؛

وَهَلْ بَعْدَ الشَّيْبِ صَبَوَةٌ !

ثُمَّ اقْتَرَحَ مُحَمَّدٌ عَلَى مَوْئِسَةَ هَذَا الصَّوْتِ :

حَجَّبُوهَا عَنِ الرِّيَّاحِ لِأَنِّي قَالَتْ : يَارِيحُ بَلِّغِيهَا السَّلَامَا

لَوْ رَضُوا بِالْحِجَابِ هَانَ وَلَكِنْ مَنَعُوهَا عَنِ الرِّيَّاحِ الْكَلَامَا

فَغَنَّتْهُ ؛ فَطَرْبَ مُحَمَّدٍ ، وَدَعَا بِرَطْلِ فَشْرَبَ ، فَقَالَ مَانٌ : مَا عَلَى قَائِلِ هَذَا الشَّعْرِ

لَوْ زَادَ فِيهِ :

(١) الضَّرُّ : سُوءُ الْحَالِ ، وَالْجَهْدُ : الْمَشَقَّةُ .

فَتَنَفَّسْتُ ، ثُمَّ قَلْتُ لَطِيفِي : آهَ إِنْ زُرْتَ طَيْفَهَا إِيَّامَا
خُصَّةً بِالسَّلَامِ مِنِّي فَأَخْشَى يَمْنَعُوهَا لِشَقْوَتِي أَنْ تَنَامَا
لَسَكَانِ أَثَقَبِ ^(١) لَزَنْدِ الصَّبَابَةِ بَيْنَ الْأَحْشَاءِ ، وَأَشَدَّ تَغْلُغَلًا إِلَى الْكَبِيدِ ^(٢)
الصَّدْيَا مِنْ زَلَالِ الْمَاءِ ، مَعَ حَسَنِ تَأْلِيفِ نَظْمِهِ ، وَالِانْتِهَاءِ بِالْمَعْنَى إِلَى نَهَايَةِ تَمَامِهِ ؛
فَقَالَ مُحَمَّدٌ : أَحْسَنْتَ ! ثُمَّ أَمْرٌ مَوْئِسَةٌ بِالْحَاقِقِ مَابِالْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ ، وَالْغِنَاءُ بِهِمَا ، فَفَعَلْتَ .
ثُمَّ غَنَتْ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

يَا خَلِيلِي سَاعَةً لَا تَرِيْمَا ^(٣) وَعَلَى ذِي صَبَابَةٍ فَأَقِيْمَا
مَا مَرَرْنَا بِدَارِ زَيْنَبِ إِلَّا هَتَكَ الدَّمْعُ سَرَّانَا الْمَكْتُومَا
فَاسْتَحْسَنَهُ مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ مَانَ : لَوْلَا رَهْبَةُ التَّعَدَى لِأَضْفَتِ إِلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ
بَيْتَيْنِ لَا يَرِدَانِ عَلَى سَمْعِ ذِي أُبٍ فَيَصْدِرَانِ إِلَّا عَنِ اسْتِحْسَانٍ لِهَمَا ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ :
يَامَانِي ، الرَّغْبَةُ فِي حَسَنِ مَا تَأْتِي بِهِ حَائِلَةٌ دُونَ كُلِّ رَهْبَةٍ ، فَهَاتِ مَا عِنْدَكَ ! فَقَالَ :
ظَنِيئَةٌ كَالْهَلَالِ لَوْ تَلَحَّظَ الصَّخْرَ رَ بَطْرَفٍ لِنَاعِدَرَتُهُ هَشِيْمَا
وَإِذَا مَا تَبَسَّمَتْ خَلَّتْ إِيْمَا ضَ بَرُوقٍ أَوْ لَوْؤَا مِنْظُومَا
فَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَامَانِي : فَأَجِزْ ^(٤) هَذَا الشَّعْرَ :

لَمْ تَطْلُبِ اللَّذَاتِ إِلَّا بِمَنْ طَابَتْ بِهَا اللَّذَاتُ مَا نَوَسَهُ
غَنَتْ بِصَوْتِ أَطْلَقْتَ عِبْرَةً كَانَتْ بِسَجْنِ الصَّبْرِ مَحْبُوسَهُ
فَقَالَ مَانَ :

وَكَيفَ صَبَرَ النَّفْسَ عَنِ غَادَةِ أَظَاهِهَا إِنْ قَلْتَ : طَاوَسَهُ

(١) ثَقِبَتِ النَّارُ : اتَّقَدَتْ . وَالزَّنْدُ : الْعُودُ الَّذِي يَقْدَحُ بِهِ النَّارُ وَهُوَ الْأَعْلَى (٢) الْكَبِيدُ : مَوْئِسَةٌ .
وَقَدْ تَذَكَّرَ (٣) لَا تَرِيْمَا : لَا تَبْرَحَا (٤) الْإِجَازَةُ فِي الشَّعْرِ : أَنْ تَمَّ مِصْرَاعٌ غَيْرَكَ .

وَجُرْتُ إِنْ شَبَّهْتُهَا بَانَةً^(١) فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ مَغْرُوسَةً

وغيرُ عدل إن عدلنا بها جوهرةً في البحر مغموسة

ثم سكت ، فقال محمد : ما عدا في وصفه لها ، فقال مان :

جَلَّتْ عَنِ الْوَصْفِ فَمَا فِكْرَةٌ تُدَجِّحُهَا بِالنِّعْتِ مَحْسُوسَةٌ

فقال محمد : أحسنت ! فقالت مؤنسة : وجب شكرك ياماني فساعدك الدهر ،

وعطف عليك إلفك ، وقارنك سرورك ، وفارقك محذورك ، والله يديم لنا ذلك

ببقاء من به اجتمع شملنا ، فقال لها مان - عند قولها وعطف عليك إلفك - محبباً :

لَيْسَ لِي إِلْفٌ فَيُعْطِنِي فَارَقْتُ نَفْسِي الْإِبْطِيلُ

أنا موصول بنعمة من حبله بالمجد موصول

أنا مغبوط بنعمة من طبعه بالمجد مأمول

فأوماً إليه ابن طالوت بالقيام فنهض ، وهو يقول :

مَلِكٌ قَلَّ النَّظِيرُ لَهُ زَانَهُ الْغُرُّ الْبِهَالِيلُ

طاهري في مواكبه عرفه في الناس مبدول

فقال محمد : وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سبقت ، ثم أقبل على

ابن طالوت ، فقال : ليست خسارة المرء ، ولا اتضاع دهره ، ولا نبوء العين عن

الظاهر بمذهب ماركب فيه من الأدب ، وما أخطأ صالح بن عبدالقدوس حين يقول :

لَا يَعْجَبَنَّكَ مِنْ يَصُونُ ثِيَابَهُ خَوْفَ الْغُبَارِ وَعَرْضُهُ مَبْدُولُ

فلربما افتقر الفتى فرايته دس الثياب وعرضه مغسول

فلم يزل محمد مجرباً عليه رزقه حتى توفي !

(١) البان : ضرب من الشجر .

١٤٠ — سعاية *

سُعِي أَبِي الْحَسَنِ ^(١) عَلِيَّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيِّ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، وَقِيلَ لَهُ : إِنَّ فِي مَنْزِلِهِ
سِلَاحًا وَكُتُبًا وَغَيْرَهَا مِنْ شِيعَتِهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ لَيْلًا مَنْ هَجَمَ عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ عَلَى غَفْلَةٍ
رَمَى فِي دَارِهِ ، فَوُجِدَ فِي بَيْتٍ وَحْدَهُ ، مَغْلِقٍ عَلَيْهِ ، وَعَلَيْهِ مِدْرَعَةٌ ^(٢) مِنْ شَعْرٍ ، وَلَا
بِسَاطَ فِي الْبَيْتِ إِلَّا الرَّمْلَ وَالْحَصَى ، وَعَلَى رَأْسِهِ مِخْفَةٌ ^(٣) مِنْ الصُّوفِ ، مَتَوَجِّهًا إِلَى
رَبِّهِ يَتَرْتَمُّ بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ .

فَأَخَذَ عَلِيٌّ مَا وَجَدَ عَلَيْهِ ، وَحَمَلَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ؛ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَالْمُتَوَكِّلُ يَشْرَبُ ، وَفِي يَدِهِ كَأْسٌ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ أَعْظَمَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي
مَنْزِلِهِ شَيْءٌ مِمَّا قِيلَ فِيهِ ، وَلَا حَالُهُ يُتَهَلَّلُ عَلَيْهِ بِهَا ؛ فَنَاولَهُ الْمُتَوَكِّلُ الْكَأْسَ الَّتِي فِي
يَدِهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَا خَامَرَ لَحْمِي وَدَمِي قَطْ ! فَأَعْفِنِي مِنْهُ ، فَأَعْفَاهُ ، وَقَالَ :
أَنْشَدَنِي شَعْرًا اسْتَحْسِنُهُ ، فَقَالَ : إِنِّي لَقَلِيلُ الرَّوَايَةِ لِلْأَشْعَارِ ؛ فَقَالَ : لَا بَدَأَ أَنْ
تَنْشُدَنِي ، فَأَنْشَدَهُ :

بَاتُوا عَلَى قَلَلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غُابٌ ^(٤) الرِّجَالِ فَمَا أَعْنَتُهُمُ الْقَلَلُ
وَاسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عَزٍّ عَنْ مَعَاقِلِهِمْ فَأَوْدَعُوا حُفْرًا ، يَابِئَسَ مَا نَزَلُوا !

* ابن خلكان ص ٣٢٢ ج ١

(١) هو أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، كان مولده بالمدينة ، وأقام بها ، ولما كثرت
السعاية به عند المتوكل نقله الى سر من رأى فأقام بها ٢٠ سنة وتوفي سنة ٢٥٤ هـ (٢) المدرعة:
نوع من الثياب (٣) المخففة : اللباس فوق سائر اللباس يتيق به البرد كاللحاف (٤) الغلب : جمع
أغلب وهو الشجاع ، وأصل الأغلب الأسد .

ناداهم صارخٌ من بعدما قُبِرُوا : أين الأسرةُ والبيجانُ والحلُّلُ ؟
أين الوجوه التي كانت منعمةً من دونها تُضربُ الأستار والكللُ ؟
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم : تلك الوجوه عليها الدودُ يقتتلُ
قد طالما أكلوا دهرًا وما شَبِعُوا : فأصبحوا بعد طول الأكل قَدًا كَلُوا
وطالما عمَرُوا دُورًا لتحصنهم ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموالَ وأدخروا فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم فقرا معطلةً وساكنوها إلى الأجداث قدر حلوا

فأشفق مَنْ حضر على عليٍّ ، وظنّوا أن بادرةً تبدر منه إليه ، ولكن المتوكل
بكى بكاءً طويلا ، حتى بليت دموعه لحيته ، وبكى مَنْ حضره ، ثم أمر برفع الشراب
وقال : يا أبا الحسن ؛ أعليك دين ؟ قال : نعم ، أربعة آلاف دينار ، فأمر بدفعها
إليه ، وردّه إلى منزله من ساعته مكربّما .

١٤١ - أشعر من بالشام والعراق *

دخل أبو نصر المنذرى على أبي العلاء^(١) المعرى فى جماعة من أهل الأدب ؛
فأنشد كل واحد منهم من شعره ما تيسر ، وأنشده أبو نصر :

وقانا لفحة الرضاء وإد سقاها مضاعف الغيث العيم
نزلنا دوحه^(٢) فحننا علينا حنوة الودات على الفطم
وأرشفنا على ظمأ زلالا^(٣) ألد من المدامة^(٤) للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع^(٥) حصاه حالية^(٦) العذارى فتلمس جانب العقد النظيم
فقال أبو العلاء : أنت أشعر من بالشام .

ثم رحل أبو العلاء إلى بغداد ، فدخل المنذرى عليه فى جماعة من أهل الأدب
ببغداد ، وأبو العلاء لا يعرف منهم أحداً ، فأنشد كل واحد منهم ما حضره من شعره
حتى جاءت نوبة المنذرى فأنشد :

لقد عرض الحمام لنا بسجعٍ إذا أضغى له ركبٌ تلاحى^(٧)

* المستطرف ص ٤٦ ج ١

(١) أبو العلاء المعرى : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى الضرير الفيلسوف المؤلف
نشأ بالمعرة ، ودرس على أبيه وأهله صبياً ، ثم على علماء حلب وأعلى الشام حتى صار عالماً فى الاشتهار
ثم ذهب إلى بغداد ولاقى علماءها ورؤساءها ، ومكث فيها فلم يطب له العيش فرجع الى منزله
ولم يخرج منه . وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ (٢) الدوح : جمع دوحه : الشجرة العظيمة من أى
شجر كان (٣) ماء زلال : عذب (٤) المدامة : الخمر (٥) يروع : يفزع (٦) حليت المرأة : صارت
ذات حلى ، فهى حلية وحالية (٧) تلاحى : تازع .

شجى^(١) قلب الخلى فقميل : غنى و برح^(٢) بالشجى^(٣) فقميل : ناحا
وكم للشوق فى أحشاء صبَّ إذا اندملت أجد لها جراحاً
ضعيف الصبر عنك وإن تقاوى وسكران الفؤاد وإن تصاحى
بذاك بنو الهوى سكرى صحاة كأحداق المہا مرضى صحاحا
فقال أبو العلاء : ومن بالعراق (عطفاً على قوله : من بالشام) !

(١) شجاء : طربه (٢) برح به الأمر : جهده (٣) الشجى : الحزين .

١٤٢ — ابن جاح ينشد المعتضد بن عباد شعره *

ورد ابن جاح الشاعر على المعتضد بن عباد ، فدخل الدار المخصوصة بالشعراء
فسأله ، فقال : إني شاعر ! فقالوا : أنشدنا من شعرك فأنشدهم شعراً ضحكوا منه
وازدرؤه .

فقال بعض عقلائهم : دعوه ، فإن هذا شاعر ، وما يبعد أن يدخل مع الشعراء
ويندرج في سلكهم ، فلم يُبالوا كلام الرجل .

فبقى معهم ، وكان لهم في تلك الدولة يومٌ مخصوص ، لا يدخل فيه على الملك
غيرهم ، فقال بعض لبعض : هذه شُنعة^(١) بنا أن يكون مثل هذا البادى يُقدّم
علينا ، ويجترئ على الدخول معنا .

فاتفقوا على أن يكون هو أول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس
السلطان ، وقدّروا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم ، ويكون ذلك
حسماً لعله إقدام مثله عليهم .

فلما كان اليوم المذكور ، وقعد السلطان في مجلسه ، ونُصِبَ الكرسي لهم ،
رغبوا منه أن يكون هذا القادم أول متكلم في ذلك اليوم ، فأمر بذلك ، فصعد
الكرسي ، وانتظروا أن ينشد مثل ذلك الشعر المضحك ، فقال :

قَطَعْتُ يابومَ النوى أ كبادى وحرمت عن عيني لذيد رقادى
وتركتنى أرعى النجوم مُسَهِّداً والنارُ تُضرمُ في صميم فؤادى

* نفع الطيب ص ٤٦٨ ج ٢

(١) الشناعة : الفظاعة ، والاسم الشنعة .

فكأتما آلى الظلامُ أليّة لا ينجلي إلا إلى ميعاد
ولرب خَرَقٌ^(١) قد قطعَتْ نياطه والليل يرفلُ في ثياب حداد
بِشِمْلَةٍ^(٢) حَرَفٍ^(٣) كأنَّ زميلها سَرَحٌ^(٤) الرياح وكلُّ برق غادى
والنجمُ يحدوها وقد ناديتها: ياناقتى عُوْجِي على عبّادِ
ملاك إذا ما أُضْرِمَت نار الوعى وتلاقت الأجناد بالأجناد
فترى الجسوم بلا رءوس تنثى وترى الرءوس لَقَى^(٥) بلا أجساد
يأبها الملك المؤمّلُ والذي قُدِّمًا سما شرفًا على الأنداد
إن القريض لكاسدٌ فى أرضنا وله هنا سوقٌ بغير كساد
فجلبت من شعرى إليك قوافيًّا يَفْنَى الزمان وذِكْرُها متمادى
من شاعر لم يضطلع أدبًا ولا خَطَّتْ يدها صحيفةً بمداد

فقال له الملك : أنت ابن جاح ؟ فقال : نعم ! فقال : اجلس ، فقد وليتك
رياسة الشعراء ، وأحسن إليه ، ولم يأذن فى الكلام فى ذلك اليوم لأحدٍ بعده !

(١) الحرق : الففر والأرض الواسعة (٢) الشملة : السريعة (٣) الحرف : الناقة الضامرة
(٤) سرح الرياح : إرساها (٥) اللقى . ما طرح .

الباب الرابع

في القصص التي تسرد بارع ملحمهم ، ورائع طرفهم ،
في جواباتهم المسكتة وتصرفاتهم الحكيمة ، وتخلصاتهم
اللبقة ، مما يدل على حضور الذهن ، وسرعة البديهة ، وشدة
العارضة .

١٤٣ — حسان بن ثابت والنابعة*

قال حسانُ بن ثابتٍ : قدمتُ على النعمانِ بن المنذر وقد امتدحتمهُ ، فأتيتُ حاجبه عِصَّامَ بن شَهَبَرَ فجلستُ إليه ، فقال : إني لأرى عربياً ، أئمن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم ! قال : فكن قحطانياً ، قلت : فأنا قحطاني . قال : فكن يثريبياً . قلت : فأنا يثربي ، قال : فكن خزرجياً ، قلت : فأنا خزرجي ، قال : فكن حسانَ بن ثابت . قلت : فأنا هو .

قال : أجيئتُ بمدحةَ الملك ؟ قلت : نعم . قال : فإني أرشدك إذا دخلتَ عليه ، فإنه يسألك عن جبلة بن الأيهم ويسبُّه ، فإياك أن تساعدَه على ذلك ، ولكن أمرٌ ذكره إمراراً لا توافقُ فيه ولا تخافُ ، وقل : ما دخولُ مثلي أيُّها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وأنت منه ؟ ! وإن دعاك إلى الطعام فلا تؤأكله ، فإن أقسم عليك فأصب منه اليسير إصابةً بارٌّ قسمه ، متشرفٍ بمؤاكلته ، لا أكلَ جائع سَغِب^(١) ، ولا تطلِّ محادثته ، ولا تبدأه بإخبارٍ عن شيءٍ حتى يكونَ هو السائل لك ، ولا تطلِّ الإقامة في مجلسه .

فقلت : أحسن الله رفدك قد أوصيتَ واعياً ، ودخل ، ثم خرَّج إليَّ فقال لي : ادخل . فدخلتُ فسكمتُ وحييتَ تحية الملوك .

ثم جرى بيني وبينه في شأن جبلة ما قاله عصام كأنه كان حاضراً ، وأجبتُ بما أمرني ، ثم استأذنته في الإنشاد فأذن لي ؛ فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلت ما أمرني عِصَّامُ به ، وبالشراب ففعلت مثل ذلك ، فأمرني بجائزة سننية وخرجت .

* الأغاني ص ١٦٤ ج ٩ ، المجره ص ٣٥

(١) السغب : الجوع ، ولا يكون إلا مع تعب .

فقال لى عصام : بَقِيْتُ عَلَى وَاحِدَةٍ لَمْ أُوصِكَ بِهَا ، قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ النَّابِغَةَ ^(١) الذَّبْيَانِي قَدِمَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا قَدِمَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُ حَظٌّ سِوَاهُ ، فَاسْتَأْذَنَ حِينَئِذٍ وَانصَرَفَ مَكْرَمًا ؛ فَذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْصَرِفَ كَجَفْوًا .

فَأَقَمْتُ بِبَابِهِ شَهْرًا ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ فِزَارِيانُ كَانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ النَّعْمَانِ دُخْلٌ ^(٢) ، وَكَانَ مَعَهُمَا النَّابِغَةُ قَدْ اسْتَجَارَ بِهِمَا ، وَسَأَلَهُمَا مَسْأَلَةَ النَّعْمَانِ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمَا قُبَّةً مِنْ أَدَمَ ، وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّ النَّابِغَةَ مَعَهُمَا . ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا بِطَيْبٍ وَأَطْفَافٍ مَعَ قَيْنَةٍ مِنْ إِمَائِهِ ، فَكَانَا يَأْمُرَانِهَا أَنْ تَبْدَأَ بِالنَّابِغَةِ قَبْلَهُمَا ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِلنَّعْمَانِ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ النَّابِغَةُ ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهَا شَعْرَهُ :

« يَا دَارِمِيَّةُ بِالْعَلَمِيَاءِ فَالْسَّنَدِ »

وَسَأَلَهَا أَنْ تُغْنِيَهُ بِهِ إِذَا أَخَذَتْ فِيهِ الْحَجْرَ ، فَفَعَلَتْ فَأَطْرَبَتْهُ فَقَالَ : هَذَا شَعْرُ النَّابِغَةِ .

ثُمَّ خَرَجَ فِي غَيْبٍ ^(٣) سَمَاءً ، فَعَارَضَهُ الْفِزَارِيانُ وَالنَّابِغَةُ بَيْنَهُمَا قَدْ خُضِبَ بِجَنَاءٍ ، فَأَقْنَأُ ^(٤) خُضَابَهُ ، فَلَمَّا رَأَى النَّعْمَانُ قَالَ :

هِيَ بِدَمٍ كَانَتْ أَحْرَى أَنْ تُخْضِبَ . فَقَالَ الْفِزَارِيانُ : أَيْتِ اللَّعْنُ ! لَا تَثْرِيْبُ ! قَدْ أَجْرَنَاهُ وَالْعَفْوُ أَجْمَلُ ، فَأَمْنُهُ وَاسْتَنْشُدُهُ أَشْعَارُهُ .

قَالَ حَسَانُ : فَحَسَدْتُهُ عَلَى ثَلَاثٍ لَا أُدْرِي عَلَى أَيِّتِهِنَّ كُنْتُ لَهُ أَشَدَّ حَسَدًا : عَلَى إِدْنَاءِ النَّعْمَانِ لَهُ بَعْدَ الْمُبَاعَدَةِ وَمَسَامَرَتِهِ لَهُ ، وَإِصْفَائِهِ إِلَيْهِ ، أَمْ عَلَى جَوْدَةِ شَعْرِهِ ، أَمْ عَلَى مَائَةِ بَهِيرٍ مِنْ عَصَافِيرِهِ ^(٥) أَمْرٌ لَهُ بِهَا !

(١) هو زياد بن معاوية من ذبيان من قيس ، وهو من الأشراف الذين غض الشعر منهم كما غض من امرئ القيس ، مدح النعمان صاحب الحيرة وعمرو بن الحارث ملك القيسية ، وكانت له منزلة كبرى عند شعراء عصره ، فإذا جاء عكاظ ضربوا له قبة من جلد وجاء الشعراء يشدون أشعارهم (٢) دخلل : خاصة (٣) غب سماء : أى بعد أن أمطرت السماء (٤) أقنأ خضابه : اسود (٥) العصافير : إبل كانت للمنذر تتخذ نجائب للملوك .

١٤٤ - آية أخلاق كانت للعرب في الجاهلية ! *

رَافِقَ أَبُو بَكْرٍ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سِيرِهِ ؛
ثُمَّ انْتَهَوْا جَمِيعًا إِلَى مَجْلِسٍ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ، وَإِذَا مَشَايخُ لَهُمْ أَقْدَارٌ وَهَيْئَاتٌ .
فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ مَقْدَمًا فِي كُلِّ خَيْرٍ - فَسَلَّمَ وَقَالَ : مَنْ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا : مِنْ
شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ ، يَا
أَنْتَ وَقَوْمِي ! لَيْسَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ عَزٍّ فِي قَوْمِهِمْ ، وَهَؤُلَاءِ غُرُرٌ فِيهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ
مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو ، وَهَانِيُّ بْنُ قَبِيصَةَ ، وَالْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ ، وَالنَّعْمَانَ بْنَ شَرِيكَ ؛ وَكَانَ
مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو قَدْ غَلَبَهُمْ جَمَالًا وَلِسَانًا ، وَكَانَتْ لَهُ غَدِيرَتَانِ ^(١) تَسْقِطَانِ عَلَى صَدْرِهِ .
فَكَانَ أَدْنَى الْقَوْمِ مَجْلِسًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : كَيْفَ الْعَدَدُ فِيكُمْ ؟
فَقَالَ لَهُ : إِنَّا لَنَزِيدُ عَلَى أَلْفٍ ، وَلَنْ نُغَلِّبَ أَلْفٌ مِنْ قَلَةٍ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ الْمَنَعَةُ
فِيكُمْ ؟ فَقَالَ : عَلَيْنَا الْجَهْدُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ جَدٌّ ^(٢) . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَكَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ ؟ فَقَالَ : إِنَّا أَشَدُّ مَا نَكُونُ لِقَاءِ حِينَ نَغْضَبُ ، وَإِنَّا لَنُؤَثِّرُ الْجِيَادَ عَلَى
الْأَوْلَادِ ، وَالسَّلَاحَ عَلَى اللِّقَاحِ ^(٣) ، وَالنَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ : يُدِيلُنَا مَرَّةً وَيُدِيلُ عَلَيْنَا ^(٤)
مَرَّةً ، لَعَلَّكَ أَخُو قَرِيشٍ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ كَانَ بَلَّغَكُمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَهَاهُو ذَا .
فَقَالَ مَفْرُوقٌ : قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّهُ يَذْكَرُ ذَلِكَ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَجَلَسَ ،

* ابن كثير ص ١٤٤ ج ٣ ، الروض الأنف ص ٢٦٤ ج ١

(١) الغديرة : الذؤابة ، وجمعها غدائر (٢) الجد : الحظ (٣) اللقوح : الناقة الحلوب ، وجمعها لقاح (٤) يريد تغلب مرة ، وتغلب مرة .

وقام أبو بكر يُظَلِّه بثوبه ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله ، وأن تؤوؤونى وتَنصرونى ، حتى أُؤدّى عن الله الذى أمرنى به ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله ، وكذّبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد » .

قال مفروق : وإلآم تدعو أيضاً يا أخا قريش ؛ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (١) : « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا نَكْفِيْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ، وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

فقال مفروق : وإلآم تدعو أيضاً يا أخا قريش ؛ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (٢) : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

فقال مفروق : دعوتَ والله يا أخا قريشٍ إلى مكارمِ الأخلاقِ ومحاسنِ الأعمالِ ، ولقد أفك (٣) قومٌ كذّبوك وظاهروا عليك - وكأنه أحبّ أن يشركه فى الكلام هانى بن قبيصة - فقال : وهذا هانى بن قبيصة شيخنا .

(١) سورة الأنعام آية ١٥١ وما بعدها من القرآن الكريم (٢) القرآن الكريم سورة النحل آية ٩٠ وما بعدها (٣) أفك : كذب .

فقال هاني: قد سمعتُ مقاتلتك يا أخا قريش، وصدقتُ قولك، وإني أرى
أنَّ ترْكنا ديننا واتباعنا دينك لمجلس جلسته إيلنا ليس له أولٌ ولا آخر،
زلةٌ في الرأي، وطيشةٌ في العقل، وقلةٌ نظرٍ في العاقبة؛ وإنما تكون الزلة مع
العجلة، وإن من ورائنا قوماً نكره أن نَعقدَ عليهم عقداً، ولكن ترجعُ وترجعُ
وتنظرُ وتنظرُ - وكأنه أحبُّ أن يشركه في الكلام المثني بن حارثة - فقال:
وهذا المثني شيخنا وصاحبُ حرَبنا.

فقال المثني: قد سمعتُ مقاتلتك، واستحسنتُ قولك يا أخا قريش، وأعجبني
ما تكلمتَ به؛ والجواب هو جواب هاني بن قبيصة فإنما نزلنا الصريين^(١):
الهيامة والسامة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما هذان الصريان؟
فقال له: أما أحدهما فظفوف^(٢) البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس
وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كسرى ألا نُحدث حدثاً، ولا
نؤوى محدثاً، ولعلَّ هذا الأمر الذي تدعوننا إليه مما تكرهه الملوك؛ فأما ما كان
مما يلي بلاد العرب فذنبُ صاحبه مَغْفُورٌ، وعذره مقبول، وأما ما كان مما يلي بلاد
فارس فذنبُ صاحبه غير مَغْفُورٍ، وعذره غير مقبول. فإن أردت أن ننصرَكَ
ونمنعك مما يلي العرب فعلنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أسأتمُ
الرد إذ أفصحتُم بالصدق؛ إنه لا يقومُ بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه.

(١) كل ماء مجتمع صرى، وتثنيته صريان، ويروى نزلنا بين صيرين فقال رسول الله: وما
هذان الصيران؟ قال: مياه العرب وأنهار كسرى. والصير: الماء الذي يحضره الناس (راجع
لسان العرب - مادة صرى) (٢) ظفوف: جمع ظف وهو ساحل البحر وجانب البر.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُرَيْتُمْ أَنْ لَمْ تَلْبِثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى
يَمْنَحَكُمْ اللَّهُ بِلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ أَتَسْبِحُونَ اللَّهَ وَتُقَدِّسُونَهُ ؟ » . فقال له النعمان بن
شريك : اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش ! فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله
تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا
مُنِيرًا » . ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قابضاً على يدي أبي بكر ، والتفت
إلى علي وقال : يا علي ؛ أية أخلاق للعرب كانت في الجاهلية ! ما أشرفها ! بها
يتحاجزون في الحياة الدنيا !

١٤٥ — مسلم يَحْتال على قريش *

أسلم الحجاج^(١) بن عِلَاطِ السَّلَمِيِّ ، ولم تعلم قريش بإسلامه ؛ فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حَئِيرٍ في أن يصيرَ إلى مكة ، فيأخذَ ما كان له من مال — وكانت له أموالٌ متفرقة هناك ، وهو رجل غريب بينهم — فأذن له النبي ، فقال : يارسول الله إني أحتاجُ أن أقول^(٢) ! قال : فقل ! فصار إلى مكة .

فقلت قريش : هذا عمرُ الله عنده الخبر . قال : فقولوا . فقالوا : بلغنا أن القاطع^(٣) قد خرج إلى أهل خيبر . فقال الحجاج : نعم ! فقتلوا أصحابه قتلاً لم يسمع بمثله ، وأخذوه أسيراً ، وقالوا : نرى أن نُسكارِم^(٤) به قريشا ؛ فندفعه إليهم ؛ فلا تزالُ لنا هذه اليدُ في رقابهم ، وإنما بادرتُ لجمع مالي ؛ لعلِّي أصيبُ به من فل^(٥) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني إليه التجار ، ويتصل بينهم الحديث .

فاجتهدوا في أن جمعوا إليه ماله أسرعَ جمع ، وسُرُّوا أكثرَ السرور ، وقالوا بلا رِغم^(٦) !

وأتاه العباس بن عبد المطلب وهو كالمراة الواه^(٧) ، فقال : وَيْحَكَ يا حجاج !

* الكامل ص ٢٠٧ ج ١ ، رغبة الأمل ص ٢٩ ج ٣

(١) وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر فأسلم (٢) يريد : أقول — على جهة الاحتيال — غير الحق (٣) يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم البار الواصل رحمه ، وكانوا يرمونه — سفهاً — بالقاطع ، أى القاطع رحمه (٤) كارمه : غلبه في السكرم (٥) الفل : يريد من غنم ذلك الفل (٦) وقالوا بلا رِغم : يريد وفعلوا ذلك بلا كره ، والعرب تجعل القول عبارة عن الفعل ، وتطافه على غير الكلام (٧) الواه : ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد ، ويقال امرأه واله ورجل واله .

ماتقول؟ فقال: أ كاتمٌ أنت على خبْرِي؟ فقال: إى والله، فقال: فالبث^(١) على شيئاً حتى يخفّ موضعي .

ثم سار إليه ، فقال له : الخبر والله على خلاف ماقلت لهم ؛ خلفتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد فتح خيبر ، وخلقتهُ والله مُعْرِساً بابنة ملكهم^(٢) ، وما جئتُك إلا مسلماً ؛ فاطوِ الخبر ثلاثاً ، حتى أعجزَ^(٣) القومَ ، ثم أشعهُ ، فإنه والله الحق .

فقال العباس : ويحك ! أحقُّ ماتقول ؟ قال : إى والله . فلما كان بعد ثلاثة تخلّق^(٤) العباسُ وأخذ عصاه ، وخرج يطوف بالبית ؟ فقالت قريش : يا أبا الفضل هذا والله التجلّدُ ، فقال : كلاً ومن حلقتم به ، لقد فتحتها رسول الله ، وأعرَسَ بابنة ملكهم ! فقالوا : من أتاك بهذا الحديث ؟ فقال : الذى أتاكم بخلافه ، ولقد جاءنا مسلماً .

ثم أتت الأخبار من النواحي بذلك ! فقالوا : أفاننا الخبيث أولى له^(٥) !

(١) امكث ، وهو يريد اصبر (٢) يريد صفية بنت حي بن أخطب (٣) أعجز القوم : صيرهم عاجزين (٤) الخلق: الطيب ، وتخلّق: طلى ثوبه به (٥) أولى له : كلمة تهديد وتوعد .

١٤٦ - إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه *

جاء أعرابيٌّ إلى علي رضي الله عنه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن لي إليك حاجةً رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك ، وإن أنت لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك ؛ فقال له علي : خطها في الأرض فإني أرى الضر عليك . فكتب : إني فقير . فقال : يا قنبر^(١) اكسسه حتى !

فلما أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتني حلةً تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حُسن الثنا حلالاً
إيه أبا حسنٍ قد نلت مكرمة ولست تبغى بما قدمته بدلاً
إن الثناء ليُحبي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداء السهّل والجبالا
لا تزهد الدهر في عرفٍ بدأت به كلُّ امرئٍ سوف يجزي بالذي فعلا

فقال علي : يا قنبر ؛ زده مائة دينار ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لو فرقتها في المسلمين لأصلحت بها من شأنهم ! فقال علي : صه يا قنبر ؛ فإني سمعت النبي يقول : اشكروا لمن أثنى عليكم ، وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه !

* أدب السياسة ص ١٧٦ ، المستطرف ص ٢٤٤ ج ٢

(١) مولى علي رضي الله عنه .

١٤٧ -- مارأيتُهُ لآحَى أَحَدًا إِلَّا غَلَبَهُ *

قال عبد الله بن عمر : كنتُ عند أبي يوما ، وعنده نفرٌ من الناس ، فجرى ذكرُ الشعر ، فقال : مَنْ أشعُرُ العرب ؟ فقالوا : فلان وفلان . فطلع عبد الله بن عباس ، فسلم وجلس ، فقال عمر : قد جاءكم الخبير ؛ من أشعر الناس يا عبد الله ؟ قال : زهير بن أبي سلمى ، قال : فأنشدني مما تستجيده له ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه مدح قومًا من غطفان ، يقال لهم بنو سنان فقال :

لو كان يقعدُ فوقَ الشَّمسِ من كرمٍ قومٌ بأولهم أو مجديهم قعدوا
قومٌ ، سنانُ أبوهم حين تَدَسُّبُهُم^(١) ، طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنسٌ إذا آمنوا ، حين إذا فزعوا مُرَزَّوْن^(٢) بهاليل^(٣) إذا جاهدوا^(٤)
مُحَسِّدُونَ^(٥) على ما كان من نعم لا ينزعُ اللهُ منهم ماله حُسدوا
فقال عمر : والله لقد أحسن ، وما أرى هذا المدح يصلحُ إلا لهذا البيت من هاشم ؛ لقرابتهم من رسول الله .

فقال ابنُ عباس : وفَقَّك اللهُ يا أمير المؤمنين ، فلم تزل مُوَفَّقًا .
فقال عمر : أتدرى يا ابنَ عباس ما منع الناسَ منكم ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين !

* ابن أبي الحديد ص ١٠٧ ج ٣ ، تاريخ الطبرى ص ٣٠ ج ٥
(١) نسبه ينسبه : ذكر نسبه . وسأله أن ينتسب (٢) المرزءون : الكرماء (٣) البهلول : السيد الجامع لكل خير (٤) جهد كمنع : جد كاجتهد (٥) حسده : كحسده تمنى أن تتحول إليه نعمته .

قال : لكنى أدرى . قال : ماهو يا أمير المؤمنين ؟ قال : كرهت قريش أن تجتمع
لكم النبوة والخلافة فُجَحِفُوا^(١) الناس جَحْفًا ؛ فنظرت قريش لأنفسها فاختارت ،
وَوُفِّقَتْ فَأَصَابَتْ .

فقال ابن عباس : أيميط أمير المؤمنين عن غضبه فيسمع ؟ قال : قل ما تشاء .
قال : أما قول أمير المؤمنين : إن قريشا كرهت فإن الله تعالى قال لقوم :
« ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ » . وأما قولك : إنا كنا نجحف
فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة ، ولكننا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله ،
الذي قال الله فيه : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » . وقال له : « وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ
لِمَن آتَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وأما قولك : فإن قريشا اختارت ، فإن الله تعالى يقول : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ » .

وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار ، فلو نظرت
قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت .

فقال عمر : على رسلك يا ابن عباس ! أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشا في أمر
قريش لا يزول ، وحقداً عليها لا يحول .

فقال ابن عباس : مهلاً يا أمير المؤمنين ، لاتنسب قلوب بني هاشم إلى الغش ؛
فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره الله وزكاه ، وهم أهل البيت الذين
قال الله لهم : إنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا .
وأما الحقد ؛ فكيف لا يحقد من غضب شيؤهُ ، ويراه في يد غيره ؟ فقال عمر :

(١) أجحف به : ذهب .

ما أنت يا ابن عباس؟ فقد بلغني عنك كلامٌ أكره أن أُخبرك به، فتزول منزلتُك عندي! قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ أُخبرني به فإنَّ يكُ باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإنَّ يكُ حقاً فإنَّ منزلتي عندك لاتزول به! قال: بلغني أنك لاتزال تقول: أُخِذَ هذا الأمرُ منا حسداً وظُلماً.

قال: أما قولك يا أمير المؤمنين: حسداً؛ فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، فنحن بنو آدم المحسود، وأما قولك: ظلماً؛ فأمير المؤمنين يعلمُ صاحب الحقِّ مَنْ هو؟

ثم قال: يا أمير المؤمنين، ألم تحتج العربُ على العجم بحق رسول الله، واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله؛ فنحن أحقُّ برسول الله من سائر قريش. فقال له عمر: قم الآن فارجعْ إلى منزلك. فقام، فلما ولى هتَفَ به عمر: أيها المنصرف؛ إني على ما كان منك لراعٍ حقك. فالتفت ابن عباس فقال: إن لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسامِين حقاً برسول الله. فمن حفظه فحقَّ نفسه حفظ، ومن أضاعه فحقَّ نفسه أضاع، ثم مضى.

فقال عمر لجلسائه: واهاً لابن عباس، ما رأيتُهُ لآحى^(١) أحداً قط إلا خصمه^(٢)!

(١) لاحاه: نازعه (٢) خصمه فخصمه: غلبه.

١٤٨ - المغيرة بن شعبة وأحد الأعراب *

خرج المغيرة ^(١) بن شعبة ، وهو على الكوفة يومئذ ، ومعد الهيثم بن الأسود النخعي بعد مطرٍ يسيرٍ بظهِرِ الكوفة؛ فلقى أعرابياً من بنى تميمِ الله بن ثعلبة - وهو لا يعرفُ المغيرة .

فقال له المغيرة : من أين أقبلتَ يا أعرابي؟ قال : من السماوة ، قال : كيف تركتَ الأرضَ خلفك؟ قال : عريضةٌ ^(٢) أريضة ، قال : وكيف كان المطر؟ قال : عني الأثر ، وملاً الحُفَر .

قال : ممن أنت؟ قال : من بكر بن وائل ، قال : كيف علمك بهم؟ قال : إن جهلتهم لم أعرف غيرهم ، قال : فما تقول في بنى شيبان؟ قال : سادتنا وسادةٌ غيرنا ، قال : فما تقول في بنى ذهل؟ قال : سادة نوّكي ^(٣) ، قال : فقيس بن ثعلبة؟ قال : إن جاورتهم سرقوك ، وإن ائتمنتهم خانوك . قال : فبنو تميمِ الله بن ثعلبة؟ قال : رعاءٌ ^(٤) البقر ، وعراقيب الكلاب ، قال : فما تقول في بنى يشكر؟ قال : صريحٌ ^(٥) تحسبه مولى ، قال : ففجّل؟ قال : أحلاس الخليل ^(٦) . قال : فحنيفة؟ قال :

* أغاني ص ١٣٨ ج ١٥

(١) المغيرة بن شعبة : صحابي جليل ، شهد في عهد رسول الله بعض المواقع ، وشهد كثيراً من الفتوح في عهد الخلفاء الراشدين وتوفي سنة ٥١ هـ (٢) يقال : أرضت الأرض فهي أرض أريضة إذا كانت زكية معجبة (٣) نوكي : جمع أنوك وهو الأحمق (٤) رعاء : جمع راع (٥) الصريح : الخالص النسب (٦) المجلس في الأصل : كساء على ظهر البعير تحت البرذعة ، ويقال : هو حاس بيته ، إذا لم يبرح مكانه ، والمراد هنا أنهم يلازمون ركوب الخيل مغيرين أو محاربين .

يطعمون الطعام ، ويضربون الهام ، قال : فعززة ؟ قال : لالتقى بهم الشفتان لوماً !
قال : فأخبرني عن النساء ، قال : النساء أربع : ربيع مربع ، وجميع يجمع ،
وشيطان سمعمع ، وغل لا يخلع ، قال : فسّر ، قال : أما الربيع فالتى اذا نظرت إليها
سرتك ، وإذا أقسمت عليها برتك ؛ وأما التى هى جميع يجمع ، فالمرأة تزوجها
فتجمع نسبك إلى نسبها ؛ وأما الشيطان السمعمع ؛ فالكلحة فى وجهك إذا
دخلت ، والمولولة فى إترك إذا خرجت ؛ وأما الغل الذى لا يخلع فبنت عمك السوداء ،
القصيرة الورهاء ^(١) الذميمة التى قد نثرت لك بطنها ؛ إن طلقتها ضاع ولدك ، وإن
أمسكتها فعلى جدع أنفك. ثم قال له : ما تقول فى أميرك المغيرة ؟ قال : أعور زناء ،
فقال الهيثم : فض الله فاك ! ويلك ! هذا الأميرالمغيرة ، فقال : إنها كلمة والله تُقال ؛
فانطلق به المغيرة إلى منزله ، وعنده يومئذ أربع نسوة وستون أمة ، ثم قال له : ويحك !
هل يقدم أحدٌ على هذه الكبيرة وعنده مثل هؤلاء ؟ ثم قال لهن المغيرة : ارمين
إليه بحلّيتكن ، فخرج الأعرابي بملء كسائه ذهباً وفضة !

(١) الورهاء : الخرقاء فى العمل أو الحقاء .

١٤٩ — دهاء عمرو بن العاص *

لما نزل عليُّ بنُ أبي طالب الكوفةَ بعدَ فراغه من أمرِ البصرة كتب إلى معاويةَ كتاباً يدعوهُ إلى البيعة ، وأرسلَ جريرَ بنَ عبدِ اللهِ البجلي ، فقدم عليه به الشام ، فقرأه ، فاغتمَّ بما فيه ، وذهبتُ به أفكاره كلَّ مذهب ؛ وطاول جريراً بالجواب عن الكتاب ، حتى كَلَّمَ قوماً من أهلِ الشام في الطلب بدمِ عثمان بنِ عفان فأجابوه ، ووَثَّقوا له .

وأحبُّ الزيادة في الاستظهار ، فاستمعانُ بأخيه عتبة بنِ أبي سفيان ؛ فقال له : استعن بعمر بنِ العاص ؛ فإنه من قد علمتَ في دهائه ورأيه ، وقد اعتزلَ عثمانُ ابنِ عفان في حياته ، وهو لأمرِك أشدُّ اعتزالاً ، إلا أن يُشمنَ له دينه ، فسبيبعك ، فإنه صاحبُ دنيا .

فكتب إليه معاوية : أما بعد ، فإنه كان من أمرِ عليٍّ وطلحةَ والزبير ما قد بلغك ، وقد سقط إلينا مرَّوان بنُ الحكم في نفرٍ من أهلِ البصرة ، وقدمَ علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي ، وقد حبستُ نفسي عليك ، فأقبلَ إذا كرك أموراً لا تعدمُ صلاحَ مَعْبَتِهَا إن شاء الله .

فلما قدِم الكتاب على عمرو استشار ابنه : عبد الله بن عمرو ، ومحمد بن عمرو ؛ فقال لهما : ما تريان ؟ فقال عبد الله : أرى أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قبضَ وهو عنك راض ، والخليفتان بعده ، وقُتِلَ عثمانُ وأنت غائب عنه ، فقرَّ في منزلك

* ابن أبي الحديد ص ١٣٥ ج ١ ، رغبة الآمل من كتاب الكامل ص ٢٠٨ ج ٣

فلمستَ مجعولا خليفة ، ولا تزيدُ على أن تكونَ حاشيةً لمعاوية على دنيا أوشكتما أن تهلكا وتفارقاها .

وقال محمدٌ : أَرَى أَنْكَ شَيْخُ قَرِيشٍ وصاحبُ أمرِها ، وإنْ تصرَّم هذا الأمرُ وأنت فيه غافل ، تصاغرُ أمرُك ؛ فالحقُ بجماعة أهل الشام ، وكنْ يدًا من أيديها ، طالبًا بدمِ عثمان ، فإنه سيقومُ بذلك بنو أمية .

فقال عمرو : أنت يا عبد الله قد أمرتني بما هو خير لي في ديني ، وأما أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي ، وأنا أنظر .

ثم دعا عمرو غلامه وردان - وكان داهيةً ماردًا - فقال : ارحلْ يا وردان ، ثم قال : احططْ يا وردان ! ثم قال : ارحلْ يا وردان ، احططْ يا وردان . فقال له وردان : خلطتَ أبا عبد الله ، أما إنك إن شئتَ أنبأتك بما في قلبك ، قال : هاتِ ، ويحك ! قال : اعتركتِ الدنيا والآخرةُ على قلبك ، فقلت : علىَّ معه الآخرةُ في غير دنيا ، وفي الآخرة عوضٌ عن الدنيا ، ومعاويةُ معه الدنيا بغير آخرة ، وليس في الدنيا عوضٌ من الآخرة ، وأنت واقف بينهما .

قال : قاتلك اللهُ ! ما أخطأتَ ما في قلبي ، فما ترى يا وردان ؟ قال : أرى أن تقيمَ في بيتك ؛ فإن ظهر أهلُ الدين عشتَ في عَفْوِ دينهم ، وإن ظهر أهلُ الدنيا لم يَسْتَعْنُوا عنك ، قال : الآن لما شهرت العرب سَيْرِي إلى معاوية !

ثم ارتحل حتى قدم على معاوية ، وعرف حاجته إليه ، فباعده من نفسه ، وكايد كلُّ واحدٍ منهما صاحبه .

فقال له معاوية يوم دخل عليه : أبا عبد الله ؛ طرقتنا في ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر . قال : وما ذاك : قال : منها أن محمد بن أبي حذيفة كسر

سِجْنِ مِصرَ، فخرج هو وأصحابه، وهو من آفات هذا الدين؛ ومنها أن قيصر زحف
بجماعة الروم ليغلب على الشام؛ ومنها أن عليًّا نزل الكوفة، وتهيًّا للمسير إلينا.
فقال عمرو: ليس كلُّ ما ذكرت عظيمًا؛ أما ابنُ أبي حُدَيْفَةَ فما يتعاظمك^(١)
من رجل خرج في أشباهه أن تبعثَ إليه رجلاً يَقْتله، ويأتِيكَ به، وإن قاتَلَ
لم يضرك؛ وأما قيصر فأهد له الوصائف وآنية الذهب والفضة، وسلَّهُ المِوادعة فإنه
إليها سريع؛ وأما علي، فلا والله يامعاوية، ما يسوَّى العربيُّ بينك وبينه في شيء
من الأشياء، وإن له في الحرب لَحْظًا، ما هو لأحدٍ من قريش، وإنه لصاحب
ما هو فيه إلا أن تظلمه.

قال معاوية: يا أبا عبد الله؛ إني أدعوك إلى جهادِ هذا الرجل الذي عصى الله
وشقَّ عصا المسلمين، وقتل الخليفة وأظهر الفتنه، وفرَّق الجماعة، وقطع الرحم.
فقال عمرو: والله يامعاوية، ما أنت وعليَّ حِمْلِي بعير، ليس لك هِجْرَتُهُ ولا
سابقته، ولا صُحْبَتُهُ ولا جهاده، ولا فقْهَهُ ولا علمه؛ والله إن له مع ذلك لَحْظًا
في الحرب ليس لأحد غيره، ولكني قد تعودت من الله تعالى إحسانًا وبلاءً جميلًا،
فما تجعل لي إن شايعتك على حربِهِ، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال:
حُكْمُكَ، فقال: مصر طعمة، فتلكَ معاوية، وقال: يا أبا عبد الله؛ إني
أكرهُ لك أن تتحدثَ العربُ عنك أنك إنما دخلتَ في هذا الأمر لغرضِ
الدنيا! قال عمرو: دَعْنِي عنك، فقال معاوية: إني لو شئتُ أن أُمْنِيكَ وأخدعك
لفعلت: قال عمرو: لعمرُ الله ما مثلي يُخدَع، لأننا أ كَيْسُ من ذلك، فقال معاوية:
ادنُ مني أسارك، فدنا منه عمرو ليساره، فعضَّ معاوية أذنه، وقال: هذه خدعة.

(١) لا يعظم عليك.

هل ترى في البيت أحدا غيري وغيرك. ثم تكلم عليه وانصرف عمرو .
فلما حضر عتبة بن أبي سفیان قال لمعاوية : أما ترضى أن تشتري عمراً بمصر ؟
فقال معاوية : يا عتبة ؛ بت عندنا الليلة . فلما جنَّ الليل على عتبة رفع صوته لیسمع
معاوية وقال :

أيها المانع سيفاً لم يهز إنما ملت على خزٍ وقز
أعط عمراً إن عمراً تاركٌ دينه اليوم لدنياً لم تُحز
أعطه مصرَ وزده مثلها إنما مصرٌ لمن عزَّ فبز
واترك الحرص عليها ضلةً واشتب النار لمقرور يُكز
إن مصر لعلیُّ أولنا يغلب اليوم عليها من عجز

فلما سمع معاوية قول عتبة ، أرسل إلى عمرو فأعطاه مصرًا ، وكتب له

كتاباً بها .

١٥٠ - بين معاوية وهاني بن عروة *

ولَّى معاويةُ كَثِيرَ بنِ شَهابِ المَذْحِجِيِّ خُرَّاسَانَ ؛ فَاخْتَانَ مَالًا كَثِيرًا ، ثُمَّ
هَرَبَ ؛ فَاسْتَتَرَ عِنْدَ هَانِيٍّ (١) بِنِ عُرْوَةَ المَرَادِيِّ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ ، فَغَضِبَ ، فَغَضِبَ
هَانِيٌّ ؛ فَخَرَجَ هَذَا ، فَكَانَ فِي جَوَارِ مَعَاوِيَةَ .

ثُمَّ حَضَرَ مَجْلِسَهُ - وَمَعَاوِيَةُ لَا يَعْرِفُهُ - فَلَمَّا نَهَضَ النَّاسُ ثَبَتَ مَكَانَهُ ؛ فَسَأَلَهُ
مَعَاوِيَةُ عَنْ أَمْرِهِ ؛ فَقَالَ ؛ أَنَا هَانِيٌّ بِنِ عُرْوَةَ . فَقَالَ ؛ إِنْ هَذَا اليَوْمَ لَيْسَ بِيَوْمٍ
يَقُولُ فِيهِ أَبُوكَ :

أُرْجِلُ جُمَّتِي (٢) وَأُجِرُّ ذَيْلِي وَتَحْمَلُ شِكَّتِي (٣) أَفُقُّ (٤) كُمَّتِي (٥)
أُمْسِي فِي سَرَاةِ بَنِي غُطَيْفٍ إِذَا مَا سَامَنِي ضَيْمٌ أَيْتُ

فَقَالَ لَهُ هَانِيٌّ ؛ أَنَا اليَوْمَ أَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ اليَوْمِ ! فَقَالَ لَهُ ؛ بِمِ ذَاكَ ؟ فَقَالَ ؛
بِالإِسْلَامِ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ ؛ أَيْنَ كَثِيرُ بنِ شَهابِ ؟ قَالَ ؛ عِنْدِي فِي عَسْكَرِكَ
يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ ؛ انظُرْ إِلَى مَا اخْتَاتَهُ ؛ فَخَذَ مِنْهُ بَعْضًا ، وَسَوَّغَهُ
بَعْضًا !

* رغبة الآمل ص ٨٦ ج ٢ ، الكامل ص ٧٢ ج ١

(١) هاني بن عروة بن الفضاض من قراء الكوفة ، وكان من خواص علي بن أبي طالب ،
قتل مع مسلم بن عقيل رسول الحسين إلى الكوفة (٢) الجملة : مجتمع شعر الرأس (٣) الشكة :
السلاح (٤) فرس أفق : رائع (٥) الكميت : الذي خالط حمرة قنوء .

١٥١ — إن هذا العبد غلبني وغلبك *

دخل عمرو^(١) بن العاص يوماً على معاوية بعد ما كبر ودقَّ ، ومعه مولاة
وزَردان ، فأخذا في الحديث ، وليس عندهما غير وزَردان ، فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ،
ما بقي مما تستلذه ؟ فقال : أما الثيابُ فقد لبستُ من لَيِّنِها وجَيِّدِها حتى وهَى بها
جلدى فما أدري أيها ألين ، وأما الطعامُ فقد أكلتُ من لينه وطيبه حتى ما أدري
أيّه ألدُّ وأطيب ، وأما الطَّيبُ فقد دَخَلَ خياشيمي منه حتى ما أدري أيّه أطيب ،
فما شئُ ألدُّ عندي من شراب بارد في يوم صائف ، ومن أن أنظر إلى بَنِي ، وبَنِي
بَنِي يدورون حولي .

فما بقي منك يا عمرو ؟ قال : مال أغرسه فأصيبُ من ثمرته ومن غلته . فالتفت
معاوية إلى وردان فقال : ما بقي منك يا وردان ؟ قال : صنيعة كريمة سنيّة أعلقها
في أعناق قوم ذوى فضل وأخطار ، لا يكافئونني عليها حتى ألقى الله تعالى ، وتكون
لهقبى في أعقابهم بعدى . فقال معاوية : تبّاً لمجاسنا سائر اليوم ! إن هذا العبد
غلبني وغلبك !

* المسعودى ص ٦٦ ج ١

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل : أسلم سنة ثمان مع خالد بن الوليد وولاه معاوية مصر ثلاث

سنتين ثم حضرته الوفاة قبل الفطر بيوم ، سنة ٤٢ هـ .

١٥٢ — ما عليه لو عرض ! *

دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجة ، وقد كان بلغ معاوية عنه ما كرهه ؛ فكره قضاءها وتشاغل .

فقال عمرو : يا معاوية ؛ إن السخاء فطنة ، واللؤم تغافل ، والجفاء ليس من أخلاق المؤمنين ! فقال معاوية : يا عمرو ؛ بماذا تستحقُّ مناقضاء الحوائج العظام ؟ فغضب عمرو ، وقال : بأعظم حقٍّ وأوجبهِ ؛ إذ كنت في بحرٍ عجَّاجٍ ^(١) ؛ فلولا عمرو لغرقت في أقلِّ مائه وأرقه ؛ ولكنني دفعتك فيه دفعةً فصرت في وسطه ، ثم دفعتك فيه أخرى ، فصرت في أعلى المواضع منه ؛ فمضى حكمك ، ونفذ أمرُك ، وانطلق لسانك بعد تلجُّجِه ، وأضاء وجهك بعد ظلمته .

فتناوم معاوية ، وأطبق جفنيه ملياً ؛ فخرج عمرو ، فاستوى معاوية جالساً ، وقال لجلسائه : رأيتم ما خرج من فم ذلك الرجل ! ما عليه لو عرض ، ففي التعريض ^(٢) ما يكفي ، ولكنه جهنى بكلامه ، ورماني بسُومٍ سيِّئِ

فقال بعضُ جلسائه : يا أمير المؤمنين ؛ إن الحوائج لتُقضى على ثلاث خصال : إما أن يكون السائلُ لقضاء الحاجة مُستحقاً ؛ فتُقضى حاجته بحقه ، وإما أن يكون السائلُ لئماً فيصون الشريفُ نفسه عن لسانه ؛ فيقضى حاجته ؛ وإما أن يكون المسئولُ كريماً فيقضيها لكرمه صغرت أو كبرت .

* ابن أبي الحديد ص ١٠٤ ج ٢

(١) بحر عجاج : لئله صوت (٢) التعريض : ضد التصريح .

فقال معاوية : لله أبوك ! ما أحسن ما نطقت به ! وبعث إلى عمرو فأخبره ،
وقضى حاجته ، ووصله بصلةٍ جليمة .

فلما أخذها وليّ منصرفاً ؛ فقال معاوية : فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم
يُعطوا منها إذا هم يسخطون . فسمعا عمرو ؛ فالتفت إليه مُغضباً ، فقال : والله
يا معاوية لا أزال آخذ منك قهراً ، ولا أطيع لك أمراً ، وأحفر لك بئراً عميقة إذا
وقعت فيها لم تُدرَك إلا رمياً !

فضحك معاوية ، فقال : ما أردتك يا أبا عبد الله^(١) بالكلمة ، وإنما كانت
آيةً تلوثها من كتاب الله عرّضت بقلبي ، فاصنع ما شئت !

(١) عمرو بن العاص .

١٥٣ — لا يأتينا غير طالب فقهه أو طالب فضل*

دخل عبدُ الله بن صفوان على عبدِ الله^(١) بن الزبير - وهو يومئذ بمكة -
فقال : أصبحت كما قال الشاعر :

فإن تصبك من الأيام جائحةٌ لأبك منك على دنيا ولا دين

فقال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبدُ الله بن عباس يفقه الناس ، وعبيدُ
الله أخوه يطعم الناس ، فما أبقيا لك ؟ فأخفظه ذلك ، وأرسل صاحب شُرطته عبد الله
ابن مطيع وقال له : انطلقْ إلى ابني عباس ، فقل لهما : أعمدتما إلى راية تُرابيةٍ قد
وضعها الله ، فنصبتها ! بددا عني جمعكما ، ومن ضوى^(٢) إليك من ضلال أهل
العراق وإفعلتُ وفعلتُ . . .

فقال ابن عباس : قل لابن الزبير : يقول لك ابن عباس : ثكلتك أمك !
والله ما يأتينا من الناس غير رجلين : طالبُ فقهه أو طالب فضل ، فأى هذين تمنع ؟
فقال أبو الطفيل^(٣) :

لادرّ درّ الليالي كيف تُضحكننا منها خطوبٌ أعاجيبٌ وتُبكيُننا
ومثل ما تحدث الأيام من غير يابنَ الزبير عن الدنيا تسليُننا
كُننا نجى ابنَ عباس فيقمسنا^(٤) علماً ويُكسبنا أجراً ويهدينا

* الأغانى ص ١٦١ ج ١٣

(١) انظر صفحة ١٢٦ (٢) ضوى : انضم (٣) هو عامر بن وائلة ، كانت له صحبة برسول
الله صلى الله عليه وسلم وعمر بعده طويلاً ، وكان من شيعة علي بن أبي طالب ، وله منه محل خاص
(٤) يقمسننا : يعلماننا .

ولا يزال عبيد الله مترعةً
فالبِرِّ والدين والدنيا بدارهما
إن النبي هو النور الذي كُشِفَتْ
وربطه عصمة في ديننا ولهم
ولست فاعلمه - أولى منهم رحماً
ففيهم تمنعهم عنا وتمنئنا
لن يؤتى الله من أخزى بيغضهم
جفانه مُطعماً ضيفاً ومسكيناً
ننال منها الذي نبغى إذا شيناً
به عمآياتُ باقيناً وماضيناً
فضل علينا وحقُّ واجب فينا
يا بن الزبير ولا أولى به ديناً
منهم وتؤذيهم فينا وتؤذينا؟
في الدين عزاً ولا في الأرض تمكيناً

١٥٤ — ابن أبي محجن عند معاوية *

وفد ابنُ أبي محجنِ على معاوية ، فقام خطيباً ، فأحسن ، فحسده معاوية .
فقال له : أنت الذي أوصاك أبوك بقوله :

إِذَا مِتَّ فَادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ
وَلَا تَدْفِنِّي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي
قَالَ : بَلْ أَنَا الَّذِي يَقُولُ أَبِي :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَمَالِي وَكَثْرَتَهُ
أَعْطَى الْحَسَامَ غَدَاةَ الرَّوْعِ حَصَّتَهُ
وَأَطْعَمَ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ ^(٢) عَنْ عَرَضٍ
وَيَعْلَمُ النَّاسُ أَنِّي مِنْ سَرَائِهِمْ ^(٣)
وَسَائِلِ النَّاسِ مَا جُودِي وَمَا خَلَقِي
وَعَامِلُ الرَّمْحِ أَرْوِيهِ مِنَ الْعَلَقِ ^(١)
وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ
إِذَا طَبِشَ يَدُ الرَّعْدِ بَدِيدَةً ^(٤) الْفَرَقِ ^(٥)

فقال له معاوية : أحسنت والله يا ابن أبي محجن ، وأمر له بصلاة وجائزة .

* المستطرف ص ٢٣٦ ج ٢ ، ذيل زهر الآداب ص ٦٨

(١) العلق : الدم الغليظ . (٢) النجلاء : الواسعة (٣) سراة : جمع السرى : وهو الرئيس
(٤) الرعديدة : الجبان (٥) الفرق : شديد الفزع .

١٥٥ - ذكر تني يوم النفخ في الصور *

قدم سعيد ^(١) بن جُمَيْرٍ على الحجاج فقال له : ما أسْمُكُ ؟ قال : سعيد ، قال : ابنُ من ؟ قال : ابنُ جبير ، قال الحجاج : بل أنت شقي بنُ كسير . قال سعيد : أمي أعلمُ بأسمي واسم أبي ، قال الحجاج : شقيتَ وشقيتَ أمك ، قال سعيد : الغيبُ يعلمهُ غيرُك ، قال الحجاج : لأورِدَنَّكَ حياضَ الموت ! قال سعيد : أصابت إذن أمي اسمي .

قال الحجاج : لأبدلَنَّكَ بالذُّنيا ناراً تاطَى ! قال سعيد : لو أعلمُ أن ذلك بيدك لا اتخذتُكَ إلهاً .

قال الحجاج : فما قولك في محمد ؟ قال سعيد : نبيُّ الرحمة ، وإمام الهدى . قال الحجاج : فما قولك في الخلفاء ؟ قال سعيد : لست عليهم بوكيل ، كلُّ امرئٍ بما كسب رهين . قال الحجاج : أشتُمهم أم أمدحهم ؟ قال سعيد : لا أقول ما لا أعلم ؟ قال الحجاج : أيهم أعجب إليك ؟ قال : أرضاهم لخالقي ، قال : فأيهم أرضى للخالق ؟ فقال : علمُ ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم . قال الحجاج : صف لي قولهم في علي ؛ أفي الجنة هو أم في النار ؟ قال سعيد : لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ، ولو رأيت

* ابن خلكان ص ٢٠٥ ج ٢ ، المعارف لابن قتيبة ص ١٩٧

(١) أخذ سعيد بن جبير العلم عن ابن عباس وابن عمر ، وكان من أجمع التابعين لعلم الفقه والتفسير ورعا تقيا ، خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الرحمن هرب سعيد فلاحق بمكة ، ولكن واليها يومئذ خالد بن عبد الله القسري أخذه وأرسله إلى الحجاج فقتله سنة ٩٥ هـ .

من في النار علمت ؛ فما سؤالك عن غيبٍ قد حُفِظَ بالحجاب ؟ قال الحجاج : فأى رجل أنا يوم القيامة . قال سعيد : أنا أهونُ على الله من أن يُطْلَعِني على الغيب . قال الحجاج : أبيت أن تصدقني . قال سعيد : بل لم أريد أن أكذبك .

قال الحجاج : دع عنك هذا كله وأخبرني مالك لم تضحك قط ؟ قال : لم أر شيئاً يُضحكني ، وكيف يضحك مخلوقٌ من طين ، والطين تأكله النار ، ومُنْقَلَبُهُ إلى الجزاء ؟ قال الحجاج : فأنا أضحك ؛ قال سعيد : كذلك خلقنا الله أطواراً ، قال الحجاج : هل رأيت شيئاً من اللهو ؟ قال : لا أعلم . فدعا الحجاج بالعود والناس . فلما ضربَ بالعود ونُفِخَ في الناي بكى سعيد . قال الحجاج : ما يبكيك ؟ قال : هو الحزن ؛ ذكرتني أمراً عظيماً . أما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور ، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق ، وأما الأوتار فمن الشاء تبعث معها يوم القيامة ، فقال الحجاج : أنا قاتلك ، أنا أحبُّ إلى الله منك ؛ أنا مع إمام الجماعة ، وأنت مع إمام الفرقة . قال سعيد : ما أنا بخارج على الجماعة ، ولا أنا براضٍ عن الفتنة ، ولكن قضاء الرب نافذٌ لا مردَّ له .

قال الحجاج : كيف ترى ما نجمعُ لأمير المؤمنين ؟ قال سعيد : لم أره . فدعا الحجاج بالذهب والفضة والكسوة والجوهر ، فوَضَعَ بين يديه . قال سعيد : هذا حسنٌ إن قمتَ بشرطه ، قال الحجاج : وما شرطه ؟ قال : أن تشتري له بما تجمَعُ الأمانَ من الفزع الأكبر يوم القيامة ، قال الحجاج : أحبُّ أن تنالَ منه شيئاً ؟ قال : لا أحبُّ ما لا يحبُّ الله .

قال الحجاج : ويلك ! قال سعيد : الويل لمن زُحِزِحَ عن الجنة فأُدْخِلَ

النار، قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه . فلما أذبرَ ضحك؟ قال : ما يضحكك يا سعيد؟
قال : عجبت من جرأتك على الله وحلمِ الله عليك ، قال الحجاج : اضر بوا عنقه .
قال سعيد : دعني أصلَّ ركعتين . فاستقبل القبلة وهو يقول : إني وجهتُ وجهي
للذي فطرَ السمواتِ والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . قال الحجاج : اصرفوه
عن القبلة ، قال سعيد : فأينما تولوا فثمَّ وجه الله إن الله واسع عليم . قال الحجاج :
لم نُؤكِّلْ بالسرائر وإِنما وكنَّا بالظواهر . قال سعيد : اللهم لا تسلطه على أحد
يقتله بعدى .

ثم ضربت عنقه .

١٥٦ - أعرابي عند الحجاج *

قال زيد بن عمرو : سمعت طاوسا يقول : بينا أنا بمكة إذ دُفِعتُ إلى الحجاج^(١)
ابن يوسف ، فتنى لى وسادا فجلست ؛ فبينما نحن نتحدثُ إذ سمعتُ صوتَ أعرابي
في الوادى رافعاً صوته بالتلبية^(٢) ، فقال الحجاج : على بالملبي ! فأتى به فقال :
مَنْ الرجل ؟ قال : من أفناء^(٣) الناس . قال : ليس عن هذا سألتك ! قال : فعمَّ
سألتنى !

قال : من أى البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن . قال له الحجاج : فكيف
خلفتَ محمد^(٤) بن يوسف - يعنى أخاه ؟ قال : خلفته عظيمًا جسيمًا خراجًا لاجأ^(٥) !
قال : ليس عن هذا سألتك ! قال : فعمَّ سألتنى ؟ قال : كيف خلفت سيرته في
الناس ؟ قال : خلفته ظلوماً غشوماً عاصياً للخالق ، هطيعاً للمخلوق !

فازور من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك على هذا وأنت تعلم مكانته منى !
فقال له الأعرابي : أفتراه بمكانة منك أعز منى بمكانتى من الله تبارك وتعالى
وأنا وافدٌ بينته ، وقاضى دينه ، ومصدقُ نبيّه - صلى الله عليه وسلم !
فوجم لها الحجاج ، ولم يُجِرْ^(٦) له جواباً ، حتى خرجَ الرجلُ بلا إذن !

* العقد ص ٢٦٧ ج ٢

(١) انظر صفحة ٣٧ (٢) التلبية : أن يقول الرجل لبيك ، ومعنى لبيك : لزوماً لطاعتك
(٣) أفناء الناس : أخلاطهم ، وهو جمع فنو (٤) كان عامله باليمن (٥) الخراج الولاغ : العظيم
الاحتيال (٦) ما أحرار جواباً : مارد .

١٥٧ - دعائي من هو خير منك *

حجّ الحجاجُ ؛ فنزل ببعض المياه ، ودعا بالعداء ، فقال لحاجبه : انظر من يتغدّى معي ، وأسأله عن بعض الأمر ! فنظر الحاجب فإذا هو بأعرابي نائم بين شملتين^(١) من شعرٍ ، فصرّبه برجله ، وقال : أنت الأمير .

فأتاه ، فقال له الحجاج : اغسلْ يدك وتغدّ معي ؛ قال : إنه دعائي مَنْ هو خير منك فأجبتُه ، فقال الحجاج : من الذي دعاك ؟ قال : الله تعالى دعاني للصوم فصمت ؛ قال : في هذا اليوم الحارّ ! قال : نعم ؛ صمتُ ليومٍ أحرّ منه ؛ قال : فأفطر وتصوم غداً ؛ قال : إن ضمنت لي البقاء إلى الغد ! قال : ليس ذلك إلى . قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجلٍ لا تقدرُ عليه ؟ قال : إنه طعام طيّب . قال : إنك لم تطيبه ولا الخبز ، ولكن طيبته العافية !

* عيون الأخبار ص ٣٦٦ ج ٢

(١) الشملة : كساء يشتمل به .

١٥٨ — أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو*

دخل أيوب^(١) بن القريّة على الحجاج - وكان فيمن أسر من أصحاب
عبد الرحمن بن الأشعث - فقال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : ثلاثة صفوف
كأنها ركب وقوف : دنيا وآخرة ومعروف !

فقال له الحجاج : بئسما منيتَ به نفسك يا بن القريّة ! أتراني ممن تخدعه
بكلامك وخطبك ؟ والله لأنت أقرب إلى الآخرة من موضع نعلي هذه ! قال :
أقلني عثرتي ، وأسغني ربيقي ؛ فإنه لا بد للجواد من كبوة ، ولل سيف من نبوة ،
وللحليم من صبوة ! قال : أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو ! ألت القائل -
وأنت تحرض حزب الشيطان ، وعدو الرحمن : « تغدّوا بالحجاج قبل أن
يتعشى بكم » ؟ ثم قدمه فضرب عنقه !

* زهر الآداب ص ٤٩ ج ٤

(١) هو أيوب بن زيد بن قيس ، والقريّة أمه ، وهو من بني هلال بن ربيعة ، وكان لسنا
خطيباً ، قتله الحجاج لما بلغه من ميله مع ابن الأشعث .

١٥٩ — ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب *

قال الشعبي : لما نهزم ابن الأشعث^(١) ضاقت بي الأرض ، وكرهت ترك عيالي وولدي ؛ فلقيت يزيد بن أبي مسلم ، وكان لي صديقاً ، وكانت الصداقة تنفع عنده — فقلت له : قد عرفت الحال بيني وبينك ، وقد صرنا إلى ما ترى ! قال : يا أبا عمرو ؛ إن الحجاج لا يكذب ولا يعوى^(٢) ولا ينبج ، ولكن قم بين يديه ، وأقرّ بذنبك ، واستشهدني على ما شئت .

فوالله ما شعر الحجاج إلا وأنا ماثل بين يديه ! فقال : أعمار ؟ قلت : نعم أصلح الله الأمير . قال : ألم أقدم العراق فأحسنّت إليك وأذنبتُك ، وأوفدتك على أمير المؤمنين ، واستشركت ؟ قلت : بلى أيها الأمير .

قال : فأين كنت من هذه الفتنة ؟ قلت : استشعرتنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وأحزن بنا المنزل ، وأوحش بنا الجناب ، وفقدنا صالح الإخوان ، وشملتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء . وهذا يزيد بن أبي مسلم قد كان يعرف عذري ، وكنت أكتب إليه .

فقال : صدق ؛ أصلح الله الأمير ! قد كان يكتب إليّ بغيره ويخبرني بحاله . فقال الحجاج : فهذا الأحق ضربنا بسيفه ، ثم جاءنا بالأكاذيب . كان وكان انصرف إلى أهلك راشداً .

* العقد الفريد ص ١٥١ ج ١ ، ذيل الأمل ص ٢٢٠ طبعة المطبعة الأميرية ، مروج الذهب

ص ٥٧٣ ج ٢

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الذي خرج على الحجاج ، وخرج معه القراء والعلماء .
(٢) يريد أنه لا يكلم بغير ولا شر (راجع اللسان مادة نبج) .

١٦٠ - الحجاج وأنس بن مالك *

حدث سعيد بن جويرية قال :

خَرَجْتُ خَارِجَةً عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُ فَأَبَى ؛ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ يَشْتُمُهُ . . . فَكَتَبَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَرْوَانَ يَشْكُوهُ ، وَأَدْرَجَ كِتَابَ الْحَجَّاجِ فِي جَوْفِ كِتَابِهِ .

قال إسماعيل بن عبد الله : بعث إلى عبد الملك بن مروان في ساعة لم يكن يبعث إلى في مثلها ، فدخلت عليه وهو أشد ما كان حنقاً وغيظاً ! فقال : يا إسماعيل ، ما أشد أن تقول الرعية : ضعف أمير المؤمنين وضاق ذرعه في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لا يقبل له حسنة ولا يتجاوز له عن سيئة ! فقلت : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أنس بن مالك ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كتب إلى يذكر أن الحجاج قد أضرَّ به وأساء جواره ، وقد كتبت في ذلك كتابين : كتاباً إلى أنس بن مالك والآخر إلى الحجاج فاقبضهما ، ثم اخرج على البريد فإذا وردت العراق فأبدأ بأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وأدفع إليه كتابي ، وقل له : اشتدَّ على أمير المؤمنين ما كان من الحجاج إليك ، ولن يأتي إليك أمر تكراهه إن شاء الله . ثم أتت الحجاج ، فادفع إليه كتابه وقل له : اغتررت بأمر المؤمنين غيرة لا أظنه يُخطئك شرها . ثم افهم ما يتكلم به وما يكون منه حتى تفهمي إياه إذا قدمت على إن شاء الله .

* العقد الفريد ص ٢٤٢ ج ٣ ، صبح الاعشى ص ٣٥٩ ج ٦ ، غرر الخصاص ص ٧٣

قال إسماعيل : فقبضت الكتابين وخرجتُ على البريد حتى قدّمتُ العراق ، فبدأتُ بِأَنَسِ بن مالك في منزله ، ودفعتُ إليه كتابَ أمير المؤمنين وأبلغته رسالته فدعاه وجزّاه خيراً . فلما فرغ من قراءة الكتاب قلت له : يا أبا حمزة ؛ إن الحجاج عامل ، ويقدرُ أن يضرك ويَنفَعَكَ ، فأنا أريد أن تُصالحه ، قال : ذلك إليك لا أخرج عن رأيك .

ثم أتيتُ الحجاج ، فلما رآني رحّب وقال : والله لقد كنتُ أحبُّ أن أراك في بلدي هذا ؛ قلت : وأنا والله كنتُ أحبُّ أن أراك ، وأقدم عليك بغير الذي أرسلتُ به إليك ؛ قال : وما ذاك ؟ قلتُ : فارقتُ الخليفة وهو أغضب الناس عليك ؛ قال : ولم ؟ فدفعتُ إليه الكتاب ، فجعل يقرؤه وجبينه يعرق ، فمسحه بيمينه ، ثم قال : اركب بنا إلى أنس ، قلت له : لا تفعل فإني سأتلطفُ به حتى يكون هو الذي يأتيك ، وذلك للذي أشرتُ عليه من مصالحتك .

وَأَلْقَى كتابَ أمير المؤمنين فإذا فيه : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من عبدِ الله عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ، أما بعد فإنك عبد طمّت^(١) بك الأمور فطغيت ، وعلوت فيها حتى جُزّتَ قدرك ، وعدوتَ طورك ، وإيم الله ، لأغمرنك كبعض غمرات السيوف للثعالب ، ولأركضنك ركضةً تدخلُ منها في وजारك ! اذكُرْ مَنْاسِبَ آبائك بالطائف ؛ إذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم ، ويحفرُونَ الآبار في المناهل^(٢) بأيديهم ، فقد نسيت ما كنت عليه أنت وأباؤك من الدناءة واللؤم والضراعة . وقد بلغ أمير المؤمنين استطالةً منك على أَنَسِ بن مالكِ خادمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ جرأةً منك على أمير المؤمنين وغرّةً بمعرفة غيره ونفماته وسطواته على مَنْ خالف سبيله ، وعمد إلى غير محبّته ،

(١) طمت : علت (٢) المناهل : جمع منهل وهو المشرب .

ونزل عند سَخَطَتِهِ . وَأَظْنُكَ أَرَدْتَ أَنْ تَرُوزَهُ^(١) بِهَا ؛ لِتَعْلَمَ مَا عِنْدَهُ مِنَ التَّغْيِيرِ
وَالنَّكِيرِ فِيهَا ، فَإِنْ سَوَّغَتْهَا مَضِيَّتَ قَدَمًا ، وَإِنْ غَصَصَتْ وَلِيَّتَ دُبْرًا ، فَعَلَيْكَ
لَعْنَةُ اللَّهِ ! مِنْ عَبْدِ أُخَيْفِشٍ^(٢) الْعَيْنِيِّ ، أَصَكَ^(٣) الرَّجُلَيْنِ ، وَابِمِ اللَّهِ ، لَوْ أَنَّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِمَ أَنَّكَ اجْتَرَمْتَ مِنْهُ جَرْمًا ، وَانْتَهَكْتَ لَهُ عَرْضًا لَبَعَثَ إِلَيْكَ مَنْ
يَسْحَبُكَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ حَتَّى يَنْتَهَى بِكَ إِلَى أُنْسِ بْنِ مَالِكٍ ، فَيَحْكُمُ فِيكَ بِمَا أَحَبَّ ، وَلَمْ
يَخَفْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَبَوُّءَكَ ، وَلَسْكَلَ نَبِيًّا مُسْتَقَرًّا ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ .

قال إسماعيل : فانطلقتُ إلى أنس ، فلم أزل به حتى انطلق معي إلى الحجاج ،
فلما دخلنا عليه قال : يغفر الله لك أبا حمزة ! عجلت باللائمة ، وأغضبت علينا
أمر المؤمنين ، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير . فقال أنس : إنك كنتَ
تزعّم أنا الأشرار والله سَمَّانا الأنصار ، وقلت : إنا من أبخل الناس والله يقول
فِينَا : « وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » . وزعمت أنا أهلُ
نِمْقٍ والله تعالى يقول فينا : « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ
مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا » . فكان المخرج
والمشتكى في ذلك إلى الله وإلى أمير المؤمنين ، فتولّى من ذلك ما ولاه الله ، وعرفَ
من حقنا ما جهلت ، وحفظَ منا ما ضيعت ، وسيحكم في ذلك ربُّ هو أَرْضَى
للرُضَى ، وأسخطَ للمُسْخَطِ ، وأقدر على الغير في يوم لا يشوب الحقَّ عنده الباطل ،
ولا النور الظلمة ، ولا الهدى الضلالة ، والله لو أن اليهود أو النصارى رأَت من خدم
موسى بن عمران أو عيسى بن مريم يوماً واحداً لرأت له ما لم تروا لي في رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشر سنين !

(١) تروزه : تجربه (٢) الخمش : ضعف البصر وضيق في العين (٣) الصمك : أن
تضرب إحدى الركبتين الأخرى عند العدو فتؤثر فيها أثرا .

فاعتذر إليه الحجاج، وترضاه حتى قبِلَ عذره ورضى عنه، وكتب برضاه
وقبوله عذره إلى عبد الملك بن مروان.

وكتب الحجاج إلى عبد الملك: «إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان .
بسم الله الرحمن الرحيم؛ أما بعد - أصلح الله أمير المؤمنين، وأبقاه وسهّل حظّه
وأحاطه، ولا أعدمناه - فإن إسماعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين - أعز الله
نصره - قدم على بكتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، وجعاني من كل مكروه
فداءه - يذكر شتيمة وتوبيخى بأبائي وتعييرى بما كان قبل نزول النعمة بي من
عند أمير المؤمنين - أتمّ الله نعمته عليه وإحسانه إليه - ويذكرني أمير المؤمنين -
جعاني الله فداءه - استظالة منى على أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأمير المؤمنين - أصلحه الله - في قرآبته من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
إمام الهدى وخاتم الأنبياء أحقّ من أقال عثرتي، وغفا عن ذنبي، فأمهاني ولم
يعجلني عند هفوتي؛ للذي جيل عليه من كريم طبائعه، وما قلده الله من أمور
عباده، فرأى أمير المؤمنين - أصلحه الله - في تسكين روعتي وإفراج كربتي،
فقد ملئت رعباً وفرقاً من سطوته، وفجأة نتمته، وأمير المؤمنين - أقاله الله
العثرات، وتجاوز له عن السيئات، وضاعف له الحسنات، وأعلى له الدرجات - أحق
من صفح وغفا وتغدد^(١) وتعمل وأبقي، ولم يُشمت في عدواً مكبباً^(٢)، ولا حسوداً
مُضنباً^(٣)، ولم يجرعني غصصاً، والذي وصف أمير المؤمنين من صنيعته إلى .

(١) تغمد: ستر ما كان عنده (٢) أكب عليه: إذا أقبل ولزم (٣) أضب: حمل الغيظ.

وتنويهه لى بما أسند إلى من عمله ، وأوطأنى من رقاب رعيته فصَادقُ فيه ، مجزى بالشُّكْرِ عليه ، والتوسُّلِ مِنِّي إليه بالولاية والتقرب له بالكفاية .

وقد عاين إسماعيل بن أبى المهاجر رسول أمير المؤمنين وحامل كتابه ، نزولى عند مسرة أنس بن مالك ، وخضوعى عند كتاب أمير المؤمنين ، وإقلاقه إياى ، ودخوله بالمصيبة على ما سيعلمه أمير المؤمنين ، فإن رأى أمير المؤمنين - طوقنى الله بشكره ، وأعاننى على تأدية حقه ، وبلغنى إلى ما فيه موافقة مرضاته ، ومدلى فى أجله - أن يأمر لى بكتاب من رضاه وسلامة صدره ما يؤمنى به من سفك دعى ، ويرد ما شرد من نوعى ، ويطمئن به قلبى ؛ فقد ورد على أمر جليل ، خطبه عظيم ، وأمره شديد .

أسأل الله ألا يسخط أمير المؤمنين ، وأن يثبتته فى حزمه وعزمه ، وسياسته وفراسته ، ومواليه وحشمه ، وعماله وصنائعه ما يحمد به حسن رأيه وبعد همته ؛ إنه ولى أمير المؤمنين ، والذَّاب عن سلطانه ، والصانع فى أمره والسلام .

قال إسماعيل : لما قرأ أمير المؤمنين الكتاب قال : يا كاتب ، أفرخ روع أبى محمد ، وكتب إليه بالرضا عنه .

١٦١ — الحجاج والغضبان بن القبيعري*

سأل الحجاج يوماً الغضبان^(١) بن القبيعري عن مسائل يمتحنه فيها ، قال له :
مَنْ أكرمُ الناس ؟ قال : أفقهُم في الدين ، وأصدقُهُم لليمين ، وأبذلُهُم للمسلمين ،
وأكرمُهُم للمُهَانين ، وأطعمُهُم للمساكين .

قال : فمن أأمُّ الناس ؟ قال : المعطى على الهوان ، المقتر على الإخوان ،
الكثير الألوآن .

قال : فمن شرُّ الناس ؟ قال : أطولُهُم جفوةً ، وأدومُهُم صبوةً ، وأكثرُهُم
خلوّةً ، وأشدُّهم قسوةً .

قال : فمن أشجعُ الناس ؟ قال : أضربُهُم بالسيف ، وأقرهم للضيف ،
وأتركُهُم للحييف^(٢) .

قال : فمن أجبنُ الناس ؟ قال : المتأخر عن الصفوف ، المنقبض عن الزحوف
المرتعش عند الوقوف ، المحبُّ ظلال السقوف ، الكاره لضرب السيوف .

قال : فمن أثقلُ الناس ؟ قال : المتمدن في الملام ، الضنين بالسلام ، المهذار^(٣)
في الكلام ، المققب^(٤) على الطعام .

* المستطرف ص ٤٧ ج ١

(١) الغضبان بن القبيعري من أشراف العراق ، وكنى من دعاة الرواية أيام حرب عبد الملك
ابن مروان مع مصعب بن الزبير (٢) الحيف : الجور والظلم (٣) المهذار : كثير الهذيان ،
وأهدر في كلامه : أكثر (٤) ققب الرجل : حرق .

قال : فَمَنْ خَيْرُ النَّاسِ ؟ قال : أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا ، وَأَقْوَمُهُمْ مِيزَانًا ، وَأَدْوَمُهُمْ غَفْرَانًا ، وَأَوْسَعُهُمْ مِيدَانًا .

قال : لله أبوك ! فكيف يعرف الرجلُ الغريبُ ؛ أحسبُ هو أم غير حسيب ؟ قال : أصلح الله الأمير ؛ إن الرجل الحسيبَ يدلك أدبُه وعقلُه ، وشمائلُه وعزّةُ نفسه ، وكثرةُ احتماله ، وبشاشتهُ ، وحسنُ مداراته على أصله ؛ فالعاقِلُ البصيرُ بالأحساب يعرفُ شمائله ، والنذلُ الجاهلُ يجهله ؛ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الدَّرّةِ ، إذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها ، وإذا نظر إليها العقلاء عرفوها وأكرموها ؛ فهي عندهم لمعرفتهم بها حسنةٌ نفيسة .

فقال الحجاج : لله أبوك ! فما العاقل ؟ وما الجاهل ؟ قال : أصلح الله الأمير ؛ العاقلُ الذي لا يتكلم هذرًا ، ولا ينظر شررًا ، ولا يضمّر غدرًا ، ولا يطلب عذرًا ؛ والجاهل هو المهذار في كلامه ، المَنَّان بطعامه ، الضَّيِّن بسلامه ، المتطاول على إمامه ، الفاحش على غلامه .

قال : لله أبوك ! فما الحازم الكيس ؟ قال : المقبل على شأنه ، التارك لما لا يعنيه .

قال : فما العاجز ؟ قال : المعجبُ بآرائه ، الملتفتُ إلى ورائه .

قال : هل عندك من النساء خبر ؟ قال : أصلح الله الأمير ؛ إني بشأنهنَّ خبير ؛ إن النساء من أمهات الأولاد بمنزلة الأضلاع إن عدّتها انكسرت ، ولهنَّ جوهرٌ لا يصلح إلا على المداراة ؛ فمن دارأهنَّ انتفع بهن ، وقرت عينه . ومن شاورهن كدّرن عيشه ، وتكدّرت عليه حياته ، وتنفّصت لذاته ؛ فأكرمهنَّ أعفهن ، وأفخر أحسابهن . العفة ؛ فإذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة .

فقال له الحجاج : يا غضبان ؛ إني موجهك إلى ابن الأشعث وإفداً ؛ فماذا أنت قائل له ؟ قال : أصاح الله الأمير ، أقول ما يُرَدِّيه ^(١) ويؤذيه ويضنيه ! فقال : إني أظنك لا تقول له ما قلت ، وكأني بصوتك يجبل في قصرى هذا ! قال : كلا ، أصاح الله الأمير ؛ سأحدّد له لسانى ، وأجره في ميدانى .

فعند ذلك أمره بالمسير إلى كِرْمَانَ ؛ فلما توجه إلى ابن الأشعث ، بعث الحجاجُ عينا عليه - وكان يفعل ذلك مع جميع رسله .

فلما قدم الغضبان على ابن الأشعث قال له : إن الحجاج قد همّ بخلعك وعزّلك ؛ فخذْ حذرَكَ ، وتعدّدْ به قبل أن يتعشّى بك ! فأخذ حذرَه عند ذلك . ثم أمر للغضبان بمجازة سنّية ، وخلع فاخترة ؛ فأخذها وانصرف راجعاً .

فأتى إلى رملة كerman في شدة الحر والقيظ - وهى رملةٌ شديدة الرّمضاء ^(٢) - فضرب قُبَّتَه فيها ، وحطّ عن رواحله ؛ فبينما هو كذلك إذا بأعرابى من بنى بكر ابن وائل ، قد أقبل على بعير ، قاصداً نحوه ، وقد اشتدّ الحر ، وحمت الغزاة ^(٣) وقت الظهيرة ، وقد ظمى ظمًا شديدًا ، فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال الغضبان : هذه سنّةٌ وردّها فريضة ، قد فاز قائلها ، وخسر تاركها ؛ ما حاجتك يا أعرابى ؟ فقال : أصابتنى الرّمضاءُ ، وشدة الحر والظم ؛ فتممتُ قبّتك أرجو بركتها .

قال الغضبان : فهلا تممت قبة أكبر من هذه وأعظم ؟

قال : أيتهاً تعنى ؟ قال : قبة الأمير ابن الأشعث ! قال : تلك لا يُوصل إليها ! قال : إن هذه أمتع منها ! فقال الأعرابى : ما اسمك يا عبد الله ؟ قال :

(١) أرداء : أهلكه (٢) الرّمض : وقع الشمس على الرمل وغيره (٣) الغزاة : الشمس .

أخذ ، فقال : وما تعطى ؟ قال : أكره أن يكون لى اسمان !
قال : بالله من أين أنت ؟ قال : من الأرض ! قال : فأين تريد ؟ قال : أمشى
فى منّا كها^(١) ! فقال الأعرابي - وهو يرفع رجلا ، ويضع أخرى ، من شدة الحر -
أتقرض الشعر ؟ قال : إنما يقرض الفأر ؟ فقال : أفتسجع ؟ قال : إنما تسجع
الحمامة ! فقال : يا هذا ائذن لى أن أدخل قبّتك ! قال : خلّفك أوسع لك !
فقال : قد أحرقتى حر الشمس ! قال : مالى عليها من سلطان ! فقال : إنى لا أريد
طعامك ، ولا شرابك ، قال : لا تتعرض لما لا تصل إليه ، ولو تلفت روحك !
فقال الأعرابي : سبحان الله ! قال : نعم من قبل أن تطلع أضرأسك ! فقال :
ما عندك غير هذا ؟ قال : بلى ، هراوة أضرب بها رأسك ! فاستغاث الأعرابي ؛
يا جار بنى كعب !

قال الغضبان : بئس الشيخ أنت ! فوالله ما ظلمك أحدٌ قستغيث !
فقال الأعرابي : ما رأيت رجلاً أفسى منك ؛ أيتك مستغيثاً فحجبتنى وطرّدتنى ،
هلا أدخلتنى قبّتك وطارحتنى القريض ؟ قال : مالى بمحادثتك من حاجة !
فقال الأعرابي : بالله ما اسمك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الغضبان بن القبعثرى .
قال : اسمان منكرا ، خلّقا من غضب . قال : قف متوكئاً على باب قبّتى
برجلك هذه العوجاء ! فقال : قطعها الله إن لم تكن خيراً من رجلك هذه
الشنعاء !

قال الغضبان : لو كنت حاكماً لجرّت فى حكومتك ! لأن رجلى فى الظل
قاعدة ورجلك فى الرمضاء قائمة .

(١) المنكب : ناحية كل شىء .

فقال الأعرابي : إني لأظنُّ عنصرك فاسداً . قال : ما أقدرني على إصلاحه !

فقال الأعرابي : لا أرضاك الله ولا حيَّاك ، ثم ولى وهو يقول :

لا بارك الله في قوم تسودهم إني أظنك - والرحمن - شيطاناً

أتيتُ قبَّته أرجو ضيافته . فأظهر الشيخ ذو القرنين حرماناً

فلما قدم الغضبان على الحجاج - وقد بلَّغَه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن

الأشعث وبين الأعرابي - قال له الحجاج : يا غضبان ، كيف وجدت أرضَ

كرومان ؟ قال : أصلح الله الأمير ، أرض يابسة ، الناسُ بها ضعاف ؛ إن كثروا

جاعوا ، وإن قلَّوا ضاعوا .

فقال له الحجاج : ألسنت صاحبِ الكلمة التي بلغني أنك قلتها لابن الأشعث :

تعدُّ بالحجاج قبل أن يتعشى بك ؟ فوالله لأحبسَنَّكَ عن الوساد ، ولأنزلنكَ عن

الجياد ، ولأشهرنَّكَ في البلاد !

قال : الأمان أيها الأمير ؛ فوالله ما ضرَّت من قيلت فيه ، ولا نفعت من

قيلت له !

فقال له : ألم أقل لك : كأني بصوتك يجلجل في قصرى هذا ! اذهبوا به

إلى السجن .

فذهبوا به ؛ فقيداً وسجن ؛ فكث ما شاء الله .

ثم إن الحجاج ابتنى الخضرء بواسط ، فأعجب بها ، فقال لمن حوله : كيف

تروُن قبتى هذه وبنائها ؟ فقالوا : أيها الأمير إنها حصينة مباركة ، منيعة نضرة

بهجة ، قليل عيِّبها ، كثير خيرها ، قال : لم لم تخبروني بنصح ؟ قالوا : لا يصفها

لك إلا الغضبان .

فبعث إلى الغضبان فأحضره ، وقال له : كيف ترى قبتي هذه وبنائها ؟ قال :
أصلح الله الأمير ؛ بنيتها في غير بلدك ، لا لك ولا لولدك ، لا تدوم لك ، ولا يسكنها
وارثك ، ولا تبقى لك ، وما أنت لها بباق !

فقال الحجاج : قد صدق الغضبان ، رددوه إلى السجن .

فلما حملوه قال : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ^(١) » .

فقال : أنزلوه ، فلما أنزلوه قال : « رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ

خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ » . فقال : اضربوا به الأرض ، فلما ضربوا به الأرض قال :

« مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » .

فقال : جُروه ، فأقبلوا يجرونه ، وهو يقول : « بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا

إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

فقال الحجاج : ويلكم ! اتركوه فقد غلبني دهاءٌ وخبثاً . ثم عفا عنه ، وأنعم

عليه ، وخلق سبيله .

(١) مقرنين : مطيقين .

١٦٢ - حسن تخلص *

صَعِدَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ الْمِنْبَرَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ عَلَى مَكَّةَ ،
فَذَكَرَ الْحِجَّاجَ ، فَحَمِدَ طَاعَتَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .

فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، يَأْمُرُهُ فِيهِ بِشْتِمِ
الْحِجَّاجِ وَنَشْرِ عِيُوبِهِ ، وَإِظْهَارِ الْبِرَاءَةِ مِنْهُ ؛ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،
ثُمَّ قَالَ : إِنْ إِبْلِيسَ كَانَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَانَ يُظْهِرُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ مَا كَانَتْ
الْمَلَائِكَةُ تَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ عَلِمَ مِنْ غَشِّهِ وَخُبَيْثِهِ مَا خَفِيَ عَلَى مَلَائِكَتِهِ ؛
فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ ، فَظَهَرَ لَهُمْ مَا كَانَ يُخْفِيهِ عَنْهُمْ ، فَلَعَنُوهُ ؛
وَإِنْ الْحِجَّاجُ كَانَ يُظْهِرُ مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنَّا نَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ
اللَّهُ أَطْلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَشِّهِ وَخُبَيْثِهِ عَلَى مَا خَفِيَ عَنَّا ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ
أَجْرَى ذَلِكَ عَلَى يَدِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَعَنَهُ ؛ فَلَعَنُوهُ لَعْنَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ نَزَلَ !

١٦٣ — بثينة وعزة عند عبد الملك بن مروان*

دخلت بثينة وعزة عند عبد الملك بن مروان ، فانصرف إلى عزة ، وقال :
أنت عزة كثير ؟ قالت : لست لكثير بعزة ! لكنني أم بكر ، قال : أتروين
قول كثير :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها . ومن ذا الذي ياعز لا يتغير ؟
قالت : لست أروى هذا ، ولكنني أروى قوله :

كأني أنادي أو أكلّم صخرة من الصمّ لو تمشى بها العصم^(١) زلت
ثم انحرف إلى بثينة فقال : أنت بثينة جميل ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين !
قال : ما الذي رأى فيك جميل حتى لهج بذكرك من بين نساء العالمين ؟ قالت :
الذي رأى الناس فيك فجعلوك خليفتهم . فضحك حتى بدّأله ضرس أسود لم يُر
قبل ذلك ، وفضل بثينة على عزة في الجائزة .
وأمرها أن يدخلها على عاتكة^(٢) فدخلتا عليها ، فقالت لعزة : أخبريني عن
قول كثير :

قضى كل ذي دين فوق غريمه وعزة ممطول معني غريمها
ما كان دينه ؟ وما كنت وعدته ؟ قالت : كنت وعدته صلة ثم تأثمت^(٣) منها .

* المستطرف ص ٦٩ ج ١ ، الأمالي ص ٤٨ ج ١ ، عصر المأمون ص ١٢٦ ج ٢

(١) الأعصم من الوعول : ماني ذراعيه أو في أحدهما بياض وسائر أسود أو أحمر

(٢) عاتكة : امرأة عبد الملك (٣) تأثمت : تخرج .

١٦٤ — من أشعر الناس* ؟

قال عبد الملك لجرير : من أشعرُ الناس ؟ فقال : ابن العشرين^(١) ، قال : فما رأيك في ابني^(٢) أبي سلمى ؟ قال : كان شعرهما نيراً يا أمير المؤمنين . قال : فما تقول في امرئ القيس ؟ قال : اتخذ الخبيثُ الشعرَ نعلين ، وأقسمُ بالله لو أدركته لرفعتُ ذلَّذِلَه^(٣) . قال : فما تقول في ذى الرمة ؟ قال : قدَّرَ من ظريف الشعر وغريبه وحسنه على ما لم يقدر عليه أحد . قال : فما تقول في الأخطل ؟ قال : ما أخرج لسانُ ابن النصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات . قال : فما تقول في الفرزدق ؟ قال : في يده والله نَبْعَةٌ^(٤) من الشعر قد قبض عليها . قال : فما أراك أبقيتَ لنفسك شيئاً ! قال : بلى والله يا أمير المؤمنين ، إني لمدينة الشعر التي منها يخرجُ إليها يعود ، نَسَبْتُ^(٥) فأطربتُ ، وهَجَوْتُ فأرديتُ^(٦) ، ومدحتُ فأسنيتُ ، وأرملتُ^(٧) فأغزرتُ ، وزجرتُ فأجبرتُ ، فأنا قلتُ ضروبَ الشعرِ كلِّها ، وكلُّ واحدٍ قال نوعاً منها . قال : صدقت !

* الأغاني ص ٥٣ ج ٨

(١) يعني طرفة (٢) يعني زهيراً وابنه كعباً (٣) ذلالذ القميص : ما يلي الأرض من أسافله . ويريد أنه كان يلزمه ويخدمه (٤) النبع : شجر تتخذ منه العصي ، وتتخذ من أغصانه السهام : الواحدة نبعة (٥) نسب بالمرأة : شبب بها في الشعر (٦) أرديت : أهلكت (٧) الرمل في الشعر : غير التقصيد والرجز .

١٥٦ — سليمان بن عبد الملك وأبو حازم *

دخل سليمان^(١) بن عبد الملك المدينة ، فأقام بها ثلاثا ، ثم قال : أما هنا رجل^٢ ممن أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ؟ فقيل له : بلى ، ها هنا رجل يقال له أبو حازم . فبعث إليه ، فجاءه .

فقال له سليمان بن عبد الملك : يا أبا حازم ، ما هذا الجفاء ؟ فقال له أبو حازم : وأى جفاء رأيت منى ؟ قال له سليمان : أتانى وجوه أهل المدينة كلهم ، ولم تأتني ! فقال له : أعيدك بالله أن تقول ما لم يكن ، ماجرى بينى وبينك معرفة ، آتيت هكذا ! فقال سليمان : صدق الشيخ !

ثم قال سليمان : يا أبا حازم ، مالنا نكره الموت ؟ فقال أبو حازم : لأنكم خربتم آخرتكم ، وعمرتُم دنياكم ، فأنتم تكرهون أن تُنقلوا من العمران إلى الخراب . قال : صدقت يا أبا حازم ، كيف القدوم على الله ؟ فقال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسىء فكالأبقى يقدم على مولاه . فبكى سليمان ، وقال : ليمت شعري مالنا عند الله يا أبا حازم ! فقال أبو حازم : اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل تعلم مالك عند الله ، فقال يا أبا حازم : أين نُصيب تلك المعرفة في كتاب الله عز وجل ؟ قال أبو حازم : عند قوله تعالى : « إن الأبرار

* مسامرات الأبرار ص ١٧٤ ج ١ ، العقد الفريد ص ١٠٧ ج ٢

(١) انظر صفحة ٢٣٩

لَنِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَنِي جَحِيمٍ » . فقال سليمان : يا أبا حازم ؛ فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريب من المحسنين .

قال سليمان : يا أبا حازم ، مَنْ أَحْمَقُ النَّاسِ ؟ قال أبو حازم : مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ . فقال سليمان : مَا أَسْمَعُ الدَّعَاءَ ؟ قال : دَعَاءُ الْمُخْتَمِينَ ^(١) إِلَيْهِ . قال سليمان : مَا زَكَى الصَّدَقَةِ ؟ فقال أبو حازم : جَهْدُ الْمُقِلِّ . فقال سليمان : يَا أبا حازم : مَا تَقُولُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فقال أبو حازم : أَعَفْنَا مِنْ هَذَا ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : نَصِيحَةٌ بَلَّغْتَهَا . قال أبو حازم : إِنْ أَنَا سَأَأُ أَخَذُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا إِجْمَاعٍ مِنْ رَأْيِهِمْ ، فَسَفَكُوا فِيهَا الدَّمَاءَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهَا ، فَلَيْتَ شَعْرِي مَا قَالُوا ! وَمَا قِيلَ لَهُمْ ! فقال بعض جلسائه : بئس ما قلت يا شيخ ، فقال أبو حازم : كذبت ، إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ لِيَمَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ، فقال سليمان : يَا أبا حازم ؛ كَيْفَ الْأَخْذُ بِذَلِكَ ؟ قال أبو حازم : تَأْخُذُهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَتَضَعُهُ فِي أَهْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ :

اصْحَبْنَا يَا أَبَا حَازِمٍ ، تَصِيبُ مِنَّا وَنَصِيبُ مِنكَ ، فَقَالَ : أَعَيْدُكَ مِنْ ذَلِكَ ! قال سليمان : وَلَمْ ؟ قال : أَخَافُ أَنْ أُرْكَنَ إِلَيْكُمْ شَيْئًا قَلِيلًا ، فَيَذِيقَنِي اللَّهُ مِنْهَا ضَعْفَ ^(٢) الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَاتِ !

قال سليمان : يَا أَبَا حَازِمٍ ؛ فَأَشِرُّ عَلَى . فقال أبو حازم : اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يِرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، أَوْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ . قال سليمان : يَا أبا حازم ؛ ادْعُ لَنَا بِخَيْرٍ . فقال أبو حازم : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَلِيِّكَ فَبَشِّرْهُ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ كَانَ عَدُوَّكَ

(١) الإخبات : الخشوع (٢) أى ضعف العذاب حيا وميتا .

فخذ إلى الخير بناصيته ، فقال سليمان : عِظْنِي يَا أَبَا حازم ، فقد أُوْجِزْتَ ، فقال : إن كنت وليه فحسبُك ، وإن كنت عدوه فما ينفَعُكَ إذا رمى بقوس بغير وتر .

فقال سليمان : يا غلام ؛ إيت بمائة دينار ، ثم قال : خذها ياأبا حازم ، فقال أبو حازم : لاجحة لي بها ، إني أخاف أن تكون قد أعطيتنيها لما سمعت من كلامي ؛ إن موسى عليه السلام لما هرب من فرعون وورد ماء مَدِين ، وجد عليه جاريتين تذودان ، قال : ما خبُّكما ؟ قالتا : لانسقي حتى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ ^(١) ، وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما ، ثم تولى إلى الظل ، فقال : رب إني لما أنزلتَ إليّ من خير فقير . ولم يسألْ على عَوْنِ اللَّهِ أَجْرًا على دينه ، فلما أنكر ذلك أبوهما ، وقال : ما أعجلكما ؟ قالتا : وجدنا رجلا صالحا ، فسقى لنا ، قال : فما سمعناه يقول ؟ قالتا : سمعناه يقول : « رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » . فقال ينبغي أن يكون هذا جائعا ؛ تنطلق إحداكما ، فتقول له : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا .

فجزع من ذلك موسى - عليه السلام - وكان طريدا في فيافي الصَّحراء ؛ فأقبل والجارية أمامه ، فهبت ريح ، فكشفتها له - وكانت ذا خلق - فلما بلغ الباب ، دَخَلَ ، وإذا طعامٌ موضوع . قال شعيب : أصب يافتي من هذا الطعام ، قال موسى - عليه السلام : أعوذ بالله . قال شعيب : ولم ؟ قال موسى : لأننا من بيت لابنِ دينا بملء الأرض ذهباً . قال شعيب - عليه السلام - لا ، والله ولكنها عادتي وعادة آبائي نطمع الطعام ، ونقرى الضيف . فجلس موسى فأكل .

فإن كانت هذه الدنانير عوضاً لما سمعت من كلامي ، فأنا أرى أكل الميتة والدم في حال الضرورة أحبَّ إليّ من أخذها .

(١) الرعاء : الرعاة .

فكان سليمان أعجب بأبي حازم ، فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين ؛ أيسرك
أن يكون الناس كلهم مثله ؟ قال الزهري : إنه لجأري منذ ثلاثين سنة ما كلمته
بكلمة قط ، قال له أبو حازم : صدقت ، إنك نسيت الله فنسيتني ، ولو أحببت الله
لأحببتني ، قال الزهري : أتستمني ؟ قال سليمان : أنت شتمت نفسك ، أما علمت
أن للجار على جاره حقاً ! قال أبو حازم : إن بني إسرائيل لما كانوا على الصواب
كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء ، وكانت العلماء ترضن بدينها عن الأمراء ، فاستغنت
الأمراء عن العلماء ، واجتمع القوم على المعصية ، فشغلوا واتكسوا ، ولو كان علماءؤنا
هؤلاء يصونون علمهم ، لها بهم الأمراء . قال الزهري : كأنك لي تريد ، وبى
تعرض ، قال : هو ما تسمع !

١٦٦ -- ضعه من النار حيث شئت *

لما ولى سليمان بن عبد الملك الخِلافة ، أتى بيزيد بن أبي مسلم : مولى الحجاج ،
في جامعة^(١) ، وكان رجلاً دميماً قبيحاً تقَّحَّمه^(٢) العين ؛ فلما رآه سليمان قال :
لعن الله امرأً أجرَّكَ رَسَنَكَ^(٣) ، وولى مثلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك رأيتني
والأمرُ عني مُدبر ، ولو رأيتني والأمرُ عليّ مُقبل لاستعظمت من أمرى ما استصغرت ،
ولا استجلبت ما استحققت .

فقال له سليمان : أين ترى الحجاج ، أيهوى في النار أم استقرَّ في قعرها ؟
فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تقل هذا ؛ إن الحجاج قَمَعَ لكم الأعداء ، ووطأ لكم
المنابر ، وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس وبعد فإنه يأتي يوم القيامة عن
يمين أبيك عبد الملك ، وشمال أخيك الوليد ، فضعه من النار حيث شئت !
فصاح به سليمان : اخرج إلى لعنة الله ! ثم التفت إلى جلسائه فقال : قبحه الله ،
ما كان أحسن ترتيبه لنفسه ولصاحبه !

* أمالي المرقضى ص ٢١٥ ج ١ ، العقد الفريد ص ١٥٠ ج ١ ، مروج الذهب ص ١٦٤ ج ٢ ،
البيان والتبيين ص ٢١٠ ج ١
(١) الجامعة : القيد (٢) تقَّحَّمه : تزدر به (٣) أجره رسنه : يريد تركه يصنع ما يشاء .

١٦٧ — مناظرة مع الخوارج *

بعث عمر بن عبد العزيز إلى شوذب الحروري^(١) وأصحابه حين خرجوا بالجزيرة؛ فجاؤوه برجلين منهم: أحدهما من بني شيبان، والآخر حبشي اسمه عاصم وهو أشد الرجلين حجّةً ولسانا.

وصعدا إليه في غرفة معه فيها ابن عمه عبد الملك وكتبه مزاحم، وأعلموه مكانهما؛ فقال: ابجثوهما ألا يكون معهما حديدة، ثم أدخلوهما، ففعلوا.

فلما دخلا قالا: السلام عليكم، ثم جلسا، فقال لهما عمر: أخبراني ما أخرجكما مُخْرَجَكَمَا هَذَا؟ وأى شئٍ نَقَمْتُم عَلَيْنَا؟ فقال عاصم: والله ما نَقَمْنَا عَلَيْكَ فِي سِيرَتِكَ، فَإِنَّكَ لَتَجْرِي الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ، وَلَكِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَمْرٌ إِنْ أُعْطِينَاهُ فَأَنْتَ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْكَ، وَإِنْ مَنَعْتَنَاهُ فَلَسْتَ مِنَّا وَلَسْنَا مِنْكَ! قال عمر: وما هو؟ قال: رأيتك خالفت أعمال أهل بيتك، وسلكت غير طريقهم، وسميتها مظالم؛ فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فابزأ منهم والعنهم، فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق.

فقال عمر: إني قد عرفت أنكم لم تخرجوا لطلب الدنيا ولكنكم أردتم الآخرة

* سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٣٠

(١) الحرورية: طائفة من الخوارج، ينسبون إلى حروراء، وهو موضع بظاهر الكوفة، كان فيه أول اجتماعهم حين خالفوا على بن أبي طالب. وشوذب: اسمه بسطام من بني يشكر.

فأخطأتم سبيلها ، وأنا سائلكم عن أمر ! فبالله لتصدقاني عنه فيما بلغه علمكما .
قالا : نفعل ، قال : أرايتم أبا بكر وعمر ؟ أليسا من أسلافكم ومن تقولون وتشهدون
لها بالنجاة ؟ قالوا : بلى . فقال : هل تعلمون أن العرب ارتدت بعد رسول الله فقاتلهم
أبو بكر ؛ فسفك الدماء ، وسبى الذراري ، وأخذ الأموال ؛ قالوا : قد كان ذلك .
قال : فهل تعلمون أن عمر لما قام بعده ردّ تلك السبايا إلى عشائريهم ؟ قالوا : قد كان
ذلك . قال : فهل يرى أبو بكر من عمر ، أو عمر من أبي بكر ؟ قالوا : لا ! قال :
فهل تبرءون من واحد منهما ؟ قالوا : لا !

قال : أخبراني عن أهل النهروان ؛ أليسوا من أسلافكم ومن تقولون وتشهدون
لهم بالنجاة ؟ قالوا : بلى ! قال : فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا إليهم
كفوا أيديهم ، فلم يخيفوا أمنا ولم يسفكوا دما ، ولم يأخذوا مالا ؟ قالوا : قد كان
ذلك . قال : فهل تعلمون أن أهل البصرة حين خرجوا إليهم مع عبد الله بن وهب
استعرضوا الناس فقتلوه ، وعرضوا لعبد الله بن خبّاب صاحب النبي صلى الله عليه
وسلم ؛ فقتلوه وقتلوا جاريته ، ثم صبّحوا حياً من العرب فاستعرضوهم ، فقتلوا الرجال
والنساء والولدان ، حتى جعلوا يلقون الأطفال في قدور الأقط^(١) وهي تفور بهم ؟
قالوا : قد كان ذلك ! قال : فهل يرى أهل الكوفة من أهل البصرة ، أو أهل
البصرة من أهل الكوفة ؟ قالوا : لا ! قال : فهل تبرءون من طائفة منهما ؟
قالوا : لا !

قال عمر : أخبراني أرايتم الدين واحدا أم اثنين ؟ قالوا : بل واحد ! قال :

(١) : الأقط شئ يستخرج من الخيض الغنمي .

فهل يسعكم فيه شيء يعجزني؟ قال: لا! قال: فكيف وسعكم أن توليتم أبا بكر وعمر، وتولّى كل واحدٍ منهما صاحبه، وقد اختلفت سيرتهما؟ أم كيف وسع أهل الكوفة أن تولّوا أهل البصرة، وأهل البصرة أهل الكوفة وقد اختلفوا؟ وكيف وسعكم أن توليتموهم جميعاً وقد اختلفوا في أعظم الأشياء: في الدماء والأموال، ولا يسعني بزعمكما إلا لعن أهل بيتي والبراءة منهم؟ فإن كان لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لا بد منها، فأخبرني عنك أيها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون؟ قال: ما أذكر متى لعنته. قال: ويحك! فيسعدك ترك لعن فرعون، ولا يسعني بزعمك إلا لعن أهل بيتي والبراءة منهم؟ ويحكم! إنكم قوم جهال، أردتم أمراً فأخطأتموه، فأنتم تقبلون من الناس مارد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتردّون عليهم ما قبل منهم، ويأمن عندكم من خاف عنده، ويخاف عندكم من آمن عنده. قال: بل تقرّون بذلك الآن.

هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الناس وهم عبدة أوثان، فدعاهم إلى أن يخلعوا الأوثان، وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فمن فعل ذلك حقن دمه، وأمن عنده، وكان أسوة بين المسلمين، ومن أبى ذلك جاهده؟ قال: نعم. قال: أفلمستم أنتم اليوم تبرءون ممن يخلع الأوثان، وممن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وتلعنونه وتقتلونه، وتستحلون دمه، وتلقون من يأبى ذلك من سائر الأمم من اليهود والنصارى، فمحرّمون دمه. ويأمن عندكم؟ فقال عاصم: مارأيت حجة أيمن ولا أقرب مأخذاً من حجبتك، أما أنا فأشهد أنك على الحق، وأنتى برىء ممن خالفك.

وقال للشيباني: فأنت ماتقول؟ قال: ما أحسن ماقلت، وأبين ماوصفت،

ولكن أكره أن أفقات على المسلمين بأمر لا أدري ما حجتهم فيه ، حتى أرجع إليهم ، ففعلَّ عندهم حجةً لا أعرفها . قال : فأنت أعلم ، ثم أمر لعاصم بعبائة ، وأقام عنده خمس عشرة ليلة ثم مات ، ولحق الشيباني بقومه فقتل معهم .

١٦٨ — ليس الأمر بالسنن *

قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتهياً للكلام ، فقال : أكبروا أكبروا ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه ليس بالسنن ، ولو كان الأمر كله بالسنن لكان في المسلمين من هو أسن منك ! فقال عمر : صدقت ! رحمك الله تكلم !

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن لم نأتك رغبةً ولا رهبةً ؛ أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا ، وقدمت علينا بلادنا ؛ وأما الرهبة فقد أمّنا الله بمذالك من جورك ! قال : فما أنتم ؟ قال : وفد الشكر .

فنظر محمد بن كعب القرظي إلى وجه عمر يتهلّل ، فقال : يا أمير المؤمنين لا يغلبن جبهل القوم بك معرفتك بنفسك ! فإن ناسا خدعهم الثناء ، وغرهم شكر الناس ؛ فهلكوا . وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم ؛ فألقى عمر رأسه على صدره !

١٦٩ — بنو أمية وعمر بن عبد العزيز *

لما أقبلَ عمرُ بن عبدِ العزيزِ على ردِّ المظالم ، وقطَعَ عن بني أمية جوائزهم وأرزاقَ أحرّاسهم ، وردَّ ضياعهم إلى الخراج ، وأبطلَ قضاةَهم فأفقرَهم ضجُّوا من ذلك ؛ فاجتمعوا إليه وقالوا : إنك قد أجلبتَ^(١) المالَ للمسلمين ، وأفقرتَ بني أبيك فيما تردُّ من هذه المظالم ؛ وهذا أمرٌ قد وليه غيرُك قبلك ، فدعهم وما كانَ منهم ، واشتغل أنت وشأنك ، واعمل بما رأيت .

قال لهم : هذا رأيكم ؟ قالوا : نعم ! قال : ولكني لأرى ذلك ، والله لوددتُ ألا تبقى في الأرض مظلمةٌ إلا رددتها !

فخرجوا من عنده ، ودخلوا على عمر بن الوليد بن عبد الملك — وكان كبيرهم وشيخهم — فسألوه أن يكتبَ إلى عمرَ يوبخه لعله أن يرده عن مسألتهم ، فكتب إليه :

« أما بعد فإنك أزريتَ^(٢) على من كان من قبلك من الخلفاء ، وعبت عليهم ، وسرتَ بغيرِ سيرتهم ، وسميتها المظالم ؛ نقصاً لهم ، وعبياً لأعمالهم ، وشنائاً لمن كان بعدهم من أولادهم ، ولم يكن ذلك لك ؛ فقطعتَ ما أمرَ الله به أن يوصل ، وعملتَ بغيرِ الحقِّ في قرابتك ، وعمدتَ إلى أموالِ قريش وموارثهم وحقوقهم ، فأدخلتها بيتَ مالكٍ ظلماً وجوراً وعدواناً ، فاتقِ اللهَ يا بنَ عبدِ العزيزِ وراقبه ؛ فإنك إن

* سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥٢ ، ابن أبي الحديد ص ١٤٧ ج ٤

(١) أجلب : طلب (٢) أزرى عليه : عابه .

شططت لم تظمن على منبرك ، وإن خصصت ذوى قرابتك بالقطيعة والظلم ؛
فوالله الذى خصَّ محمداً صلى الله عليه وسلم بما خصه به من الكرامة ، لقد ازدت
من الله بعداً فى ولايتك هذه التى تزعم أنها بلاءٌ عليك وهى كذلك ! فاقصد فى
بعض ممالكك وتحاملك . اللهم فاسأل سليمان^(١) بن عبد الملك بما صنع بأمة محمد
صلى الله عليه وسلم ! » .

فكتب عمر بن عبد العزيز إليه :

« من عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد ، سلام على من أتبع الهدى ، أمّا
بعد فإن أول أمرك يا فلان أن أمك بنتانة كانت أمةً تدخل دُورِ حِمْص ، وتطوف
فى جوانبها ، والله أعلم بها ، فاشترأها ذبيان بن ذبيان من فئ المسلمين ، فأهداها إلى
أبيك فحملت بك فبئس الحامل وبئس الحمل ! ثم نشأت فكنت جباراً شقيماً .
كتبت إلى تظلمنى^(٢) وزعمت أن حرمتك وأهل بيتك فى بيت مال المسلمين الذى فيه
حق القرابة والضعيف والمسكين وابن السبيل ، وإنما أنت كأحدكم لك مالهم ،
وعليك ما عليهم .

وإن أظلم منى ، وأترك لعهد الله ، الذى استعملك صبيئاً سفيهاً تحركم فى دماء
المسلمين وأموالهم برأيك ، ولم يكن يحمله على ذلك إلا حبُّ الولد ، ولم يكن ذلك له
ولا حق له فيه ، فويلك ثم ويل أبوك ! ما أكثر طلابكم وأخصماءكم يوم القيامة !
وكيف النجاة لمن أكثر خصماؤه ؟

وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من جعل لفلانة البربرية سهماً فى فئ المسلمين

(١) سليمان بن عبد الملك هو الذى عهد إلى عمر بن عبد العزيز بالخلافة (٢) ظلمه : نسب الظلم
إليه .

وصدقاتهم . أهاجرت نكثتكم أمك ! أم بايعت بيعة الرضوان فستوجب سهام
المقاتلين !

وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابياً جلفاً جافياً
على مصر ، وأذن له في المعازف والبرابط ^(١) والخمر .

وإن أظلم وأترك لعهد الله من ولي يزيد ^(٢) بن أبي مسلم على جميع المغرب
يجبي المال الحرام ، ويسفك الدم الحرام . رويدك ! لو قد التقت عليك حاقمة
البطان ^(٣) ، وطالت بي حياة ، ورد الله الحق إلى أهله ، تفرغت لك ولأهل بيتك ،
فأقتكم على الحججة ^(٤) البيضاء ؛ فطالما تركتم الحق وراءكم ، وأخذتم في بنيات
الطريق ^(٥) ؛ ومن وراء هذا ما أرجو أن يكون خيراً رأي رأيته : بيع رقبتيك ،
وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل ؛ فإن لكل مسلم فيك سهماً في كتاب
الله ، والسلام على من اتبع الهدى ، ولا ينال سلام الله الظالمين !

(١) البرابط : جمع بربط وهو العود (٢) ولي الوليد يزيد بن أبي مسلم على ثلاثة أخماس المغرب .
يقتل ويصلب ويقطع (٣) البطان : حزام الرجل ، له حلقتان في كل طرف حلقة ، يصعب التقاؤها .
فإذا التقتا بلغ الشد غايته ، وهو مثل يضرب حين بلوغ الشدة منهاها (٤) الحججة : جادة الطريق .
(٥) بنيات الطريق : الطرق الصغار تنشعب من الجادة .

١٧٠ — في وفاة عمر بن عبد العزيز *

لما حضرت عمرَ بنَ عبد العزيز الوفاةُ دخل عليه مَسَلَمَةُ بن عبد الملك، فقال:
يا أميرَ المؤمنين ؛ إنك قد فَعَرْتَ أفواهَ وَلَدِكَ من هذا المال ، فلو أوصيت بهم إلىَّ
وإلى نظرائي من قومك فكفوك مئوتهم !

فلما سمع مقالته قال : أجلسوني . فأجلسوه فقال : قد سمعتُ مقاتلك يا مَسَلَمَةُ . أما
قولك : إني قد فَعَرْتَ أفواهَ ولدي من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقًا هو لهم ، ولم
أكن لأعطيهم شيئًا لغيرهم ؛ وأما ما قلت في الوصية فإن وصي فيهم (الله الذي نزل
الكتاب وهو يتولى الصالحين) ، وإنما ولد عمر بين أحد رجلين : إما رجل صالح
فسيغنيه الله ، وإما غير ذلك فلن أكون أولَ من أعانه بالمال على معصية الله .

ادع لي بنيّ : فأتوه ؛ فلما رأهم ترقرت عيناه ، وقال : بنفسى فتية تركتهم
عالة لاشيء لهم وبكى .

يابني إني قد تركت لكم خيراً كثيراً لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم
إلا رأوا لكم حقًا ؛ يابني إني قد ميّلتُ^(١) بين الأمرين : إما أن تستغنوا وأدخل
النار أو تفقروا إلى آخر الأبد وأدخل الجنة . فأرى أن تفقروا فذلك أحبُّ إلىَّ ،
قوموا عصمكم الله ، قوموا رزقكم الله !

* سيرة عمر ص ١١٧

(١) ميل بين الأمرين : تردد في أيهما يفعل .

١٧١ — رأى خالد بن صفوان في الشعراء*

قال هشام بن عبد الملك لِسَبَّةَ بنِ عِقَالٍ ، وعنده جريْرٌ والفرزْدَقُ والأخطلُ ،
وهو يومئذ أميرٌ : ألا تُخْبِرُنِي عن هؤلاء الذين قد مزَّقوا أعراضهم ، وهتكوا
أستارهم ، وأغرَّوا بين عشائرهم في غير خيرٍ ولا برٍّ ولا نفعٍ ، أيهم أشعُرُ ؟
فقال سَبَّةٌ : أما جريْرٌ فيعْرِفُ من بحر ، وأما الفرزدقُ فينحِتُ من صخر ،
وأما الأخطلُ فيجيدُ المدحَ والفخرَ .

فقال هشام : ما فسرت لنا شيئاً نحصله ! فقال : ما عندي غير ما قلت !
فقال لخالد^(١) بن صفوان : صِفْهُمْ لنا يا بن الأَهْتَمِ ؛ فقال : أما أعظمهم فخراً ،
وأبعدهم ذِكْراً ، وأحسنهم عُذْراً ؛ وأسيرهم مثلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلامهم عِللاً ؛
الطامى^(٢) إذا زخر ؛ والحامى إذا زارَ ، والسامى إذا خطرَ ؛ الذى إن هدرَ^(٣) قال
وإن خطرَ صال ؛ الفصيحُ اللسان ، الطويلُ العنان ؛ فالفرزدق .
وأما أحسنهم نعمتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم فواتاً الذى إن هجا وضع^(٤) ،
وإن مدح رفع ؛ فالأخطلُ .

وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأهتكمهم لعدوّه سِترًا ؛ الأغرُّ الأبلقُ ،

* الأغانى ص ٨١ ج ٨ ، معجم الأدباء ص ٢٥ ج ١١

(١) أحد فصحاء العرب وخطبائهم ، وهو مشهور برواية الأخبار ، وكان يجالس هشام بن عبد الملك وخالد المقرئ ولكنه كان بخيلاً ، وتوفى سنة ١٣٥ هـ (٢) الطامى : من طمى الماء إذا ارتفع وملاؤه النهر ، وزخر البحر : امتلأ (٣) هدر البعير : ردد صوته في حنجرتة ، وهدر الحمام : كرر صوته (٤) خفض .

الذى إن طَلَبَ لم يُسَبَقْ ، وإن طَلِبَ لم يُلْحَقْ ؛ فجزير . وكلهم ذكئُ الفؤاد ،
رَفِيعُ العِمَاد ، وارى الزَّناد .

فقال له مَسَامَةُ بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالدُ في الأولين ، ولا رأينا
في الآخريين ؛ وأشهدُ أنك أحسنهم وصفاً ، وألينهم عِطفاً ، وأعفُّهم مقالا ،
وأكرمهم فعالا .

فقال خالد : أتمَّ اللهُ عليكم نِعْمَهُ ، وأجزل لديكم قِسْمَهُ ^(١) ؛ وآنسَ بكم الغُرْبَةَ ،
وفرَّجَ بكم السُّكْرَةَ . وأنت ، والله - ما عملتُ أيها الأمير - كريمُ الفِرَاس ، عالمٌ
بالناس ، جوادٌ في المَحَل ، بَسَّامٌ عند البَدَل ؛ حَلِيمٌ عند الطيش ، في ذِرْوَةِ ^(٢)
قريش ، ولُبَّابٍ ^(٣) عبد شمس ، ويومك خيرٌ من أمس .

فضحك هشام وقال : ما رأيتُ كتخلصك يا بن صفوان في مدح هؤلاء
ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم !

(١) القسم : جمع قسمة ، وهى الرزق وما قسم (٢) ذروة : أعلى (٣) لباب : خلاصة .

١٧٢ — المنصور وابن طاوس *

قال مالك بن أنس : بعث إلى أبو جعفر^(١) المنصور وإلى ابن طاوس ، فدخلنا عليه وهو جالس على فرُش قد نضدت له ، وبين يديه أنطاع^(٢) قد سُطت ، وجِلادٌ بأيديهم السيوف ؛ لضرب رقاب الناس ، فأوماً إلينا بالجلوس ، وأطرق عنا طويلاً ، ثم التفت إلى ابن طاوس ، فقال له : حدثني عن أبيك .

قال : نعم ، سمعتُ أبي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أشركهُ اللهُ في حُكْمِهِ ، فأدخل عليه الجورَ في عدله ثم أمسك ساعة ، قال مالك : فضمتُ ثيابي مخافةً أن يملأني دمُهُ .

ثم التفت إليه أبو جعفر ، فقال : عِظني يا ابنَ طاوس ، قال : نعم ، أما سمعتَ اللهُ يقول : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ^(٣) بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْأُبُلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ، إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِغٌ صَادٍ » .

قال مالك : فضمتُ ثيابي أيضاً مخافةً أن يملأني دمُهُ ، فأمسك المنصور ساعة حتى اسودَّ ما بيننا وبينه ، ثم قال : يا ابنَ طاوس ؛ ناولني الدواة ، فأمسك ابنُ طاوس ، ولم يناولهُ إياها وهي في يده ، فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ؟ قال :

* المقدم الفريد للملك السعيد ص ٥٦

(١) انظر صفحة ٢٧٦ (٢) الأنطاع : جمع نطع وهو جلد يفرش (٣) جابوا : خرقوا الصخر

فاتخذوه بيوتاً .

أخشى أن تكتبَ بها معصيةَ الله فأكونَ شريكك فيها . فلما سمع ذلك المنصور
قال : قوماً عنى !

قال ابن طاوس : ذلك ما كنا نبعى ! قال مالك : فما زلتُ أعرفُ
لابنِ طاوس بعدها فضله !

١٧٣ — بديهة معن *

قدم معنُ بن زائدة من اليمن ودخل على أبي جعفر المنصور ، فقال له : قد بلغ
أمير المؤمنين عنك شيءٌ لولا مكانك عنده ، ورأيه فيك لغضب عليك ، قال :
وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألفَ دينار لقوله
فيك :

معن بن زائدة الذي زيدتَ به شرفاً على شرف بنو شيبان
إن عد أيامُ الفعَالِ فإنما يوماه يومُ ندى ويومُ طعان
فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُهُ ما بلغك لهذا الشعر ، وإنما أعطيتُهُ
لقوله :

ما زلتَ يومَ الهاشميةَ معلماً بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعتَ حوزته وكنتَ وقاه من وقع كل مُهندٍ وسنان
فاستحيا المنصور ، وقال : إنما أعطيتُهُ ما أعطيتَهُ لهذا القول ؟ قال : نعم ،

يا أمير المؤمنين ! والله لولا مخافةُ الشنعة لأمكنته من مفاتيح الأموال ، وأبجته
إياها ، فقال له المنصور : لله درك من أعرابي ! ما أهون عليك ما يعز على الرجال
وأهل الحزم !

١٧٤ — رسول معن *

أراد معنُ بن زائدة أن يوفدَ إلى أبي جعفر المنصور قوماً يسألون سخيمته ،
ويستعطفون قلبه عليه ، وقال : قد أفنيتُ عمرى فى طاعته ، وأتعبتُ نفسى ، وأفنيتُ
رجالى فى حربِ اليمن ، ثم يسخطُ علىَّ أنْ أنفقتُ المال فى طاعته !
فانتخب جماعةً من عشيرته من أفناء ربيعة ، فكان فيمن اختارَ جماعةً بن
الأزهر ، فجعلَ يدعو الرجال واحداً واحداً ، ويقول : ماذا أنت قائل لأمير المؤمنين
إذا وجهتُك إليه ؟ فيقول : أقول وأقول . . . حتى جاءه جماعة بن الأزهر ، فقال :
أعزَّ الله الأمير ! تسألنى عن مخاطبة رجل بالعراق وأنا باليمن ! أقصد لحاجتك حتى
أتأتى لها كما يمكن وينبغى ؛ فقال : أنت صاحبى .

ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عتيق المزنى وقال : شدَّ على عضد ابن عمك ،
وقدمه أمامك ، فإن سها عن شىء فتلافه ؛ واختار من أصحابه ثمانية نفرٍ معهما
حتى تموا عشرة وودعهم ومضوا ، حتى صاروا إلى أبي جعفر .

فلما صاروا بين يديه تقدّموا ، فابتدأ جماعة بحمد الله والثناء عليه والشكر له

حَتَّى ظَنَّ الْقَوْمُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَصَدَ لِهَذَا ؛ ثُمَّ كَرَّرَ عَلَى ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
وكيف اختاره الله من بطون العرب ، ونشر من فضله حتى تعجب القوم ؛ ثم كرر
على ذِكْرِ أمير المؤمنين المنصور ، وما شرفه الله به وما قلده ؛ ثم كرر على حاجته في
ذِكْرِ صاحبه . فلما انتهى كلامه ، قال المنصور : أَمَا مَا وَصَفْتَ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ فَاللَّهُ
أَجَلُّ وَأَكْبَرُ مِنْ أَنْ تَبْلُغَهُ الصِّفَاتِ ؛ وَأَمَا مَا ذَكَرْتَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَدْ فَضَّلَهُ اللَّهُ بِأَكْثَرِ مِمَّا قُلْتَ ، وَأَمَا مَا وَصَفْتَ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ فَضَّلَهُ اللَّهُ
بِذَلِكَ ، وَهُوَ مَعِينُهُ عَلَى طَاعَتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأَمَا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صَاحِبِكَ فَكَذَبْتَ
وَلَوَّمْتَ ، أَخْرَجَ فَلَا يَقْبَلُ مَا ذَكَرْتَ ، قَالَ : صَدَقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ
فِي صَاحِبِي .

فَأَخْرَجُوا ، فَلَمَّا صَارُوا إِلَى آخِرِ الْإِيوَانِ أَمَرَ بِرَدِّهِمْ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَعِدُّ
مَا ذَكَرْتَ . فَفَكَّرَ عَلَيْهِ السَّكَّامُ حَتَّى كَانَهُ فِي صَحِيفَةٍ يَقْرُؤُهَا ؛ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ الْقَوْلِ
الْأَوَّلِ ؛ فَأَخْرَجُوا حَتَّى بَرَزُوا جَمِيعًا ، وَأَمَرَ بِهِمْ فَوَقَفُوا ، ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى مَنْ حَضَرَهُ
مِنْ مُضَرٍّ ، فَقَالَ : هَلْ تَعْرِفُونَ فَيْكُمْ مِثْلَ هَذَا ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ تَكَلَّمْتُ حَتَّى حَسَدْتَهُ ، وَمَا
مَنْعَنِي أَنْ أَتَمَّ عَلَى رَدِّهِ إِلَّا أَنْ يُقَالَ : تَعْصَبَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ رَبَّعِي ، وَمَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ
رَجُلًا أَرْبَطَ جَأْشًا وَلَا أَظْهَرَ بَيَانًا ؛ رَدَّهُ يَا غَلَامُ !

فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَعَادَ السَّلَامَ وَأَعَادَ أَصْحَابُهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : اقْصِدْ لِحَاجَتِكَ
وَحَاجَةَ صَاحِبِكَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَعْنَى بِنِ زَائِدَةَ عَبْدُكَ وَسَيْفُكَ وَسَهْمُكَ ،
رَمِيتَ بِهِ عَدُوَّكَ فَضْرَبَ وَطَعَنَ وَرَمَى ، حَتَّى سَهَّلَ مَا حَزُنُّ ، وَذَلَّ مَا صَعُبَ ،
وَاسْتَوَى مَا كَانَ مَعُوجًا مِنَ الْيَمِينِ ؛ فَأَصْبَحُوا مِنْ حَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ

بقاءه - فإن كان في نفس أمير المؤمنين هنة من ساعٍ أو واشٍ أو حاسدٍ فأمر
المؤمنين أولى بالتفضل على عبده ، ومن أفتى عمره في طاعته .
فقبل وفادتهم ، وقبل العذر من معن وأمر بصرفهم إليه .
فلما صاروا إلى معن وقرأ الكتاب بالرضا قبل ما بين عينيه ، وشكر أصحابه ،
وخلع عليهم وأجازهم على أقدارهم ، فقال مجاعة :

آليتُ في مجلسٍ من وائلٍ قسماً ألا أبيعك يا معنٍ بأطاعِ
يا معنٍ إنك قد أوليتني نِعماً عمتُ لُجيماً وخصتُ آلَ مجاعِ
فلا أزالُ إليك الدهرَ منقطعاً حتى يُشيدَ بهلكي هتفةَ الناعِ

١٧٥ - كبير ! *

دخل عمارة^(١) بن حمزة على المهدي ، فلما استقرَّ به الجلوس ، قام رجل كان المهدي قد أعدَّه ليتهكَّم به ، فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : مَنْ ظلمك ؟ قال : عمارة غصَّبني ضيَّعتي - وذكر ضيعة من أحسن ضياع عمارة ، وأكثرها خراجاً - فقال المهدي لعمارة : قم فاجلس مع خصمك ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما هو لي بخصم ؛ إن كانت الضيعة له ، فلست أنارعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين .
فلما انصرف المجلس سأل عمارة عن صفة الرجل ، وما كان لباسه ، وأين كان موضع جلوسه !

* نهاية الأرب ص ٣٧٣ ج ٣ ، معجم الأدباء ص ٢٤٧ ج ١٥
(١) مولى عبد الله بن العباس ثم مولى السفاح ثم مولى أبي جعفر المنصور ، وكان تياهاً معجباً جواداً كريماً معدوداً في سراة الناس ، وكان فصيحاً بليغاً ، وكان أعور دميماً وكان المنصور والمهدي بعده يقدمانه ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته وكفايته ووجوب حقه ، وولى لهما أعمالاً كباراً .

١٧٦ — قناعة *

قال أبو دلف العجلي :

حجبتُ فرأيتُ أبا العتاهية واقفاً على أعرابي في ظلِّ ميلٍ^(١) ، وعليه شَمْلَةٌ
إذا غطى بها رأسه بدتْ رجلاه ، وإذا غطى رجله بدا رأسه ؛ فقال له أبو العتاهية :
يا هذا ؛ لولا أن الله أقنع بعض العبادِ بشر البلاد ، ما وسعَ خيرُ البلاد جميعَ
العباد ؛ ثم قال له : فمن أين معاشكم ؟ فقال : منكم معشرَ الحاجِّ ؛ تمرّون بنا
فننال من فضولكم^(٢) ، وتنصرفون فيكون ذلك ؛ فقال له : إنما تمرّون وتنصرفون
في وقتٍ من السنة ، فمن أين معاشكم ؟ فأطرق الأعرابي ثم قال : لا والله لا أدرى
ما أقول إلا أنا نُرزق من حيث لا نَحْتَسِب^(٣) ، أكثر مما نرزق من حيث
نَحْتَسِب ؛ فولى أبو العتاهية وهو يقول :

ألا يا طالبَ الدنيا دعِ الدنيا لشائنيكا !
وما تصنعُ بالدنيا وظلُّ الميلِ يكفنيكا ؟

* الأغاني ص ٨٣ ج ٤

(١) الميل : منار يبني للمسافر (٢) فضول الغنائم : ما فضل منها (٣) أي يرزقه من حيث لا يقدره ولا يظنه ، أو من حيث لم يحسبه لنفسه رزقاً ولا عده في حسابه .

١٧٧ - الرشيد وعبد الملك بن صالح *

رُفِعَ إِلَى الرَّشِيدِ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ ^(١) بِنَ صَالِحٍ يُطَلِّبُ الْخِلَافَةَ لِنَفْسِهِ ، وَيَطْمَعُ فِيهَا ، وَأَنَّ الْبَرَامِكَةَ كَانُوا لَهُ فِي ذَلِكَ عَوْنًا ؛ وَأَيَّدَ هَذِهِ السَّعَايَةَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَخَادِمُهُ قِمَامَةٌ . فَأَحْضَرَ إِلَى الرَّشِيدِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : أَلَا كُفْرًا بِالنِّعْمَةِ ، وَجُحُودًا لَجَلِيلِ الْمَنَّةِ وَالتَّكْرِمَةِ ! فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . لَقَدْ بُوِّتُ إِذْنًا بِالنَّدَمِ ، وَتَعَرَّضْتُ لِاسْتِحْلَالِ النَّقَمِ ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا بَغْيُ حَاسِدٍ نَافَسَنِي فِيكَ الْمُوَدَّةَ وَالقَرَابَةَ ، وَتَقْدِيمِ الْوَالِيَّةِ ؛ إِنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ فِي أُمَّتِهِ ، وَأَمِينُهُ عَلَى عِثْرَتِهِ ^(٢) ، لَكَ عَلَيْهَا فِرْضُ الطَّاعَةِ وَأَدَاءُ النَّصِيحَةِ ، وَلَهَا عَلَيْكَ الْعَدْلُ فِي حُكْمِهَا ، وَالغَفْرَانُ لِنُدُوبِهَا .

فَقَالَ الرَّشِيدُ : أَتَضَعُ لِي مِنْ لِسَانِكَ ، وَتَرْفَعُ لِي مِنْ جَنَانِكَ ! هَذَا كَاتِبُكَ قِمَامَةٌ يَخْبِرُ بِغَلِّكَ وَفَسَادِ نِيَّتِكَ ، فَاسْمَعْ كَلَامَهُ !

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَعْطَاكَ مَا لَيْسَ فِي عَقْدِهِ ، وَلَعَلَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَعْضَنِي ^(٣) أَوْ يَبْهَتَنِي بِمَا لَمْ يَعْرِفْهُ مِنِّي . وَأَحْضِرْ قِمَامَةً . فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : تَقَدَّمَ غَيْرُ هَائِبٍ وَلَا خَائِفٍ . قَالَ قِمَامَةٌ : أَقُولُ : إِنَّهُ عَازِمٌ عَلَى الْعَدْرِ بِكَ وَالْخِلَافِ عَلَيْكَ ! فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ :

* المحاسن والساوى طبع ليزج ص ٥٤٦ ، تاريخ الطبرى ص ٨٩ ج ١٠ ، العقد الفريد ص ١٤٣ ج ١ ، الكامل لابن الأثير ص ٧٢ ج ٦ ، زهر الآداب ص ٢٨٣ ج ٢
(١) هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو في العباسيين في درجة السفاح والمنصور نسباً وولاه الرشيد الحروب في الثغور فقام بذلك خير قيام ، إلى أن عزله الرشيد وحبسه بعد نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ (٢) العترة : نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأولون ممن مضى وغبر (٣) يقال : عضه فلانا ، أى بهته وقال فيه ما لم يكن .

أهو كذلك يا قامة ! قال : نعم ! لقد أردت ختل^(١) أمير المؤمنين ؛ فقال عبد الملك :
كيف لا يكذب على من خلفى ، وهو يهتئى فى وجهى !

فقال له الرشيد : وهذا ابنتك عبد الرحمن يخبرنى بعثوك ، وفساد نيتك ؛ ولو
أردت أن أحتج عليك بحجة لم أجد عدل من هذين لك ؛ فبم تدفعهما عنك ؟
فقال عبد الملك : هو مأمور أو عاق مجبور ؛ فإن كان مأموراً فمعدور ، وإن كان
عاقاً ففاجر كفور ، أخبر الله بعداوته وحدّر منه بقوله : « إن من أرواحكم
وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم » . فهض الرشيد وهو يقول : أمّا أمرك فقد
وضّح ، ولكننى لا أعجل حتى أعلم الذى يرضى الله فىك ، فإنه الحكم بينى
وبينك ؛ فقال عبد الملك : رضيت بالله حكماً ، وبأمر المؤمنين حاكماً ؛ فإنى أعلم
أنه يؤثر كتاب الله على هواه ، وأمر الله على رضاه .

فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر ، ودخل عبد الملك عليه فسلم ، فلم يرده
عليه الرشيد ! فقال عبد الملك : ليس هذا يوماً أحتج فيه ؛ فقال الرشيد : لِمَه ؟
فقال : لأن أوله جرى على غير السنّة فأنا أخاف آخره ، قال : وما ذاك ؟ قال : لم
ترد على السلام ، أنصف نصفة العوام . فقال الرشيد : السلام عليكم اقتداءً بالسنّة ،
وإثارةً للعدل ، واستعمالاً للتجية ، ثم التفت نحو سليمان بن أبى جعفر وقال : أريد
حياته ويريد قتلى !

أمّا والله لكأنى أنظر إلى شوّوبها^(٢) قد همع ، وعارضها^(٣) قد لَمَع ، وكأنى

(١) ختله : خدعه (٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، وهمع : سال (٣) العارض :
السحاب المعترض فى الأفق .

بالوعيد قد أوزى ناراً تسطع ، فأفزع عن بَرَّاجِمِ^(١) بلا معاصم ، ورءوس بلا غلاصم^(٢) !
 فهلا مهلاً ، بي والله سهّل لكم الوعر ، وصفاً لكم الكدر ، وألقت إليكم الأمور
 أزممتها ، فنذار لكم نذار ! قبل حلول داهية ، خبوط باليد ، لبوط^(٣) بالرجل !
 فقال عبد الملك : اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولّاك ، وفي رعيتك التي استترعاك ،
 ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع الثواب ؛ فقد نخلت لك
 النصيحة ، ومحضت لك الطاعة ، وشددت أواخي^(٤) ملكك بأقل من ركني
 يلمم^(٥) ، وتركت عدوك مشتغلاً ؛ فالله الله في رحمتك أن تقطعه بعد أن بليتته^(٦) ،
 بظن أفصح الكتاب لي بعضه^(٧) ، أو ببغى باغ ينهش اللحم ، ويلغ في الدم ! فقد والله
 سهّلت لك الوعر ، وذلت لك الأمور ، وجمعت على طاعتك القلوب في الصدور ؛
 فكم من ليل تمام فيك كابدته ، ومقام ضيق لك فتمته ، كما قال أخو بني جعفر بن
 كلاب :

ومقام ضيق فرجته بينان ولسان وجدل
 لو يقوم الفيل أو فياله^(٨) زلّ عن مثل مقامي وزحل^(٩)

فقال له الرشيد : أمّا والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك ؛ ثم أمر
 بحبسها ، فحبس عند الفضل بن الربيع .

ثم بعث الرشيد إلى يحيى بن خالد وهو في السجن : « إن عبد الملك بن صالح
 أراد الخروج عليّ ومنازعتي في الملك ، وقد علمت ذلك ، فأعلمني ما عندك فيه ؛
 فإنك إن صدقتني أعدتكَ إلى حالك » .

(١) البراجم : مفاصل الأصابع (٢) الغلاصم : جمع غلصمة ، وهي اللحم بين الرأس والعمق
 (٣) يقال : لبط به الأرض ، أي ضرب (٤) أواخي : جمع آخيه : عروة تربط إلى وتدمدقوق
 وتشد فيها الدابة (٥) يلمم : جبل من الطائف على إيلتين (٦) بليتته : لزمته (٧) العضة : الكذب
 والنميمة (٨) الفيال : صاحب الفيل (٩) زحل : زال عن مكانه .

فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ما أطلعتُ من عبد الملك على شيء من هذا ، ولو أطلعتُ عليه لكنتُ صاحبه دونك ؛ لأن ملكك كان ملكي ، وسلطانك سلطانِي ، والخيرُ والشرُّ كانا فيه عليّ وليّ ؛ فكيف يجوزُ لعبد الملك أن يطمع في ذلك مني ! وهل كنتُ إذا فعلتُ ذلك به يفعل بي أكثر من فعلك ! أعيذكُ بالله أن تظنَّ بي هذا الظنَّ ؛ ولكن كان رجلاً محتملاً ، يسرُّني أن يكون في أهلِكَ مثله ، فوليتُهُ لما أَحمدتُ^(١) من مذهبه ، ومِلتُ إليه لأدبه واحتماله .

فلما أتى الرسولُ الرشيدَ بهذا أعاده عليه وقال : إن أنتَ لم تُقرِّ على عبد الملك قتلُ ابنك الفضل ؛ فقال له يحيى : أنتَ مسلَّط علينا فافعل ما شئتُ ؛ على أنه إذا كان من هذا الأمر شيءٌ فالذنبُ فيه لي ، فمِمَّ يدخلُ الفضل في ذلك ! فقال الرسولُ للفضل : قم ، فإنه لا بدَّ لي من إنفاذ أمر أمير المؤمنين فيك ؛ فلم يشك في أنه قاتله ؛ فودَّعَ أباه وقال له : ألسنتَ راضياً عني ؟ قال : بلى ، فرضى الله عنك ؛ وفرقَ بينهما ثلاثة أيام ؛ فلما لم يجد عندهما من ذلك شيئاً جمعهما كما كانا .

(١) يقال : أَحمدتُ فلانا ، أي رضيت مذهبه .

١٧٨ — هارون الرشيد ومسلم بن الوليد *

كان هارون الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم ، وكان مسلم بن الوليد - صريح الغواني - قد رمى عنده بالتشيع ؛ فأمر بطلبه ، فهرب منه ، ثم أمر بطلب أنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة ، فهرب منه .

ثم وجد هو ومسلم بن الوليد عند قينة ببغداد ؛ فلما أتى بهما ، قيل له : يا أمير المؤمنين ؛ قد أتى بالرجلين ! قال : أي الرجلين ؟ قيل : أنس بن أبي شيخ ، ومسلم بن الوليد . فقال : الحمد لله الذي أظفرني بهما . يا غلام أحضرهما .

فلما دخلا عليه نظر إلى مسلم ، وقد تغير لونه ، فرق له ، وقال : إيه يا مسلم ، أنت القائل :

أَنَسَ الهوى بيني عليّ في الحشا وأراه يطمحُ عن بني العباس
قال : بل أنا الذي أقولُ - يا أمير المؤمنين :

أَنَسَ الهوى بيني العمومة في الحشا مستوحشاً من سائر الأناس (١)
وإذا تكاملت الفضائل كنتم أولى بذلك يا بني العباس

فعجب هارون الرشيد من سرعة بديهته ، وقال له بعض جلسائه : استبقه يا أمير المؤمنين ، فإنه من أشعر الناس ، وامتحنه فستري منه عجباً ! فقال له : قل شيئاً في أنس . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أفرخ^(٢) روعي أفرخ الله روعك

١٢٢ العقد الفريد ص ٤٢٩ ج ١ ، ديوان مسلم ص ٣٠١ طبعة أوربا .

(١) الأناس : الناس (٢) أذهب روعي وفزعي .

يَوْمَ الْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَدْخُلْ عَلَى خَلِيفَةِ قَطْ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

تَلَمَّظُ^(١) السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنْسٍ فَاَلْمُوتُ يَلْحِظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ
فَلَيْسَ يَبْلُغُ مِنْهُ مَا يُؤَمِّلُهُ حَتَّى يُؤَمِّرَ فِيهِ رَأْيَكَ الْقَدْرُ
أَمْضَى مِنَ الْمَوْتِ ؛ يَعْفُو عِنْدَ قُدْرَتِهِ وَلَيْسَ لِمَوْتٍ عَفْوٌ حِينَ يَقْتَدِرُ

فَاجْلِسْ هَارُونَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، لِثَلَا يَرَى مَا هُمْ بِهِ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ قَتْلِ أَنْسٍ قَالَ
لَهُ : أَنْشَدْنِي أَشْعَرَ شَعْرٍ لَكَ ، فَكَلَّمَافَرَّغَ مِنْ قَصِيدَةٍ قَالَ : الَّتِي تَقُولُ فِيهَا « الْوَحْلُ »
فَإِنِّي رَوَيْتُهَا وَأَنَا صَغِيرٌ ، فَأَنْشَدَهُ شَعْرَهُ الَّذِي أَوْلَهُ :

أَدِيرَا عَلَى الرَّاحِ لَا تَشْرَبَا قَبْلِي وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلَتِي ذَحْلِي^(٢)
حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

إِذَا مَاعَلَتْ مِنْهَا ذُوَابَةٌ شَارِبٌ تَمَشَّتْ بِنَامِشِي الْمُقَيَّدِ فِي الْوَحْلِ
فَضَحَكَ هَارُونَ ، وَقَالَ : عَلَيْكَ ! أَمَا رَضِيتَ أَنْ قَيَّدَتَهُ حَتَّى يَمْشِيَ فِي الْوَحْلِ ؛
ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

(١) أصل التلمظ تحريك اللسان في الفم بعد الأكل ، كأنه يتتبع بقية الطعام بين أسنانه ، ويقال تلمظت الحية : إذا أخرجت لسانها لتلمظ الأكل (٢) الذحل : الثأر .

١٧٩ — شاعر باهلي في حضرة الرشيد*

أوفد سعيد بن سالم على الرشيد شاعراً باهلياً ؛ فأثدده قصيدة حسنة ؛
فاستتراب به^(١) الرشيد ؛ وقال : أسمعك مستحسناً ، وأكرمك متهماً ! فإن كنت
صاحبَ هذا الشعر ؛ فقل في هذين - وأشار إلى الأمين والمأمون ، وكانا جالسين .
فقال : يا أمير المؤمنين ؛ حملتني على غير الجدر^(٢) : هيبةُ الخلافة ، ووحشةُ
الغرُبة ، وروعةُ المفاجأة ، وجلالةُ المقام ، وصعوبةُ البديهة ، وشروءُ القوافي ، على
غير الروية ؛ فليُمهني أمير المؤمنين حتى يتألف نافر القول !

فقال الرشيد : لاعليك ألا تقول ، قد جعلتُ اعتذارك عوضَ امتحانك !

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ نفست^(٣) الخناق ، وسهلتُ ميدانَ السباق ، ثم قال :
بنيتَ لعبد الله بعد محمدٍ ذراً قُبَّةَ الإسلامِ فاخضرَّ عودها
هما طنباها^(٤) بارك الله فيهما وأنت أمير المؤمنين عمودها

فقال الرشيد : بارك الله فيك - سل ، ولا تكن مسألتك دون إحسانك !

فقال : الهنيئة^(٥) يا أمير المؤمنين ؛ فأمر له بها وبخلعِ نفيسة ، وصلةٍ جزيلة !

* زهر الآداب ص ١٥٣ ج ٤

(١) استتراب به : رأى منه ما يريه (٢) الجدر : ما استوى من الأرض وأصحر ، والمراد هنا
الأمر السهل (٣) نفست : فرجت (٤) الطنب : جبل الحياء (٥) الهنيئة : اسم لمائة من الإبل .

١٨٠ — يمدح نفسه *

قال العتّابي : كنا بباب الفضل بن يحيى البرمكي أربعة آلاف ما بين شاعر
وزائر ، وفينا فتى ^(١) يحدّثنا ونجتمعُ إليه ؛ فبينما هو ذات يوم قاعد إذ أقبل إليه
غلام له ! فقال له : يا مولاي ؛ أخرجتني من بين أبوي ، وزعمت أن لك صلةً
بالمولك ؛ فقد صرنا إلى أسوء ما يكون من الحال . فإن رأيت أن تأذن لي فأصرف
إلى أبويّ فعلت !

فاغرورقت عينا الفتى ، ثم قال : ائتني بدواةٍ وقرطاس ، فأتاه بهما فتمعد ؛
فكتب رقعةً ، ثم عاد إلى مجلسه ، ثم قال للغلام : انصرف إلى وقت رجوعي
إليك .

فبينما نحنُ كذلك إذ جاء رجلٌ يستأذنُ على الفضل ، فقام إليه الفتى ، فقال :
تَوَصَّلْ رقعتي هذه إلى الأمير ؟ قال : وما في رقعتك ؟ قال : أمدح نفسي ، وأحث
الأمير على قبولي ، قال : هذه حاجة لك دون الأمير ، فإن رأيت أن تعفيني فعلت !
قال : قد فعلت .

فعاد إلى مجلسه ، فخرج الحاجب فقام إليه ، فقال له مثل مقالته الأولى .

* الأوراق للصولي ص ٤

(١) هذا الفتى هو أبان بن عبد الحميد اللاحق الذي نظم كناية ودمنة شعرا . وقد أعطاه يحيى
ابن خالد عشرة آلاف دينار وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار .

فاستظرفه الحاجب ، وقال : إن رجلا يمدح نفسه ولا يمدح الفضل عجيب !
فأخذ منه الرقعة ، ثم دخل فلوحها للفضل ، فقرأ منها سطرين ، وهو مستلق
على فراشه ، ثم استوى قاعدا ، وتناول الرقعة فقرأها ، فلما فرغ قال للحاجب :
أين صاحبُ الرقعة ؟ قال : أعزَّ الله الأمير ؛ والله لأعرفه لكثرة مَنْ بالباب ؛ فقال
الفضل أنا أنبذه لك الساعة ؛ يا غلام ! اصعد القصر فناد : أين مادح نفسه ؟ فقام
الغلام فصاح ؛ فقام الفتى من بيننا بغير رداء ولا حذاء !
فلما مثل بين يدي الفضل ، قال له : أنت القائل ما فيها ؟ قال : نعم ! قال :
أنشدني ، فأنشأ الفتى يقول :

أنا من بُغِيَّةِ^(١) الأمير وكنزُ من كنوزِ الأمير ذو أرباح
كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديبٌ ناصحٌ زائدٌ على النصّاح
شاعرٌ مُفلقٌ أخفٌ من الريشِ شمة مما يكون تحت الجناح^(٢)
لى فى النحو فطنة واتقاد أنا فيه قِلادةٌ بوشاح
ثم أروى من ابن سيرين للعَدَمِ بقولٍ منورٍ الإفصاح
ثم أروى من ابن سيرين للشعرِ وقول النَّسِيبِ والأمداح
وظريفُ الحديثِ فى كل فنٍ وبصيرٌ بترهاتِ المِلاح
كم وكم قد خبأت عندى حديثنا هو عند الملوك كالتفاح

(١) من بغيته : من مطالبه ، يريد أن الأمير لو اصططنه واصطفاه لراى فيه خيرا كثيرا ، وقد
عدد مزايا نفسه فى البيتين بعده (٢) الشاعر المفلق : المبدع ، وأخف الريش وأدقه ما يكون تحت
الجناح ، وأراد بالخفة خفة الروح .

فبمِثْلِي تَخْلُو الْمُلُوكَ وَتَلْهُو وَتَنَاجِي فِي الْمَشْكَلِ الْفِدَاحِ
أَيْمَنُ النَّاسِ طَائِرًا يَوْمَ صَيْدٍ لَعْدُو دُعِيْتُ أَوْ لِرَوَاحِ
أَبْصَرَ النَّاسَ بِالْجَوَاهِرِ وَالْخَيْلِ وَبِالْخِرَدِ الْحِسَانَ الصَّبِيحِ
كُلُّ ذَا قَدْ جَمَعْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْتَى ظَرِيفِ الْمَزَاحِ
لَسْتُ بِالنَّاسِكِ الْمَشْمَرِ ثَوْبِيهِ وَلَا الْمَاجِنِ الْخَلِيعِ الْوَقَاحِ
إِنْ رَمَى بِي الْأَمِيرُ أَصْلَحَهُ اللَّهُ رِمَاحًا ثَلَمْتُ حَدَّ الرِّمَاحِ
مَا أَنَا وَاهِنٌ وَلَا مُسْتَكِينٌ لِسُؤَى أَمْرِ سَيِّدِي ذِي السَّمَاكِ
حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا .

فقال له الفضل :

كاتب ، حاسب ، خطيب ، أديب ، ناصح زائد على النصح !؟
قال : نعم ! أصلح الله الأمير ؛ فقال الفضل : يا غلام ؛ الكتب التي وردت
من فارس ! فأنتى بها ، فقال للفتى : خذها فاقرأها وأجب عنها ؛ فجلس بين يدي
الفضل يكتب ، فقال له الحاجب : اعتزل ؛ يَكُنْ خيرا لك ! فقال : ههنا الرأي
أجمع بحيث الرغبة والرغبة .

فلما فرغ من الكتب عرضها على الفضل ، فكأنما شقَّ عن قلبه ! فقال الفضل :
يا غلام ، بدرة ، بدرة ، بدرة ، فقال للفتى للغلام : أعزَّ الله الأمير ، دنانير أو دراهم
قال : دراهم ! قال : دنانير يا غلام !

فلما وضعت البدرة بين يديه قال الفضل : احملها بارك الله لك فيها . قال الفتى :
والله - أيها الأمير - ما أنا بحمَّال ، وما للحمَلُ خلقت ! فإن رأى الأمير أن يأمر

بعضَ غلمانِه بِحَمَلِهَا عَلَى أَنْ الْغَلَامَ لِي ! فَأَشَارَ الْفَضْلُ إِلَى بَعْضِ الْغُلَمَانِ ، فَأَشَارَ
الْقَتِي إِلَيْهِ : مَكَانَكَ ! ثُمَّ قَالَ : إِنْ رَأَى الْأَمِيرُ - أَيُّدَهُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ الْخِيَارَ إِلَى فِي
الْغُلَمَانِ كَمَا فَعَلَ بَيْنَ الْبَدْرَتَيْنِ فَعَلَ . فَقَالَ : اخْتَر ! فَاخْتَارَ مِنْ أَحْسَنِهِمْ غُلَامًا ، فَقَالَ :
احْمَل ، فَلَمَّا صَارَتِ الْبَدْرَةُ عَلَى مَنْكَبِ الْغَلَامِ بَكَى الْقَتِي ؛ فَاسْتَفْطَعَ الْفَضْلُ
ذَلِكَ ، وَقَالَ : وَيْلَكَ ! أَسْتَقْلَلَا ؟ قَالَ : لَا - وَاللَّهِ - أَيُّدِكَ اللَّهُ ، وَلَقَدْ أَكْثَرْتُ
وَلَكِنْ أَسْفَا أَنْ الْأَرْضَ تَوَارَى مِثْلَكَ ! قَالَ الْفَضْلُ : هَذَا أَجُودُ مِنَ الْأَوَّلِ ، يَا غَلَامُ ؛
زِدْهُ كَسُوءَةً !

١٨١ - العتابي^(١) عند المأمون *

كان كثوم العتابي واقفاً بباب المأمون ، فجاءه يحيى بن أكرم ، فقال له العتابي :
إن رأيت أن تُعلمَ أميرَ المؤمنين بمكاني ! قال : لستُ بحاجب ! قال : قد علمت
ولكنك ذو فضلٍ ، وذو الفضلِ معوَّان ! قال : سلكتَ بي غيرَ طريق ! قال :
إن الله قد أحقك بجاهٍ ونعمة منه ، فهما مُقيمان عليك بالزيادة إن شكرتَ ، وبالتقتير
إن كفرتَ ! وأنا لك اليوم خيرٌ منك لنفسك ؛ أدعوك لما فيه زيادةُ نعمتك وأنت
تأبى ذلك ، ولكلِّ شيءٍ زكاة ، وزكاةُ الجاهِ بذلُّه للمستعين .

فدخل يحيى فأخبر المأمون بالخبر ؛ فأدخل عليه العتابي ، وفي المجلس إسحاق
ابن ابراهيم الموصلي ، فأمره بالجلوس ، وأقبلَ يسأله عن أحواله وشأنه ؛ فيجيبه
بلسان ناطق ؛ فاستظرفه المأمون ، وأخذ في مُداعبته .

فظن الشيخ أنه قد استخفَّ به ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ الإيناس^(٢) قبل
الإبساس ، فاشتبه عليه قوله ، فنظر إلى إسحاق ، ثم قال : نعم ألف دينار ،
فأتى بها فوضعت بين يدي العتابي .

* المسعودي ص ٣٢٣ ج ٢

(١) كان العتابي من أرض جند قنسرين والعواصم ، وسكن الرقة وكان من العلم والقراءة
والأدب والمعرفة والترسل ، وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان
وبراعة البيان ، وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ وصحة القريحة على ما لم يكن كثير من الناس في عصر
مثله (٢) الإيناس : ضد الإيماش . والإبساس : الرفق بالناقة عند الحلب ، وهو أن يقال :
يس بس وهو مثل يضرب في المداراة عند الطلب .

ثم دعا إلى المعارضة ، وأغرى المأمونُ إسحاق بالعبث به ، فأقبل إسحاق يعارضه في كل باب يذكره ، ويزيد عليه ؛ فعجِب منه ، وهو لا يعلم أنه إسحاق ، ثم قال العتابي : أياذنُ أميرُ المؤمنين في مسألة هذا الرجل عن اسمه ونسبه ؟ فأذن له فقال العتابي : من أنت ؟ وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس ، واسمى : « كل بصل » ! فقال له العتابي : أمّا النسبةُ فقد عُرِفَتْ ، وأمّا الاسمُ فننكر ! وما « كل بصل » من الأسماء ! فقال له إسحاق : ما أقلّ إصافك ! وما « كلثوم » ؟ والبصل أطيب من الثوم !

قال العتابي : قاتلكَ اللهُ ! ما رأيتُ كالرجل حلاوةً ، أفيأذنُ أمير المؤمنين في صلته بما وصلني به ، فقد والله - غلبني !
فقال له المأمون : بل ذلك موفّر عليك ، ونأمر له بمثله ؛ فانصرف إسحاق إلى منزله ، وناداه بقيهَ يومه .

١٨٢ - أبو تمام يستعذب خطاب أعرابي *

قال أبو تمام الطائي : خرجت يوماً إلى سرّ من رأى ، حين ولى الواثقُ ،
فَلَقيني أعرابي وقد قربتُ منها ، فأردت أن أسأله عن شيء من أخبارِ الناس بها ،
فخاطبته ، فإذا أفصحُ الناسِ وأفطهُم .

فقلتُ : بمن الرجلُ ؟ قال : من بنى عامر ، قلت : كيف علمك بأمر المؤمنين ؟
قال : قتل (١) أرضاً علمها ! قلت : فما تقول فيه ؟ قال : وثق بالله فكفاه ،
أشجى (٢) العاصية ، وقمَعَ العادية ، وعدل في الرعيّة .

قلت : فما تقول في أحمد بن أبي دواد (٣) ؟ قال : هضبةٌ لا تُرام ، وجندلة (٤)
لا تُضام ، تُشخِّذُ له المدي ، وتُجبل (٥) له الأشراك ، وتُبغى له الغوائل ، حتى إذا
قيل كأن قد ، وثب وثبة الذئب ، وختل (٦) ختل الضب .

قلت : فما تقول في محمد بن عبد الملك ؟ قال : وسع الداني شره ، وقتل البعيد

* أخبار أبي تمام للصولي ص ٨٩

(١) أصل القتل التذليل ، وهذا مثل معناه : أن الرجل العالم بالأرض عند سلوكها يذلل الأرض
ويغلبها بعلمه ، يضرب في مدح العلم (٢) أشجيته : أوقعته في حزن ، وقهرته (٣) أحمد بن
أبي دواد : كان فصيحاً مفوهاً ، وشاعراً جواداً ممدحاً ، رأساً في التجهيم ، وهو الذي شغب على
الإمام أحمد بن حنبل وأفتى بقتله ، كان معتزلياً ، له القبول التام عند التأمون والمعتصم ، وهو أول
من بدأ الخلفاء بالكلام ، وكان بينه وبين ابن الزيات شحنة ومهاجرة توفى بالبصرة سنة ٥٢٤ هـ
(٤) الجندل : ما يقل الرجل من الحجارة ، وقيل الحجر كله الواحدة جندلة (٥) جبل الصيد
جبلًا : أخذه وصاد بالحيلة أو نصبها له (٦) ختل : خدع .

ضَرَّهُ ، له كلَّ يومٍ صريعٌ لا يُرى فيه أثرُ نابٍ ، ولا ندبٌ مخلبٌ^(١) .
قلت : فما تقول في عمرو^(٢) بن فرج ؟ قال : ضخمٌ لهم^(٣) ، مستعذبٌ
للذم .

قلت : فما تقول في الفضل بن مروان ؟ واستعذبتُ خطابه . قال : ذاك رجلٌ
نُشر بعد ما قُبر ، فعليه حياةُ الأحياء وخفَّةُ الموتى .

قلت : فما تقول في أبي الوزير ؟ قال : كبشُ الزنادقةِ الذي تعرف ، ألا ترى
أن الخليفةَ إذا أهمله سنح ورتع ، فإذا هزه أمطر فأمرع .

قلت : فابنُ الخصيب ؟ قال : أكل أكلةً منهم ، فدَرَقَ ذَرَقَةً بِشَمٍ^(٤) .
قلت : فما تقول في إبراهيم أخيه ؟ قال : أمواتٌ غير أحياء وما يشعرون
أيان يُبعثون .

قلت : فما تقول في ابن إسرائيل ؟ قال : لله دره ! أى قُلُقُلٍ^(٥) هو ! غرس
في منابت الكرم ، حتى إذا اهتز لهم حصدوه .

قلت : فما تقول في إبراهيم بن رباح ؟ قال : أُوْبَقَه^(٦) كرمه ، وأسلمه حسبه ،
وله معروفٌ لا يُسلمه ، وربُّ لا يَحْذُلُه ، وخليفة لا يظلمه .

قلت : فما تقول في نجاح بن سلمة ؟ قال : لله دره ! أى طالبٍ وترٍ ومدركٍ
نارٍ ! يتلَبَّبُ كأنه شعلة نار ، له من الخليفةِ جلسةٌ تزيلُ نَعَمًا ، وتُحِلُّ نِقَمًا .

(١) الندب : جمع ندبة ، وهى أثر الجرح الباقي على الجلد (٢) عمرو بن فرج : كان من
علية الكتاب ، وسخط عليه التوكل سنة ٢٣٣ هـ (٣) اللهم : الرغيب الرأى ، الجواد ، العظيم
الكفاية (٤) البشم : التخمة (٥) القلقل : المعوان السريع التقلقل وهو التحرك (٦) أوبقه :
ذله وأهلكه .

قلت : يا أعرابي ؛ أين منزلك ؟ قال : اللهم غفرأ ، إذا اشتمل الظلام فحيثما أدركنى الرقادُ رقدتُ !

قلت : فكيف رضاك عن أهل العسكر ؟ قال : لا أُخْلِيقُ وجهى بمسألتهم ، أو ما سمعت قول هذا الفتى الطائى ، الذى قد ملأ الدنيا شعره :

وما أبالى - وخيرُ القولِ أصدقُه -
حقنت لى ماء وجهى أو حقنت دَمى
قلت : فأنا الطائى قائل هذا الشعر ! فدنا مبادراً فعانقتنى ، وقال : لله أبوك !
ألست الذى يقول :

ما جود كفك إن جادت وإن بخلتُ
من ماء وجهى إذا أخلقتَه عِوض
قلت : نعم ، قال : أنت والله أشعر أهل الزمان .

فوجعتُ بالأعرابى معى إلى ابن أبى دواد ، وحدثتهُ بحديثه ، فأدخله إلى
الواثق ، فسأله عن خبره معى ، فأخبره به ؛ فأمر له بمال ، وأحسن إليه ، ووهب له
أحمد بن أبى دواد ، فكان يقول : قد عظمَ اللهُ بركتك على !

١٨٣ - امتحان شاعر *

كان صاعد^(١) بين يدي المنصور بن أبي عامر ، فأحضرت إليه وردة في غير وقتها لم يستتم فتح ورقها ، فقال فيها صاعدٌ مرتجلاً :

أنتك أبا عامر وردةٌ يُذكرُك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصرٌ فغطت بأكامها رأسها

فسرّ بذلك المنصور ، وكان ابنُ العريف حاضراً ، فحسده ، وقال لابن أبي عامر : هذان البيتان لغيره ، وقد أشدنيهما بعضُ البغداديين لنفسه بمصر ، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه !

فقال له المنصور : أرنيه ؛ فخرج ابنُ العريف ، وركب ، وحرّك دابته ، حتى أتى مجلس ابن بدر ، وكان أحسن أهل زمانه بديهة ، فوصف له ما جرى ، فقال : هذه الأبيات ودسّ فيها بيتي صاعد :

غدوت إلى قصر عباسة وقد جدل^(٢) النوم حُرّاسها
فألقيتها وهي في خدرها وقد صرع^(٣) السكر أناسها
فقلت : أسار على هجعة^(٤) بلي فرمت كاسها
ومدّت يديها إلى وردة يحاكي لك الطيب أنفاسها

* نفع الطيب ص ٨٩ ج ٢

(١) هو أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادى اللغوى ، وأصله من الموصل ، وهو من الوافدين إلى الأندلس ، وكان شديد البديهة في ادعاء الباطل ، وكان مع ذلك عالماً توفي سنة ٤١٧ هـ . (٢) جدله : صرعه (٣) صرع فلاناً : صرعه شديداً (٤) الهجعة : طائفة من الليل .

كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكمامها رأسها
فسار ابن العريف بها ، وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ، ومداد أشقر ،
ودخل بها على المنصور .

فلما رآها اشتد غيظه على صاعد ، وقال للحاضرين : غداً أمتحنه ، فإن
فضحه الامتحان أخرجه من البلاد ، ولم يبق في موضع لي عليه سلطان .

فلما أصبح وجهه إليه ، فأحضر وأحضر جميع الندماء ، فدخل بهم إلى مجلس ،
قد أعد فيه طبقاً عظيماً ، فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير ، ووضع على
السقائف لعب من ياسمين في شكل الجوارى ، وتحت السقائف بركة ماء ، قد ألقى
فيها اللآلئ مثل الحصاء ، وفي البركة حية تسبح .

فلما دخل صاعد ، ورأى الطبق ، قال له المنصور : إن هذا يوم إما أن تسعد
فيه معنا ، وإما أن تشقى به عندنا ، لأنه قد زعم قوم أن كل ما تأتي به دعوى ،
وقد وقفت من ذلك على حقيقة ؛ وهذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملك
قبلي شكله ؛ فصيفه بجميع ما فيه ، فقال صاعد بديهية :

أبا عامر هل غير جدواك واكف^(١) وهل غير من عاداك في الأرض خائف
يسوق إليك الدهر كل غريبة^(٢) وأعجب ما يلقاه عندك واصف
وشائع^(٣) نوّر صاغها هامر الحيا^(٤) على حافيتها عبهر^(٥) ورفارف^(٥)
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت عليها بأنواع الملاهي الوصائف

(١) وكف : قطر (٢) الوشاعة : كل لفيفة (٣) الحيا : المطر (٤) عبهر : يامسين
(٥) الرفرف : الرف يوضع عليه طرائف البيت وجمعه ررفارف .

كثُلُ الطِّبَاءِ الْمَسْتَكْنَةِ كُنَّسَا نُظَلِّلَهَا بِالْيَاسَمِينِ السَّقَائِفِ
وَأَعْجَبَ مِنْهَا أَنَّهُنَّ نَوَاطِرُ إِلَى بَرَكَةِ نُضْمَتِ إِلَيْهَا الطَّرَائِفُ
حَصَاهَا اللَّالِكِي ، سَابِحٌ فِي عُجَابِهَا مِنْ الرَّقْشِ مَسْمُومُ الثَّعَالِينِ زَاحِفُ
تَرَى مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ فِي جَنْبَاتِهَا مِنْ الْوَحْشِ حَتَّى يَبِينَنَّ السَّلَاحِفُ
فَاسْتُغْرِبَتْ لَهُ يَوْمَئِذٍ تِلْكَ الْبَدِيهِيَّةُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَكَتَبَهَا الْمَنْصُورُ بِخَطِّهِ .
وَكَانَ إِلَى نَاحِيَةِ مِنْ تِلْكَ السَّقَائِفِ سَفِينَةٌ ، فِيهَا جَارِيَةٌ مِنَ النُّوَارِ ، بِمَجَازِيفَ مِنْ
ذَهَبٍ لَمْ يَرَهَا صَاعِدٌ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَحْسَنْتَ إِلَّا أَنَّكَ أَغْفَلْتَ ذِكْرَ الْمَرْكَبِ
وَالْجَارِيَةِ فَقَالَ لِلْوَقْتِ :

وَأَعْجَبُ مِنْهَا غَادَةٌ فِي سَفِينَةٍ مَكَلَّلَةٌ تَصْبُو إِلَيْهَا الْمَهَاتِفُ (١)
إِذَا رَاعَهَا مَوْجٌ مِنَ الْمَاءِ تَتَقَيَّ بِسَكَّانِهَا مَا أَنْذَرْتَهُ الْعَوَاصِفُ
مَتَى كَانَتْ الْحَسَنَاءُ رُبَّانَ مَرْكَبٍ تُصَرِّفُ فِي يَمِينِ يَدَيْهِ الْمَجَازِفُ
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي فِي الْبِلَادِ حَدِيقَةً تُنْقَلُّهَا فِي الرَّاحَتَيْنِ الْوَصَائِفُ
وَلَا غُرُوانَ سَاقَتِ مَعَالِيكَ رَوْضَةً وَشَهَاءَ أَزَاهِيرِ الرِّبَا وَالزَّخَارِفُ
إِذَا قَلْتَ قَوْلًا أَوْ بَدَهْتَ بَدِيهِيَّةً فَكَلِمَتِي لَهُ ، إِنِّي لِمَجْدِكَ وَاصِفُ
فَأَمَرَ لَهُ الْمَنْصُورُ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَمِائَةِ ثَوْبٍ ، وَرَتَّبَ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثِينَ
دِينَارًا ، وَأَلْحَقَهُ بِالْندَمَاءِ .

(١) فلانة يهتف بها : تذكر بجمال .

فهرس الأعلام

أبو بكر بن أبي قحافة الصديق :

٣٥٠

أبو تمام : ٣٢٥ ، ٤٢٩

أبو خازم : ٣٩٤

أبو حردبة : ٢٦

أبو دلف العجلي : ٣٢١ ، ٣٣٠ ،

٤١٥ ، ٣٣٣

أبو دلامة : ٢٧٢

أبو سفيان بن حرب : ١٩١

أبو الشيص : ٣٢٨

أبو العباس السفاح : ١٥٥ ، ٢٧٤

أبو العتاهية : ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣١٧

أبو العلاء المعري : ٣٤٣

أبو العميثل : ٣٣٥

أبو كبير الهذلي : ٨

أبو النجم العجلي : ٢٦١

أبو نصر المنذرى : ٣٤٣

(١)

إبراهيم بن رباح : ٤٣٠

إبراهيم بن محمد الإمام : ١٦٠

إبراهيم بن المدير : ١٧٢

إبراهيم بن المهدي : ٣١٩

إبراهيم بن ميمون : ١٦٦

إبراهيم بن هرمة : ٢٧٩

أبان بن الحجاج : ٢٢١

ابن أبي دباكل : ٣٩

ابن أبي محجن : ٣٧٢

ابن جاح : ٣٤٥

ابن سريج المغني : ٣٩

ابن طالوت : ٣٢٧

ابن طاوس : ٤٠٩

ابن العريف : ٤٣٢

أبو الأسود الدؤلي : ٩٧

أبو أيوب الخازن : ٢٧٢

أمامة بنت الحارث : ٧٣
أمامة بنت خزرج : ١٧٩
أمرو القيس : ١٨٨
أم البنين بنت عبد الملك بن مروان :

١٣٩

أم الخير بنت الحرিশ : ١٠٠
أم سلمة بنت يعقوب : ١٥٥
أم سنان بنت خيشمة المذحجية : ١٢٠
أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن
الخطاب : ٨٨

أنس بن أبي شيخ : ٤٢٠

أنس بن مالك : ٣٨٠

أنمار (قبيلة) : ٧

أوس بن حارثة : ٧٥ ، ٨٠

أيمن بن خزيم الأسدي : ٢٣٧

أيوب بن القرية : ٣٧٨

(ب)

بثينة (صاحبة جميل) : ٣٩٢

بجيلة (قبيلة) : ١١

برد (غلام ابن مفرغ) : ٢٠٢

بسر بن أرطاة : ١٠٧

أبو نواس : ٢٩٨ ، ٣٢٨

أحمد بن أبي خالد : ١٧٢

أحمد بن أبي دواد : ٤٢٩

أحمد بن السراج : ٣٢٣

الأحنف بن قيس : ٢٠٦

الأحوص : ١٤٨ ، ٢٤٣

الأخطل : ٢٢٦ ، ٢٤٤

الأخنس بن كعب : ٦

الأراكة (قينة ابن مفرغ) : ٢٠٤

أروى بنت الحارث : ١١٧

إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ٤٢٧

أسماء بنت أبي بكر : ١٢٦ ، ١٤٠

إسماعيل بن عبد الله : ٣٨٠

الأسود بن قنان : ١٧٩

أشجع السلمي : ٢٩٢ ، ٣٠٢ ، ٣١٥ ،

٣١٧

الأصمعي : ٥٤ ، ١٦٩ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩

٣١٢ ، ٣١٠

أعشى قيس : ١٩١

أعشى همدان : ٢١٧

(ث)

ثابت بن جابر = تأبط شرا

(ج)

جامع الحاربي : ٢٢٢

جحدر بن ربيعة : ٣٧ ، ٣٨

جذيمة بن الأبرش : ٢ ، ٥٦

جرير بن عطية الخطفي : ٣٥ ، ٣٦

١٤١ ، ٢٤٢ ، ٣٩٣

جعفر بن يحيى البرمكي : ٢٩٤ ، ٣١٥

جلبيلة بنت مرة : ٦٧

جميل بن معمر : ١٤١ ، ٢١٢ ، ٢٢٥

(ح)

حاتم بن عبد الله : ٧٥

الحارث بن خالد : ١٥٣ ، ٢١٤

الحارث بن عمرو : ٧٢

الحارث بن عوف : ٨٠

الحارث بن كعب : ٤

الحجاج بن علاط السلمي : ٣٥٤

الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٧ ، ٣٨

١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢

بشار بن برد : ٢٩٢

بشر بن المنذر : ٢٨٤

بكاره الهلالية : ١١٥

بكر بن وائل (قبيلة) : ٣٦٠

بنو أسد : ١٨٨

بنو أمية : ٢٧٤ ، ٤٠٣

بنو تميم الله : ٣٦٠

بنو ثعلبة : ١٧٣

بنو ذهل : ٣٦٠

بنو شيبان : ١٨ ، ٢٢ ، ٣٦٠

بنو مالك بن غفيلة : ٦٢

بنو النضير : ٧٨

بنو نمير : ٢٤

بنو هاشم : ٤٧٤ ، ٣٥٨

بنو يشكر : ٣٦٠

بهيسة بنت أوس بن حارثة : ٨١

(ت)

تأبط شراً : ٨

تميم بن عدى اليربوعي : ٩٣

تميم (قبيلة) : ٩٣

توبة بن الحمير : ١٢٣

داود بن علي : ٢٧٥

درواس بن حبيب : ٢٦٥

دعبل الخزاعي : ٣٢٦ ، ٣٢٣ ، ٣٢١
٣٢٨

(ذ)

ذبيان بن ذبيان : ٤٠٤

الذلفاء بنت الأبيض : ١٧٢

(ر)

الربيع بن يونس : ٢٨٤ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨
ربيعة الرقي : ٢٩٩

رزين الخزاعي : ٣٢٣

رقاش (أخت جذيمة بن الأبرش) : ٢

(ز)

الزباء : ٥٦

الزبرقان بن بدر : ١٩٩

الزبير بن العوام : ١٠٣

زرارة بنت عدس : ٦٩

زيد الخليل : ٧٥ ، ٢٢

زينب بنت حدير : ١٢٩

٢٢٣ ، ٣٣٧ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ،

٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٩١

حرقة بنت النعمان : ٨٩

حسان بن ثابت : ١٩٤ ، ٣٤٨

الحصين بن عمرو الكلابي : ٧ ، ٦

الخطيئة : ٢٠٠

حمدونة بنت عيسى ١٧٣

حنيفة (قبيلة) : ٣٦٠

حيان بن سلمي : ١٩٣

(خ)

خارجة بن سنان : ٨٠

خالد بن صفوان : ٢٦٠ ، ٢٥٦ ، ١٥٥
٤٠٧

خالد بن عبدالله القسري : ٢٦٠ ، ٣٩١

خالد بن عتاب : ٢١٧

خالد بن المضلل : ١٣

خالد بن يزيد : ٣٠ ، ٢٨٤

الخنساء : ٨٤ ، ٨٧

الخيزران (أم المهادي والرشيد) : ١٥٩

(د)

دارمية الحجونية : ١١٣

سليمان بن مجالد : ٢٧٣
السليك بن السلكة : ١٦
سودة بنت عمارة : ١٠٥

(ش)

شبة بن عقال : ٤٠٧
شريح بن الحارث : ١٢٩
شرقى بن القطامي : ٥١ ، ٤٨
شظاظ (الاص) : ٢٧
الشعبي : ١٢٩ ، ٢٦٦
شوذب الحروري : ٣٣٩
شليبة بن ربيعة : ٨٤

(ص)

صاعد بن الحسن : ٤٣٢
صخرو بن عمرو : ٢٥
صخرة (أخت الحصين بن عمرو
الكلابي) : ٦
صعصعة بن ناجية : ٦
صفية بنت عبد المطلب : ٨٦

(ض)

ضبة بن أد : ٤

زينب بنت سليمان : ١٦٠
زينب بنت يوسف (أخت الحجاج) :
١٥٢

(س)

سديف (مولى أبي العباس) : ٢٧٤
سعد بن أبي وقاص : ٨٩
سعد بن ضبة : ٤
سعد بن مرة بن جبير : ٢٦٧
سعيد بن جبير : ٣٧٣
سعيد بن خالد : ٢٤٠
سعيد بن سالم : ٤٢٢
سعيد بن ضبة : ٤
سعيد بن عثمان : ٢٠٢
سعيد بن المسيب : ٢١٦
سكينة بنت الحسين : ١٤١ ، ١٤٦
سليم بن كيسان الكلبي : ٢٦١
سليمان بن عبد الملك (الخليفة) : ٢٣٩ ،
٢٤٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ،
٤٠٤

سليمان بن عبد الملك (قتي من بني
عبس) : ٢٣٩

ضرار بن القعقاع : ٥٤

(ط)

طلحة بن عبيد الله : ١٠٣

(ع)

عائشة بنت أبي بكر : ٨٧

عائشة بنت طلحة : ١٥٢

عاصم بن عمر بن الخطاب : ٨٨

عامر بن جذيمة : ٥

عامر بن الطفيل : ١٩٣

عامر بن وائلة : ٣٧٠

العباس بن عبد المطلب : ٣٥٤

العباس بن المأمون : ١٧٢

العباس بن محمد بن علي : ٢٩٩

عبد الرحمن بن الأشعث : ١٩٣ ، ٣٧٨

٣٧٩

عبد الرحمن بن سيحان الحاربي : ٢٠٠

عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح : ٤١٦

عبد الرحمن بن عتيق المزني : ٤١٠

عبد العزيز بن عمر بن مروان : ٢٧٥

عبد العزيز بن مروان : ٢٣٥

عبد الله بن أبي بكرة : ١٢٨

عبد الله بن الحجاج : ٢٧٢

عبد الله بن الحسن بن علي : ٢٧٠

عبد الله بن الزبير : ١٢٦ ، ١٣٩ ،

٣٧٠ ، ٢١٠

عبد الله بن زياد : ٢٠٢

عبد الله بن سعيد بن عبد الملك : ٣٩

عبد الله بن صفوان : ٣٧٠

عبد الله بن العباس : ٩٣ ، ٢٠٠ ،

٣٥٧ ، ٣٧٠

عبد الله بن عمرو بن العاص : ٣٦٢

عبد الله بن قيس الرقييات : ٢١٦

عبد الله بن المنتشر : ٤٠

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن

جعفر : ٢٧٠

عبد الملك بن صالح : ٤١٦

عبد الملك بن الفضل : ١٦٢

عبد الملك بن مروان : ٣٤ ، ٣٥ ،

٣٦ ، ١٣٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ،

٣٩٢

عبيد بن الأبرص : ١٣ ، ١٤ ، ١٨٨

عبيد الله بن زياد : ٢٠٢

عمارة بن حمزة : ٤١٤
عمر بن أبي ربيعة : ٢١٢، ٢١٤، ٢١٦،
٢٤٣، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٦
عمر بن الخطاب : ٨٨، ٣٥٧
عمر بن عبد العزيز : ٢٤٢، ٢٤٦، ٣٩٩
عمر بن الوليد بن عبد الملك : ٤٠٣
عمرو بن الأهمم : ١٩٩
عمرو بن براق : ١١
عمرو بن بسطام : ٢٦٢
عمرو بن الحارث : ١٩٤
عمرو بن الشريد : ٨٤
عمرو بن العاص : ١١٧، ٣٦٢، ٣٦٧،
٣٦٨
عمرو بن عبيد الله : ٢٦
عمرو بن عدى : ٥٧، ٢
عمرو بن فرج : ٤٣٠
عمرو بن مسعدة : ٣٢١
عمرو بن مسعود : ٩٠
عنيسة بن سعيد : ١٣٢
(غ)
الغضبان بن القبعثري : ٣٥٨

عتبة بن أبي سفیان : ١٨٤، ١٩٨،
٣٦٢
عثمان بن عفان : ١١٣
عثمة بنت مطرود : ٦٢
العجفاء بنت علقمة السعدى : ٦٥
عدى بن أرتاة : ٢٤٢
عدى بن الزبير : ٨٩
عدى بن نصر : ٢
عروة بن أذينة : ٢٥٣
عروة بن الورد : ٧٨
عزة (صاحبة كثير) : ٣٩٢
عصام بن شهر : ٣٤٨
علقمة بن عبدة : ١٩٤
على بن أبي طالب : ٨٣، ٩٠، ٣٥٠،
٣٦٢، ٣٥٦
على بن جبلة : ٣٣٠، ٣٣٣
على بن الحسين (زين العابدين) : ٢٥٤
على بن رافع : ٩٠
على بن محمد العلوى : ٣٤١
على بن موسى الرضا : ٣٢٦
عكرشة بنت الأطرش : ١١١

كلثوم العتابي : ٤٢٧

السكريت : ٢٦٨

(ل)

لقيط بن زرارة : ٦٩

ليلي الأخيلية : ١٣٢، ١٢٣

(م)

المأمون (الخليفة) : ١٧١، ٣٢١، ٣٣٠

٤٢١

المؤمل بن أميل : ٢٨١

مؤنسة (مغنية) : ٣٣٨

مالك بن أنس : ٤٠٩

مالك بن الريب : ٢٦

مالك بن طوق : ٣٠٤، ٣٠٦

ماني الموسوس : ٣٣٧

المتوكل (الخليفة) : ١٤١

المتي بن حارثة : ٣٥٠

مجاعة بن الأزهر : ٤١١

محسن الفقعسي : ١٣٦

محمد بن أبي الجهم : ٢٥١

محمد بن أمية : ٣١٩

محمد بن صالح : ١٧٣

(ف)

فاطمة بنت محمد بن الحسين : ١٦٢

الفرزدق : ١٤١، ١٤٦، ٢٣٥، ٢٥٤،

٢٦٨

الفضل بن الربيع : ٢٥٧

الفضل بن يحيى : ٤١٩، ٤٢٣

الفضل بن يزيد : ١٧٦

(ق)

القاسم بن عيسى = أبودلف

قبيصة بن نعيم : ١٨٨

قراد بن إهاب : ٦٩

قريش : ١٩١، ٣٥٤، ٣٥٨

قصير بن سعد : ٥٦

قمامة (خادم عبد الملك بن صالح) : ٤٦

قنبر (مولى علي بن أبي طالب) : ٣٥٦

قيس بن ثعلبة (قبيلة) : ٣٦٠

قيس بن خالد : ٧٠

(ك)

كثير بن شهاب المذحجي : ٣٦٦

كثير بن عبد الرحمن : ١٤١، ١٤٨،

٢٢٥، ٣٤٣، ٣٤٦

المعتضد بن عباد : ٣٤٥
معقل بن عيسى : ٣٣٣
معن بن زائدة : ٤١١
المنيرة بن شعبة : ٣٦٠، ٩٢
مفروق بن عمرو : ٣٥٠
المنذر العبدى : ٢٠٦
المنذر بن ماء السماء : ٧٠، ١٥، ١٤، ١٣
المنصور بن أبي عامر : ٤٣٢
المنصور العباس (الخليفة) : ٢٧٦، ٢٧٢
، ٤٠٩ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٤ ، ٤٠٩ ،
٤١١ ، ٤١٠
منصور النمرى : ٣٠٢
المهاجر بن خدّاش : ١٨٨
المهاجر بن عبد الله : ١٩
المهدي العباسى (الخليفة) : ٤٨ ، ١٦٠ ،
٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٤١٤
موسى شهبوات : ٢٤٠
(ن)
الناطقة الجعدى : ١٣٧
الناطقة الذيبانى : ١٩٤
ناهض بن ثومة : ٣٠

محمد بن عبد الله بن طاهر : ٣٣٧
محمد بن عبد الله بن المطلب (الرسول
صلى الله عليه وسلم) : ٢٥ ، ٨٣ ،
١٩٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤
محمد بن عبد الملك : ٤٢٩
محمد بن علي بن الحسين : ٢٦٩
محمد بن عمرو بن العاص : ٣٦٢
محمد بن كعب القرظى : ٤٠٣
محمد بن منذر : ٣٥٧
مروان بن أبي حفصة : ٢٨٤ ، ٤١٠
مروان بن الحكم : ١١٥ ، ١٢٠
مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز) :
٤١١ ، ٤١٠
مزنة (زوج مروان بن محمد) : ١٥٩
مسلم بن الوليد : ٢٩٤ ، ٣٢٨ ، ٤٢٠
مسلمة بن عبد الملك : ٢٦٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨
مصعب بن الزبير : ٢١٠
مطلب بن عبد الله : ٣٢٣
معاوية بن أبي سفيان : ٩٧ ، ١٠٠ ،
١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٧ ،
١٢٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ،
٣٦٨ ، ٣٨٧

هند بنت النعمان : ٩٢

(و)

وردان (غلام عمرو بن العاص) :

٣٦٧، ٣٦٣

الوليد بن عبد الملك : ١٣٩، ٣٧

الوليد بن عتبة : ٨٤

الوليد بن يزيد : ٢٦٦

وهب بن ناجية الرصافي : ١٧٩

(ي)

يحيى بن أكثم : ٤٢٧

يحيى بن خالد : ٤١٨

يزيد بن أبي مسلم : ٣٧٩، ٣٩٨

يزيد الشيباني : ١٨، ١٣٨

يزيد بن مزيد : ٢٨٥

يزيد بن مفرغ : ٢٠٢

يعقوب بن داود : ٢٨٤

يوسف بن عمرو التقي : ٢٥٦

نجاح بن سلامة : ٤٣٠

نجدة بن الأسود : ١٨٢

نصيب بن رباح : ١٤١، ١٤٨، ٢٣٥،

٢٤٦

نصيب (العباسي الشاعر) : ٢٩٠

النعمان بن شريك : ٣٥٠

النعمان بن المنذر : ٣٤٨

النميري : ١٥٢

(ه)

هارون الرشيد : ١٦٢، ٢٩٤، ٢٩٧،

٣٠٠، ٣٠٢، ٣١٨

هاني بن عروة المرادي : ٣٦٦

هاني بن مسعود : ٣٥٠

هشام بن عبد الملك : ٢٥١، ٢٥٣،

٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٥،

٤٠٧، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٢٢

هلال بن الأسعر : ٤٢، ٤٤، ٤٦

هند بنت عتبة : ٨٤

فهرس الاماكن

(خ)	(١)
خراسان : ٣١٧	أسوان : ٣٢٤
خير : ٣٥٤	(ب)
(ذ)	البحرين : ٤٢
ذنوب : ١٤	بدر : ٨٤
(ر)	البصرة : ٤٣
الرصافة : ١٧٩	بطن نعمان : ١٥٢
(س)	بقعة : ٥٦
السراة : ١١	(ج)
سر من رأى : ٤٢٩	الجوف : ١٧
السعد : ١٤٩	(ح)
السمواة : ٣	الحجون : ١١٣ ، ٤٠
(ص)	الحصاب : ٤٠
الصالحية : ٣١٥	حلب : ٣٠
الصعاب : ٤٢	الحيرة : ٤٨ ، ٢٤ ، ٢٢
صفين : ١١١	

المحصب : ١٥٢

المدينة المنورة : ٧٨

المربد : ٤٣

مصر : ٣٢٣

مكة : ٧٨

ملحوب : ١٤

منى : ١٥٢

منفوحة : ١٩٢

(ه)

هجر : ٣٤

(و)

الوهط : ١١

(ى)

اليامة : ١٩

(ط)

الطائف : ١٥٢

(ع)

العذيب : ١٨١

العقيق : ١٤٨

عكاظ : ٨٤ ، ٤

(ف)

فارع : ٨٦

فخ : ١٥٢

(ق)

قومس : ٣٢٦ ، ١٣٧

(م)

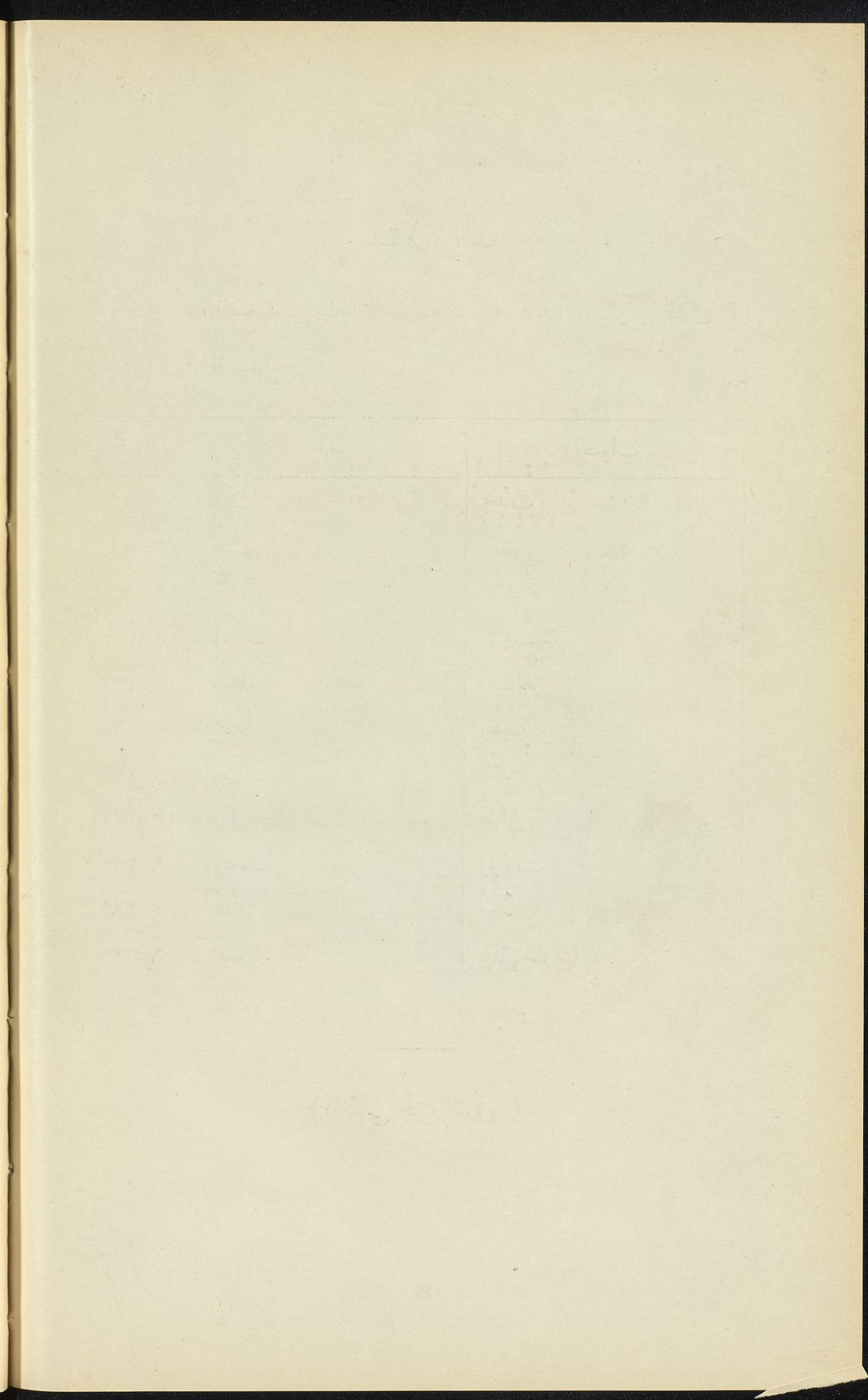
محلة بنى فزارة : ٣٩

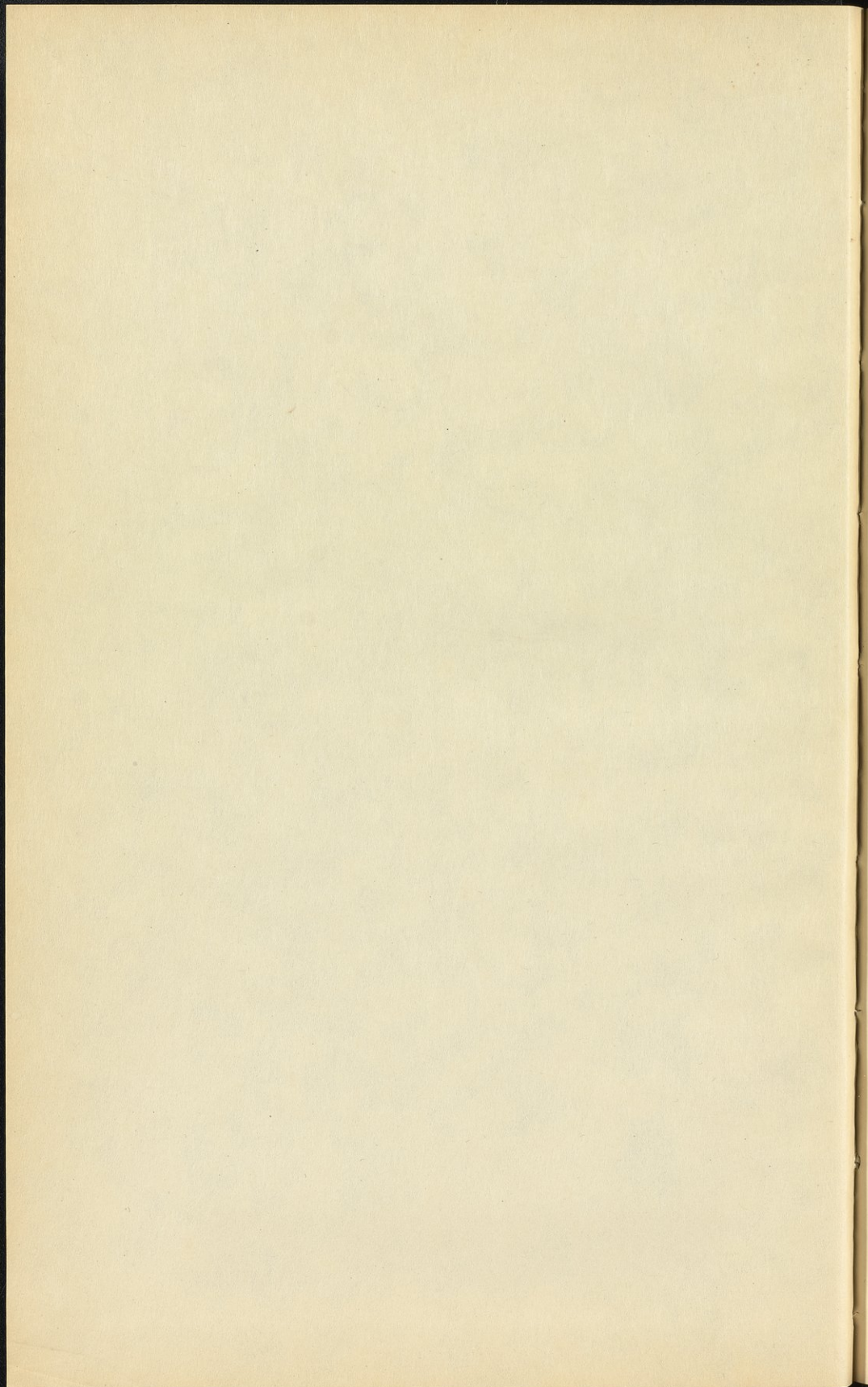
استدراك

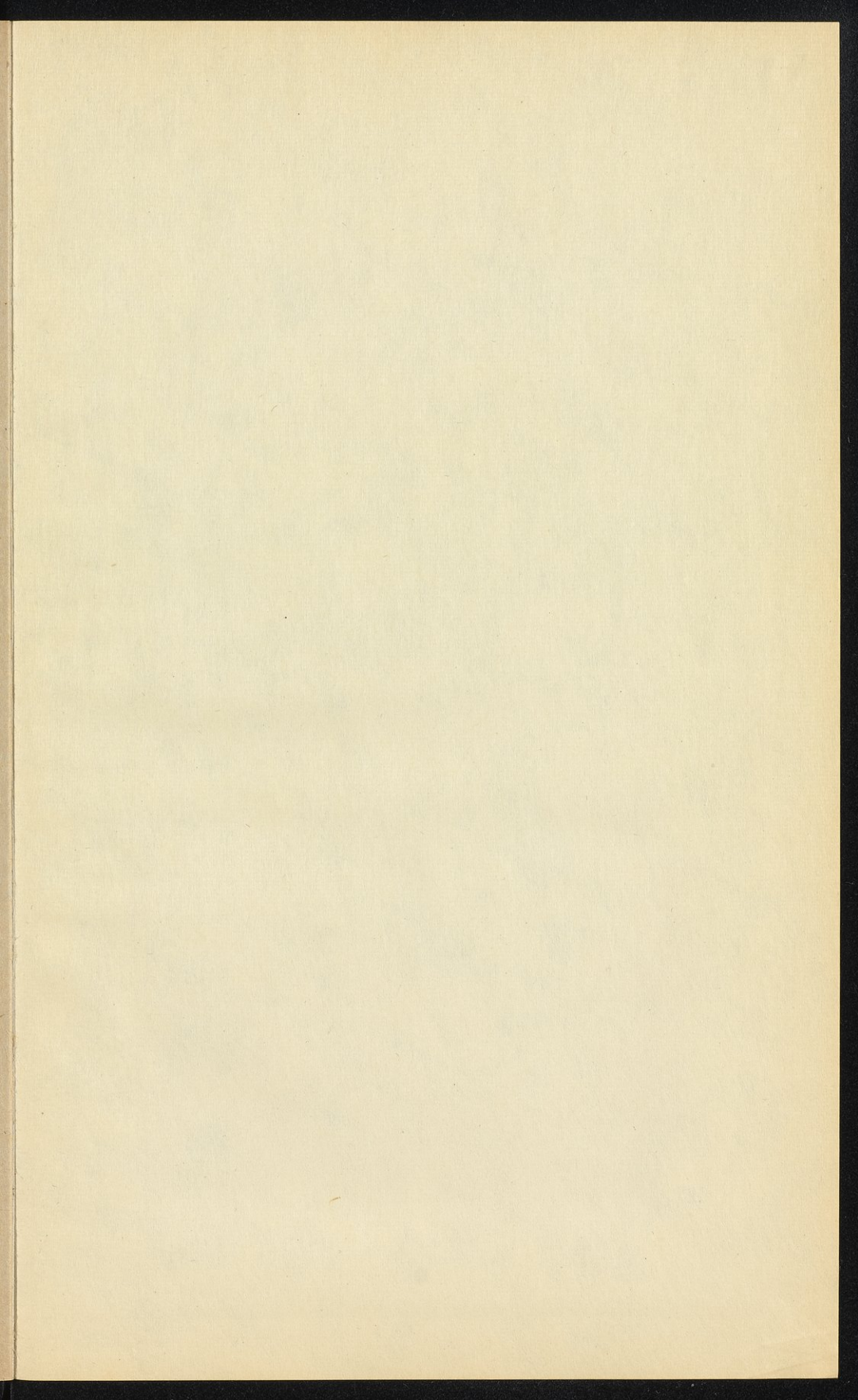
وقع في أثناء الطبع بعض غلطات مطبعية نذكرها هاهنا ليستدركها القارئ قبل أن يمضي في قراءة الكتاب :

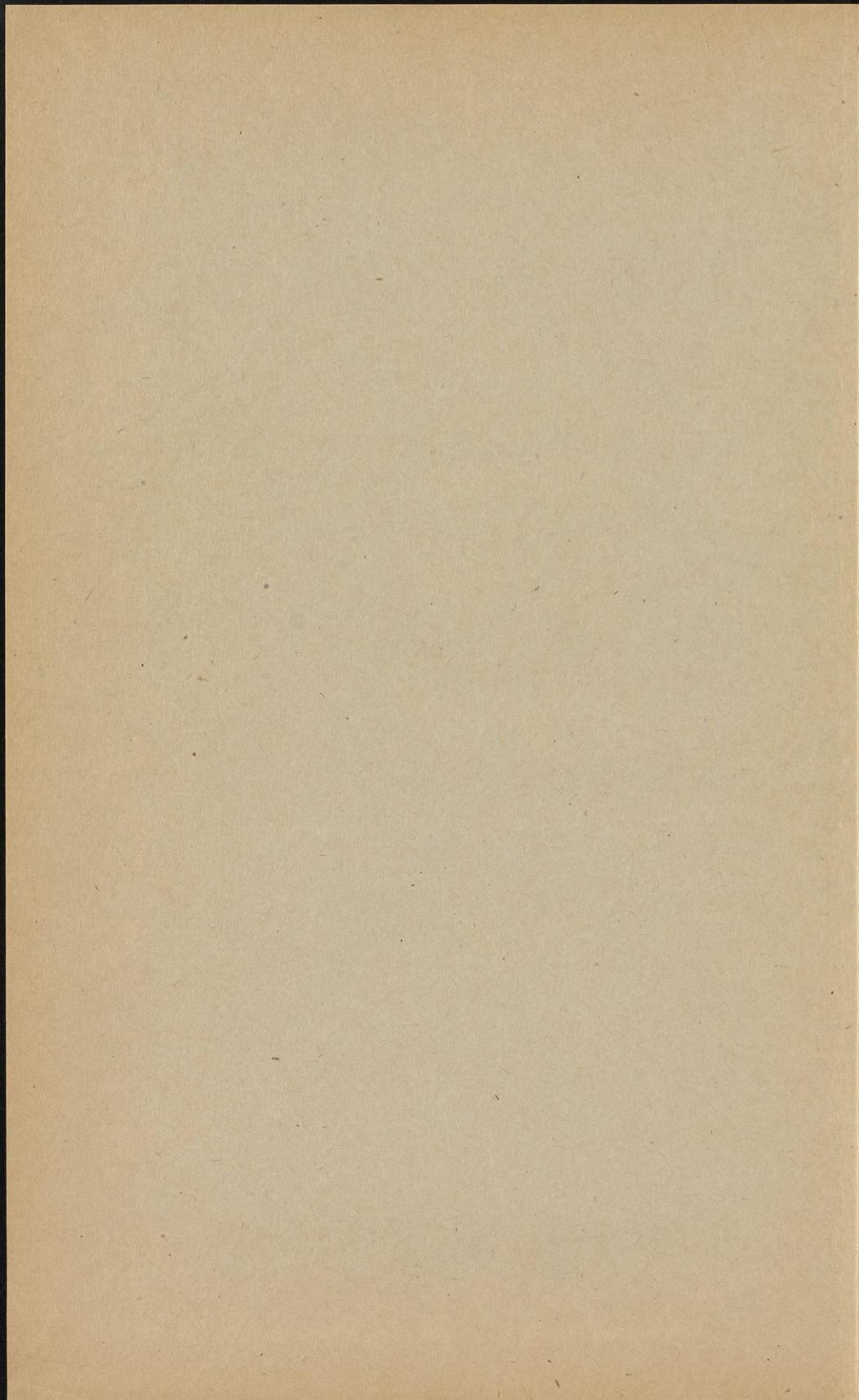
الخطأ	الاصواب	السطر	الرقم
حَرَّث	حَدَّث	١	٤٦
تَفَشِي	تَفْسِي	٦	٧٤
الأشاتم	الأشأم	١٢	٧٦
تؤسَنك	تؤيسَنك	٨	١٠٠
المستففر	المستغفر	١٢	١٣٤
رهنيّة	رهينة	٧	١٦٨
أنظر	انظر	١	١٧٦
ففرُق	ففرِّق	١٣	١٧٧
ووضعتُ	ووضعت	٩	٢٣٣
أحدًا	أحدًا	٤	٢٨٩
كف شاربها	حلق شاربها	٦	٣٢٩

﴿ انتهى الجزء الثاني ﴾









COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0315334597

893.78

Q48
v.2

893.78

Q48
v.2

Qisas al-'Arab

Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim ...

BINDER

JUL 1 1947

SEP 19 1947

